بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القـــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : عبدالله عبدالرشيد عبدالله عبدالجليل .... كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : ...... العقيدة ....

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : .... الماجستير .... في تخصص : ...... العقيدة الإسلامية ....

عنوان الأطروحة : ((أزلية وأبدية أفعال الرب عند المتكلمين عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٥ / ١ / ١٤٢٧هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : د/ محمود أحمد خفاجي	الاسم : د/ أحمد عطية الزهراني	الاسم : د/ أحمد عبداللطيف عبداللطيف
التوقيع : ١٥ / ٢ / ١٤٢٧	التوقيع : ١٥ / ٢ / ١٤٢٧	التوقيع : ....

يعتمد

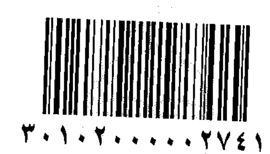
رئيس قسم

الاسم : د/ أحمد عطية الزهراني

التوقيع : ١٥ / ٢ / ١٤٢٧

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا



أزلية وأبدية أفعال الله تعالى عند المتكلمين

عرض ونقد

على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في العقيدة الإسلامية

إعداد الطالب

عبد الله عبد الرشيد عبد الله عبد الجليل

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور /محمود أحمد خفاجي

١٤١٦ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(ملخص الرساله)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لانبي بعده ، أمابعد : فهذه نبذة مختصرة عن مضمون الرسالة :-

العنوان : (أزلية وأبدية أفعال الله تعالى عندالمتكلمين عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)

أهمية الموضوع:

١- بيان اختلاف الملل في هذه القضية بعد ظهور القول من أن الله تعالى كان و لم يفعل شيئا،ثم فعل، أوأنه فاعل بالقوة ، وأن التسلسل في أفعاله -من جانب الماضي والمستقبل - هل هو جائز أم ممتنع؟

٢- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه القضية مع مناقشة صحة ما نسب الى علماء السلف من التهم والشبهات .

خطة الموضوع : قسمت البحث الى: مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة

أما المقدمة : فقد بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياري له، وأما التمهيد فقد بينت فيه منهج أهل السنة والجماعة في الايمان باالله تعالى. وأما الفصل الاول: فقد بينت فيه مفهوم الأزلية والأبديه ،وأما الفصل الثاني فقد بينت فيه عقيدة أهل السنة والجماعة في أزلية وأبدية أفعاله تعالى وأما الفصل الثالث فقد بينت فيه اختلاف الفرق في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى مع المناقشة، وأما الفصل الرابع فكان بعنوان التسلسل وعلاقته . بأفعال الله تعالى ، وأماالفصل الخامس فكان بعنوان : أبدية أفعال الله تعالى عند المتكلمين والرد عليهم ، أما الخاتمة فقد بينت فيها أهم ماتوصلت اليه

أهم النتائج:

١- حددت الرسالة معنى أهل السنة والجماعة وأهم دعائمها في تقرير الأمور الاعتقادية

٢- فساد مذهب الدهرية والمانوية الذين صرفوا معنىالازلية والابدية لغير الله تعالى .

٣- أثبتت الرسالة البواكير الاولى لتاريخ ظهور الانحراف في أفعال الله تعالى حتى تكونت الفرق الكلامية.

٤-أثبتت الرسالة خطأ مذهب الفلاسفة المعتقدين لقدم العالم وقدم المفعولات وتصورهم الله تعالى كاالعلة مع معلولها ثم سلبهم عنه القدرة والاختيار والارادة والمشيئة ونفيهم قيام الأفعال الاختيارية بذاته تعالى .

٥- أثبتت الرسالة خطأ مذهب المعتزلة في نفيهم قيام الصفات والأفعال بذات الله ثم تناقضهم في اثباتهم حدوث أفعال الله على معنى اثبات النسب والأحوال وابتداعهم القول بحدوث الارادة التي ليس لها (محل) وزعمهم أنها هي التي أحدثت الفعل وليست الارادة الحقيقية القائمة بذات الله تعالى

٦- أثبتت الرسالة خطأ مذهب الأشاعرة في نفيهم قيام الأفعال الاختيارية بذات الله ومتابعتهم للفلاسفة والمعتزلةفي ذلك مع تناقضهم في اثبات الأفعال المشتقة من الصفات العقلية وتجددها تحت مظلة التعلقات الحادثة والقديمة واعتبارهم قضية تجدد الأفعال الاختيارية (كاالخلق والرزق والتكوين وغيرها) بمجرد أمور اعتبارية لا تقتضي مدحا ولاذما . مع الرد عليهم في تأويلهم للأفعال الاختيارية عامة ونفيهم للمعاني الحقيقية لها

٧- أثبتت الرسالة صحة عقيدة أهل السنة والجماعة في اثبات دوام الفاعلية لله تعالى أزلاًوأبداً فجنس الفعل قديم ونوعه حادث متجدد ككلمات الله تعالى لابداية ولانهاية لها .وأن أفعاله التي يحدثها في نفسه هي قائمة به على مايليق بجلاله وكماله من غيرتشبيه ولا تمثيل ولاتحريف ولاتعطيل

٨- أثبتت الرسالة خطأ من نفى التسلسل في أفعال الله تعالى أو أثبته في الفاعلين والمؤثرين .

٩- أثبتت الرسالة جواز اثبات التسلسل في الأفعال الالهية في الماضي والمستقبل لأن الفعل يسبقه ارادة الله تعالى كماقال سبحانه (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

١٠- أثبتت الرسالة أبدية الجنة والنار وأبدية حركات أهلهما وبراءة الامام أحمد ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية من القول بفناءحركات أهل الخلدين

هذا. .وأسأل الله التوفيق والسداد ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

الباحث	المشرف	العميد
عبد الله عبد الرشيد عبد الله عبد الجليل	أ/د. محمود أحمد خفاجي	د / عبد الله الدميجي

شكر وتقدير

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك على ما أسديت وأوليت وهديت وأعنت وأرشدت ووفقت, فلك الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وسراً وعلانية، ولك الحمد في كل وقت وحين، وبعد وبعد شكر الله تعالى ثم شكري للوالدين الكريمين

أتقدم بالشكر الخالص والتقدير الفائق لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، ووزارة التعليم العالي، وجامعة أم القرى والممثلة بكلية الدعوة وأصول الدين، وقسمي الدعوة والعقيدة، وأعضاء هيئة التدريس الذين أحاطوني بالتربية والتعليم والعناية والرعاية منذ دخولي الجامعة فلهم مني جزيل الشكر وثناء التقدير وأخص منهم:

- فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود أحمد خفاجي المشرف على الرسالة المربي الفاضل والأستاذ القدير الذي مد لي من يد العون والمساعدة العلمية والخلقية والتربوية ما أحسب أنني عاجز عن الوفاء بحقه على ما أولاه لي من أفضال وتوجيهات وآراء سديدة موفقه، فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجزيه عني خير الجزاء وأن يثيبه بأحسن ما يحب ويرضى وان يمن عليه بثوب الصحة والعافية.

- فضيلة الدكتور أحمد بن عطيه الزهراني رئيس قسم العقيدة الذي أولاني بالحب والاحترام والنصح الخالص والتشجيع المستمر لمواصلة التعليم والتحصيل، فله مني خالص الشكر والثناء والتقدير وأسأل الله تعالى أن يجزيه عني خير الجزاء وأن يعلي درجته في الدارين.

- فضيلة الدكتور أحمد عبداللطيف العبد اللطيف رئيس قسم الإعلام الإسلامي الذي فتح لي قلبه وبيته فاستفدت الكثير من توجيهاته وآرائه وأجدني عاجز عن الوفاء بحقه ما أحسب أنني كنت مصدر إزعاج له لكثرة ما ترددت عليه، فأسأل الله المولى الكريم أن يجزيه خير الجزاء وأن يحيطه بالعناية والرعاية والتوفيق والنجاح في الدنيا والآخرة.

وثمة دعوات من القلب خالصة أرفعها إلى الله تعالى لأساتذة، وإخوة، وزملاء يضيق المكان لذكرهم ويتسع قلبي ولساني لشكرهم فأتقدم إليهم بخالص الشكر ووافر الثناء والتقدير لما قدموا لي من مساعدات وضحوا بأوقاتهم فجزى الله الجميع خير الجزاء.

الباحث

المقدمة

الحمد لله المتوحد في الجلال بكمال الجمال تعظيما وتكبيرا، المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديرا وتدبيرا، المتعالى بعظمته ومجده الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، التواب الغفور الوهاب، الذي خضعت لعظمته الرقاب، وذلت لجبروته الصعاب ولانت لقدرته الشدائد الصلاب، رب الأرباب ومسبب الأسباب، وخالق خلقه من تراب، العلي العظيم، السميع البصير، اللطيف الخبير الحكيم الكريم الحي القيوم، الحي الرحيم، المنزه عن صفات المحدودين، المقدس عن شبه المخلوقين ومقالة المعطلين.

الملك الإله الحق المبين الفعال لما يريد، الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيئ عليم، خلق الخلق بقدرته ومشيئته، وفضل بعضهم على بعض بإرادته وحكمته، قوله صدقا، وحكمه عدلا، وعفوه فضلا، يخلق ما يشاء ويختار، لامعقب لحكمه، ولا راد لقضائه من يهده الله فقد رشد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، يعز من يشاء ويذل من يشاء سبحانه يرفع قوما ويضع آخرين كل يوم هو في شأن.

أَحْمَدُهُ : على ما منّ بهِ عليّ من الإيمان بجميع أسمائه وصفاته وأفعاله الحسان التى أثبتها لنفسه في القرآن وأثبتها له سيد ولد عدنان.

وأشكره : شكر مقر مصدق بحسن آلائه، مؤمن بتوحيده في ربوبيته وألوهيته راغب في جزيل ثوابه وعظيم ذخره وفضله راهب وجل خائف من أليم عقابه وشديد عذابه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، إلهاً واحداً فرداً صمداً، قاهراً قادراً فاعلاً رؤوفاً رحيماً. لم يتخذ صاحبه ولا ولدا زين في قلوب المؤمنين

الإيمان وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان، وهو وحده المستعان، وعليه التكلان وبه استعيذ من وساوس النفس والشيطان .

وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، معلم الإنسانية، ومنقذ البرية، وهادي البشرية، بعثه الله بين يدي الساعة رحمة للعالمين ورسولا إلى جميع الثقلين. هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فهدى الله به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا اللهم أحينا على سنته وتوفنا على ملته، وأحشرنا في زمرته صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه أمهات المؤمنين وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(١) ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾(٢)، ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾(٣).

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد بن عبدالله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار(٤).

فمن مالاشك فيه أن شرف العلوم يرتبط دائما بشرف المعلوم فكذلك علم توحيد الرب سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله من أشرف العلوم وأسناها، فحاجة

١- سورة آل عمران آية (١٠٢)

٢- سورة النساء آية (١)

٣- سورة الأحزاب آية (٧٠، ٧١)

٤- أخرجه البخاري ١٧/٩، في الإعتصام: باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ١٢٥/١٣ في الأدب : باب الهدى الصالح

العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، فلا حياة للقلوب، ولا أمان للنفوس إلا باسلام القلب والوجه لربها، والإيمان الخالص لمعبودها، والتسليم الكامل لفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، من غير تشبيه ولاتحريف ولاتعطيل ولا تمثيل.

ولما علم الله تعالى إستحالة وصول العقول المجردة عن الوحي إلى توحيده في ربوبيته وأسمائه وصفاته، تجلت عناية الله تعالى فبعث الرسل وأنزل الكتب، إلى توحيده داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم مننذرين، وجعل سبحانه مفتاح دعوتهم توحيد المعبود الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله وتطبيق أوامره ونواهيه، وختم الله رسله برسوله محمد ﷺ وختم كتبه بكتابه القرآن الكريم.

فقام ﷺ لهذا الدين خير قيام، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيله حتى أتاه اليقين، وترك ﷺ الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لايزيغ عنها الا هالك، تركها على التوحيد الخالص والدين القيم، لم يترك خيراً إلا ودل الأمة عليه، ولم يترك شراً إلا وحذر الأمة منه، فلقيت دعوته، في النفوس صدى وفي القلوب استجابة، فدخلوا في دين الله أفواجاً، يعبدون الله وحده لايشركون به شيئاً، وحدوه سبحانه في ذاته، وفي أفعاله، وفي أسمائه، وفي صفاته واخلصوا له العبادة.

فمازالوا في وحدة، واتفاق ، حتى إذا كان آخر عهدهم بدأت بعض رؤس الفتن والشرور تظهر، من القول في القضاء والقدر، و في نصوص الوعد والوعيد، والطعن في الصحابة، والأخذ بظواهر النصوص، كل منهم يدعي الكمال لنفسه وينتزع النصوص إنتزاعا لنصرة مذهبه، والطعن في مخالفيه.

ومما جعل هذا الخلاف يزداد قوة وضراوة، قيام الدولة العباسية بترجمة كتب الفلاسفة والرومان في موضوع الإلهيات وغيرها من العلوم في عهد المأمون. وقيام المعتزلة وغيرهم من المتكلمين بدور الصدارة في الرد على الملاحدة والزنادقة وغيرهم في إثبات وجود الله بالمنهج العقلاني مما أدي إلى خلط علم الكلام بالفلسفة وتأثر الكثيرين منهم بها وكان من أعظم نتائجه السلبية البعد عن كتاب الله والبعد عن سنة رسول الله ﷺ مما حدا ببعض المشتغلين بالكلام إلى الخوض في ذات الله وأفعاله وأسمائه وصفاته نفياً وإثباتاً بنفس المنهج الكلامي الفلسفي.

فظهر من بين المسلمين من يقول بأن الله تعالى كان ولم يفعل شيئا، ثم فعل ، بمعنى أنه كان معطلا عن الفعل مدة معينة من الزمن وأن أفعاله حادثة غير أزلية، ومنهم من خالفهم وقال بأن الله تعالى موجب بالذات فهو كالعلة مع معلولها والفاعل مع مفعوله، فالفعل قديم أزلي بأزلية الفاعل ، ومنهم من أدعي التسلسل في أفعال الخالق، ومنهم من نفاه، ومنهم من أراد تنزيه الرب عن التسلسل في الأفعال، فوقع في التعطيل ، ومنهم من أنكر أبدية أفعاله تعالى فأنكر أبدية الجنة والنار وغيرها من الأقوال، التي لايسع الوقت لسردها، والتي تجدد البحث والخوض فيها في هذا العصر فظهر من يؤيدهم وينتصر لهم وتولت بعض الجامعات إحياء هذه الأفكار تحت شعار الثقافة العقلية وتحت شعار الحرية الفكرية الجدلية فظهرت في الساحة كتب ورسائل تشيد بدور وآراء المتكلمين وتحط من شأن العلماء العاملين المتسكين بالكتاب وسنة سيد المرسلين وآثار الصحابة والتابعين ومن أقتفى أثرهم واتبع سبيلهم الذين استقوا هذه العقيدة من نبعها الصافي، ولم يبحثوا في هذه الأمور ولم يتعمقوا فيها ولم يقحموا عقولهم في قضايا لم يطالبهم الشارع الحكيم بالبحث فيها والحكم عليها بالعقل دون النقل، بل صدقوا وسلموا وآمنوا وعلموا

وأذعنوا وقبلوا كل قضايا التوحيد والأسماء والصفات عن قناعة وإيمان فلم تتعارض عندهم نصوص النقل الصحيح مع العقل الصريح وعملوا بعدها على تحقيق توحيد الطلب والألوهية، وفهمو خطاب الرب يتنزل على رسوله ﷺ ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾(١).

وهذا الأمر كلما أذعنت النظر والفكر فيه هالني أمرهم وحالهم.فعقدت العزم بعد استخارة الله تعالى وعونه وتوفيقه، القيام بعمل دراسة شاملة لهذه الأفكار والآراء على ضوء الكتاب والسنة قربة لله تعالى وأملا فى ابتغاء مرضاته، وأن أرفع لواء الحق وأهله في الأرض من غير تعصب لفريق أو انتصار لمذهب.

وكان مما قوى الفكرة عندي أنني قمت بعمل بحث مختصر في السنة المنهجية في مادة قاعة البحث تحت اشراف استاذ المادة أ - د/ محمود أحمد خفاجي وبعد محاورات ومداولات ومشاورات مع اساتذتي الفضلاء والمشايخ والعلماء وكلهم ما بين مؤيد وناصح ومعين، انتهى الأمر بي إلى أن شرح الله صدري للكتابة عن هذا الموضوع تحت عنوان **﴿أزلية وأبدية أفعال الله تعالى عند المتلكمين عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)** لنيل درجة الماجستير بفرع العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى.

وكان مما دفعني للكتابة في هذا الموضوع ايضا الأسباب التالية :

١) بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى.

٢) اختلاف أهل الملل والنحل في أزلية وأبدية أفعال الله تعلى

١- سورة المائدة آية (٣)

وتناقضهم فيها ما بين مثبت وناف.

٣) إقتحام الفلاسفة والمتكلمين ومن سلك طريقهم في دراسة هذه القضايا بمنهج عقلاني بحت أدى بهم إلى تعطيل الكثير من أفعال الله تعالى الواردة في القرآن والسنة من ناحية أزليتها وأبديتها ومن ناحية تجددها وقيامها بذات الله تعالى.

٤) تحليل لبعض الكتابات والرسائل الجامعية المؤيدة لمنهج الفلاسفة والمتكلمين في نفي قيام الأفعال الاختيارية بذات الله تعالى ونفي تجددها، ونفي حلولها بذات الله تعالى، ومدى صحة ما ذهبوا إليه فى قدحهم لمن خالفهم من أهل السنة والجماعة ورميهم بالبدعة والضلالة.

٥) **التحقيق في** صحة ما نسب إلى علماء أهل السنة والجماعة الذين تصدوا للدفاع عن عقيدة المسلمين الخالصة من كل شبهة وشائبة وخاصة في هذه القضية، أمثال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وغيره رحمهم الله تعالى رحمة واسعة .

٦) الإيمان الكامل بأن الأجوبة الصحيحة المؤيدة بالحجة والبرهان والدليل موجودة لدى المؤمنين بالله ورسوله اتباع السلف الصالح المعتصمين بالكتاب والسنة.

أما الدراسات السابقة للموضوع فبعد البحث والتقصي علمت أن البحث جديد في بابه جديد في موضوعه لم يسبقني إليه أحد بالبحث والدراسة والكتابة.

وأما المنهج : الذي أتبعته في هذا البحث هو المنهج التاريخي التحليلي حيث قمت :-

أ - بجمع المادة العلمية ومراجع الرسالة من مكتبات الجامعات في المملكة وخارجها، ووجدت فيها بعض الصعوبات وخاصة في ندرة بعض مراجع المتكلمين والفلاسفة الأساسية وسافرت إلى خارج المملكة أكثر من مرة على نفقة الجامعة لهذا الغرض مع ما وجدت من جهد وعناء كبيرين في دراسة وهضم المادة العلمية ثم صايغتها باسلوب علمي سهل وعبارة موجزة.

ب - قمت بتقديم فكرة متكاملة عن الموضوع، ثم حررت محل النزاع في القضية وعرضت الآراء كما هي من مصادرها الأصلية والثانوية. وبعد ذلك نقدت هذه الآراء نقدا علميا وبينت الرأي الرجح الذي لايعارض النص الصحيح والعقل الصريح من غير تحيز أو تحامل على ضوء مذهب أهل السنة والجماعة.

جـ - ضبت الآيات القرآنية التي وردت في الرسالة وبينت مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

د - عزوت الأحاديث التي وردت في الرسالة إلى مصادرها من كتب السنة بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث مع الاشارة إلى درجة الحديث والحكم عليه إذا كان في غير الصحيحين.

هـ - التزمت عند النقل من أي مرجع أو اقتباس فكرة أو تلخيص نص أو الاستفادة منه، الاشارة إلى اسم مرجع ومؤلفه وإلى رقم جزئه وصفحته، بالاضافة إلى ذكر المحققين والطبعة وتاريخها واسم الناشر والبلدة.

و - ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة ما عدا المشهورين منهم لعدم خفاء أحوالهم وأخبارهم ككبار الصحابة وكبار التابعين والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة وغيرهم.

ز - عرفت بالفرق والطوائف التي خاضت في الكلام في الأفعال الإلهية وغيرها والتي وردت في الرسالة من غير تطويل ممل ولا اختصار مخل باستثناء

المشهورة منها.

ح - قمت بوضع الفهارس العلمية للرسالة في آخر البحث وتشمل :

فهارس الآيات القرآنية مرتبا حسب سور القرآن.

فهارس الآحاديث النبوية حسب الحروف الهجائية.

فهارس الأعـــــلام = = = = = .

فهارس الفــــرق = = = = = .

فهارس المصادر والمراجع = = = = .

فهارس الموضوعات وقد بينت فيها فصول الرسالة ومباحثها وكافة جزئيات الرسالة.

أما خطة البحث :-

فقد قسمت البحث حسب الموضوعات والأفكار وتسلسلها إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول .

أما المقدمة: فقد تناولت فيها الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، ووضحت المنهج الذي سرت عليه في الرسالة، مع شرح خطة البحث للرسالة.

وأما التمهيد : فقد عقدته على مبحثين:-

المبحث الأول : تعرضت فيه لبيان معنى أهل السنة والجماعة، وأهم خصائص منهجهم في تقرير أمور العقائد.

المبحث الثاني : تعرضت فيه لبيان أول الواجبات على المكلفين في الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، عند الفلاسفة والمتكلمين وعند أهل السنة والجماعة.

وأما الفصل الأول :- فقد جعلته تحت عنوان : (مفهوم الأزلية والأبدية).

وقسمته إلى مبحثين :-

المبحث الأول : تعرضت فيه لبيان معنى الأزلية والأبدية في اللغة.

المبحث الثاني : تعرضت فيه لبيان معنى الأزلية والأبدية في الاصطلاح

وعلاقتهما في أفعال الله تعالى.

أما الفصل الثاني : فقد عقدته تحت عنوان (عقيدة أهل السنة والجماعة في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى).

وقسمته إلى تمهيد ومبحثين.

التمهيد : بينت فيه معنى الأفعال الإلهية وموضوعها في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول : فقد تعرضت فيه لبيان الآيات القرآنية الدالة على أفعال الله تعالى وآراء المفسرين لهامن أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني : فقد تعرضت فيه لبيان الآحاديث النبوية الدالة على أفعال الله تعالى وآراء شراح الحديث لها، من أهل السنة والجماعة.

أما الفصل الثالث :- فقد عقدته تحت عنوان : (اختلاف الفرق في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى).

وقسمته إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعرضت فيه لبيان أصل الإفتراق في هذا الباب مع بيان التسلسل التاريخي لظهور فتنة الخوض في أفعال الله تعالى.

المبحث الثاني : بينت فيه رأي الفلاسفة الاسلاميين في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى. ومناقشتهم .

المبحث الثالث : بينت فيه رأي المعتزلة في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى. ومناقشتهم .

المبحث الرابع : بينت فيه رأي الاشاعرة في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى ومناقشتهم.

الفصل الرابع : فقد جعلته تحت عنوان: (التسلسل وعلاقته بأفعال الله تعالى).

وقسمته إلى ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : - بينت فيه معنى التسلسل في اللغة، وفي الاصطلاح.

المبحث الثاني:- بينت فيه رأي المتكلمين في تسلسل أفعال الله تعالى أزلا وأبدا .

المبحث الثالث : - بينت فيه رأي أهل السنة والجماعة في تسلسل أفعال الله تعالى.

الفصل الخامس :فقد جعلته تحت عنوان: (أبدية أفعال الله تعالى) .

وقسمته الى مبحثين :-

المبحث الأول : بينت فيه رأي أهل السنة والجماعة في أبدية الجنة والنار.

المبحث الثاني: بينت فيه رأي المتكلمين في أبدية الجنة والنار وقمت بتحليل آرائهم ومناقشتها.

أما الخاتمة : فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي أنتهيت إليها.

وأخيراً أحمد الله تعالى أولا وآخراً على اتمام نعمته وتوفيقه لي في إنجاز هذا العمل على ما فيه من قصور، وحسبي أنني من البشر مع أني بذلت فيه كل جهدي وغاية طاقتي حتى وصلت به إلى هذا المستوى الذي أرجو الله تبارك وتعالى أن يكون مفيدا، ومصدرا أمينا لطلاب الحقيقة ولا أزعم أنني قد بلغت فيه الكمال وإنما الكمال لله وحده .

ولازلت اذكر مقالة الإمام الأصفهاني (١) التي صدربها احد كتبه فقال: إني رأيت أنه لايكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُسْتَحْسَن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)(٢)

فإن وفقت فيه للحق والهدى، فهو بمحض فضله وكرمه وتوفيقه وفتحه، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه بريئان، واستغفر الله من ذلك، ولا عدمت أخا، أواستاذا، أو عالما ناصحا، وقف على شيء من ذلك فنبهني إليه مأجورا مشكورا.

والله أسأل أن يتقبل من الجميع تعاونهم وأن يوفقنا وإياهم إلى كل خير وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم المجيب، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الا أنت استغفرك، وأتوب إليك. وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين

الباحث

١- هو محمد بن محمد صفي الدين، أبوعبدالله عماد الدين الكاتب الأصبهاني ولد في ٥١٩ هـ، وتوفي في ٥٩٧ هـ

٢- أنظر في : مقدمة كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي جـ٤/ ٣ المتوفى سنة ٦٢٦هـ

المبحث الأول : منهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقائد.

ويشتمل على مطلبين :-

المطلب الأول : معنى أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: أهم دعائم أهل السنة والجماعة في تقرير العقائد.

المطلب الأول: معنى أهل السنة والجماعة :-

بما أنني ذكرت في منهج البحث أن هذه الدراسة ستكون على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة . فانني أجد نفسي بحاجة إلى ذكر تمهيد مبسط عن معني أهل السنة والجماعة ومنهجهم في تقرير أمور العقائد، وهل هذا المنهج متفق في طرقه واستدلالاته مع مناهج المتكلمين والفلاسفة وغيرهم، وما سبب قبول وانتشار مذهب أهل السنة والجماعة بين المسلمين ، ومن أين أستمد أهميته وأصالته وشموليته ؟ وعلى ماذا تقوم دعائمه ومرتكزاته التي يرتكز عليها في تقريراته واستدلالاته لأمور العقائد والأحكام ؟ ولأجل ذلك سنبدأ ببيان معنى ومراد مصطلح أهل السنة والجماعة ومن هم هؤلاء ؟ وما هي ألقابهم ثم نعقبه بذكر أهم أصولهم في تقريرهم لأمور الاعتقاد والاستدلال عليها. وهل طرق المتكلمين واستدلالاتهم ونتائجهم في هذه القضايا مع أهل السنة والجماعة واحدة ؟ أم أنهم افترقوا واختلفوا في الدلائل والوسائل واختلفوا أيضا في النتائج والثمرات خاصة في قضايا الاعتقاد والتي تهم موضوعنا ؟.

هذا ما سنعلمه وسنعرفه إن شاء الله تعالى في هذا التمهيد والذي تبدو أهميته لاننا إذا علمنا منهج الفريقين وطرق استدلالاتهم عرفنا أن النتائج ستكون طبقا للمناهج التي وضعوها وساروا عليها وهذا الأمر قد يخفى على كثير من الباحثين عند دراستهم لأمور الاختلاف في قضايا الإعتقاد بين المتكلمين وأهل السنة والجماعة.

معنى أهل السنة والجماعة :-

أولا : معنى السنة : في اللغة : هي الطريقة والسيرة والعادة (١). ومنه قوله تعالى ﴿سنة الأولين﴾(٢) ومنه قوله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة ...... الحديث (٣).

أما في الاصطلاح : فإن أصحاب كل فن وضعوا له تعريفات يناسب فنهم ، فتعريف الأصوليين يختلف عن تعريف الفقهاء وغيرهم. (٤).

والسنة عند المشتغلين بتقرير عقائد السلف هي : ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه اعتقادا، واقتصادا وقولاً وعملاً.(٥).

والسنة إذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به الرسول ﷺ ونهى

١- انظر : القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي جـ ٤ / ص ٢٣٧، فصل السين، باب النون . دار الفكر - بيروت ط ١٣٥٨هـ .

أنظر : لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور جـ ١٣، ص ٢٢٥ ، مادة س ، دار صادر بيروت مكتبة الحرم المكي، التعريفات : على بن محمد الجرجاني ص ١٦١، دار الكتاب العربي ط ٢/ ١٤١٣هـ .

أنظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي جـ ٧٠٣/٣.

٢- سورة الأنفال آية (٣٨) الحجر :١٣، فاطر:٤٣ ، الكهف : ٥٥

٣- اخرجه مسلم : برقم (١٠١٧) في الزكاة باب الحث على الصدقة ، والنسائي : ٧٥/٥، ٧٦ في الزكاة باب التحريض على الصدقة.

٤- أنظر : ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : محمد علي الشوكاني ص ٣٣ طبعة مصر ١٣٢٧، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، د / مصطفى السباعي دار العروبة القاهرة طبعة ١٣٨٠هـ ص ٦١ .

٥- انظر : مجموع الفتاوى : أحمد بن تيمية جـ ١٩ ص ٣٠٦، ٣٠٧ بتصرف ، و جامع العلوم والحكم : عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب ص ٢٣٠، دار الفكر بيروت ط ١٣٨٢هـ و منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد : عثمان بن على حسن جـ ١ ص ٢٨. مكتبة الرشد الرياض ٢ /١٤١٣هـ.

عنه، وندب عنه قولا وفعلا ولهذا يقال أدلة الشرع: الكتاب والسنة.

والسنة خلاف البدعة لقوله ﷺ (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (١)
ومنه قولهم: فلان على سنة : اذا عمل على وفق ما عمل النبي ﷺ وأصحابه ، سواءٌ أكان ذلك مما نص عليه الكتاب أم لم ينص بشرط ثبوته في السنة الصحيحة، وأما ثبوته في القرآن فهو من باب أولى لأن القرآن لم ينزل الا على الرسول ﷺ فهو أول العاملين والمطبقين له فقد كان قرآنا يمشي على الأرض ﷺ كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن) (٢).
ومنه قوله (فلان على بدعة) إذا خالف القرآن والسنة وعمل الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين له باحسان.

ويقصدون بالسنة هنا المتابعة للنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأوامره ونواهيه وما أحله وما حرمه وما فصله ووضحه وبينه وتقريراته لسائر أمور الدين سواء كان في الاعتقاد والتوحيد أو كان في الأحكام والمعاملات أو كان في الأخلاق والسياسة وغيرها، وهذا الذي عناه السلف الصالح في مصنفاتهم من أئمة الحديث وغيرهم من الحفاظ ، فمنهم من أفرد كتبا خاصة في التوحيد والاعتقاد ككتاب التوحيد للإمام البخاري ضمن الجامع الصحيح (٣) ، وكتاب

١- أخرجه مسلم (١٧١٨) بهذا اللفظ في الأقضية : باب نقضى الأحكام الباطلة ج١٢/١٦، وأخرجه البخاري بلفظ (من أحدث) ٥/٢٢١ في الصلح : باب إذا اصطلحوا على جور وأخرجه أبو داود في سننه ص ٢٨٠ جـ ٤ برقم (٤٦٠٦) في كتاب السنه باب لزوم السنه .

٢- أخرجه مسلم جـ٦/٢٦، في المسافرين باب صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض.

٣- أنظر : صحيح البخاري ج ٥ ص ١٣٩، دار احياء التراث العربي بيروت - بدون تاريخ، فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ : أحمد بن حجر العسقلاني جـ ١٣ ص ٣٤٧ دار الفكر بتحقيق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

الايمان للامام مسلم ضمن صحيحه (١)، وكتاب التوحيد للحافظ ابن خزيمة (٢)، وكتاب شرح السنة للامام البغوي (٣)وكتاب الايمان لابن منده (٤) وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام الحافظ هبة الله بن الحسن اللالكائي (٥). وغيرهم كثير أنظر في الهامش ،ومنهم من جمعهافي كتب شاملة لأمور العقيدة والشريعة مثل كتب الأحاديث عامة (٦).

١- أنظر : صحيح مسلم بشرح النووي ج١- ص ١٤٥، عقائد التوحيد في صحيح مسلم ج١- ص ٢٢٧، وانظر: كتب السنن في هذا الأمر.

٢- انظر : كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل الحافظ محمد بن اسحاق بن خزيمة ، تحقيق د/ عبدالعزيز الشهوان مكتبة الرشد الرياض ط ٢ ١٤١١هـ.

٣- أنظر : شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي . تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش ط ١٤٠٣/٢ المكتب الاسلامي - بيروت ، دمشق.

٤- وهو الحافظ محمد بن اسحاق بن منده ، تحقيق د/ على بن محمد بن ناصر الفقيهي. ط ٢ ١٤٠٦ هـ مؤسسة الرسالة ، وكتاب التوحيد للمؤلف . وللمحقق السابق ، طبعة الجامعة الاسلامية سلسلة عقائد السلف .

٥- أنظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة . الحافظ اللالكائي ، تحقيق د/ أحمد سعد حمدان ، دار طيبة الرياض.

٦- كتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل ، مطبوع مع الرد على الجهمية تعليق وتصحيح الشيخ اسماعيل الأنصاري نشر وتوزيع الرئاسة العامة ادارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض .

السنة : لعبدالله بن أحمد بن حنبل تصحيح لجنة من المشايخ تحت رئاسة عبدالله بن حسن آل الشيخ الطبعة السلفية مكة المكرمة ١٣٤٩هـ،السنة : للخلال سبعة أجزاء مخطوط . طبع منه ثلاثة أجزاء. تحقيق د / عطية بن عتيق الزهراني . نشر دار الراية ط ١٤١٠/١هـ الرياض و الخلال هو:أحمد بن هارون بن يزيد الخلال توفي سنة ٣١١هـ أنظر : تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٨٥ برقم ٧٧٨، مطبعة دار احياء التراث العربي والأعلام للزركلي ١٩٦/١، وطبقات الحنابلة لأبي يعلى ١٢/٢ برقم ٥٨٢، دار المعرفة - بيروت ،السنة لأبي بكر بن أبي عاصم : تحقيق الألباني نشر المكتب الإسلامي ط ١/ ١٤٠٠، وابن أبو عاصم هو أبو بكر أحمد بن عمر الضحاك بن مخلد الشيباني من أهل بصرة ولد سنة ٢٠٦ هـ وتوفي سنة ٢٨٧هـ ، وشهد جنازته مائتا ألف

وهذا الذي اهتم به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وهو العمل بالسنة ومتابعة الرسول ﷺ فالصحابة رضوان الله عليهم اكثر الناس حرصاً واتباعاً وعملاً بالسنة.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه:(من كان مستنا، فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لاتؤمن عليه الفتنة، أو لئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة أكبرها قلوبا، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، ولاقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم) (١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم ، وإياكم والخوض والمراء فإنه لايفلح من أحب الكلام) وهجر الإمام أحمد بن حنبل الحارث المحاسبي عندما رد على المبتدعة بعلم الكلام وقال له : (ليس السنة أن ترد عليهم ولايناظرون، إنما السنة أن يخبرو بالآثار فان قبلوها وإلا هجروا في الله)(٢).

وقيل لعبد الرحمن بن مهدي : إن فلانا صنف كتاباً يرد فيه على المبتدعة قال: بأي شيئ ؟ بالكتاب والسنة ؟ قال: لا ،لكن علم بالمعقول والنظر فقال: أخطأ السنة ،

مصلي . أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٣٠/١٣ برقم ٢١٥، وتذكرة الحفاظ ٦٤٠/٢.

وانظر كتب السنة الأربعة والموطأ والمسانيد والمستدركات وغيرها فإنهم جميعا قد أفردوا بالاعتصام بالكتاب والسنة إما جملة أو تفصيلا وبينوا فيها الأحكام والعقائد والتاريخ والمغازي والسير والتفسير وغيرها كثير لايتسع المجال لذكرها .

١- أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٩٧/٢، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ٦٨/١ باب الاعتصام بالكتاب والسنة.

٢- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان الألوسي : ص ١٣٤ ط ١/ المدني - القاهرة بدون .

ورد بدعة ببدعة)(١).

قال معن بن عيسى : (انصرف مالك بن أنس رضي الله عنه يوما من المسجد وهو متكئ على يدي فجاءه رجل يقال: له أبو الحورية ، كان يتهم بالإرجاء ، فقال: يا عبد الله اسمع مني شيئا أكلمك به، و أحاجك و أخبرك بر أيي

قال : فإن غلبتني قال : إن غلبتك أتبعني

قال : فإن جاء رجل آخر فكلمنا فغلبنا ؟ قال نتبعه فقال : مالك رحمه الله تعالى: يا عبد الله بعث الله عزوجل محمداً ﷺ بدين واحد، وآراك تنتقل من دين إلى دين

قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل)(٢).

وقال عبد الرحمن بن مهدي (٣) (لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث

١- المرجع السابق ص ١٣١ (والحارث هو : ابو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي البصري أحد الزهاد المتكلمين ، كان صوفيا زاهدا ، فقيها متكلما توفي ببغداد سنة ٢٤٣. تهذيب التهذيب ١٣٤/٢، طبقات الشافيعة الكبرى ١٧٥/٢ ، وتاريخ بغداد ٢١١/٨ ، حلية الأولياء ٧٣/١٠، ١٠٩

٢- الشريعة للآجري ، ص ٥٦، ٥٧، صون المنطق للسيوطي ص ١٢١.

معن بن عيسى بن يحي بن دينار الأشجعي مولاهم أبويحي المدني القزاز الإمام الحافظ الثبت ولد بعد سنة ١٣٠هـ ، وتوفي سنة ١٩٨هـ قال أبو حاتم عنه: أثبت أصحاب مالك وأوثقهم : معن بن عيسى كان ثقة ثبتا مأمونا. طبقات ابن سعد ٤٣٧/٥/ سير أعلام النبلاء : ٣٠٤/٩ تهذيب التهذيب : ٢٥٢/١٠.

٣- هو أبوسعيد عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري، أحد كبار أئمة الحديث، إمام في الجرح والتعديل قال: فيه الإمام الشافعي : لا أعرف له نظير في الدنيا ولد سنة ١٣٥هـ في البصرة ، وتوفي فيها سنة (١٩٨ هـ) .

أنظر : في مقدمة كتاب: الجرح والتعديل ص ٢٥٩ لعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي طبعة الهند سنة ١٣٧١هـ مكتبة الحرم المكي ، الإعلام للزركلي ٣٣٩/٣، وفي تهذيبالتهذيب ص ٢٧٩ جـ ٦ للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ط ١٣٢٥/١هـ ، حلية الأولياء للأصبهاني ٣/٩، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٤٠/١٠، واللباب لابن الأثير ٧٢/٣، تذكرة الحفاظ للذهبي ٣٢٩/١، ووصل من

الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد) (١).

وإذا كنا قد عرفنا مفهوم السنة فمن هم أهل السنة ؟

اختلفت التعاريف في هذا ٠ وفيما يلي نذكر أهمها و أقربها إلى الحق حتى يتبين لناهل هناك فرق أم لا ؟ .

١ - السلف الصالح :-

السلف في اللغة : جمع سالف وهو كل ما تقدم وسبق ومضى (٢) ومنه قوله تعالى ﴿ فجعلنا هم سلفا ومثلا للآخرين ﴾(٣).

الصالح في اللغة : الخالص من كل عيب وفساد (٤).

أما السلف الصالح في الاصطلاح : فقد تنوعت التعريفات فقال بعضهم :-

السلف : / اسم لكل من يقلد مذهبا في الدين ويتبع أثر هذا المذهب كمذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل فانهم سلف لنا وأما الصحابة

شدة غضبه على الجهمية وغيرهم ممن يقول بأن القرآن مخلوق قول (لو كان لي سلطان لألقيت كل من يقول: إن القرآن مخلوق في نهر دجلة بعد أن أضرب عنقه) المرجع السابق.

١- هو : اسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي من التابعين ، نبغ في الحديث والفقه حتى أصبح شيخ العراق في عصره وأحد الأعلام الحفاظ، روى عنه خلق غير قليل قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : كان من أئمة المسلمين ولد في البصرة سنة (٩٨هـ) وتوفي بها سنة (١٧٩هـ) أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٢١١/١، تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/٣، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ٢٥٣/٦، تهذيب الأسماء للنووي ١٦٧/١، اللباب لابن الأثير ٣٦/١، نكت الهميان للصفدي ١٤٧، الأعلام للزركلي ٢/ ٢٧١

٢- المعجم الوسيط ٤٤٤/١

٣- سورة الزخرف آية (٥٦)

٤- أنظر التعريفات : للجرجاني ص ١٧٢

و التابعون فإنهم سلف لهم (١)

وقال بعضهم السلف : هم المجتهدون في الدين (٢).

وقال آخرون : السلف هم الصحابة و التابعون و أهل القرون الثلاثة الأولى (٣).

وقال آخرون : السلفيون هم : ما كان عليه النبي ﷺ و أصحابه. فهم الفرقة الناجية وهم الفرقة المنصورة(٤) الذين صدق فيهم الحديث (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق....)(٥).

وهناك أقوال أخرى كثيرة غير مرادة و غير كاملة في تعريفاتها أو محددة بزمن معين آثرنا عدم ذكرها خشية الإطالة (٦).

و الراجح من تعريفات السلف الصالح:

تعريف الشيخ / اسماعيل عبدالرحمن الصابوني / بأنهم هم الصحابة والتابعون ، وتابعوهم وهم العلماء بأصول السنة وطرائقها وهم حراس العقيدة وحماة الشريعة الراعون لأصولها العاملون بها قولاً ، وعملاً ،

١- انظر : تاج العروس محمد مرتضى الزبيدي ١٤٣/٦ - ١٤٤، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، بالمكتبة المركزية، جامعة أم القرى م/٤١٣م ز ت .

٢- أنظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي مادة سلف (١ /٧٤٨)

٣- أنظر العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية لأحمد بن حجر آل أبو طامي ١١/١ ط١/١٩٧٠ بيروت ، ولوامع الأنوار للسفاريني ٢٠/١.

٤- أنظر : عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة : عبدالله بن حجاج ص ٦

٥- البخاري: ٢٤٩/٣، في الاعتصام: باب قول النبي ﷺ : لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، وفي الأنبياء: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، فأراهم إنشقاق القمر، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿إنما أمرنا لشيئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾، ومسلم: (١٩٢١) في الإمارة، باب قول النبي ﷺ: لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...

٦- أنظر : تاريخ المذاهب الإسلامية : محمد أبوزهرة ص ٢١١ دار الفكر العربي.

واعتقاداً، ظاهراً وباطناً) (١).

٢ / أصحاب الحديث : قال أصحاب هذا المذهب هم المعنيون بأهل السنة لاغيرهم.

ويقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني: أما الفرقة الناجية فهي أهل السنة والجماعة وأهل السنة والجماعة لا اسم لهم، إلا اسم واحد هو أصحاب الحديث قال البخاري محمد بن اسماعيل / قال على بن المديني هم أصحاب الحديث (٢).

قال ابن المبارك : هم عندي أصحاب الحديث (٣)وقال شيخ الاسلام أحمد ابن تيمية : وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة (٤).

وقال الإمام أحمد بن حنبل إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم ؟ (٥) وأرى أن التعريفات السابقة لأهل الحديث والذين عرفوا بها أهل السنة هي تعريفات صحيحة ، فلا شك أن أهل السنة هم أهل الحديث الذين يجمعون بين علم الرواية والدراية، والاعتقاد والعمل، فهم أعلم الناس بأقوال الرسول ﷺ وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها لكن القول بأنها هي المرادة وهي المنصورة والناجية دون غيرهم يخرج غيرهم من أهل القرآن والمتبعون من بعدهم باحسان يقول شيخ الاسلام أحمد بن تيمية: (ونحن لانعني بأهل الحديث

١- أنظر : عقيدة السلف : اسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني ص ٢٣٦، طبعة الكردي القاهرة ١٣٢٥هـ

٢- المرجع السابق ص ٢٨

٣- المرجع السابق

٤- مجموع الفتاوي أحمد بن تيمية جـ ٣/ ٣٤٧

٥- المر جع السابق

المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته بل نعني بهم كل من كان أحق بحفظه، ومعرفته، وفهمه ظاهرا وباطنا، واتباعه باطنا وظاهرا، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء، محبة القرآن والحديث والبحث عنها وعن معانيها، والعمل بما عملوه من موجبهما)(١).

وأظهر تعريف لأهل السنة هو تعريف الإمام على بن أحمد بن حزم (أهل السنة هم أهل الحق - ومن عداهم فأهل البدعة - فإنهم الصحابة رضي الله عنهم وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم) ثم أصحاب الحديث ومن أتبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم (٢).

ثانيا : معنى الجماعة :

الجماعة في اللغة : العدد الكثير من الناس والشجر والنبات، ويطلق على طائفة من الناس يجمعها غرض واحد (٣).

والجماعة : ضد الفرقة يقال جمع المتفرق(٤)ومنه قوله تعالى ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ (٥)وسمي يوم القيامة بيوم الجمع لأنه سبحانه وتعالى يجمع فيه الأولين والآخرين قال تعالى : ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾(٦).

١- مجموع الفتاوى لابن تيمية ٩٥/٤

٢- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم : ١١٢/٢، دار المعرفة بيروت ، ط ١٣٩٥/٢هـ

٣- أنظر المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية واخراج د/ ابراهيم أنيس جـ ١/ ١٣٥ مادة جمع

٤- أنظر لسان العرب ٥٣/٨، مادة جمع ، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي جـ ١/ ٢٣٧ط . الخياط . بيروت.

٥- سورة آل عمران آية (١٧٣)

٦- سورة التغابن آية ٩

أما معنى الجماعة في الإصطلاح :

فقد اختلف العلماء في المراد بالجماعة.

فقال بعضهم : هم السواد الأعظم من أهل الإسلام ويدخل فيهم أهل العلم والاجتهاد دخولا أوليا. (١).

وقال آخرون : هم جماعة المجتهدين ، دون غيرهم من الناس (٢).

وقال آخرون : هم جماعة الصحابة على وجه الخصوص (٣).

وقال غيرهم : جماعة المسلمين اذا اجتمعوا على أمير (٤).

والرأي الراجح في المراد بالجماعة : هم جماعة المسلمين من الصحابة والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين، ويعضد هذا أحاديث رسول الله ﷺ بالاعتصام بالكتاب والسنة واتباع الجماعة، وسنة الصحابة والخلفاء الراشدين المهديين، من بعدهم.

ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ : في حديث الافتراق (ألا إن من قبلكم من أهل الكتابين افترقوا على اثنين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث

١- أنظر : الاعتصام : ابراهيم بن موسى الشاطبي ٢م٢٦٠ طبعة دار الفكر تعريف محمد رشيد رضا.

٢- انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣١٦/١٣ باب (وكذلك جعلنا كم امة وسلطا) وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم (كتاب الاعتصام باب السنة) ، سنن الترمذي ٦/ ٣٣٥ كتاب الفتن باب ماجاء في لزوم الجماعة.

٣- المراجع السابقة.

٤- المراجع السابقة ،

وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة) (١).

وجاء في رواية أخرى عند الترمذي في بيان الفرقة الناجية لما سئل ﷺ عنها قال: (ما أنا عليه وأصحابي) (٢)، وجاء في في رواية أخرى عند الهيثمي في مجمع الزوائد : (...قالوا يارسول الله من السواد الأعظم قال من كان على ما أناعليه وأصحابي من لم يمار في دين الله ومن لم يكفرأحدا من أهل التوحيد بذنب غفر له...الخ) ثم سأل رجل راوي الحديث وهو أبو أمامة، يا أبا أمامة: من رأيك ؟ أو سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال الراوي إني إذاً لجرئ، بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة)(٣).

ومن مجموع الأدلة الثابتة الصحيحة من نصوص القرآن والسنة ندرك أن المراد بالجماعة لاتخص الصحابة فقط ولاتخص طائفة العلماء فقط، ولا تخص عوام المسلمين دون علمائهم بل الحق مجموع هذه الأقوال معا فالجماعة تشمل جماعة المسلمين يتقدمهم الصحابة والتابعون والعلماء والأئمة المجتهدون وعوام المسلمين وسوادهم ولايختصون بزمن معين بل يرتبطون جميعا بالعمل والمتابعة للكتاب والسنة . وهذا الذي يؤيده كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان.

١- أخرجه أبوداود في سننه جـ ١٩٧/٤ ط دار الفكر ، أحمد في مسنده جـ ١٠٢/٤، الحاكم في مستدركه جـ ١٢٨/١، اللالكائي في شرح السنة ٢٣/١، الدارمي جـ ٢٤١/٢، الآجري في الشريعة ص ١٨. وصححه الألباني برقم ٢٠٤ في سلسلة الأحاديث الصحيحة من طريق معاوية بن أبي سفيان في جميع الكتب السابقة ، وأنظر الشريعة للامام محمد بن الحسين الآجري ص ٣-٧ ، تحقيق محمد حامد الفقي ط ١٣٦٩/١هـ مكتبة الحرم

٢- أخرجه الترمذي جـ ١٣٤/٤، وقال حسن غريب ، قال الألباني وسنده جيد، واحتج به شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، والحديث من رواية عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

٣- انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي جـ ٢٥٩/٧ .

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود: (إن جمهور الناس فارقوا الجماعة ، وإن الجماعة ماوافق الحق وإن كنت وحدك)(١) ، وقال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية : (وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين والاجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين) (٢).

وهناك أقاويل أخرى في تعريف الجماعة وهي في مجموعها صحيحة ولا تخرج عن الذي ذكرناها هنا (٣).

وإذا كنا قد عرفنا السنة وأهلها ، وعرفنا كذلك الجماعة وأهلها ، فمن هم أهل السنة والجماعة ؟

أهل السنة والجماعة قطعا هم / الذين توفرت فيهم صفات أهل السنة وصفات أهل الجماعة فجمعوا بين السنة والجماعة.

فإذا ذكرنا لفظ الجماعة مع السنة فقيل: أهل السنة والجماعة كان المراد بها

١- انظر : اعلام الموقعين عن رب العالمين: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ٣٩٧/٣ تعليق طه عبدالرؤوف سعد دار الجيل ١٩٧٣، رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/٣٢٢/١٣) ، وذكره الألباني في هامش كتاب مشكاة المصابيح لمحمد بن عبدالله التبريزي جـ ٦١/١، وقال رواه ابن عساكر بسند صحيح ، وذكره العلامة عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي (ابوشامة) في كتابه الباعث على انكار البدع والحوادث ص ٢٢، تحقيق : عثمان أحمد عنبر دار الهدى مطبعة السعادة ط ١/ ١٣٩٨هـ

٢- مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٣ / ١٥٧

٣- أنظر : هذه التعريفات في: أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى : جمع محمد عبدالهادي المصري، دار طيبة للنشر ط ١٤٠٩/٤هـ ، ص ٤٦-٤٨.

جماعة المسلمين من الصحابة والتابعين لهم باحسان من أهل القرون المفضلة العاملين بالكتاب والسنة ومن سلك سبيلهم واقتفى أثرهم واتبع هداهم قولا وعملاً ظاهرا وباطنا.

يقول شيخ أحمد بن تيمية : (وصار المتمسكون بالاسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولوا المناقب المأثورة والفضائل المذكورة وفيهم - الأبدال - الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم : وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ (لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة) (١).

وقد يدعي البعض أن مصطلح (أهل السنة والجماعة) مصطلح محدث جديد لم يكن في زمن الرسول ﷺ والحق .
أن مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم وليس بحادث، وإن كان المصطلح حديثا فلا مشاحة في الإصطلاح: يقول شيخ الاسلام أحمد بن تيمة :(مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله تعالى أباحنيفة ومالكا والشافعي وأحمد، فانه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ﷺ، من خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة) (٢).

لكن التسمية بأهل السنة والجماعة لم تظهر إلا بعد محنة الإمام أحمد بن حنبل

١- مجموع الفتاوى ابن تيمية جـ ٣ م ١٥٩.

٢- منهاج السنة ٢٥٦/١.

في أوائل المئة الثالثة من هجرة المصطفى ﷺ حيث ثبت في وجه النفاة من الجهمية ورد عليهم بدعهم بالكتاب والسنة وهدى الصحابة والتابعين لهم باحسان، فجدد معالم السنة وأظهر الله تعالى لواء الحق على يده فلقب الامام أحمد بن حنبل بإمام أهل السنة والجماعة (١).

وإذا كنا قد عرفنا مفهوم أهل السنة والجماعة، فما هي أهم مناهجهم وأصولهم في تقريرهم لأمور الإعتقاد ؟

والإجابة عن هذا السؤال سيكون في المطلب القادم إن شاء الله تعالى.

١- أنظر : منهاج السنة النبوية لابن تيمية جـ ٤٨٢/٣، كتاب الامام أحمد بن حنبل : الرد على الجهمية وكتاب معالم الانطلاقة الكبرى ص ٥٧.

المطلب الثاني : أهم دعائم أهل السنة والجماعة في تقرير العقائد.

فيما سبق عرفنا مدلول أهل السنة والجماعة ، وفيما يلي نتعرف على أهم دعائم منهجهم ، التي يسيرون على ضوءها في فهمهم لأمور العقيدة وأصول الدين وغيرها من أمور المعاد والجزاء والحساب ويردون بها ماخالفها من مناهج وآراء محدثة، ومن أهم دعائم أهل السنة والجماعة مايلي :-

١ - الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهره في تدعيم وتقرير أمور التوحيد والعقيدة والشريعة والسياسة وغيرها

فهو وحده المنهج الكامل الشامل قال تعالى ﴿ (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيئ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾(٣) .

وقال عن متابعة رسوله ﷺ : -

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور

١- سورة المائدة آية (١٥-١٦).

٢- سورة النحل آية : (٨٩)

٣- سورة الأنعام آية (٣٨)

رحيم * ، قل أطيعو الله والرسول فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين﴾(١)، ﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾(٢).

وقال تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾(٣).

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾(٤).

وقال ﷺ :(الا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، هو متكئ على أريكته ، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله).

وفي رواية (الا إني أوتيت هذا الكتاب ومثله معه ...) (٥).

وقال ﷺ : (إن مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة ابتلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لاتمسك ماءاً، ولاتنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله عزوجل، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)(٦).

١- سورة آل عمران آية (٣١-٣٢)

٢- سورة النساء آية (٦٥)

٣- سورة الأحزاب آية : (٣٦).

٤- سورة التوبة آية (١١٧)

٥- أخرجه أبوداود برقم (٤٦٠٤) في السنة : باب لزوم السنة وسنده صحيح ، والترمذي برقم (٢٦٦٦) في العلم باب رقم ٦٠، وأحمد في مسنده ١٣٠/٤، وابن ماجه رقم ١٢ في المقدمة : باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ.

٦- أخرجه البخاري في العلم باب فضل من علم جـ ١٨٥/١، ومسلم برقم (٢٢٨٢)، في الفضائل ، والفتح جـ١٦١/١١

وقال ﷺ: (مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قوما فقال: إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء فأطاعته طائفة فأدلجوا، على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاهلكهم، فاجتاحهم، فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني، وكذب ماجئت به من الحق)(١).

وقال ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد)(٢).

ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب.

وفي رواية : قال : من اقتدى بكتاب الله، لايضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا هذه الآية ﴿فمن اتبع هدى فلا يضل ولايشقى﴾(٣).

وقال عبد الله بن مسعود : إن أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين .(٤)

وروى الامام أحمد في مسنده عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، الا اعرضه عليك قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ قال: عبد الله فقلت له: الا ترى مابوجه رسوالله ﷺ فقال عمر: رضينا بالله ربا، وبالاسلام دينا، وبمحمد

١- البخاري برقم (٦٤٨٢) ٩٨/١٤، في الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي ، ومسلم برقم (٢٢٨٣) في الفضائل باب شفقته ﷺ على أمته واللفظ المسلم .

٢- البخاري تعليقا بصيغة الجزم ٢٩٨/٤، في البيوع : باب النجس ، ومسلم رقم (١٧١٨)، في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ، وأبوداود في السنة : باب لزوم السنة ٥٠٦/٢، وابن ماجه في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ برقم ١٦ .

٣- سورة طه آية (١٢٣) جامع الأصول لابن الأثير جـ ١/ ص ٢٩٢.

٤- البخاري ١٧/٩ في الاعتصام: باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، ١٣/ ١٢٥ في الأدب باب الهدى الصالح.

ﷺ رسولا قال: فسرى عن النبي ﷺ ، ثم قال: والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتم ما جئتكم به لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين)(١).

فصلوات الله وسلامه على رسولنا تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

يقول أبو الدرداء (صدق الله ورسوله فقد تركنا على مثل البيضاء) (٢).

ويقول الامام أحمد بن حنبل : (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه اصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسير القرآن وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس ولاتضرب الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء وإنما هو الاتباع وترك الهوى)(٣).

ويقول شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله عليه:

(أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني، ولا عمن هو اكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة(٤).

ويقول أيضا : (من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنا وظاهرا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار... ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدى محمد ﷺ على هدي كل أحد، بهذا سموا أهل الكتاب والسنة ... وهم يزنون بهذه الأصول

١- المسند ٣/٤٧٠، ٤٧١، السنة لابن أبي عاصم ج٢٧/١، وجامع العلوم وفضله ص ٣٣٩

٢- السنة لابن أبي عاصم ٢٦/١، قال الألباني : حديث صحيح.

٣- المدخل إلى مذهب الامام أحمد بن حنبل، لابن بدران الدمشقي ص ١٩، ط . الأول : إدارة الطبعة المنيرية ، القاهرة.

٤- الفتاوى لشيخ لاسلام أحمد بن تيمية: جـ ٣ ص ١٦١، درء تعارض العقل والنقل: جـ ٥ ،

الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنةً أو ظاهرةً مما له تعلق بالدين)(١).

٢ - الإيمان والعمل بكل ما جاء في القرآن والسنة من أمور وعقائد في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وأخبار المعاد والجزاء والحساب والبعث والنشور وعذاب القبر ونعيمه وغيرها مما هو ثابت في القرآن والسنة. بمعنى أن حجيتهما أصل من أصول أهل السنة والجماعة.

وأن أدلتهما قطعية الدلالة تفيد العلم والعمل واليقين. سواء كان الخبر عن رسول الله ﷺ عن طريق التواتر أو الآحاد مادام السند والمتن صحيحين ثابتين من غير شذوذ ولا علة وبعد أن تلقتها الأمة بالقبول والتسليم.

ولهذا قال الامام البخاري (باب ماجاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الآذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام و...) ثم ساق جملة من الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الشأن(٢).

قال شيخ الاسلام أحمد ابن تيمية:(...وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الاشعري كالاسفراييني وابن فورك...)(٣).

ويقول أيضاً:(فالخبر الذي تلقاه الائمة بالقبول تصديقاًله أوعملا بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف...)(٤).

١- مجموع الفتاوى جـ ٣ص ١٠٧، جـ٦ ص ٣٦، النبوات ص ٧١ ، ٢١٤، الأصفهانية ص ١٢٨ صون المنطق للسيوطي ص ١٦٥، أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية جـ١، ص ٤٩، جـ ٢ ص ٢٧٩، ج ٤ ص ١١٨

٢- أنظر فتح الباري ج١٣/ص٢٣١

٣- مجموع الفتاوى ج١٨/ص٤١

٤- المرجع السابق ج١٨/ص٤٨.

ولم يظهر القول بعدم حجية خبر الواحد إلا على أيدي المتكلمين (١).

ويقول شارح الطحاوية : ابو العز الحنفي (فسدوا على القلوب معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ﷺ وأحالوا الناس على قضايا ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية وبراهين يقينيه وهي في التحقيق ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا﴾(٢) ومن العجب أنهم قدموها على نصوص الوحي، فلم يظفروا بالعقول الصحيحة والنصوص النبوية، ولو حكموا نصوص الوحي لفازوا بالمعقول الصحيح الموافق للفطرة السليمة .. وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع)(٣).

ويقول الحافظ ابن قيم الجوزية: (فاذا اجتمع في قلب المستمع لهذه الأخبار العلم بطريقتها ومعرفة حال رواتها وفهم معناه حصل العلم الضروري الذي لايمكن دفعه، ولهذا كان أئمة الحديث الذين لهم لسان صدق في الأمة قاطعين بمضمون هذه الأحاديث شاهدين بها على رسول الله ﷺ جازمين بأن من كذب بها أو أنكر مضمونها فهو كافر)(٤).

ومن راجع كتب السلف الصالح من الصحاح وغيرها يجد أنهم قد أثبتوا دلالة خبر الواحد للعلم والعمل واليقين منذ زمن الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

ومن ذلك:-

ما تواترت به الأخبار عن النبي ﷺ في ارساله الرسل والدعاة إلى ملوك

١- أنظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٧٦٨، الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للامام الجويني ص ٣٥٩، والشامل في أصول الدين للمؤلف ص ٥٥٧، واساس التقديس في علم الكلام لفخر الدين الرازي ص ٢٠٤.

٢- سورة النور: آية (٣٩)، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٨، تحقيق شعيب الأرنؤط.

٣- شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٨، مكتبة دار البيان دمشق. تحقيق شعيب الأرنؤوط.

٤- مختصر الصواعق المرسلة للحافظ ابن قيم الجوزية اختصار الشيخ محمد الموصلي ص ٤٦١ دار الكتب العلمية - بيروت ص ١٤٠٥/١هـ .

الأرض آحادا ليبلغوا أمر التوحيد والاسلام (١) ولم يثبت عن أحد من المرسل إليه أنه قال: لانقبل لأنه خبر واحد.

وما تواترت به الأخبار من أرساله ﷺ معاذا إلى اليمن للدعوة(٢).

وكذلك خبر تحويل القبلة إلى الكعبة بمكة وتحويل الناس في مسجد قباء بمجرد سماعهم الخبر وهم في الصلاة (٣) وكذلك خبر عمر بن الخطاب (إنما الاعمال بالنيات ...) (٤).

يقول الامام أبو المظفر السمعاني / إن الخبر اذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقاة والأئمة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول فانه يوجب العلم فيما سبيله العلم هذا عامة قول أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لايفيد العلم بحال ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به، شيء اخترعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن له في العلم قدم ثابت ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول)(٥).

١- أخرجه البخاري برقم (٧٢٦٤) باب ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحدا بعد واحد، كتاب أخبار الآحاد والفتح: ٢٤١/١٣.

٢- أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٢) باب ماجاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، كتاب التوحيد فتح الباري جـ ٣٤٧/١٣، صحيح مسلم ٥٠/١، ٥١ كتاب الايمان باب الدعاء إلى الشهادتين

٣- أخرجه البخاري برقم (٧٢٥١) باب ماجاء في اجازة خبر الواحد، الفتح: ٢٣٢/١٣.

٤- أخرجه البخاري الفتح : ٧/١، ١٥، ١٢٦، ١١٧/٥، ١٧٧/٧، ١٠٠/٩، ٤٩٦/١١، ٢٩٠/١٢ برقم (١) باب بدء الوحي ومسلم (١٩٠٧) وأبوداود (٢٢٠١) والترمذي (١٦٤٧) وابن ماجه (٤٢٢٧) والنسائي ٥٨/١، ٦٠.

٥- الانتصار لأهل الحديث، ضمن كتاب صون المنطق للسيوطي ص ١٦٠-١٦٢

ويقول الإمام الشافعي : (إذا حدث الثقة عن الثقة حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ فهو ثابت عن رسول الله ﷺ) (١).

يقول الدكتور عاصم القريوتيم/

(وكذلك خبر الواحد الصحيح متناً وسنداً والذي تلقته الأمة بالقبول والتصديق، واتفقت الأمة على العلم به سواء كان في الاعتقاد أو في الأحكام بناء على عمل الرسول ﷺ وصحابته الكرام وعمل أهل القرون الثلاثة الأولى من التابعين للقرآن والسنة). (٢).

٣ - إن نصوص القرآن والسنة الواردة في إثبات توحيد الرب سبحانه وتعالى وإثبات صفاته وأسمائه وأفعاله وأخباره معلومة معانيها واضحة عباراتها مجهولة كيفياتها وهي على الحقيقة دون المجاز.

كما أن فهم أهل السنة والجماعة وإيمانهم لهذه النصوص، ليس كما هو لدى خصومهم النفاه الذين فهموه على مالم يرده الله ولا ورسوله ﷺ، حيث شكوا وشبهوا فيها ومثلوها بما هي قائمة على الحوادث والمخلوقات، ثم حرفوها وعطلوا معانيها الأصلية وعلى ضوءها صنفوا كتبهم سلفا وخلفا ويزعمون أنها أصول دين الاسلام و مع أنهم يقرؤون آيات القرآن، ويمرون على هذه الآيات، ويفوضون معانيها إلى الله تعالى من غير تدبر ولا تعقل ولاتفكر ولاتبصر لتلك المعاني التي بينها الرسول ﷺ على مراد الله وعلى مراده ﷺ.

والله تعالى ذم صنيع قوم فعلوا مثل هذه الأفعال فقال ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم

١- كتاب الأم ١٧٧/٧ للشافعي ، والرسالة ، للشافعي تحقيق أحمد شاكر ص ٤٥٧.

٢- أنظر : الاسناد من الدين ومن خصائص سيد المرسلين د/عاصم القريوتي ص ٣٠، شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص ٣٣٧، بتحقيق شعيب الأرنؤوط.

يعلمون﴾ إلى أن قال سبحانه وتعالى : ﴿ ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون﴾ والأماني : التلاوة المجردة، ثم قال تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون﴾(١).

فذم الله تعالى نسبة ما كتبوه بايديهم إلى الله تعالى، وذم اكتسابهم ثم ليست هناك عقيدة صحيحة ثابتة محفوظة عن الله تعالى في الكتب السماوية المقدسة كما هو ثابت في مصادر الدين الإسلامي، مع كمال البلاغة، والفصاحة، وحسن الجمال وسهولة الألفاظ والمعاني والتراكيب. وليس ذلك إلا لأن هذا الدين هو الدين الخالص عند الله تعالى الذي لايقبل غيره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهل يعقل أن الله تعالى يضع في كتابه وخاصة في أمر توحيده وأسمائه وصفاته ما هو متشابه مختلف فيه؟

وهل يترك الرسول ﷺ أمته على مثل هذه الحالة مع أنه المأمور بالتبليغ والتفسير والتوضيح عن الله تعالى وتوحيده سبحانه وتعالى وعدم الإشراك معه؟.

وأعظم الدلائل على كمال تبليغه ﷺ شهادة صحابته له في صعيد عرفات (نشهد بأنك قد بلغت ونصحت وأديت)(٢) فاستشهد ﷺ ربه سبحانه على اقرار أمته بذلك فكيف يتركهم على هذه الشبهات وهم يشهدون له بأنه الناصح المبلغ ؟ ويتنزل القرآن على كمال الدين ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾(٣) إذا بما ذا نصف من قال إن في نصوص القرآن والسنة في أمر توحيد الله تعالى وصفات الله وأفعال الله وأسمائه من المتشابه والخفاء واللبس الشيء الكثير ؟.

لانصف مثل هؤلاء إلا أنه قد خفي عليهم حقيقة الدين وعلومه بسبب تقديم اعتقاد

١- سورة البقرة آية : (٧٥-٧٩).

٢- أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب صفة حجة النبي ﷺ جـ٨/ ١٨٤

٣- سورة المائدة آية : (٣)

الشبهة أولا وتمكينها في قلوبهم وفي عقولهم لكثرة تعهد هم على كتب الزندقة والإلحاد والفلسفة وكثرة بعدهم لأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ثم بسبب حرمانهم وعدم توفيقهم لأسباب الهداية والإستقامة والفهم السليم الذي أمتن الله تعالى به على أهل السنة والجماعة (١).

ثم قد ثبت عن السلف كربيعة بن أبي عبدالرحمن فروخ التيمي، ومالك بن أنس، وأم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾(٢) عن الاستواء يقول الرواي : (فما رأيت مالكا وجد من شيء كوجدته من مقالته، وعلاه الرحضاء - العرق - قال: وأطرق القوم وجعلوا ينتظرون ما يأتي من فيه ، قال فسرى عن مالك فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأُخرج) (٣).

يقول الامام ابن عبدالبر/ (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والايمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لايكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولايحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه

١- أنظر أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ٣٧٥/٤، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٣٣٩.

٢- سورة طه آية (٥)

٣- أنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي جـ ٣، ص ٣٩٧، الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥١٥، التدمرية لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية ص ٤٣ تحقيق محمد بن عود السعوي ، التمهيد لإبن عبدالبر ١٣٨/٧.

وسلم وهم أئمة الجماعة والحمد الله) (١).

ثم إن تقسيم أسماء الله وصفات الله وأفعال الله تعالى الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى مجاز لم يثبت عن أحد من العرب وليس له أصل في الشرع ولا في اللغة ولا قال به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا تابع التابعين ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم (٢).

هذه بعض دعائم أهل السنة والجماعة في تقرير أمور العقائد(٣) ، وقد تركنا البعض الآخر، وسنتعرض لها بالتفصيل في فصول مخصصة من هذه الرسالة، وهذا هو المبحث الأول من التمهيد، أما المبحث الثاني فهو في بيان أول الواجبات عند المكلفين في الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو ما سنتعرض له في الصفحات القادمة.

١- التمهيد : للامام ابن عبدالبر ، جـ٧، ص ١٤٥ طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المغرب مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٨/٥، الدرء ٢٥٦/٦، وبيان تلبيس الجهمية ٣٩/٢ ، العلو للذهبي ص ١٨٢.

٢- أنظر : الايمان لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص ٧٢، مجموع الفتاوى :١٩٦/٥، الصواعق المرسلة ٣/٢-٥ ، الامام ابن تيمية وموقفه عن التأويل د/محمد السيد الجليند ص ٣٦٠-٣٧٢، العقيدة السلفية بين الامام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية : د/ سيد عبدالعزيز سيلي ص ٧٦

٣- انظر بتوسع في منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان علي حسن مكتبة الرشد الرياض ص ٢٥-٤٥

المبحث الثاني :واجبات المكلفين في الإيمان بالله ورسوله

ويشتمل على مطلبين: -

المطلب الأول : أول الواجبات على المكلف عند المتكلمين.

المطلب الثاني: أول الواجبات علىالمكلف عند أهل السنة والجماعة.

المطلب الأول : أول الواجبات علىالمكلفين عند المتكلمين (١) :-

اختلف المتكلمون وغيرهم في تعيين أول مايجب على المكلفين نحو خالقهم على أقوال كثيرة نذكر منها مايلي :-

١) ذهب بعض المتكلمين إلى أن أول واجب على المكلف هو المعرفة وهي مطلوبة لذاتها، وهي أصل المقاصد الشرعية و آكدها، وما كان كذلك فهو أحق بأن يكون أول الوجبات، أما كون المعرفة مطلوبة لذاتها فلأن شأن الوسيلة أنه إذا حصل التوسل إليه بذاتها استغنى عنها . ومعرفة الله لايستغنى عنها بحال من الأحوال وأما كون المعرفة المذكورة أصل المقاصد الشرعية، فلأن جميع المقاصد والواجبات من نطق شهادة ، وصلاة ، وصوم لايعتبر صحيحا في نظر الشارع إلا بعد حصول المعرفة والتصديق القلبي وأما كونها آكد الواجبات، فلأن وجوبها وجوب أصل بحيث إذا انعدمت انعدم الايمان، بخلاف غيرها من الواجبات، فإن انعدامه لا يضيع الايمان.(٢).

: وقد تمسك من قال أن : أول الواجبات المعرفة، بقول الرسول ﷺ: «فليكن

١- قد يظن البعض أن هذا المطلب ليس له علاقة بالموضوع أو بصلب الرسالة، والحقيقة عكس ذلك فالمطلب مهم جدا لهذه الرسالة لأننا إذا علمنا أول الواجبات عند المتكلمين وعند أهل النسة والجماعة تبين لنا الاختلاف بين المنهجين، إضافة إلى أن المتكلمين قد تأثروا بمنهجهم فقدمواالعقل على النقل وكانت نتائج بحوثهم مخالفة للكتاب والسنة .

ومع أن هناك رسائل جامعية قد كتبت في المنهجين إلا أن هذه الرسائل لم تستوف هذاالموضوع حقه من البحث والمنهجية العلمية فانظر مثلا: منهج أهل السنة والجماعة، ومنهج الأشاعرة في توحيد الله: لخالد بن عبداللطيف، رسالة ماجستير تحت إشراف الجامعة الإسلامية جـ١/ ١٥٨ - ١٦١، جـ٢/٦٢٠ مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة، ط ١ / ١٤١٦هـ

٢- أنظر: شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني ص ٢٩٠ - ٣٠٣، مكتبة الحرم المكي ، الشامل في أصول الدين : عبدالملك الجويني ص ١٢٠، دار المعارف الاسكندرية ط / ١٩٦٩م ، أبو الحسن الأشعري بين المعتزلة والسلف : هادي أحمد طالبي ص ٤٨ - ٥٢، جامعة ام القرى مكتبة البحث العلمي، التمهيد : القاضي محمد بن الطيب الباقلاني ، ص ٦-٢٣، المكتبة الشرقية ، بيروت ١٩٥٧م، منشورات جامعة بغداد .

أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله فإذا عرفوا ذلك .... » الحديث . (١).
وبالرواية الأخرى:«فليكن أول ماتدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله ..»
الحديث (٢).
قال ابن حجر في فتح الباري : قال أبو المعالي عبد الملك الجويني: إنه لايتأتى الإتيان بشئ من المأمورات على قصد الامتثال ولا الإنكفاف عن شئ من المنهيات على قصد الإنزجار الا بعد معرفة الآمر والناهي» (٣). قلت والذي استقر عليه الجويني رحمه الله هو وجوب النظر كما سيتضح لنا ذلك (٤).

وممن ذهب إلى هذا الرأى أبو الحسن الأشعرى و الباقلاني (٥) .

١- أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٢) كتاب التوحيد، باب ماجاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، فتح الباري شرح صحيح البخاري : الحافظ أحمد بن حجر ، ٣٤٩/١٣.

٢- أخرجه البخاري برقم (١٤٥٨) ، كتاب الزكاة، باب لايؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، وباب وجوب الزكاة، وباب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، وفي المظالم باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، وفي المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، وفي التوحيد باب ماجاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم رقم (١٩) ، ١٩٩/١، كتاب الايمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الاسلام، والترمذي رقم ٦٢٥ في الزكاة، باب ماجاء في كراهية أخذ المال في الصدقة، وأبوداود برقم (١٥٨٤)، في الزكاة، باب الكنز ماهو ؟ وزكاة الحلي ، والنسائي ٥٥/٥ في الزكاة باب اخراج الزكاة من بلد إلى بلد

٣- فتح البارى كتاب التوحيد جـ ١٣ صـ ٣٤٧. وانظر: شرح المقاصد : سعد الدين التفتازاني جـ ١/ ٤٤٢٦-٤٥، ٤٨ - ٤٩، والمواقف : عبدالرحمن الإيجي : ص ١٥١

٤- انظر : الشامل في أصول الدين: عبدالملك الجويني ص ١٢٠ - ١٢٢، دار المعارف - الاسكندرية ، ط / ١٩٦٩م .

٥- شرح المواقف: عبدالحكيم شمس الدين، ص ١٢٣ مكتبة الحرم ، المواقف : عبدالرحمن الايجي ص ١٥٣، الباقلاني وآراؤه الكلامية: د/ محمد رمضان عبدالله ص ٢٦١، مطبعة الأمة ، بغداد، ط / ١٩٨٦م أنظر : شرح المواقف: السيد علي الجرجاني ٣٢٢/٨ مطبعة السعادة -

٢) وذهب أكثر المتكلمين والفلاسفة إلى أن أول واجب على المكلف هو النظر وهذا الرأي هو الذي استقر عليه عامة الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم.

يقول القاضي عبدالجبار: « إن سأل سائل فقال:/ ما أول ما أوجب الله عليك ؟ فقل النظر المؤدي إلى معرفة الله، لأنه تعالى لايعرف ضرورة ولا بالمشاهدة فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر والمراد بالنظر / الفكر والفكر هو المعنى الذي يوجب كون المرء متفكراً .. » (١).

ونجده في مكان آخر من كتبه يناقش ويرد على المخالفين لمذهبه ويؤكد على النظر فيقول: « والغرض بقولنا إن النظر أول الواجبات أنه أول واجب لاينفك واحد من المكلفين عنه ... » (٢)ويقول ابن رشد الفيلسوف : « إن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات »(٣) وقال الشيخ التفتازاني : لاخلاف بين أهل الاسلام في وجوب النظر في معرفة الله لكونه مقدمة للمعرفة الواجبة مطلقا، وأما أول الواجبات فقال الأستاذ : هو النظر (٤) » وجاء في

القاهرة ط / ١٣٢٥هـ ، العقيدة النظامية : الجويني ص ٦٢، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، مطبعة الأنوار ط/ ١٣٦٧ هـ ، الايمان بين السلف والمتكلمين ، د/ أحمد عطية الغامدي ص ١٢٩ مكتبة البحث العلمي جامعة أم القرى رقم : ١٠، أبو الحسن الأشعري بين المعتزلة والسلف : هادي أحمد طالبي ص ١١٧، مكتبة البحث العلمي جامعة أم القرى رقم : ١٤٢

١- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٦٠ - ٧٥تعليق أحمد بن الحسين . تحقيق د/عبدالكريم عثمان . نشر مكتبة وهبة - القاهرة ، ط ١/ ١٣٨٤هـ.

٢- المحيط بالتكليف: القاضي عبدالجبار ، ص ١٥ وما بعدها، جمع الحسن بن أحمد، تحقيق عمر عزمي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة، المغني في التوحيد والعدل: للمؤلف ٤١/٤، أبكار الأفكار: الآمدي ١ / ل ١٩ - ٢١

٣- مناهج الأدلة في عقائد الملة: ابن رشد ص ١٣٤، ط ٢/ ١٩٦٤م، مكتبة الأنجلو - القاهرة.

٤- شرح المقاصد : سعد الدين التفتازاني ص ٢٩٠ - ٢٠٣، تحقيق د/ عبدالرحمن عميرة . مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة

شرح المواقف / أول واجب على المكلف في مذهب جمهور المعتزلة هو النظر، وهو مذهب جمهور المعتزلة ، وهو مذهب أبي اسحاق الإسفرائيني » (١) .

ولهذا نرى المصنفين من المتكلمين في الاعتقاد، والتوحيد وخاصة المعتزلة يبتدؤن كتبهم بتمهيد طويل في النظر والاستدلال، قائم على المنطق والكلام في معرفة الله على أساس حدوث العالم عن طريق دليل الجواهر والأعراض، ودليل الإمكان والوجوب (٢) وهو مايسمونه «بالإجتهاد والتقليد» ويأمرون بالإجتهاد ولايأخذون بالتقليد أبداً ، ومنهم من يبالغ في هذا فيكفر عوام المسلمين لأخذهم بالتقليد، وقالوا لايحصل للعبد الايمان حتى يتعلم جميع ماهو شرط في إعتقاد المتكليمن دون من يؤمن بسذاجة، من غير نظر ولا بحث ولاتحري، ويبلغ في معرفته درجة علمائهم، كأبي الهذيل العلاف، والنظام وغيرهما، ويتدبر فيه على تقرير الدلالة ويتمكن من المناظرة والمجادلة ومن لم يبلغ تلك الدرجة كان كافراً لايحكم له بالإيمان ولهذا حكموا بالكفر على جميع عوام المسلمين (٣)،

وأخذت بقية فرق المتكلمين هذا الوجوب ، منهم الأمام عزالدين النسفي، في كتابه العقائد النسفية وشرح هذا الكتاب / مسعود بن عمر التفتازاني . (٤) والإمام أبو حامد الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد (٥) والإمام عبدالملك الجويني في كتابه الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، و

١- شرح المواقف: عبدالحكيم شمس الدين ص ١٢٣، مكتبة الحرم .

٢- أنظر: تعريفات المتكلمين للجواهر والأعراض والإمكان والوجوب في كتاب التعريفات للسيد على محمد الجرجاني ص ١٠٨، ١٩٢، ٤٥، ٢٢٦، ٢٢٣،

٣- انظر هامش التمهيد : للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ص ٢٨٤ ، . تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ط /١٤٠٧هـ.

٤- شرح العقائد على متن العقائد لمحمد النسفي : مسعود بن عمر التفتازاني ص ١٥، شركة أحمد نايلي ويوسف ضياء الدين القاهرة - ط / ١٣٢٠هـ مكتبة الحرم المكي

٥- أنظر: الاقتصاد في الاعتقاد: أبو حامد الغزالي ص١٢ - ١٣، دار الكتب العلمية

في كتابه العقيدة النظامية في الاركان الإسلامية(١)، وكذلك القاضي أبوبكر الطيب الباقلاني في كتابه تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (٢) وكذلك الامام الفخر الرازي في كتابه أصول الدين (٣) وغيرهم من المتكلمين (٤) .

٣) وذهب آخرون إلى أن أول واجب على المكلف ليس المعرفة ولا النظر وإنما القصد إلى النظر وذهب إلى هذا الرأى عبد الملك الجويني أيضاً الذي قال: « أول مايجب على العاقل البالغ باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعا القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدث العالم... » إلى أن قال: « فالنظر واجب شرعا، وشرط وجوب النظر عندنا بثبوت السمع الدال عليه مع تمكن المكلف من الوصول إليه، فان قيل: ما الدال على وجوب النظر والإستدلال من جهة الشرع ؟ قلنا اجماع الأمة على وجوب معرفة الرب

١- أنظر الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: الجويني ص ٣ - ٢٥، المكتبة المركزية جامعة أم القرى ، العقيدة النظامية للمؤلف : ص ١٣ - تحقيق د / أحمد حجازي ط ١٣٩٨/١ هـ ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.

٢- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل : الباقلاني ص ٢٥- ٤١ تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب - بيروت ط ١٤٠٧/١هـ

٣- أنظر : اصول الدين أو معالم أصول الدين : فخر الدين محمد ابن عمر الرازي ، ص ١٩ - ٢٥ ، تقديم وتعليق : طه عبدالرؤوف، دار الكتاب العربي - بيروت ط / ١٤٠٤هـ

٤- انظر المدخل إلى دراسة علم الكلام : د/ حسن محمود شافعي ص ١١٦و ١١٧ ، مكتبة وهبة القاهرة - ط ٢/ ١٤١١هـ ، درء تعارض العقل والنقل : شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ١/ ص ٤، مقدمة مناهج الأدلة في عقائد الملة : لابن رشد د/محمود قاسم ص ١٥٢، غاية المرام في علم الكلام : سيف الدين الآمدي مقدمة الكتاب ص ٣ - ٥ تحقيق / حسن محمود عبداللطيف ، ط / دار الكتب القاهرة ١٣٩١هـ، الله ذاتا وموضوعا: عبدالكريم الخطيب ص ٤٣٣، دار المعرفة بيروت ، ط ٢/ ١٣٩٥هـ ، جوهرة التوحيد: محمد أحمد العدوي ص ١٥ ، وبقية شروحاته الأخرى في مكتبة الحرم المكي، تأويلات أهل السنة: الماتريدي ص ١٤٥، تحقيق د/ ابراهيم عويضين - القاهرة ط/١٣٩١هـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، والتوحيد : للماتريدي ، ص ١٠٢، ١٢٩، ١٣٠.

واستبان بالعقل أنه لايتأتى الوصول إلى اكتساب المعارف إلا بالنظر وما لايتوصل إلى الواجب الآ به فهو واجب» (١).

وقد ذهب أبواسحاق الاسفرائيني أيضاً الى هذا القول : (٢).

٤) وذهب غيرهم إلى أن أول واجب هو الشك لأن القصد إلى النظر بلاسابق شك يقتضي طلب تحصيل الحاصل أو وجود النظر مع مايمنعه وهذا قول أبي هاشم الجبائي المعتزلي (٣) .

وقال الحافظ ابن حجر: « والقائلون إن أول واجب هو الشك هم المتكلمون » ويعني بذلك متكلمة المعتزلة (٤) .

وليس كل المتكلمين يقولون بالشك كما مر بنا، ومع ذلك فإن هذا الرأى مردود عليه من وجهين :-

١ - أن الشك غير مقدور عليه فلايكون واجباً لكونه من الكيفيات كالعلم وانما المقدور تحصيله أو استدامته بأن يحصل تصور الطرفين ويترك النظر في النسبة بينهما.

٢ - انه قول فاسد لأن الشك مما يطلب زواله فكيف يطلب حصوله والشك قبيح بعينه فكيف يكون أول واجب؟.

٥) وذهب آخرون الى التوفيق بين المعرفة والنظر والقصد إلى النظر دون الشك وأن الخلاف لفظي ولانزاع بينهم في أن معرفة الله واجبة ومقصودة

١- انظر التفصيلات في كتاب الارشاد ص ٤ الى ص ٣٠.

٢- انظر فتح البارى للحافظ أحمد بن حجر ج: ١٣ صـ ٣٤٩

٣- انظر المقاصد: للتفتازاني صـ ٢٩٠ - ٣٠٣ وشرح المواقف لعبد الحكيم شمس الدين ص ١٢٣.

٤- انظر فتح البارى كتاب التوحيد جـ ١٣، صـ ٣٤٩

لذاتها (١).

٦) وقال بعضهم أول واجب هو الايمان، أى تصديق النفس بعد معرفتها بقولها آمنت وصدقت .

وقال آخرون : أول واجب / هو الاقرار بالله سبحانه وتعالى ، وبرسله عليهم الصلاة والسلام ، عن عقد مطابق ، وإن لم يكن بدليل .

وقال غيرهم : أول واجب / هو الاسلام ، أى الانقياد للأمر والنهي بالاعمال

وقيل : أول واجب / اعتقاد وجوب النظر .

وقيل : أول واجب/ التقليد .

وقيل : أول واجب/وظيفة الوقت الذي كلف فيه .

وقيل: أول واجب/ التمييز بين المعرفة والتقليد (٢) .

ويمكن لنا أن نستخلص من هذه الأقوال قولين اعتمدهما أكثر الفرق الكلامية في بيان أول واجب على المكلف وهما :

١ - المعرفة .

٢ - النظر.

وقبل تحليل هذه الآراء ومناقشتها، نود أن نعرف رأي أهل السنة والجماعة في أول الواجبات وهذا سوف يكون في المطلب القادم.

١- بتصرف من كتاب القول السديد في علم التوحيد : محمود أبو دقيقة، ص ٦٦ - ٦٨ ، مطبعة ومجلة الارشاد القاهرة ط/١٩٣٦م.

٢- بتصرف من كتاب شرح هداية المريد للشيخ محمد عليش المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ ص ٦ . نشر الجامعة الاسلامية ليبيا ، طبع ١٩٦٨م

المطلب الثاني : أول الواجبات عند أهل السنة والجماعة:-

أرى من الأهمية ، أن أذكر هنا أدلة الكتاب و السنة والتي اعتمد عليها أهل السنة والجماعة، في بيان أول الواجبات، ثم أقوم بمناقشة وتحليل أراء المتكلمين في صحة استدلالهم، ببعض الآيات القرآنية والآحاديث النبوية على وجوب المعرفة أو النظر كأول واجب على المكلفين.

وفيما يلي : نأتي بالآيات القرآنية ثم نثني بالأحاديث النبوية.

أولا : أدلة القرآن الكريم :-

ا - آيات حثت على النظر والتفكر والتدبر منها قوله تعالى: -

﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ماخلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاءى ربهم لكافرون * أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها اكثر مما عمروها وجآءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾(١)

وقال تعالى : ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق﴾ (٤).

قال تعالى: ﴿ أفلاينظرون إلى الابل كيف خلقت﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو الا نذير مبين * أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيئ وأن عسى أن

١- سورة الروم آية «٩٥٨».

٢- سورة يونس آية «١٠١» ، أنظر تفسير ابن كثير : للحافظ ابن كثير جـ٢/٤٣٤.

٣- سورة سبأ آية «٤٦»

٤- سورةالطارق آية « ٥، ٦»

٥- سورة العاشية آية «١٧»

يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون﴾ (١).

وقال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك الاّ رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾(٢).

وجه الدلالة من الآيات السابقة :-

جاءت هذه الأيات/ تدعو المنكرين بهذا النبي وبهذا الدين إلي التفكر والنظر في هذا الكون وما فيه، ومافي الأنفس والآفاق من الآيات البينة الواضحة والشاهدة، والناطقة بعظمة الله الخالق الذي هو الله الواحد المستحق للتوحيد والإخلاص له في العبادة.

فهذه الآيات أدلة على ايجاب النظر لكل من انحرفت فيهم الفطرة.وتفيد أيضاً بأن التفكر والنظر والتدبر في هذا الكون يزيد في الإيمان، وأنها آيات لأولي الألباب وليس معنى ذلك أن من لم يقم بالنظر ناقص الايمان وأنه يلحقه إثم وذنب على تركه النظر.

والضمير في قوله تعالى ﴿أولم ينظروا﴾ وفي قوله ﴿أولم يتفكروا﴾ وفي قوله ﴿أفلا ينظرون﴾ وفي قوله ﴿أو لم يسيروا﴾ عائد إلى الكفار والمشركين الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون . فإن المؤمنين وذووا الألباب والفطر السليمة يؤمنون بالله من غير نظر ولاشك بل بالجبلة والفطرة التي فطر الله الناس عليها وهذا ما أجمع عليه المفسرون من أهل السنة (٣)

١- سورة الأعراف آية «١٨٤ - ١٨٥».

٢- سورة يوسف: آية «١٠٩» ، وانظر الآيات الأخرى الدالة على النظر في سورة فاطر آية (٤٤) ، وغافر آية (٨٢،٢١) وسورة: ق آية (٦) ، ومحمد آية (١٠).

٣- أنظر : تفسير الإمام الحافظ اسماعيل ابن كثير ط / ١٤٠١ دار الفكر بيروت.، تفسير سورة الأعراف آية (١٨٤، ١٨٥) ج ٢/ ص ٢٧١، تفسير سورة يونس آية (١٠١) ، جـ ٢، ص ٤٣٤، تفسير سورة يوسف آية (١٠٩) جـ ٢، ص ٤٩٧، تفسير سورة الغاشية آية (١٧) جـ ٤، ص ٤٠٥، تفسير سورة الطارق ، آية (٥) جـ٤، ص ٤٩٩.

أنظر:مختصر الإمام الطبري اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، د/صالح أحمد

ثانيا : أدلة الشهادة :-

فإذا كان الأمر كذلك فإن الآيات والأحاديث التي أعتمد عليها أهل السنة والجماعة في تعيين أول واجب على المكلف وهو (الشهادة) مبنية على فئتين من الأدلة النقلية،فالفئة الأولى منها تبين أهمية هذا الواجب ومكانته في الشريعة الاسلامية ، والفئة الثانية تقوم بتعيين هذا الواجب صراحة ٠

١ / الفئة الأولى : الأدلة الداعية إلى أهمية الشهادة :-

من الأدلة التي اعتمد عليها أهل السنة والجماعة في بيان أهمية الشهادة الآيات التالية :-

قال الله تعالى :- ﴿شهد الله أنه لاإله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لاإله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿فاعلم أنه لااله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾(٢)٠

وقال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لاإله إلا هو..﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الاسلام..﴾ (٤).

قال تعالى : ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه﴾ (٥).

وقال تعالى : ﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين

١- سورة آل عمران آية «١٨»
٢- سورة محمد آية «١٩»
٣- سورة هود آية . «١٤»
٤- سورة آل عمران آية «١٩»
٥- سورة آل عمران آية «٨٥»

فلاتموتن إلا وانتم مسلمون أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق وإلهاً واحدا ونحن له مسلمون﴾ (١).

وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : «بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿قل أي شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لآنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وانني برئ مما تشركون﴾(٣).

وقد أخبرنا الله تعالى أنه لم يرسل الرسل إلا لدعوة الناس إلى هذه الشهادة قال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (٤)وقال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾(٥)ومن إخلاص الشهادة إخلاص المتابعة للنبي محمد ﷺ فهو المبلغ عن الله وهو الذي ينزل عليه وحي الله . فلايكتمل إيمان العبد الا بالإيمان به وبحبه وبالتحكيم إليه وبالتسليم بحكمه ﴿فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدون في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (٦).

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٧).

أماحقوق هذه الشهادة وشروطها فليس مجال ذكرها هنا وقد ذكرها المصنفون في كتبهم ٠

١- سورة البقرة آية «١٣٠ - ١٣٣»

٢- سورة الزمر آية «٦٦»

٣- سورة الأنعام «١٩»

٤- سورة الأنبياء آية ٢٥

٥- سورة النحل آية ٣٦

٦- سورة النساء آية «٦٥»

٧- سورة الحشر آية «٧»

ب/ الفئة الثانية : الأدلة الداعية إلى أول الواجبات

من الأدلة التي اعتمد عليها أهل السنة والجماعة في تعيين أول واجب على المكلف الآحاديث النبوية التالية :-

١- عن ابن عباس أن معاذاً قال: «بعثني رسول الله ﷺ قال: إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لاإله الا الله، وأني رسول الله، فان هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله أفترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فان هم أطاعوا الذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب» (١).

٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: لما بعث معاذاً إلي اليمن ، قال: «إنك تقدم على قومٍ أهل كتاب، فليكن أول ماتدعوهم إليه عبادة الله عزوجل، فاذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فاذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإذا اطاعوا بها فخذ منهم، وتوق كرائم أموالهم» (٢).

٣ - عن يحي بن عبد الله بن صيفي أنه سمع ابا معبد مولى ابن عباس يقول «سمعت ابن عباس يقول: لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى نحو أهل اليمن قال: له

١- صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص ١٩٧، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الاسلام، واخرجه البخاري برقم (٤٣٤٧) في المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ولفظه إنك ستأتي قوما، من أهل الكتاب فإذا جئتم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ...) الحديث .

٢- صحيح البخاري (١٤٥٨) في الزكاة ، باب لاتؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ / صـ ٢٠٠، كتاب الايمان ، باب الدعاء إلىالشهادتين، وانظر تخريج الحديثين ٢، ٣ ، في صفحة (٢٨ - ٢٩) من الرسالة.

إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ماتدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فاذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فاذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فاذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس» (١).

٤ - عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله الا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، الاّ بحق الإسلام وحسابهم على الله ؟ » (٢).

٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال: رسول الله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلاّ الله ، فمن قال لاإله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله، فقال: ابوبكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال

١-صحيح البخاري جـ ٩، صـ ١٤٠. كتاب التوحيد، باب ماجاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله

٢- أخرجه البخاري ١/٧٠، ٧١ في الايمان باب فان تابوا واقاموا الصلاة، ومسلم (٢٢) في الايمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله من حديث ابن عمر وتمامه (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم الا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله) و أخرجه البخاري ٣/٢١١ ، ١٢/٢٣٣، ومسلم (٢١) والترمذي (٢٦١٠، والنسائي ٥/١٤، وأبوداود (٢٦٤٠) من حديث أبي هريرة، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٢/١٢٣ من حديث أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماءهم وأموالهم إلا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) أحمد ٤/٨ ، وابن ماجه (٣٩٢٩).

عمر: فوالله ماهو إلاّ أن رأيت الله عزوجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق» (١).

٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمه «قل لاإله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة﴾، قال لولا أن تعيرني قريش، يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله ﴿إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (٢).

٧ - عن أسامة بن زيد قال بعثنا رسول الله ﷺ: «في سرية إلى الحرقات من جهينة فادركت رجلا فقال لاإله الا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال: رسول الله ﷺ: أقال لاإله الا الله وقتلته، قال: قلت يارسول الله إنما قالها خوفا من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فمازال يكررها علي حتى تمنيت أنّي أسلمت يومئذ». (٣).

٨ - وجاء في حديث جندب بن عبدالله البجلي أن النبي ﷺ: دعا أسامة بن زيد

١- أخرجه البخاري ٢١٧/١٣ في الاعتصام، باب الإقتداء بسنن رسوله ﷺ، وفي الزكاة، باب وجوب الزكاة وفي استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض، ومسلم رقم ٢٠ في الايمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، والموطأ ٢٦٩/١ في الزكاة، باب ماجاء في أخذ الصدقات والتشديد فيها ، والترمذي رقم ٢٦١٠ في الإيمان، باب ماجاء (أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله) ، وأبوداود رقم ١٥٥٦، في الزكاة، والنسائي ١٤/٥، في الزكاة ، باب مانع الزكاة.

٢- أخرجه مسلم برقم (٢٥) في الايمان باب الدليل على صحة اسلام من حضره الموت مالم يشرع في النزع وهو الغرغرة، والترمذي رقم ٣١٨٧ في التفسير باب ومن سورة القصص ، رقم الآية (٥٦)

٣- أخرجه البخاري ٧/ ٣٩٨ في المغازي باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الرقات من جهينة، وفي الديات ، باب قول الله تعالى: ﴿ومن أحياها﴾ ،ومسلم رقم ٦٦ في الأيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله ، وأبوداود رقم ٢٦٤٣ في الجهاد ، وباب على ما يقاتل المشركون.

فسأله فقال : «لم قتلته؟ قال: يارسول الله أوجع في المسلمين و قتل فلانا وفلانا وسمى له نفرا وإني حملت عليه فلما رأى السيف قال: لاإله الا الله.

قال: رسول الله ﷺ: أقتلته؟ قال نعم . قال: كيف تصنع بلا إله الا الله إذا جاءت يوم القيامة، قال يارسول الله أغفرلي ، قال: وكيف تصنع بلاإله الا الله إذا جاءت يوم القيامة. قال فجعل لايزيده على أن يقول كيف تصنع بلاإله الا الله إذا جاءت يوم القيامة» (١).

٩ - جاء في حديث أبي ذر قال: أتيت النبي ﷺ: «وهو نائم عليه ثوب أبيض ، ثم أتيته فإذا هو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه فقال: «مامن عبد قال: لاإله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة . قلت : وإن زني وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق، قلت وإن زنى وإن سرق !، قال وإن زنى وإن سرق ثلاثا قال: في الرابعة، على رغم أنف أبي ذر قال : الراوي فخرج أبوذر وهو يقول وإن رغم أنف أبي ذر».(٢)

١٠ - جاء في حديث ضمام بن ثعلبة فقال «يامحمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ؟ ، قال صدق : قال: فمن خلق السماء؟ قال الله ؟ قال فمن خلق الأرض ؟ قال الله . قال فمن نصب الجبال وجعل فيها ماجعل ؟ قال الله ؟ قال فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك قال نعم... الى آخر الحديث»

فسأل عن الصلوات الخمس في اليوم والليلة فصدقه الرسول ﷺ، ثم سأل عن الصوم وعن الحج فصدقه النبي ﷺ. ثم قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن

١- أخرجه مسلم رقم ٩٧ في الايمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله .

٢- أخرجه البخاري ٨٨/٣، ٨٩، في الجنائز ، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه : لاإله إلا الله ، وفي التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ، ومسلم رقم ٩٤ في الإيمان باب من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة، والترمذي، رقم ٢٦٤٦ في الإيمان باب ماجاء في افتراق هذه الأمة.

ولا أنقص منهن فقال النبي ﷺ لئن صدق ليدخلن الجنة. (١)والأحاديث في هذا الباب كثيرة وهي ظاهرة الدلالة في تعيين (كلمة الشهادة والنطق بها) كأول واجب على المكلف عند أهل السنة والجماعة ٠

ونأتي الآن إلى المناقشات والتحليلات لآراء المتكلمين :-

أولا : ٠استدل القائلون بأن أول واجب هو المعرفة بقوله ﷺ: «فاذا عرفوا» وليس الأمر كذلك .

والجواب على هذا القول من وجوه:-

الوجه الأول :أن أول واجب على المكلف هو الشهادتين وليس المعرفة والحجة في هذا الدليل الصريح من الرسول ﷺ حيث قال: لمعاذ بن جبل رضي الله عنه «فليكن أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لاإله الا الله وأني رسول الله». (٢)
الوجه الثاني: أن المعرفة لاتكفي لحصول الإيمان، بل لابد من التوحيد الخالص لله تعالى من النطق بالشهادتين والإقرار والتصديق والعمل بهما وهذا ماأشار إليه الرسول ﷺ بقوله فليكن أول تدعوهم إلى أن يوحدوا الله . فيكون توجيه الحديث والنص «فاذا عرفوا توحيد الله وعبادة الله المطلوبة فأمنوا بالله واتبعوا وعملوا وطبقوا دعاهم إلى بقية الأركان.

١- البخاري في العلم : باب القراءة والعرض على المحدث ١/١٣٩، ١٤١، ومسلم في الايمان باب السؤال عن أركان الإسلام رقم (١٢) ج ١/١٧٠، الترمذي في الزكاة باب إذا أديت الزكاة رقم (٦،٤) والنسائي في الصوم باب وجوب الصيام ٤/١٢١، ١٢٤، وأبوداود في الصلاة باب ماجاء في الشرك يدخل المسجد رقم (٤/١٦)

٢- سبق تخريجه أنظر ص

الوجه الثالث: أن في روايات الحديث في أحدهما قوله ﷺ «فاذا عرفوا» وفي الرواية الأخرى «فان هم اطاعوا لذلك» وفي رواية أخرى «فادعوهم إلى عبادة الله فاذا عرفوا الله» فالمراد بمعرفة الله عرفوا توحيد الله والمعرفة في قوله (فإذا عرفوا) أى أقروا ودخلوا في الإسلام وأطاعوا الله واستجابوا لأوامر الله تعالى بعد الشهادتين، وكل هذه التفسيرات تأتي بعد النطق بالشهادتين قولا، واعتقادا، وفعلا. لأن المعرفة بمفردها يستحيل أن تكون أول واجب فهي لاتكفي لدخول الإسلام وإلا على قولهم كان يجب أن يقبل الرسول ﷺ إيمان كفار مكة، فكفار مكة، والمشركون وأهل الكتاب كانوا يعرفون أن الدين الحق، هو الإسلام وأن الله حق، وأن محمداً ﷺ نبي مرسل كما تثبت النصوص والأدلة على ذلك ولكن الجحود والكبرياء هما اصل السبب في الرفض كما قال تعالى ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ (١). وقال تعالى: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون، فإنهم لايكذبونك، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ (٢) ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (٣) . وقال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطبا فرعون : ﴿قال لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلارَبُّ السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يافرعون مثبورا﴾ (٤). حينما أنكر فرعون الرب سبحانه قائلا ﴿وما رب العالمين﴾ (٥).

الوجه الرابع:أن الإحتجاج بهذا الحديث يتوقف على الجزم بأنه ﷺ: نطق

١- سورة النمل آية (١٤)

٢- سورة الأنعام آية (٣٣)

٣- سورة البقرة آية (١٤٦)

٤- سورة الإسراء آية (١٠٢)

٥- سورة الشعراء آية (٢٣)

بهـذه الكلمة وهي «المعرفة» وفي ذلك نظر، لأن القصة واحدة ورواة هذا الحديث قد اختلفوا، هل ورد الحديث بهذا اللفظ أم بغيره؟ والمؤكد أنه ﷺ لم يقل الا بلفظ واحد من هذه الألفاظ، ومع احتمال أن يكون هذا اللفظ من تصرف الرواة. فالصحيح المتبادر للناظر والمتأمل والباحث أن اكثر الرواة رووه بلفظ «فادعهم إلى شهادة أن لاإله الا الله وأن محمداً رسول الله فان هم اطاعوا لك بذلك) وهذا هو الموافق للنصوص الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة وإلى هذا ذهب أئمة السلف من أهل التفسير والحديث وغيرهم . وبهذا نقول إن أول واجب على المكلف هو الشهادتين وليست المعرفة.

الوجه الخامس : مما يقوى ويؤيد أن أول واجب على المكلفين هو الشهادتين وليست المعرفة، هو أن المخاطبين كانوا يعرفون الله سبحانه وتعالى و سواءً كانوا مشركين أو أهل كتاب أو غيرهم ولوأن المعرفة تكفي لدخول الإسلام، لكان إبليس وفرعون وقارون وأبوجهل وغيرهم من رؤساء الكفر أول المسلمين لأنهم كانوا عارفين بالله.

الوجه السادس: أن معظم الدلائل على أن أول واجب على المكلف في الإيمان بالله ورسوله هو الشهادتين وليس المعرفة، تفسير الرسول ﷺ للايمان بالله ورسوله بالشهادتين . فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: قال إن وفد عبدالقيس أتو النبي ﷺ فقال رسول الله: من الوفد ؟ قالوا ربيعة، قال: (مرحبا بالقوم غير خزايا ولاندامى، قال: فقالوا إنا نأتيك من شق بعيدة، و بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لانستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، فمرنا بالأمر الفصل نخبربه من وراءنا، وندخل به الجنة قال: فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع :

قال : أمرهم بالايمان بالله وحده قال: هل تدرون مالإيمان ؟ قالوا : الله ورسوله

أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمسا من الغنم ، ونهاهم عن الدباء والحنتم، والمزفت والنقير...) الحديث (١).

الوجه السابع : إذا كان أول واجب على المكلف هو الشهادتين فلاتقبل هذه الشهادة إلا بالإخلاص واليقين كما جاء في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: قال: يا أبا هريرة اذهب بنعليّ هاتين فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد ان لاإله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة» (٢) فمن شهد بهذه الكلمة حق الشهادة و حرّمَ الله عليه النار كما جاء في حديث عبادة بن الصامت سمعت رسول الله ﷺ يقول : من شهد أن لاإله الا الله وأنَّ محمداً رسول الله حرم الله عليه النار» (٣).

١- البخاري في الايمان : باب أداء الخمس برقم/٥٣ ص١٢٩، وفي العلم : باب تحريض النبي ﷺ وفد عبدالقيس على أن يحفظوا الايمان، وفي مواقيت الصلاة: باب قوله تعالى : ﴿منيبين إليه واتقوه﴾، وفي الزكاة: باب وجوب الزكاة، وفي الجهاد: باب اداء الخمس من الدين، وفي الأنبياء : باب نسبة اليمن إلى اسماعيل ، وفي المغازي : باب وفد عبدالقيس وفي الآداب : باب قول الرجل مرحبا ، وفي خبر الواحد ، باب وصاة النبي ﷺ وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم وفي التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾، واخرجه مسلم في الإيمان: باب الأمر بالإيمان: بالله تعالى ٨ رقم ١٧، وأبوداود في الأشربة: باب في الأوعية رقم (٣٦٩٢)، والترمذي في الايمان: باب ماجاء في اضافة الفرائض إلى الإيمان رقم (١٧٤١)، والنسائي في الإيمان: باب أداء الخمس ٨/١٢٠.

٢- صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١، صـ ٢٣٩. كتاب الايمان: باب من شهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة.

٣- صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ ، صت ٢٢٩، في الايمان : باب من شهد بالشهادتين حرم الله عليه النار .

الوجه الثامن : أن معرفة الله عند هؤلاء يكون بالاستدلال على الله بالطرق الكلامية والأقيسة العقلية، وأن من لم يعرف الله بهذه الطرق لم تكتمل لديه المعرفة ويلزم منه أن الصحابة والتابعين وعوام المسلمين الذين لم يأخذوا بالمعرفة على حسب منهجهم قد انحرفوا وضلوا الطريق . وهذا القول معلوم أنه في غاية الفساد . حيث لم يدعمهم دليل صحيح لا من كتاب ولا من سنة ويكفيهم أنهم خالفوا منهج الأنبياء والمرسلين وسلف هذه الأمة من الأئمة الصالحين والتابعين لهم بإحسان علما بأن المعرفة قد حصلت بأصل الفطرة. والخروج عنها، يطرأ على الشخص الذي انحرف عن أصل المعرفة، والفطرة التي فطره الله عليها وهي الإقرار بالله سبحانه وتعالى كما جاءت النصوص مصرحة بذلك.

قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (١) . وقال تعالى ﴿فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ (٢). وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود الا ويولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة جمعاء. هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبوهريرة رضي الله عنه ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ (٣).

١- سورة الأعراف آية «١٧٢»

٢- سورة الروم آية «٣٠»

٣- أخرجه البخاري في الجنائز ١٧٦/٣ ، ١٩٧-١٩٩، باب إذا أسلم الصبي، باب ما قيل في أولاد المشركين ، وأخرجه مسلم برقم : (٢٦٥٨) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، والموطأ رقم ٥٢ الجنائز باب جامع الجنائز، والترمذي رقم (٢١٣٩) في القدر: باب كل مولود يولد على الملة، وأبوداود رقم (٤٧١٤) في السنة باب ذراري المشركين والفتح جـ٢١٩/٣.

ثانيا : أما الذين جعلوا للمكلف أول واجب هو النظر أو القصد إلى النظر واستدلوا بآيات النظر في القرآن الكريم .

وقالوا إن المعرفة لاتتأتي الا بالنظر والإستدلال وهي مقدمة الواجب فيكون أول واجب هو النظر.

وتعقب على هذا الرأي آخرون ، فقالوا: إن النظر ذو اجزاء يترتب بعضها على بعض فيكون أول واجب هو القصد إلى النظر وهو جزء النظر. وجمع بعضهم بين هذه الأقوال، فقال: إن من قال: أول واجب المعرفة، أراد طلبا وتكليفا .

ومن قال أول واجب النظر أو القصد، أراد إمتثالا، واستدلوا على صحة رأيهم ببعض الآيات القرآنية كما سبق أن ذكرنا فاستدلالهم ورأيهم باطل وذلك من عدة أوجه:-

الوجه الأول: أن الباحث في اسباب نزول آيات النظر في القرآن الكريم يدرك تماماً. أنها نزلت تخاطب طائفة من مشركي العرب الذين كذبوا دعوة الرسول ﷺ ، وكذلك هذه الآيات نزلت تخاطب أهل الكتاب وغيرهم من أهل الغفلة، الذين لايتدبرون ولايتفكرون وانما هم غثاء أتباع كل ناعق، سواء كان على حق

أم على باطل (١) فالله تعالى دعاهم الى النظر في ملكوت السموات والأرض وفي النظر إلى هذا النبي ﷺ وسيرته السابقة وهل مثله يكذب على القوم؟ لا والله حاشاه ﷺ: بأبي هو وأمي أن يكذب في دين الله، أو في غيره (٢).

الوجه الثاني:- أن الاعتراف بالخالق جل جلاله أمر فطري عند جميع الخلائق ، لأن الله خلقهم وفطرهم على حبه ومعرفته ، فهذه المعرفة بديهية . الا عند من شذ وانحرفت فطرته، فيحتاج إلى نظر، ولهذا انكرت الرسل الشك في الله ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ (٣)

الوجه الثالث:- أن في هذا الإيجاب على المكلفين بالنظر أو القصد إلى النظر، دعوة إلى الشك والكفر ثم الإيمان بالله من جديد، مرة أخرى، . وهذا كمثل من يطلب من العالم أن يجهل في مسألة من المسائل وهو عالم بها ثم يتعلمها على أصولٍ، وقواعد منطقية كلامية. - وهذا مستحيل - فكيف يجهل شيئا يعلمه ، ويعرفه حق المعرفة ؟ فلنفرض أن لديه اليقين مثلا في أن مايعتقده من توحيد الله ووجوده حق وصدق ، من غير نظرو لابرهان ، بل بالبديهة والفطرة. فهل يقال له اكفر ثم انظر ؟ وهذا بلا شك لا يقبله عاقل . قال شارح الطحاوية أبو العز الحنفي: (ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول مايؤمر به العبد الشهادتان ...) (٤)

الوجه الرابع :- إن الدعوة إلى دين الله متوقفة على البصيرة وهي نور العلم

١- درء تعرض العقل والنقل ، لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية جـ٨ ص٨ تحقيق د/ محمد رشاد سالم ، دار الكنوز الأدبية
٢- أنظر: كتب التفاسير ألتي أشرناإليها في الصفحات السابقة
٣- سورة ابراهيم آية (١١)
٤- أنظر: شرح العقيدة الطحاوية : على بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي ص ١٥، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، نشر مكتبة البيان - دمشق ط ١٤٠١/١هـ.

من الكتاب والسنة المطهرة، فأين الدليل على إيجاب النظر لعموم الخلق ؟ ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾(١) إن ما أوجبوه على الكل قد تكون قضية بديهية عند البعض لاتحتاج إلى نظر وهذا هو الواقع، وبناءاً على ذلك فالقضية الكلية إذا كانت بديهية عند البعض سلبت عنها الكلية وأصبحت جزئية، فلا دليل على إيجاب النظر على الكل.

وخلاصة القول في هذا الموضوع، أن أول واجب على المكلف هو الشهادتين، لتضافر الأدلة الصريحة من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ أما النظر فليس هو بواجب على الكل وإنما هو واجب على من لايتأتى منه الشهادتين .

ونخرج من هذا التمهيد أن منهج أهل السنة والجماعة يختلف عن منهج الفلاسفة والمتكلمين في تقرير أمور الاعتقاد في الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، وفي تحديد أول الواجبات على المكلفين . ومن هنا ندرك سبب ذم السلف للفلسفة والكلام والمشتغلين بهما، وسبب تحذيرهم للمسلمين منها ومن المشتغلين بها (٢).

١- سورةالنمل آية ٦٤

٢- أنظر مجموع الفتاوى: أحمد بن تيمية ج٢/٥-٢٥، ج ٩/٥، ج ٤٧١/٧، ج ١٥٠/١٢، ٢٨٠-٢٨٥، ج ١٦٣/٩-١٧٣، الرد على المنطقيين، للمؤلف ص ٨٨-٩٨، تجديد علوم الدين: وحيدالدين خان ص ٦٢، القاهرة. تجديد في المذاهب الكلامية: د/عاطف العراقي ص ٣٨، دار المعارف ، القاهرة، ط ١٩٨٣/٥م. الفتاوى الحديثية : أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي ص ٢٠٤، ط١٣٩٠/٣هـ، القاهرة. صون المنطق: السيوطي ص ٢٠٢، تحقيق د/على سامي النشار، دار الكتب العلمية بيروت، حوار بين الفلاسفة والمتكلمين: د/حسام الألوسي ص ١٠ - ١٨ ، المؤسسة العربية للدراسات ، والنشر ، بيروت ط ١٤٠٩/٢هـ. فضل علم السلف على

والذي يعنينا هنا هو هل ستكون نتائج دراسات الفريقين لأزلية وأبدية أفعال الله تعالى واحدة ؟ أم أنها ستختلف كما اختلف منهجهم في الإيمان بالله ورسوله ؟ وكما اختلف المنهجين في تحديد الوسائل والدلائل ؟

هذا ما سنعرفه في الفصول القادمة . بإذن الله تعالى والآن ننتقل إلى الفصل الأول لنتعرف علىتعريفات الأزلية والأبدية في اللغة وفي الاصطلاح وآراء الفرق الخائضة فيهما.

الخلف: ابن رجب الحنبلي ص ٢٤، تحقيق محمد عبدالحكيم القاضي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، مختصر الصواعق المرسلة، لابن قيم الجوزية ص ٨٣، اختصار محمد الموصلي دار الكتب العلمية بيروت ط١/١٤٠٥هـ، التدمرية: أحمد بن تيمية ص ١٢ تحقيق د/ محمد بن عودة السعدي، درء تعارض العقل والنقل ، للمؤلف ج ٣٨/١ - ٤٣، تحقيق د. محمد رشاد سالم، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين جـ٣/١٨-٢١.

الفصل الأول : مفهوم الأزلية والأبدية

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : معنى الأزلية والأبدية في اللغة

المبحث الثاني : معنى الأزلية والأبدية في الاصطلاح

المبحث الأول : معنى الأزلية والأبدية في اللغة

ويشتمل على مطلبين : -

المطلب الأول : معنى الأزلية في اللغة

المطلب الثاني : معنى الأبدية في اللغة

المبحث الأول : معنى الأزلية والأبدية في اللغة :-

بعد أن بينت في التمهيد السابق مفهوم أهل السنة والجماعة وأهم مناهجم في تقرير أمور العقائد وأول الواجبات عند المتكلمين وعند أهل السنة والجماعة أود هنا أن أبين أهم التعريفات والإطلاقات اللغوية والاصطلاحية لمفهوم .الأزلية والأبدية مع بيان مدى الارتباط بينهما في اللغة في أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته وأراء الفرق الخاصّة فيها. نبدأ بالاطلاقات اللغوية.

المطلب الأول: معنى الأزلية في اللغة:-

الأزلية : مصدر صناعي من الأزل ، وهو في اللغة الضيق والحبس ، وأزلوا مالهم عن المرعى يأزلونه، إذا حبسوه.

والأزل في قولهم : (أفسد المال الأزل) بمعنى الجدب .

والإِزْلُ : بالكسر الكذب.

وأنشد ابن العربي :

يَقُوْلُوْنَ إِزْلُ حُبِّ لَيْلَىَ وَذِكْرَهَا   وَقَدْ كَذَبُوْا مَافِيْ مَوَدَّتِهَا إِزْلُ.

والأَزَلُ : القِدَمُ ، تقول هو أزلي .

يقول الحسين بن أحمد بن فارس اللغوي : (وأرى الكلمة ليست بمشهورة، فيما أحسب أنهم قالوا للقديم: لم يزل، ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا بالاختصار، فقالوا : يزلي ثم أبدلت الياء ألفاً، لأنها أخف فقالوا أزلي .... (١).

وتَأَزَّلَ : بمعنى ضاق.

والآزِلُ : المحبوس لوجع أو خوف .

١- معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا ج١/٩٤، تحقيق ودراسة زهير عبدالمحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة بيروت ط ١٤٠١/١هـ

والأزْلُ : شدة الزمان، وضيق العيش.

والأزَلُ : القديم ومالا أول له.

والأزَلِيُّ : القديم العريق ، ومالا أول له.(١).

المطلب الثاني : معنى الأبدية في اللغة :-

الأبدية : مصدر صناعي من الأبَدْ، والأَبَدُ: الدهر وجمعه آبَادْ، وأبُود.

يقال : لا أفعل ذلك أبد الآبدين ، وأبد الآباد: أي مدى الدهر.

وفي المثل طال الأبد على لبد .

وأبداً : ظرف زمان للمستقبل ، يستعمل مع الإثبات والنفي ويدل على الاستمرار ومنه قوله تعالى : ﴿ خالدين فيها أبدا ﴾ (٢)وقد يقيد : ﴿إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها ﴾ (٣).

والأبدي : هو الذي لا آخر له . (٤).

والأبـد : هو الدائم .

والتأبيد : التخليد (٥).

والأَبَـدُ : الرجل العظيم الخلق (٦).

١- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية - القاهرة، اخراج د/ ابراهيم مدكور وزملاؤه. ط ادارة احياء التراث الإسلامي - قطر - مكتبة البحث العلمي جامعة أم القرى رقم / ١٩٧١١، لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور ، جـ ١٤/١١، دار صادر بيروت ط/ ١٣٨٨هـ مكتبة البحث العلمي ١١٣٧١.

٢- سورة البينة آية (٨).

٣- سورة المائدة آية (٢٤)

٤- المعجم الوسيط : ٢/١.

٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : اسماعيل بن حماد الجوهري ، جـ ٢/ ٤٣٩، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت ط ١٣٩٩/٢هـ . مكتبة البحث العلمي جامعة أم القرى ١٤٨٨٣.

٦-معجم مقاييس اللغة : لابن فارس ١١١/١

المبحث الثاني : معنى الأزلية والأبدية في الإصطلاح :-

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : معنى الأزلية والأبدية عند الفلاسفة

المطلب الثاني : معنى الأزلية والأبدية في اصطلاح المتكلمين ومناقشتهم .

المطلب الأول : معنى الأزلية والأبدية عند الفلاسفة

ويشتمل على مسائل :

الأولى : رأي الماديين للأزلية والأبدية

الثانية : تحليل وتعقيب

الثالثة : رأي المانوية والثانوية

الرابعة : تحليل وتعقيب

المطلب الأول : معنى الأزلية والأبدية عند الفلاسفة :-

بعد أن عرفنا المدلول اللغوي لكلمتى الأزلية والأبدية، نود أن نعرف مدلولهما في الاصطلاح عند الفلاسفة.

المتأمل في المعاجم الفلسفية يجد أن الفلاسفة لا يفرقون بين الأزلية والأبدية، فهم يدمجونها تحت تعريفاتهم للأبد، ويقسمون الأبد إلى قسمين :
الأول : دوام الوجود في الماضي فيسمونه أزلا .
الثاني : دوام الوجود في المستقبل فيسمونه أبدا .(١).

إذاً فمعنى الأزلية والأبدية عندهم : هو الأبد، وهو الزمان الذي ليس له إبتداء ولا إنتهاء.
أو هي : المدة الزمنية التي لا يتوهم إنتهاؤها بالفكر والتأمل .
أو هو : الشيئ الذي لانهاية له.
ويقسمون هذا الأبد إلى قسمين :-
١ - الأبد الزماني . ٢ - الأبد اللازماني.

فالزماني : هو المدة التي ليس لها حد محدود في الماضي والمستقبل أو هو الزمان الدائم الذي ليس له إبتداء ولا إنتهاء.
يقول الدكتور جميل : عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، معلقا على التعريف السابق : (وهو بهذا المعنى صفة من صفات الله تعالى كان ، وسيكون دائما... ولافرق بين الأزل والأبد بالنسبة إلى الله تعالى لأن أبده عين أزله،

١- المعجم الفلسفي : د / جميل صليبا ٢٩/١، دار الكتاب اللبناني بيروت ط ١٩٨٢م.

وأزله عين أبده بل الأزل والأبد بالنسبة إليه صفتان أظهر تهما الاضافة الزمانية لتعقل وجوب وجوده، وإلا فلا أزل ولا أبد، كان الله ولم يكن شيئ قبله)(١).

أما الأبد اللازماني عند الفلاسفة فيعرفونه بأنه : هو المطلق، أو الشيئ الذي لا نهاية له، وهو مقابل للزمان، فكل حادث وكل موجود متناه هما في الزمان. أما الموجود الأبدي فليس حادثا. وليس له قبل ولا بعد بل هو الحاضر الأبدي فليس حادثا، وهو فوق الزمان.(٢).

وهذا الأبد اللازماني : يقسمونه إلى قسمين :-

١ - الوجود .

٢ - الكون .

فالأشياء المتناهية عندهم : هي التي توصف بالكون.

أما المطلق عندهم : فهو الذي لايوصف إلا بالوجود. وهو مادل على واحد غير معين (٣)والوجود ليس له ماض ولا مستقبل ولكنه في حاضر لايزول. وأخذ أفلاطون وأرسطو هذه الفكرة وصاغاها في صياغة جديدة وقالا :

الموجود الكامل: هو الذي لايتكون ولا يتغير وهو واحد أبدي لا حركة له ولا تغيير في وجوده، وهو التام الغير منقسم ولا صلة له بالزمان، أما الموجودات غير الكاملة فتولد وتتغير وتتكون دون انقطاع وهي في الزمان (٤).

١- المرجع السابق، ٣٠/١.

٢- المرجع السابق : ٣٠/١

٣- المرجع السابق، وانظر التعريفات : للسيد الجرجاني ص ٢٨٠،والوجود عند غيرهم من أصحاب وحدة الوجود بمحاق أوصاف البشرية، ووجود الحق ، لأنه لابقاء للبشرية عند ظهور سلطان الحقيقة. قال الجنيد علم التوحيد مباين الوجود، ووجود التوحيد مباين لعلمه، فالتوحيد بداية، والوجود نهاية، والوجد واسطة بينهما . انظر كتاب التعريفات ص ٣٢٤.

٤- المعجم الفلسفي : د/ جميل صليبان ٢٩/١.

ونخلص مما سبق أن الفلاسفة قد اتفقوا على قضايا في مفهوم الأزلية والأبدية يمكن أن نختصرها في الفقرات التالية :-

١ - أن الأبد هو الزمان الذي ليس له إبتداء ولا إنتهاء ويشتمل على الأزل.

٢ - أن الأبد ينقسم إلى قسمين :

أ / أبد زماني : وهو المدة التي ليس لها حد محدد في الماضي والمستقبل، أو هو الزمان الدائم ليس له إبتداء ولا إنتهاء.

ب / أبد لا زماني : وهو المطلق أو الشيئ الذي لا نهاية له.

٣ - الموجود الكامل : هو الذي لايتغير ولا يتكون واحد أبدي، تام غير منقسم.

٤ - موجود غير كامل : هو الذي لايتغير و يتكون دون انقطاع وهو في الزمن.

وهذا المفهوم سيتضح لنا أكثر عندما نتعرف على أرائهم في أفعال الله تعالى من ناحية أزليتها وأبديتها.

٥ - أنهم لايفرقون بين الأبد الزماني ، والموجود الكامل، فكلاهما متصفين بالدوام وعدم المحدودية في الزمان وليس لهما ابتداء ولا انتهاء إلا أن الموجود الكامل يفترق عن الأبد الزماني بأنه واحد أبدي لا حركة له ولا يتغير ولا يتكون.

بمعنى أنهم يجعلون معاني الأزلية والأبدية، تنطبق على الأزلي والأبدي الذي هو الفاعل الكامل، ويجعلون أيضا هذه المعاني تنطبق على المفعولات .

يقول الدكتور جميل صليبا: (وعلى ذلك فالواحد بين الأبد والزماني ليس بالرتبة والمقدار، كالفرق الذي بين العدد الغير متناهي والعدد المتناهي، أو إنما هو بالطبع لأن أحدهما غير منقسم، والآخر منقسم إلى غير نهاية وليس بينهما مقياس مشترك، وعلى ذلك أيضا يمكن أن يوصف العالم والزمان بأنهما لا

ابتداء لهما ولا انتهاء)(١).

ولهذا فإنهم يقولون بأن العالم قديم وأن الفعل مساوق مع الفاعل وهذا الأمر سيتضح أكثر في الفصول القادمة (٢).

ونفس هذه الفكرة إقتبسها الفلاسفة الإسلاميون فتبنوا نظرية العلة التامة. وكان من أهم تصوراتهم لواجب الوجود أنه علة تامة أزلية لا يقوم بذاته حادث وأنه ثابت لايتغير. وكان من نتائج هذه التصورات القول بقدم العالم، والقول بعدم علم الله تعالى بالجزئيات ، والقول بنفي قيام الصفات والأفعال بذات الله تعالى بالكلية لأنها تقتضي المغايرة والحركة والحدوث (٣).

واقتبستها أيضا الصوفية من أصحاب وحدة الوجود والحلول والإتحاد وقالوا بالوجود المطلق، والإتحاد وغيره.... ومن هنا ندرك إلى أي مدى إنحرف مفهوم الأزلية والأبدية عند هؤلاء. (٤) وإذا كان الفلاسفة قد اصطلحوا على هذه المفاهيم في الأزلية والأبدية فماهي آراء الماديين الطبيعين الدهرين لمفهوم الأزلية و الأبدية ؟

رأي الماديين للأزلية والأبدية : -

يقول الماديون : «إنه ليس للكون نهاية ولاحدود، العالم أبدي، وليس له أي بداية ولن يكون له أي نهاية. ومن هنا فأي عالم غيبي غير مادي، غير موجود ولايمكن

١- المعجم الفلسفي : ٢٩/١

٢- أنظر الفصل الثالث من الرسالة ص٢٦٥-٢٨٤

٣- أنظر : آراء أهل المدينة الفاضلة: الفارابي ص ١٨-١٩. ، مقاصد الفلاسفة : الإمام الغزالي ص ٢١٥، تحقيق : د. سليمان دنيا طبق دار المعارف . القاهرة ١٩٦١م.

٤- أنظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢٩٤/٢ - ٢٠٠، منهاج السنة النبوية ١٢١/٢ - ١٢٥ تحقيق د/محمد رشاد سالم ط ١٤٠٦هـ

أن يوجد. وفي واقع الأمر أنه إذا لم يوجد شئ غير المادة، فلايوجد غير عالم مادي واحد . وهذا يعني أنه عند الأشياء والظواهر المختلفة في العالم المحيط بنا هناك خاصية واحدة توحدها، هي ماديتها» (١)

ويقول في مقام آخر : «وجدت الطبيعة ليس فقط قبل الناس وإنما عموما قبل الكائنات الحية وبالتالي مستقلة عن الإدراك وهي: الأولية . أما الإدراك فلم يستطع التواجد قبل الطبيعة فهو ثانوي».

ويقول عالم آخر من علماء المادة والطبيعة إسمه: لوموسف في قانونه عن بقاء المادة «إنه في الطبيعة لاينشأ شئ من لاشئ ولايختفي أبدا بلا أثر ولكن إذا كان الأمر كذلك فإن المادة والطبيعة قد وجدت دائماً، لأننا إذا سلمنا بأنه في وقت من الأوقات لم يكن هناك شئ في العالم أى لم تكن توجد مادة ، فمن أين لها أن تنشأ ؟ ولكن ما إن توجد المادة فهذا يعني أنها لم تنشأ في أي وقت من الأوقات بل وجدت دائماً وستوجد دائماً فهي أبدية وخالدة.

ولهذا لم يمكن أن تخلق فلا يمكن أن يخلق مالا يمكن إفناؤه. وبذلك فالمادة لم تنشأ أبداً، بل وجدت دائماً وستوجد دائماً فهي أبدية..» (٢).

ويظهر من أقوال هؤلاء أنهم جعلوا المادة خالقة إكتسبت صفة الأزلية والأبدية وأنه لم يعد هناك مجال للتفكير في الإله القديم المتوارث ولامكان له في الوجود ويتبنون هذه الأفكار في نظريات علمية وأن العلم يؤيدهم في صحة ما يعتقدونه كما يزعمون.

يقول ماركس: «إن العزة الإلهية والهدف الإلهي هي الكلمة الكبيرة المستعملة

١- أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية سيركين ويأخوت . ترجمة محمد الجندي ، نشر : دار التقدم موسكو ص ٣٩.

٢- المرجع السابق ص ٣٠ - ٣١.

اليوم لتشرح حركة التاريخ والواقع أن هذه الكلمة لاتشرح شيئا» (١) .

ويقول آخرون: من آئمة المادية التاريخية : «إن العلم إذ يكشف عن الصلات الطبيعية بين ظواهر الطبيعية، يطرد في تطوره الإله من الطبيعة، ويدحض خطأ المثالية، ويؤيد صحة النظرة المادية إلى العالم، والعلم يتفق مع المادية في بحثه عن الحقيقة في الحياة ذاتها، وفي الطبيعة، وهذا مايدل على أن العلم الحقيقي هو ذو طابع مادي. إن العلم مادي بطبيعته وبجوهره، والمثالية غريبة عنه وعدوة له» (٢).

يقول الشيخ محمد قطب/ فواضح أنهم يعتبرون المادة هي الأصل الذي إنشقت منه كل الكائنات الحية، وغير الحية ، بما في ذلك الانسان . وأنشأ كل مايحتوى عليه عالم الإنسان من أفكار ومشاعر.

أما المادة ذاتها فلم تخلق ، إنما كانت دائما موجودة وستظل دائما موجودة أى أنها أزلية أبدية موجودة بذاتها ومنشئة لغيرها.

وأما الله الأزلي الأبدي الخالق البارئ المصور المريد الفعال لما يريد فهو عندهم خرافة إبتدعها خيال الإنسان . والحقيقة الوحيدة هي المادة ، والوحدة التي تجمع الكون هي ماديته » (٣) .

ويقول الدكتور عبد المعطي : «إن الأزلي كما هو مجمع عليه عند العقلاء لابد أن تتوفر فيه الشروط التالية: -

١ - أن يكون وجوده من ذاته ومتوقفا على ذاته . ومن ثم فإنه يكون مستغنيا في

١- بؤس الفلسفة: لكارل ماركس. ترجمة أندرية يازجي . ط. ٢ . نشر دار اليقظة العربية ومكتبة الحياة سوريا ، لبنان ١٩٦٧م ص ١٢٢

٢- المادية التاريخية . ف . كيلي، م . كوفالزون، ترجمة : أحمد داود، مراجعة د. بدر الدين السباعي ، نشر : دار الجماهير. دمشق ١٩٧٠م ص ٥

٣- مذاهب فكرية معاصرة . محمد قطب . ط. الثالثة ١٤٠٨هـ . نشر : دار الشروق ص ٢٧٢.

وجوده وفي بقاء هذا الوجود واستمراره عن غيره، ولايستطيع غيره أن يؤثر عليه . في إيجاد أو تحويل أو اعدام.

٢ - أن يكون قديما لابداية له ، لأنه لوكانت له بداية لكان محدثا من العدم فلايكون أزليا.

٣ - أن يكون باقيا لانهاية له ، لأنه لوكانت له نهاية لكان هناك من يستطيع إفناءه.

والماديون يسلمون بهذه الشروط الواجب توفرها فيما هو أزلي، ولكنهم يحاولون تطبيقها على المادة ويزعمون أنها أزلية فهل المادة كذلك ؟ (١) .

تحليل وتعقيب :

لطالما يتمسك الماديون المنهج العلمي، في سائر علومهم ونظرياتهم ودراساتهم، فكم كنت أود أن يظهر هذا المنهج العلمي الذي دائما مايدعون إليه هم وخاصة في هذه القضية التي خاضوا فيها كثيرا، ولكن هل الشروط السابقة التي هي من خصائص الأزلي تتفق مع المادة التي اطلقتم عليها صفات الأبدية الأزلية والسابقة في الوجود قبل الفكر وقبل وجود الانسان؟

إن قلتم نعم إن هذه الخصائص تتفق كلها مع المادة . فنقول لكم أين الدليل العلمي على ذلك ؟ ومن الذي أخبركم بأنها سابقة على الفكر في الوجود ؟ وأين الشهود الذين شاهدوا المادة وهي تخلق ؟ وكيف ومتى خلق الانسان ؟ مع أنكم تقولون « إن الانسان من نتاج المادة» ثم كيف يكون هذا الانسان الذى هو من نتاج المادة الذي هو يسيطر عليها ويتحكم فيها مع أنها هي التي أوجدته ؟

١- الماركسية في مواجهة الدين ، حقائق ووثائق، د. عبد المعطي محمد بيومي ص ٢٥ - ٢٦.

طبع ونشر : دار الأنصار جمهورية مصر العربية.

ثم أنتم الذين تقولون إن تطور العلم وخصوصا الإكتشافات الثلاثة في العلم الطبيعي : قانون حفظ الطاقة ، ونظرية التكوين الخلوى للكائنات الحية ، ونظرية التطور لداروين كانت المقدمات العلمية لانتصار النظرية المادية الجدلية عن العالم التي وضعها كارل ماركس وفردريك إنجلز .

فنقول لكم كيف تطورت المادة فجأة إلي مادة حية وليست كل المادة. بل مادة بسيطية والتي شاهدها داروين ؟ هل من دليل علمي على تطور المادة؟

ولماذا توقفت المادة الآن عن التطور إلى مواد وخلايا حية من جماد إلي حياة؟

ولماذا أيضا توقف التطور إلى حد الانسان ؟

لماذا لم تتطور إلى ما هو أعلى من الإنسان ؟ مع أن التطور قانون من قوانين المادة والقوانين لا تتوقف عن العمل وإلا فهي ليست بقوانين . وهل يعقل أن التطور يحدث مرة واحدة فقط في المادة؟ أسئلة لانجد لها جوابا ولاهم يجدون لها جوابا إلا القول إن هناك أيدى خفية عملت لنشر الإلحاد في الأرض ولتطبيق مخطط شيطاني في الأرض لإستعمار البشرية ولكى تتسفل بالبشرية إلى أسفل السافلين ويستمروا في مخططهم الشيطاني حتى يشبوا بعقيدة جديدة ولاؤها للمادة والحياة فقط، فلا خالق لهم، ولارقيب لهم، ولابعث ولانشور، وإنما هذه الحياة الدنيا فليتمتعوا بها وليطلقوا العنان لشهواتهم وغرائزهم كما يشاؤون مادام لابعث ولا نشور ولا حياة أخرى ثانية.

أما الأدلة: على وجود الله الخالق المالك الحق جل جلاله فهي كثيرة في كتاب الله « سواء كانت عقلية أو نقلية » يوجهها الله تبارك وتعالى على شكل أسئلة يسأل هؤلاء المنحرفين الملحدين المنكرين لوجود الله والسالبين عن الله صفاته الأزلية فيقول لهم ﴿أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءاً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ؟ أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون. أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً

وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين جاحزاً؟ أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لايعلمون * أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله ؟ قليلاً ماتذكرون * أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته ؟ أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون * أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (١).

﴿أم خلقوا من غير شيئ أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض ؟ بل لايوقنون ﴾ ﴿أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون ﴾(٢).

فهذا الإله الحق لم يزل يمهل لهم، ولم يزل يثبت لهم الآيات والدلائل على إثبات وجوده سبحانه وتعالى، وأنه الإله الحق المستحق للعبودية والألوهية والربوبية، مع ما هو مسطر في كتابه الكريم، كما قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيئ شهيد ﴾ (٣)، ومع تزايد المنحرفين من الماديين والدهريين، نبع من بينهم من علماء النبات والحيوان وغيرهم من أثبت وحدانية الله تعالى بعد بحوثات علمية صحيحة، واعترفوا من صميم قلوبهم بأنه يجب أن يكون لهذا الكون إله واحد أحد فرد صمد قادر قاهر، هو خالق المادة والطبيعة .

يقول رسل تشارلز ارنست: استاذ الأحياء والنبات بجامعة فرنكفورت بألمانيا/ «الواقع الذي ينبغي أن يسلم به هؤلاء جميع الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بفشل وخذلان ذريعين... ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لايستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع ، على أن

١- سورة النمل آية «٦٠ - ٦٤»

٢- سورة الطور آية : (٣٥، ٣٦، ٤٣)

٣- سورة فصلت آية (٥٣)

مجرد تجمع الذرات و الجزئيات من طريق المصادفة ،لايمكن أن يؤدي إلي ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية. وللشخص مطلق الحرية في أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة ، فهذا شأنه وحده ! ولكنه إذ يفعل ذلك فإنما يسلم بأمر أشد إعجازاً أو صعوبة على العقل من الإعتقاد بوجود الله ، الذي خلق الاشياء ودبرها... » .

ثم يقول : «... إنني أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها، وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته شهادة تقوم على الفكر والمنطق. ولذلك فإنني أومن بوجود الله إيماناً راسخاً» (١).

ويقول : « ألبرت ماكوب ونشسترن المتخصص في علم الأحياء:-

«أنظر إلى البرسيم الضئيل وقد نما على أحد جوانب الطريق . فهل تستطيع أن تجدله نظيراً في روعته بين جميع ما صنعه الإنسان من تلك العدد والآلات الرائعة؟ إنه آلة حية تقوم بصورة دائبة لاتنقطع آناء الليل وأطراف النهار، بآلاف من التفاعلات الكيماوية والطبيعية، ويتم ذلك تحت سيطرة البروتوبلازم - وهي المادة التي تدخل في تركيب جميع الكائنات الحية. فمن أين جاءت هذه الآلة الحية المعقدة ؟

إن الله لم يضعها هكذا وحدها . ولكنه خلق الحياة وجعلها قادرة على صيانة نفسها، وعلى الإستمرار من جيل إلى جيل، مع الاحتفاظ بكل الخواص والمميزات التي تعيننا على التمييز بين نبات وآخر... إن دراسة التكاثر في

١- الله يتجلى في عصر العلم : مجموعة من العلماء الأمريكيين ، الدمرداش سرحان. مؤسسة الحلبي للنشر القاهرة. ص«٧٧»

الأحياء تعتبر أروع دراسات علم الأحياء وأكثرها إظهاراً لقدرة الله» (١).

ويستطرد إدوارد لوثر في رده على القائلين بأزلية المادة والطبيعة:-

«ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأي الأخير، فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لايمكن أن يكون أزليا فهنالك إنتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلي الأجسام الباردة ولايمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة إلي الأجسامْ الحارة. ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وَتنبض فيها الطاقة ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيماوية أو طبيعية ولن يكون هنالك أَثر للحياة نفسها في هذا الكون. ولما كانت الحياة لاتزال قائمة، ولاتزال العمليات الكيماوية والطبيعية تسير في طريقها فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لايمكن أن يكون أزليا ولا استهلكت طاقته منذ زمن بعيد، وتوقف كل نشاط في الوجود. وهكذا توصلت العلوم. - دون قصد إلي أن لهذا الكون بداية. وهي بذلك تثبت وجود الله، لأن ماله بداية لايمكن أن يكون قد بدأ بنفسه ولابد له من مبدئ، أو من محرك، أو من خالق، هو الإله. ولايقتصر ماقدمته العلوم على إثبات أن لهذا الكون بداية...» (٢).

ويقول جون كليفلان كوثران: «تدلنا الكيمياء على أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة وعلى ذلك فان المادة ليست أبدية ومعنى ذلك أنها ليست أزلية إذ أن لها بداية. تدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية بل حدث بصورة فجائية وتستطيع العلوم أن تحدد لنا الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد. وعلى ذلك فإن هذا العالم المادي لابد أن

١- نفس المصدر السابق ص «١٠٥»

٢- الله يتجلى في عصر العلم ص ٢٧.

يكون مخلوقا...» (١) .

ومن هنا نقول: إن المادة ليست أزلية أبدية، إنها ليست دائمة الوجود، إن لها بداية ولها نهاية، إنها وجدت بعد العدم. الله تعالى هو الذي أوجدها بمافيها من خصائص وتراكيب لكن ليست هي الخالقة وليست هي السابقة على الوجود. نعم الانسان فيه تراكيب ومواد من نفس المادة لكن الله الذي خلقه، وفطره، قبضة من الطين ونفخة من روح الله.هو الذي خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون.

ثم يجب على العاقل الايمان بالله الخالق،الذي خلق المادة والطبيعة والكون بأكمله وأن الاعتراف بوجود خالق مدبر حكيم قادر لايكفي أبدا، بل لابد من الإذعان والاستجابة الكاملة الصادقة لكل ما أمربهومانهىعنه سبحانه وتعالى، ومن الإستجابة الصادقة لله تعالى إتباع الرسول المرسل من عند الله الذي أرسله هاديا ومبشرا وداعيا للناس أجمعين إلي كيفية عبادة الله سبحانه وتعالى، فطاعة الرسول والإيمان به وإتباع ماجاء به من طاعة الله تعالى.

يقول / الشيخ عبدالرحمن الميداني: « أما البرهان على أن هذا الكون حادث وليس بأزلي ماتقدمه لنا الفلسفة القديمة والقوانين العلمية الحديثة . فالأدلة العقلية الفلسفية تثبت لنا حدوث العالم من ظاهرة التغير الملازمة لكل شئ فيه ، وذلك لأن التغير نوع من الحدوث للصورة والهيئة والصفات ، وهذا الحدوث لابدّ له من علّة، وتسلسلاً مع العلل للمتغيرات الأولى سنصل حتماً إلى نقطة بدء نقرر فيها أن هذا الكون له بداية في صفاته وأعراضه وفي ذاته ومادته الأولى.

١- المرجع السابق ص «٢٥»

وحينما نصل إلى هذه الحقيقة لابد أن نقرر أن خالقا أزليا لايمكن أن يتصف بصفات تقتضي حدوثه، وهذا الخالق هو الذي خلق هذا الكون وأوجده بالصفات التي هو عليها..» (١).

ويقول الدكتور أحمد عوايشة: بعد هذه الأدلة القرآنية التي أثبتت بشكل علمي عقلي«إن الكون وما فيه مخلوق حادث لله سبحانه وتعالى ، حيث لم يكن ثم كان بقدرته سبحانه وتعالى ، وذلك لأنه مخلوق من العدم ، والعدم لايمكن عقليا وعلميا أن يكون هو الأصل في الوجود ، ولابد له من إله أوجده يتصف بصفات الكمال والأزلية . ثم إن كل شئ في هذا الكون ممكن أن يكون على غير الوضع الموجود عليه وقد ثبت من خلال البحث أن جميع الممكنات محتاجة إلى الخالق الحكيم . كما أن الإتقان المدهش في هذا الكون ، لابد أن يصدر عن إله عظيم..» (٢) .

ونكتفي بهذا القدر في تحليلنا لآراء الماديين في مفهوم الأزلية والأبدية، ونخرج من هذا خطأ إدعاءهم، وزيف نسبتهم للمادة والطبيعة بالأزلية والأبدية. وننتقل إلى فريق آخر من الذين وصفوا شيئاً آخر من الحوادث والمخلوقات بصفات الأزلية والأبدية.

١- صراع مع الملاحدة حتى العظم. عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني طبع ونشر دار القلم بيروت ١٣٩٤ ص «١٠٥- ١٠٦»

٢- موقف الإسلام من نظرية «ماركس للتفسير المادي للتاريخ . د/أحمد العوايشة ط الثانية ١٤٠٤ هـ . نشر المكتبةالإسلامية - الأردن ص ٢٧٤.

رأي المانوية والثانوية في الأزلية والأبدية :-

ممن تكلم في الأزلية والأبدية الثانوية أصحاب الإثنين الأزليين الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليتان قديمتان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه. وزعم حكيم المانوية «ماني بن فاتك الحكيم» : أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنهما أزليان ، لم يزالا ولن يزالا ، وأنكر وجود شئ إلا من أصل قديم وزعم أنهما لم يزالا قويين حساسين ، داركين سميعين ، بصيرين،و أن النور مقدم على الظلمة . فالنور إله الخير وأنه جوهر حسن فاضل كريم صاف نقي ....» (١).

فهذا مثال لإنحراف قوم عن الهدى وعبادة الله الواحد القهار الذي خلق النور والظلمة وخلق السموات والأرض وفطرهما على أحسن هيئة ، وفطر سائر المخلوقات. فانحرف هؤلاء و ضلوا الطريق، وعبدوا النور وأطلقوا لها الصفات الأزلية والأبدية، ومزجوا الدين بين المجوسية والنصرانية، مع أنهم يعترفون بنبوة عيسى عليه السلام ولايعترفون بنبوة موسى عليه السلام ومن أشنع أخطائهم وإفتراءاتهم أنهم قالوا: إن النور مازال ولم يزل يولد الملائكة والآلهة والأولياء لاعلى سبيل المناكحة بل كما تتولد الحكمة من الحكيم.

ويقولون أن النور فعله الخير والصلاح والترتيب والنظام والإتقان.

وأن الظلمة لم تزل تولد الشياطين والعفاريت ولم تزل تفعل الشر والفساد والضرر والغم والتشويش والتبتير والإختلاف إلي آخر مازعموا من إفترآتهم الباطلة.(٢)

١- أنظر التفصيلات في : الملل والنحل : محمد عبد الكريم الشهرستاني ص ٢٤٥ - ٢٤٨. ط . دار الفكر. لبنان، الفصل في الملل والأهواء والنحل : لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم جـ١ / ٨١، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ط ٢/ ١٣٩٥هـ، كتاب التوحيد : للإمام أبو منصور الماتريدي . ص ١٧٢ - ١٧٦، تحقيق : د/ فتح الله خليفة، ط / دار الجامعة المصرية - القاهرة ص ١٧٢ - ١٧٦

٢ - المراجع السابقة.

تحليل وتعقيب : -

أما الرد على هؤلاء الذين أشركوا مع الله ووقعوا في الخطأ والشرك العظيم والضلال المبين حيث أنهم إتخذوا إلهين من دون الله يؤمنون بأحدهما ويكفرون بالآخر مع الإعتراف أن الثاني له القدرة في الإفساد والطغيان في الأرض فنقول لهم على حسب زعمهم بإلههم الذي يؤمنون به وهو النور الذي تولد منهُ الآلهة والملائكة.

نقول لهم أين الدليل على ماتقولونه وتفترون على الله الكذب ؟

وهل عندكم من دليل بأن هذا النور هو الذي يسير الأفلاك ويدبر الأمر ؟

وهل عندكم من برهان على أن النور خالق وليس بمخلوق؟

وهل عندكم من حجة تحتجون بها على أن النور متكفل بالرزق والإحياء والإماتة وله القدرة على جلب النفع ودفع الضر للناس ؟

وهل عندكم من آية وبينة على أن النور والظلمة إلهين من دون الله يمتلكان صفات الإرادة والقدرة والعلم والبصر والسمع والكلام وسائر صفات الكمال التي لاينبغي إلا أن تكون للخالق الحكيم ؟

بالتأكيد أننا لن نجد الأجوبة الشافية السليمة على هذه الأسئلة وصدق الله إذ يقول:

﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم مآ أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ (١).

ويقول الله تعالى ﴿يا أيُها النّاسُ ضُرِبَ مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضَعُفَ الطالبُ والمطلوب * ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز * الله

١- سورة النجم آية ٢٣.

يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير * يعلم مابين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور﴾ (١) .

ويقول سبحانه وتعالى مخاطبا هؤلاء المشركين الذين توجهوا لغير الله بالعبادة والتذلل والتعظيم وهم لايستحقون ذلك لأنهم لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضراً فكيف بغيرهم والله سبحانه هو القادر على ذلك قال تعالى ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون * أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءاً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾ (٢).

ويصور الله سبحانه حالة المشركين مع آلهتهم كمن يقف بجانب النهر ويمد يديه إلى الماء ويطلب الماء ليبلغ إلى فيه فهل يصل الماء إلى الفم؟ فكذلك حال هؤلاء مع آلهتم المكذوبة. لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً.

قال تعالى ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيئ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلاَّ في ضلال * ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال * قل من رب السموات والأرض؟قل الله.قل أفتخذ تم من دونه أولياء لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً؟قل هل يستوى الأعمى والبصير؟ أم هل تستوى الظلمات والنور؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيئ وهو الواحد القهار﴾ (٣).

ولهذا أنكر أهل السنة والجماعة على كفر هؤلاء القوم من صرف العبادة لغير الله وإطلاق الصفات الإلهية لغير الله تعالى ومنشأ هذه الآراء إتباع الهوى والنفس والشيطان وعدم إتباع منهج الرسل والأنبياء وعدم إعمال الفكر والعقل في هذا الكون المفطور الذي يشهد بأن الله هو الإله الواحد المستحق للعبادة والمتصف بجميع الصفات الإلهية الأزلية والأبدية.

١- سورة الحج آية «٧٣ - ٧٦».

٢- سورة النمل آية : «٥٩ - ٦٠».

٣- سورة الرعد آية : «١٤ - ١٦»

المطلب الثاني : معنى الأزلية والأبدية في إصطلاح المتكلمين ومناقشتهم

ويشتمل على مسائل : -

الأولى : معنى الأزلية والأبدية في إصطلاح المتكلمين

الثانية : التحليل والتعقيب

المسألة الأولى : معنى الأزلية والأبدية في إصطلاح المتكلمين :-

الأزلية: مصدر من الأزل، بفتح اللام والزال المعجمة وهو دوام الوجود في الماضي . وهو ماهية تقتضي اللامسبوقية بالغير ، وهو نفي الأولية. (١).

وقال الجرجاني: الأزل : هو إستمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي (٢).

أما الأزلي : فهو الذي لايكون مسبوقا بالعدم. وينقسم الموجود إلى أربعة أقسام: -

الأول : إما أن يكون الموجود أزلي و أبدي وهو الله سبحانه وتعالى.

والثاني: إما أن يكون الموجود لا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا.

والثالث : إما أن يكون الموجود أبدي غير أزلي وهو الآخرة.

والرابع : إما أن يكون الموجود أزلي غير أبدي وهذا محال وجوده لأن ما ثبت قدمه إمتنع عدمه (٣) .

أما الأبدية : فهو من الأبد: وهو إستمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل، أما الأبدي فهو مالايكون منعدما(٤).

ومما سبق نلاحظ أن المتكلمين يأخذون بالقسم الأول من تعريفات الأزلي والأبدي وهو الذي يكون وجوده أزلياً وأبدياً ويقولون بأنه هو الله سبحانه

١- كشاف إصطلاحات الفنون : محمد الفاروق التهانوي ١٢٢/١، تحقيق د/ لطفي عبدالبديع، المؤسسة المصرية للنشر - القاهرة : ١٣٨٢هـ.

٢- التعريفات : على بن محمد الجرجاني ص ٣٢ تحقيق/ إبراهيم الأبيار نشر دار الكتاب العربي - بيروت ط ١٤١٣/٢هـ

٣- المرجع السابق ص٢٠

٤- المرجع السابق ص ٢١

وتعالى، بل إنهم يأخذون هذين المصطلحين ويجعلونها صفتين لله تعالى كالبقاء بمعنى الأبدية والقدم بمعنى الأزلية.

فالبقاء: أثبته المعتزلة والأشاعرة، على أنه صفة وجودية زائدة على الوجود(١).

وأما القدم: فكذلك أثبته المعتزلة والأشاعرة على أنه صفة وجودية قديمة قائمة بنفسه ليست زائدة لأن القديم عندهم هو المتقدم في الوجود بلانهاية (٢)

ومع اتفاق المعتزلة والأشاعرة في إثبات البقاء والقدم لله تعالى إلا أن لكل واحدة من الفرقتين، لها أراؤها التي إنفردت بها عن الأخرى في التوحيد وإثبات صفات الرب تعالى وأفعاله وعلى ضوءها كانت لكل فرقة رأيها في أفعال الله تعالى.

فالمعتزلة: لما كانت هي الفرقة الأولى التي تصدرت المسلمين في إثبات وجود الله تعالى أمام الملحدين وغيرهم من الزنادقة الدهريين، أصبحوا يعتقدون أنهم هم وحدهم أهل التوحيد، وأنهم المعنيون به دون من سواهم، كما يقول

١- انظر: المغني: للقاضي عبدالجبار ٥/٢٣٦، والمحيط بالتكليف: للمؤلف ص ١٤٦، الانصاف: للباقلاني ص ٣٧، والتمهيد: ص ١٤، واصول الدين: للبغدادي ص ٩٠، والارشاد: للجويني ص ٧٨، ١٣٨، ولمع الأدلة: ص ٨٥، والاقتصاد: للغزالي ص ١٩، والمقصد الأسنى: ص ٩٦، والمحصل: للرازي ص ١٢٦، وأبكار الأفكار: للآمدي ص ٣٨٥، وشرح المقاصد: للتفتازاني ص ٢/٧٩، شرح المواقف: للجرجاني ص ١٦٧، تفسير الفخر الرازي: ٢٩/٢٠٩ - ٢١٣، الكشاف: الزمخشري ٤/٦٣ - ٦٤.

٢- أنظر: المحيط بالتكليف: للقاضي عبدالجبار ص ١٤٥، وشرح الأصول الخمسة: للمؤلف ص ١٨١، أصول الدين: للبغدادي ص ٨٨، ٨٩، الاقتصاد في الاعتقاد: للغزالي ص ١٩، المحصل: للرازي، ص ٥٧، وأبكار الأفكار: للآمدي ص ٣٩٥، وشرح المقاصد للتفتازاني: ٢/٨١، شرح المواقف: للجرجاني ص ١٧٠، التفسير الكبير: للفخر الرازي ٢٩/ ٢٠٩ - ٢١٣، الكشاف: الزمخشري ٤/٦٣ - ٦٤.

الخياط عنهم (١) ويرون أن الله سبحانه وتعالى واحد ﴿ليس كمثله شئ﴾ (٢) وأنه سبحانه وتعالى قديم ومادونه محدث (٣) وأن القدم أخص وصف لذاته الكريمة (٤) فإنهم برزوا يحاربون كل مذهب وينقدون كل قول يرون بعقولهم أنه يتعارض مع التوحيد من جعل شريك لله يشترك معه في الأزلية، أو من يشبه الله بخلقه، أو يشبه خلقه به سبحانه، فذهبوا إلى نفى جميع صفات المحدثات عن الله تعالى، وقد أورد الشهرستاني عن المعتزلة سبب إنكارهم للصفات فقال: «إن المعتزلة لاينكرون الصفات كوجوه وإعتبارات عقلية لذات واحدة، ولكنهم ينكرون إثبات صفات هي ذوات موجودات أزلية قديمة، قائمة بذاته تعالى: فإنها إذا كانت موجودات وذوات وراء الذات.

١ - فإما: أن تكون عين الذات فذاك مذهب المعتزلة...وبطل قول أهل السنة هي وراء الذات.

٢ - وأما إن كانت غير الذات فهي حادثة أو قديمة «وليس من مذهب السلف أنها حادثة» فيبقى أنها قديمة فإن كانت كذلك فقد شاركت الذات في القدم، فاصبحت آلهة أخرى. لأن القدم أخص وصف القديم، والإشتراك في الأخص يوجب الإشتراك في الأعم» (٥) ونلاحظ العلة في نفي الصفات عندهم هي من أجل تعدد القديم فلذلك لايثبتون الصفات الأزلية لله، ولايثبتون أفعال الله التى تشتق منها الأسماء والصفات. كل ذلك سببه تعدد القديم في نظرهم، وأنه يؤدي

١- الإنتصار والرد على إبن الراوندي الملحد تأليف أبوالحسين عبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي. المتوفى سنة ٢٣١ هـ تحقيق وتعليق د/ نمبرج . ط - نشر مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة . ص ١٣، ١٤.

٢- سورة الشورى آية ١١

٣- الإنتصار ص ٥ والطبرى ج ١ ص ٢٨٦

٤- نهاية الإقدام ص ١٠٢، والملل والنحل ج ١ - ص ٥١

٥- نهاية الإقدام ص ١٩٩ ، الملل والنحل ص ٤٤ ، التدمرية ص ١١٧ - ١١٩.

إلى التجسيم. لأن الله تعالى لو كان عالماً، حياً، قادراً، بعلم، وحياة، وقدرة، زائدة على ذاته وقائمة به سبحانه وتعالى، لكان جسماً. لأن العلم والقدرة والحياة تحتاج إلى محل مخصوص، والمحل المخصوص لابد أن يكون جسما. والله سبحانه وتعالى لايصح أن يكون جسما وإلا كان محدثا (١) ولوكان الله سبحانه وتعالى حيا بحياة والحياة لايصح الإدراك بها، إلا بعد إستعمال محلها في الفعل، أو في سببه فيجب أن يكون الله تعالى جسما محلا للأعراض (٢).

ويقول التفتازاني معلقاً وشارحاً للقضية : «قالت المعتزلة إن إثبات الصفات إبطال «التوحيد» لما أنها موجودات قديمة مغايرة لذات الله تعالى، فيلزم قيام غير الله تعالى، وتعدد القدماء،وقد كفرت النصارى بإثبات ثلاثة من القدماء، فما بال الثمانية، أو أكثر(٣)» ...

والصفات إما أن تكون حادثة فيلزم قيام الحوادث بذاته تعالى وإما أن تكون قديمة فيلزم تعدد القدماء وهو كفر بإجماع المسلمين وقد كفرت النصارى بزيادة قديمين فكيف بالأكثر (٤) ولهذا يستدل القاضي عبد الجباربالآية ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة...﴾ «وهو معنى قولهم إذْ أثبتوا إبناً و أباً وروحاً قديمات وعلى هذا يقال في هؤلاء المشبهة إنهم يثبتون معبودهم ثلاثا وأربعاً وعاشراً إذْ قالوا إن معه علماً وقدرة وحياة قديمة...»(٥) إلى آخر أقوالهم.

المسألة الثانية : التحليل والتعقيب : -

الحق في هذا الأمـر أن يقال :إن وصـف المتكلمين لله تعالى بالقدم

١- أنظر شرح الصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ١٦٢

٢- المصدر السابق ص ٢٠٠، ٢٠١

٣- أنظر التفصيلات في كتاب شرح العقائد النسفية، ص ٧٠ مطبعة عيسى الحلبى

٤- أنظر شرح المقاصد للتفتازاني، ج ٢ ص ٧٦ مطبعة البسبوبى

٥- سورة المائدة آية (٧٣)، انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ١٥٥-١٦٢.

والبقاء وجعلهما من أخص الصفات - دون سائر الصفات - عند المعتزلة، أو من الصفات الزائدة أو السلبية عند الأشاعرة كلها تحتاج إلى أدلة من القرآن والسنة عند أهل السنة والجماعة.

لأن إثبات الصفات لله تعالى عندهم أمر توقيفي وهو الحق الذي يتفق مع النقل والعقل مع العلم بأن الله تعالى قد أخبر بأنه هو الباقي، والبقاء له وحده، كقوله تعالى ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾(١)، فالقول بأن [القدم أخص صفات الإله] يحتاج إلى دليل صحيح من القرآن والسنة. وليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله لفظ [القديم] أنه صفة أو إسم أو فعل له سبحانه وتعالى ومعلوم أن الكلمة يونانية الأصل إتفق المتكلمون على إطلاقها لله تعالى.

فلهذا لا إعتبار لهذا اللفظ عند أهل السنة والجماعة. أما معنى ومفهوم هذا اللفظ فعند أهل السنة والجماعة ما يغنيهم عن هذا اللفظ كما سيتضح لنا ذلك في الصفحات القادمة .

أما قولهم : إن إثبات الصفات الأزلية يقتضي تعدد القدماء فيقال لهم: إن إثبات الصفات لايقتضي تعدد القدماء، فأنتم تقولون ذلك وتستدلون بكفر النصارى لأنهم جعلوا مع الله إلهين وقالوا (إن الله ثالث ثلاثة). نعم كفروا لأنهم أثبتوا ثلاث ذوات قديمة لكل ذات له وجود مستقل في الوجود، وأن كل ذات إله. وأما أهل السنة والجماعة فيثبتون الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه في كتابه ووصفه بها رسوله ﷺ: لذات واحدة وهو الله الواحد فليس للمعتزلة حجة في الآية والله قد رد عليهم في الآية، فقال ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ (٢) فرأيهم مردود عليهم في قولهم لأهل السنة : «فكيف بمن يثبت أكثر من ثلاث صفات»

١- سورة الرحمن آية (٢٦، ٢٧)

٢- سورة المائدة آية ٧٣

وقد ذهب أهل السنة والجماعة إلى مناقشة هذه القضية وأفردوا لها الردود، والأجوبة الكثيرة منها ماذكره الإمام أحمد بن حنبل في الرد عليهم في كتابه «الرد على الجهمية» فقال: قالت الجهمية لمّا وصفنا الله بهذه الصفات : «إن زعمتم أن الله لم يزل ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته.

قلنا: لانقول إن الله لم يزل وقدرته ولم يزل ونوره ولكن نقول: لم يزل الله بقدرته ونوره لامتي قدر وكيف قدر . فقالوا : لاتكونون موحدين أبدا حتى تقولوا كان الله ولاشيء.

فقلنا: نحن نقول قد كان الله ولا شيء ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها. أليس إنما نصف إلٰهاً واحداً بجميع صفاته ؟ وضربنا لهم فى ذلك مثلا فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرم وليف وسعف وخوص وجُمّار واسمها اسم واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها، فكذلك الله- ولله المثل الأعلى بجميع صفاته، إله واحد. لانقول إنه كان في وقت من الأوقات، ولايقدر حتى خلق قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز، ولانقول قد كان في وقت من الأوقات ولايعلم حتى خلق لنفسه علما والذي لايعلم هو جاهل ولكن نقول لم يزل الله عالماً قادراً مالكاً لامتى ولا كيف....(١).

وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية يرد عليهم فيقول:«فقد بين سبحانه وتعالى أنهم كفروا بقولهم: ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ لقوله بعد ذلك ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ ولم يقل ما من قديم إلا قديم واحد وليس في القرآن ذكر قدماء ثلاثة ولاصفات ثلاثة بل ليس في الكتاب ولا في السنة ذكر القديم في أسماء الله تعالى

١- رسالة الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق د/ سامي علي النشار ضمن مجموعة عقائد السلف، نشر منشأة المعارف، ط/١٩٧١م الاسكندرية، ص ٩١

فالصفاتية لاتقول: إن الله تاسع تسعة قدماء بل إسم الله تعالى عندهم يتضمن صفاته» (١).

فنخرج بالقول إن عامة المعتزلة سلكت مذهب الجهمية في نفى جميع الصفات الأزلية والأبدية لله تعالى، ولم يثبتوا إلا ذاتا مجردة عن جميع الصفات. وأطلقوا عليها لفظ القديم، وقالوا هذا هو عين التوحيد وسموا ذلك تنزيهاً له سبحانه عن مشابهة المخلوقات.

وقد ناقشهم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية فقال: «القول في الذات كالقول في الصفات فإن الله ليس كمثله شئ لافي ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله فإذا كان له ذات حقيقية لاتماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لاتماثل صفات سائر الذوات»(٢).

وإذا كان المعتزلة قد نفوا صفات الله تعالى، من أجل تعدد القدماء ثم أطلقوا معاني الأزلية والأبدية للقديم، وجعلوا القدم من أخص صفات الله تعالى، فإن بقية المتكلمين قد اتبعوا المعتزلة في إطلاق معاني الأزلية والأبدية للقديم مع مخالفتهم في إثبات بعض الصفات القديمة، وقيامهم بالرد على المعتزلة في نفيهم للصفات، ولكن مع هذا بقي لنا سؤال مهم هو هل يصح إطلاق معاني الأزلية والأبدية للقديم ؟ ثم هل يصح إطلاق لفظ القديم على الله تعالى ؟ كما هو دأب المتكلمين عامة ؟.

والإجابة عند أهل السنة والجماعة لهذه القضية هي :-

١- منهاج السنة النبوية لأحمد بن تيمية جـ ٢ ص ٤٩٥ - ٤٩٦.

٢- التدمرية تأليف شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص ٤٣، تحقيق محمد بن عودة السعوى، درء تعارض العقل والنقل تحقيق د/ محمد رشاد سالم.

- أن معاني الأزلية والأبدية موجودة ومعلومة في الكتاب والسنة بألفاظ شاملة جامعة مانعة.

- أن لفظ الأزلي والأبدي ليسا من أسماء الله تعالى ولا من صفاته الثابتة، في نصوص القرآن والسنة فلا يصح أن يُسَمّ الله بالأزلي والأبدي.

- أن لفظ القديم لم يثبت في القرآن ولا في السنة أنه إسم أوصفة لله تعالى (١)

- أما القديم بمعناه اللغوي فقد ثبت في القرآن بمعنى: السابق زمانه، المتقدم الوقوعْ على وقته، وهو بمعنى ما مضى على وجوده زمن طويل، وهو ضد الحدوث تقول قَدُمَ يَقْدُمُ قِدَماً، وتقادم وهو قديم (٢)، ومن المتأخرين من أضافه إلى الله تعالى بمعنى الإخبار إذا ورد اللفظ على الإطلاق (٣) وهم بهذا قد اقتبسوه من المتكلمين لأن إطلاق القديم على الله تعالى لم تعرفه العرب في لغتها ولم يرد في القرآن إلا بمعنى المتقدم على غيره، وبمعنى العتيق (٤) . قال تعالى: ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ (٥).

أما في إصطلاح المتكلمين : فالقديم يطلق على الموجود الذي لايكون وجوده

١- أنظر: درء تعارض العقل والنقل : شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، ٢٨٢/١ - ٢٩٢، تحقيق : د/محمد رشاد سالم، شرح العقيدةالطحاوية لأبي العز الحنفي ص ٥٨، ٥٩ ط ٢ / ١٤٠٨ هـ بيروت نشر مكتبة المؤيد الطائف، لوامع الأنوار البهية ، العلامة محمد أحمد السفاريني، ٣٨/١ - ٣٩

٢- لسان العرب : ابن منظور ٤٦٥/١٢، مادة قدم، المعجم الوسيط : ٢٧٠/٢، القاموس المحيط: الفيروز آبادي ص ١٤٨٠، المصباح المنير: أحمد محمد الرافعي الفيومي ص ٤٥٢، المكتبة العلمية بيروت، مجمل اللغة: لابن فارس ، ٧٤٥/٣.

٣- أنظر المرجع السابق

٤- المعجم الوسيط ٢٧٠/٢.

٥- سورة يس آية (٣٥)

من غيره، وهو القديم بالذات. ويطلق على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقا بالعدم ، وهو القديم بالزمان والقديم بالذات.

ويقابله المحدث بالذات: وهو الذي يكون وجوده من غيره.

وقيل هو : مالا إبتداء لوجوده، وقيل هو الذي لا أول ولا آخر له. فكل قديم بالذات قديم بالزمان، وليس كل قديم بالزمان قديم بالذات، فالقديم بالذات أخص من القديم بالزمان (١).

وقيل هو الموجود الذي ليس لوجوده إبتداء صفة أو اسم من أسمائه تعالى ... (٢).

ولما خاض المتكلمون وغيرهم في ذات الله تعالى ووجوده ما بين مثبت مشبه، وبين ناف معطل ، رد بعض أهل السنة والجماعة باستخدام هذه الألفاظ من باب الإخبار والتعبير لا من باب إطلاق الأسماء والصفات، فقالوا قديم بلا إبتداء، دائم بلا إنتهاء.

يقول شارح العقيدة الطحاوية: وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم وليس هو من أسماء الله الحسنى ...، وهذا مشهور عند أكثر أهل الكلام وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف ....، والعلم بثبوت هذين الوصفين -أي القدم والبقاء - مستقر في الفطر، فإن الموجودات لابد أن تنتهى إلى واجب الوجود لذاته قطعاً للتسلسل ، وإذا تأمل الفاضل غاية مايذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق مالايوجد عندهم مثله قال تعالى : ﴿ولا يأتونك

١- التعريفات: للجرجاني ١/٢٢٢ - ٢٢٣.

٢- المعجم الوسيط ٢/٢٧١.

بمثل إلا جئناك بالحق و أحسن تفسيرا ﴾....» (١).

وإذا كان الفلاسفة والمتكلمون وغيرهم قد إستخدموا مصطلحى الأزلية والأبدية كوصفين أو اسمين لله تعالى فإن أهل السنة الجماعة، بعد دارستهم لمعاني هذين المصطلحين قد أبطلوا إثباتهما لله تعالى، واكتفوا بما نص به النقل الصحيح، وما ثبت عنه في هذا الأمر فاستدلوا بقول الله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم﴾(٢).
فالأول: هو اسم لله تعالى أشمل وأظهر وأقوى من لفظ الأزلي أو القديم.
وكذلك: الآخر: هو اسم من أسماء الله تعالى، وهو أشمل وأظهر وأقوى من لفظ الأبدي أو الدائم أو الذي لايفنى ولا يبيد، وكذلك الظاهر، والباطن.

وقد فسر النبي ﷺ: هذه الأسماء بأفصح عبارة وأوجزها.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذبك من كل شئ أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ، وأنت لآخر فليس بعدك شئ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ، وأنت الباطن فليس دونك شئ أقض عنا الدين وأغننا من الفقر» . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتت فاطمة النبى ﷺ تسأله خادماً فقال لها قولي: «اللهم رب السموات السبع....

١- سورة الفرقان آية : ٣٣، شرح العقيدةالطحاوية لأبي العز الحنفي ص ٥٨، ٥٩ ط ٢ / ١٤٠٨ هـ بيروت نشر مكتبة المؤيد الطائف، وانظر مجموع الفتاوى : لشيخ الاسلام ابن تيمية جـ١/٢٤٥، .

٢- سورة الحديد آية (٢).

الحديث(١). وتفسير رسول الله ﷺ ظاهر وواضح فالأول هو الله سبحانه وتعالى الذي ليس قبله شئ فهو السابق لكل شئ من المخلوقات والجمادات وسابق للوجود كله.

وكذلك هو الآخر/ سبحانه فليس بعده شئ تنتهى المخلوقات إليه فهو سبحانه الذي لايعقبه شئ. وهو الله سبحانه الظاهر.

/ الذي ليس فوقه شئ وهو الظاهر بوجوده لأن كل الموجودات بظهوره تعالى ظاهر، وهو الله العظيم سبحانه الباطن الذي ليس دونه شئ فهو العالم وإليه ينتهى العلم في معرفة واحاطة الأمور الخفية فهو العالم لما بطن وخفى وحجب عن العوالم والبشرية (٢).

وندرك الآن بعد هذه الجولة السريعة كيف اختلف الناس في مفهوم الأزلية والأبدية، والتي كان من أهم أسبابها الإعراض عن منهج الأنبياء والمرسلين في التلقي عن الله تعالى، وخاصة في قضايا إلهية غيبية لاتستوعبها العقول البشرية الضعيفة والمحجورة فإذا كان هذا ظاهراً عند الفلاسفة والماديين والمانوية والثانوية.

فإن المتكلمين قد شاركوهم في الوزر وإن كانوا هم أفضل وأحسن وأقرب

١- أخرجه مسلم برقم (٢٧١٣) في الذكر باب ما يقول عند النوم جـ ٣٦/١٧ ، أبوداود (٥٠٥١) في الأدب باب ما يقول عند النوم ، والترمذي (٣٣٩٧) في الدعوات باب من الأدعية عند النوم، وابن ماجه (٣٨٧٣) في الدعاء باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، وأحمد في المسند ٣٨١/٢، ٤٠٤ .

٢- أنظر تفسير هذه الأسماء في فتح القدير للشوكاني . ج ٥ ص ١٦٥ طبع دار الغار لبنان. وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٣ طبع دار إحياء الكتب العربية . تفسير روح المعاني لمحمود الألوسي ص ١٦٤ . طبع ونشر دار احياء التراث العربي . بيروت . لبنان.

منهم للحق حيث عينوا الأزلي والأبدي بأنه هو الله تعالى الذي لم يذكره فلاسفة اليونان والماديون والمانويون والثانويون. وإن كان الفلاسفة الإسلاميون قد عينوه إلا أن حقيقة كلامهم هو الاشارة إلى الوجود، المطلق فهم تبع للفلاسفة ولهذا حمل أهل السنة والجماعة عليهم وأنكروا عليهم وردوا آراءهم ومعتقداتهم الباطلة.

وهذه القضايا سنتعرض لها بالتفصيل في الفصل الثالث بإذن الله تعالى.

وبعد الانتهاء من بيان مفهوم الأزلية والأبدية في اللغة وفي الإصطلاح ، نأتي لذكر خلاصة مباحث هذا الفصل وهو كالتالي :

١) خطأ مذهب الفلاسفة والدهريين، وأتباعهم من الماديين وأصحاب الطبيعة والنور والظلمة وأنها جميعها خالفت النقل الصحيح والعقل الصريح في مفهوم الأزلية والأبدية.

٢) خطأ مذهب المتكلمين الذين اطلقوا معاني الأزلية والأبدية لمصطلح القديم، ثم اطلقوا لفظ القديم على الله تعالى على أنه أخص وصف له، وأن القدم والبقاء صفتين (سلبيتين أو زائدتين على اختلاف بينهم) لله تعالى.

٣) صحة مذهب أهل السنة والجماعة الذين تمسكوا بالكتاب والسنة وما ثبت فيهما من أسماء وصفات شاملة لمعاني الأزلية والأبدية والقدم والبقاء والدوام وغيرها من مصطلحات المتكلمين.

٤) اتفاق أهل السنة والجماعة على جواز اطلاق معنى الأزلي والأبدي والقديم على الله تعالى من باب الإخبار بعد تحديد المعنى العام لمراد هذه المصطلحات عند قائلها.

أما علاقة مبحث الأزلية والأبدية مع أفعال الله تعالى - فسيكون مكانه في الفصل الثاني - فهي علاقة مهمة عند الفرق الكلامية ولها ارتباط وثيق.

حيث أن منهم من جعل أفعال الله تعالى أزلية قديمة كالفلاسفة

ومنهم من جعلها أفعالا حادثة لكن صفاتها قديمة

ومنهم من جعل الصفة قديمة وتعلق الصفة حادثة وقديمة

ومنهم من أنكر أزلية الأفعال الإلهية وأبديتها

ومنهم من أنكر أزلية الأفعال دون أبديتها

ومنهم من أثبتها لكن أولها وحرفها

وهذه القضايا جميعها سنتعرض لها بالتفصيل في الفصل الثالث والآن ننتقل إلى الفصل الثاني .

الفصل الثاني
عقيدة أهل السنة والجماعة في أزلية وأبدية أفعال الله تعال

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

تمهيد : الأفعال الإلهية وموضوعها

المبحث الأول : عرض الأدلة القرآنيــة وآراء المفسرين

المبحث الثاني : عرض الأدلــة النبويــة وآراء شراح الحديث

تمهيد : الأفعال الإلهية وموضوعها

تمهيد: الأفعال الإلهية وموضوعها:-

بعد أن تكلمنا في الفصل الأول عن تعريفات الأزلية و الأبدية، وتعرضنا لمعناهما في اللغة وفي الإصطلاح، وناقشنا بعض القضايا في الأزلية و الأبدية وصرفها لغير الله من الطبيعة و المادة و النور و الظلمة وغيرها.

فإنه حري بنا قبل أن نبين عقيدة أهل السنة و الجماعة في ازلية و أبدية أفعال الله تعالى أن نذكر الأمور التالية :

إن منهج عقيدة أهل السنة و الجماعة في أزلية و أبدية أفعال الله تعالى.

- يتوقف على ماجاءت به النصوص السمعية من الكتاب و السنة وهل دلالتهاتؤكد أن هذه الأفعال أزلية قديمة ؟ أم أنها حادثة ؟ أم أنها قديمة في جنسهامتجددة في نوعها وآحادها قائمة بذات الله على مايليق بجلاله وقدسه ؟ هناك فرق بين ماهو قائم بذات الله تعالى وبين ماهو فعل له وهذا الفعل حادث مخلوق مفصل عنه ؟

- ويتوقف أيضا على آراء أئمة التفسير وشراح الحديث من أهل السنة و الجماعة لها.

- ويتوقف أيضاً على موقف أهل السنة و الجماعة من سائر الأسماء و الصفات و الأفعال الإلهية التي خاض فيها الفرق الكلامية.

ولهذا سوف نعرض بعض الأفعال الالهية الواردة في القرآن و السنة، ونعقبه ببيان آراء المفسرين وشراح الحديث لها، وقبل ذلك نبين العلاقة بين هذه الأفعال الإلهية وبين الأزلية و الأبدية، ثم نمر مروراً سريعا بتقديم لمحة عن الأفعال الإلهية، وموضوعها، وموقف المتكلمين منها ونتعرض بعد ذلك لأفعال الله تعالى بالتفصيل وموقف أهل السنة و الجماعة منها.

أولا : علاقة الأزلية والأبدية بأفعال الله تعالى :-

علاقة الأزلية و الأبدية بالأفعال الإلهية هي كالتالي :

لما كان إثبات الأفعال الإلهية بجملتها على الحقيقة - عند المتكلمين وغيرهم - يؤدي إلى القول بجواز قيام الحوادث بذات الله تعالى ومعلوم عندهم ان

الحوادث لها أول - خلافا للفلاسفة الذين يتعللون عليهم بأنه لو كانت الحوادث لها أول فمعنى هذا أنه كان هناك سبب أدى إلى هذا الابتداء - فهل كان الله معطلا عن الفعل ثم ابتدأ إحداث الحوادث ؟ وهذا بلاشك نقص في حق الله تعالى . إذا فليست الحوادث لها ابتداء فهي قديمة أزلية، فقال المتكلمون وهذا يؤدي إلى أن الحوادث تشترك في صفة الأزلية والقدم مع الله تعالى، والحوادث أعراض وليست هي من أخص صفات الله تعالى فلأجل هذا ذهب المتكلمون إلى أن الحوادث لها ابتداء ولها أول .

وما دام الأمر كذلك فما هو القول السديد في الأفعال الالهية عامة والتي أثبتها النقل ؟ فكان عمل بعض المتكلمين وغيرهم أن نفوا سائر أفعال الله تعالى والصفات، وبعضهم نفى بعضها وأثبت بعضها، واتفق جميعهم على نفي الأفعال الاختيارية إما تصريحا وإما تلميحا تحت مظلة التأويل.

وعلى هذا فالكلام في الأفعال الإلهية له علاقة بموضوع أزلية وأبدية أفعال الله تعالى، وهذه النتيجة قد تغيب عن كثير من الدارسين.

ومع هذه الآراء الكثيرة، يسأل كثير من مريدي الحق ما هو رأي أهل السنة والجماعة، في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى ؟

والإجابة عن هذا السؤال نرجئه إلى المباحث والمطالب القادمة.

ثانيا : معنى الأفعال في اللغة:

الأفعال : جمع فعل، والفعل: هو العمل .

وجاء في النحو/ الفعل / كلمة دلت على حدث وزمنه (١).

وجمع الفعل : فعال وأفعال: وهي الأعمال (٢).

ثالثا: معنى الإلهية في اللغة:-

الإلهية من الإله. وأصل الكلمة من إله: وآلَهَ إِلاهَةً، كَعَبَدَ عِبادَةً، ومنه قولهم

١- المعجم الوسيط . جـ ٢/ ص ٦٩٥ ، مادة المفعولية . ط. الثانية .

٢- مجمل اللغة لأحمد بن فارس اللغوي جـ ٣/ ص ٧٢٣.

(الله) و أصله (إلاه) على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أى معبود، و المتأله المتعبد وبذلك سمي الإله، إلها. وكان ابن عباس يقرأ: ﴿ ويذرك وإلاهتك﴾ (١) أى [عبادتك].

و الإلاهة: الشمس (٢)، و الآلهة الأصنام و الإلهيات: جمع إلهية : وهي : نسبة للصفة إذ يقال : هـذا علـم إلهـي، وصفـة إلهيـة ، وإلـهٌ مـن ألـَهَ بمعنى عبد وفعال بمعنى مفعول «لأنه مألوه أى معبود ويجمع إله على آلهة.

وإذا أطلق لفظ الإله فالمقصود هو الله تعالى مع أن إله وضع في الأصل لكل معبود لكن غلب بأل على المعبود الحق وهو الله سبحانه (٣) ،وإذا كان الأمر كذلك فهل لفظ الجلالة وهو (الله) له دلالته على أفعاله تعالى و أسمائه وصفاته؟

و الاجابة على هذا السؤال في الفقرة التالية لأنه داخل في مصطلح الأفعال الالهية .

<u>**رابعا : معنى الأفعال الإلهية في الإصطلاح:**</u>

الأفعال الإلهية : تطلق على كل مايتعلق بأفعال الله سواء كان في الماضي أو في المستقبل أو ماكان مستمرا دون انقطاع أو توقف وكذلك صفاته التى هي مشتقة من أفعاله وكذلك ما يتعلق بذاته العلية من أفعال وصفات (٤)

أما قضية لفظ الجلالة ودلالته في الأفعال الالهية فهو كالتالى :

اسم [الله] تعالى دال على جميع الأفعال الإلهية بالدلالات الثلاث الآتية :-

أ - فإنه دال على الإلهية المتضمنة لثبوت الصفات الإلهية له سبحانه مع نفي أضدادها عنه تعالى، وصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزه عن التشبيه

١- سورة الأعراف آية ١٢٧

٢- مجمل اللغة لأحمد بن فارس اللغوي جـ ١ ص ١٠١، تاج العروس جـ٩.

٣- أنظر اللسان جـ ١٧ . ص ٣٥٩، المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية جـ ١، ص ٤٤٢، ودائرة المعارف الإسلامية جـ ٤ ص٢٨٦، القاموس جـ ٤ ص ٢٨٠.

٤-بتصرف من كتاب المواقف للإيجي عبدالرحمن بن أحمد أنظر الموقف الخامس في الإلهيات ، المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية جـ١/ ص ٤٤٣، والوسيط جـ ١ / ص ٢٥

والمثال، وعن العيوب والنقائص.

ب - أن اسم «الله» مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله.

ج - واسم «الله» دال على كونه مألوهاً، معبوداً، تألهه الخلائق محبة وتعظيما وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولاقادر ولا متكلم ولافعال لمايريد ولاحكيم في أفعاله. وصفات الجلال والجمال أخص باسم «الله» وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع ونفوذ المشيئة، وكمال القوة ... وتدبير أمر الخليقة أخص باسم « الرب » وصفات الاحسان والجود والبر والحنان أخص باسم « الرحمن » (١).

فنخرج مما سبق أن الصفات الفعلية للباري سبحانه وتعالى التي صنف فيها العلماء من أهل السنة والجماعة(٢) هي في مجموعها مشتقة من أفعاله تعالى ودلالتها ظاهرة من أخص اسم له وهو (الله) إذ لولم يكن يفعل ذلك الفعل لما اختص منه صفة له من ذلك الفعل، وله أفعاله سبحانه وتعالى ولكن لاتشتق منها صفات فهو ينتقم ويمكر ويستهزئ ويسخر من الكافرين، وهكذا وسنعلم كثيرا عن هذه الصفات في الصفحات القادمة، ولكن هل هناك حد أو تعريف للصفات الفعلية ؟ نعم هناك تعريفات كثيرة فيما يلي نذكر بعضا منها :-

جاء في شرح الفقه الأكبر: الصفات الفعلية : هي التي يتوقف ظهورها على

١- مدارج السالكين في إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن القيم الجوزية ١/ص ٣٢-٣٣، تحقيق محمد حامد فقي، دار الرشاد الحديثة ، الدار البضاء - المغرب.

٢- انظر درء تعارض العقل والنقل ج٢/١١٦

وجود الخالق والحد بين صفات الذات وصفات الفعل مختلف فيه (١).

وعند المعتزلة : ماجرى في النفي والإثبات فهو من صفات الفعل، كما يقال خَلَقَ لفلان ولدا ولم يَخْلُقْ لفلان، ورَزَقَ زيداً مالا ولم يَرزُق عمرا . ومالا يجري فيه النفي فهو من صفات الذات كالعلم والقدرة فلا يقال لم يعلم ولم يقدر والإرادة والكلام من صفات الفعل عندهم.(٢) .

وعند الأشعرية: أن مايلزم من نفيه نقيضه فهو من صفات الذات فإنك لو نفيت الحياة يلزم الموت، ولو نفيت القدرة يلزم العجز ، ولو نفيت العلم يلزم الجهل. وما لايلزم من نفيه نقيضه فهو من صفات الفعل ، فإنك لو نفيت الإحياء أو الإماتة أو الخلق أو الرزق لم يلزم من نفيه نقيضه (٣).

وعند الماتريدية: «أن كل ماوصف به ولايجوز أن يوصف بضده فهو من صفات الذات كالقدرة والعلم والعزة والعظمة وكل مايجوز أن يوصف به وبضده فهو من صفات الفعل كالرأفة والرحمة والسخط والغضب»(٤).

والملاحظ من الأقوال الثلاثة أن الخلاف عندهم لفظي تقريبا، لأن المعتزلة قد مثلت للصفات الفعلية بالخلق والرزق وكذلك فعلت الأشاعرة وكذلك فعلت الماتريدية ، وهذا كله في الإجمال أمّا عند التفصيل فنجد إتفاقا أحيانا وإختلافا أحيانا، وتداخلا أحيانا، فلاتجد لكل فريق ضابطا فيما يثبتون أو ينفون أو يؤلون ، ثم هذه الصفات إثباتها عندهم لاتقتضي مدحا ولاذما وإنما هي مجرد أمور اعتبارية كما سيتضح لنا ذلك عند عرضنا لآرائهم ولهذا لاينصب

١- شرح الملا على القاري على الفقه الأكبر للملا على قاري ص ٢٠

٢- المعروف أن المعتزلة ينفون الصفات ويثبتون الاسماء ، والجهمية تنفي الأسماء والصفات.

٣- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به : القاضي أبوبكر الطيب الباقلاني ص ٢٦، تحقيق وتعليق: محمد زاهد الكوثري. ط ١٣٨٢/٢هـ مؤسسة الخانجي ، شرح الفقه الأكبر.

٤- أنظر : المرجع السابق ص ٢١.

القدح

في التعريفات السابقة بقدر ماهو منصب على لوازمها وأقصد بذلك نفس هذه الأفعال من ناحية إثباتها ولانريد أن نستبق الأحداث .

وقد ذهب صاحب كتاب (الصفات الإلهية في الكتاب والسنة) إلى أن « الصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئة الله تعالى لا بأعيانها ولا بأنواعها كالقدرة والإرادة والعلم والسمع ..... وغيرها، وأنها تتجدد حسب مشيئته تعالى وأنه هناك بعض الصفات باعتبار أصلها هي صفات ذات، وباعتبار أنواعها هي صفات فعل كالكلام وأفراده.....» (١).

ويقول الشيخ عبدالعزيز السلمان : (وضابط صفات الفعل هي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة) (٢).

خامسا: موضوع الأفعال الإلهية:-

يقصد بالأفعال الإلهية أفعال الله تعالى أزلاً وأبداً من جهة إثباتها ونفيها ومن جهة فهمها وعلمها وصرف الكيف في كنهها إلى الله تعالى.

والبحث عن الإجابة الصحيحة المدعومة بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة للأسئلة التالية. في كونه سبحانه هل له القدرة المطلقة في فعل مايشاء؟ وهل مايقوله أهل الفرق الباطلة في أنه كان معطلا عن الفعل ثم أحدث الفعل والخلق لنفسه؟ وكذلك هل الله سبحانه وتعالى له دخل في خلق أفعال العباد؟ أم أن الخلق يخلقون أفعالهم من غير قدرة الله تعالى ومشيئته ، وأن الله لايعلم عنهم ولا عن أفعالهم وأعمالهم قبل وقوعها ؟ وإنما الأمر عنده محدث أنف. وهل الإنسان ليس له فعل ؟ أم هو مجبور في الأرض ليس له حرية ولا إرادة ولاقدرة

١- انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة د/ محمد أمان ص ٢٥٥ ط٢/١٤١١هـ ، نشر دار الفنون جدة.

٢- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص ٤٢٩ ط ١٠/١٤٠١هـ .

وإنما هو مثل الريشة في مهب الريح ؟

وهل هناك اشتراك من وجه دون وجه آخر، بين أفعال العبد، وأفعال الخالق ؟

وكذلك من أهم موضوعات الأفعال الإلهية هو معرفة أفعال الله تعالى في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ والتدبر فيهاقال تعالى:﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا ،وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النار نشورا وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ..... وكان ربك قديرا ﴾(١) وهناك الأفعا الكثيرة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ تمثل في مجموعها دلائل عظيمة لإيقاظ الفطر وإحياء التوحيد في النفوس البشرية ويستضح هذا الأمر أكثر في المباحث القادمة.

ولما كانت الأفعال الإلهية كثيرة ولايستطيع أحد إحصاءها واستقصاء القول فيها كما يقول ابن تيمية في الرد على من أثبت من الصفات ثمان صفات فقط فيقول: إن الصواب عند جماهير المثبتة وأئمة الأشعرية أن الصفات لاتنحصر في ثمانية بل لايحصرها العباد في عدد »(٢). لهذا رأينا أن نختصر ذلك بذكر أشهر ماوقع فيه الجدال وكثر فيه النزاع بين الفرق الكلامية وبالإستقراء تبين أن النزاع اشتد في الأفعال الإلهية وغيرها من المواضيع لكنها لاتدخل في صميم هذا البحث. وأما الأفعال التي اشتد فيها النزاع فهي الأفعال الخبرية والاختيارية مثل :

- استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه.
- اعطاء الله ومنعه وبسط يديه .
- نزول الله سبحانه وتعالى ومجيئه وإتيانه وضحكه وغضبه وسخطه ورضاؤه.

١- سورة الفرقان آية (٤٥ - ٥٤)

٢- منهاج السنة للشيخ أحمد بن نيمية ٣١٧/١

- كلام الله تعالى ومكافئته للمحسن ومعاقبته للمسئ وسائر أفعاله الإختيارية.

- تجدد سمعه وبصره وعلمه وإرادته ومشيئته وفرحه ... إلى آخر هذه الأفعال

ونحن بإذن الله تعالى نتعرض لهذه الأفعال ومدى صحة إثباتها بالأدلة النقلية ثم نذيل بعدها ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة فيها مع العلم أننا في هذا الفصل لانتعرض لمناقشة أقوال الفرق الأخرى في أفعال الله تعالى وانما نقتصر على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في أفعال الله تعالى، ثم نتعرض لتفسيرات علماء أهل السنة والجماعة وشروحاتهم في ماجاء في القرآن والسنة من أفعال وكانت محل إشكال، أو أن ظاهر تلك الأفعال يوهم التشبيه بين صفات المخلوق وصفات الخالق.

أما آراء الفرق الأخرى فنتعرض لها بالتفصيل في الفصل الثالث إن شاء الله

ونأتي الآن لذكر بعض الأفعال الإلهية والإستدلال عليها من الكتاب والسنة.

المبحث الأول : عرض الأدلة القرآنية وآراء المفسرين لها

ويشتمل على مطالب : -

المطلب الأول : عرض بعض أفعال الله تعالى في القرآن الكريم

المطلب الثاني : عرض بعض آراء المفسرين للأفعال الالهية الوادرة في بعض الآيات

المبحث الأول : عرض الأدلة القرآنية وآراء المفسرين لها.

بعد معرفة الأفعال الإلهية وموضوعها يسرني هنا أن أعرض فيما يلي بعض الأدلة القرآنية، على إثبات بعض أفعال الله تعالى ثم أعقبه بعد ذلك بذكر آراء المفسرين لهذه الأدلة القرآنية من أهل السنة والجماعة (١).

المطلب الأول : عرض بعض أفعال الله تعالىٰ في القرآن الكريم :-

قال الله تعالى: ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السمآءِ وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (٢).

وفي هذه الآية أثبت الله تعالى لنفسه الأفعال التالية : « خلق، استوى، يعلم، يبصر».

١- قد يقول قائل : ما سبب ذكره هذه الآيات والأحاديث الكثيرة ؟ وهل هناك أحد لايؤمن بأن الله يفعل أو لا يفعل ؟

والجواب : ليس الهدف من إيراد الآيات والآحاديث التالية هو إعلام القارئ أو إخباره بأن الله يفعل أو لا يفعل، وإنما الهدف أن هذه الآيات والآحاديث فيها بعض الأفعال اللازمة والمتعدية والقائمة بذات الله تعالى والتي حصل فيها النزاع بين أهل السنة والجماعة وبين جماعة المتكلمين والفلاسفة في إثباتها لله تعالى على حقيقتها، وعند ما ينظر الباحث لكتب ومراجع الفريقين لدى مناقشتهم لهذه القضية يرى أنهم يوردون هذه الآيات والأحاديث فانظر في هذا مثلا عمل الإمام أحمد ابن حنبل لدى مناقشته للجهمية والرد عليهم، وكذلك رد الإمام عثمان ابن سعيد الدارمي لبشر المريسي، وكذلك مناقشات شيخ الإسلام أحمد بن تيمية مع المتكلمين والفلاسفة، وكذلك أو رد المتكلمون بعضا من هذه الآيات عند تعرضهم لقضية نفي حلول الحوادث ووجوب التأويل لبعض النصوص النقلية التي توهم التشبيه، ونحن هنا أوردنا نماذج من هذه الآيات ووضعنا علامة خط تحت كل فعل ثم عقبنا بعد ذلك بذكر رأي علماء التفسير لهذه الأفعال، وأما أماكن وصفحات الكتب والمراجع فسيظهر لنا ذلك عند مواضعها.

٢- سورة الحديد آية (٤)

قال تعالى ﴿ له ملك السموات والأرض يحي ويميت وهو على كل شئ قدير ﴾ (١).

وفي هذه الآية : أثبت الله تعالى لنفسه فعل « الحياة، والموت، والقدرة على فعل أى شئ»

قال تعالى : ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ (٢).

ففي هذه الآية : أثبت الله تعالى لنفسه فعل « سمع،ويسمع »، قال تعالى: ﴿ والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ (٣).

فأثبت الله لنفسه في الآية فعل « يدعو، ويهدي، ويشاء»

قال تعالى : ﴿ يمحق الله الربى ويربي الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم﴾ (٤)

فاثبت الله لنفسه في الآية « يمحق، يربي ، ولايحب»

قال تعالى : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ (٥)واثبت الله تعالى له الفعل في المستقبل « فسيرى »

قال تعالى : ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ (٦) أثبت الله تعالى له فعل « رضي، علم، أنزل، أثاب » .

قال تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير * تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي

١- سورة الحديد آية (٢)

٢- سورة المجادلة آية (١)

٣- سورة يونس آية (٢٥)

٤- سورة البقرة آية (٢٧٦)

٥- سورة التوبة آية (١٠٥)

٦- الفتح آية (١٨)

وترزق من تشاء بغير حساب﴾ (١).

أثبت الله تعالى لنفسه الأفعال التالية في الآية السابقة « تؤتي، تشاء ، تنزع، تذل، تولج، تخرج، ترزق».

قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم و الله غفور رحيم ﴾ (٢)

أثبت الله تعالى لنفسه فعل / [يحب - يغفر].

قال تعالى ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (٣).

أثبت الله تعالى لنفسه فعل [يعلم] ودل ذلك على علمه بالأشياء جميعها لأنه هو الذي خلقها فيعلم جليها وخفيها وصغيرها وكبيرها (٤).

وقال تعالى ﴿وجاء ربك و الملك صفا صفا ﴾. (٥).

فأثبت الله له فعل [جاء] و المجئ صفة من الصفات الفعلية له سبحانه ومجيئه ليس كمجئ خلقه.

قال تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك ...﴾ (٦).

وهنا أيضا يثبت الله تعالى لنفسه فعل الإتيان في قوله (يأتي ربك).

وقال تعالى ﴿قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب ﴾(٧)فأثبت الله تعالى لنفسه فعل (يقذف).

وقال تعالى ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى * وأن عليه النشأة الأخرى * وأنه

١- سورة آل عمران آية (٢٥، ٢٦)

٢- سورة آل عمران - آية (٣١)

٣- سورة الملك - آية (١٤)

٤- دقائق التفسير . جـ ٥ ص ١٣ لابن تيمية / وانظر ص ٢٢٥.

٥- سورة الفجر آية (٢٢)

٦- سورة الأنعام آية (١٥٨)

٧- سورة السبأ - آية (٤٨)

هو أغنى وأقنى * وأنه هو رب الشعرى * وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى....﴾ (١) هذه كلها صفات لله تعالى تدل على قدرته وإرادته وقوته وسلطانه وتصرفه في ملكه وتفرده في ألوهيته وعدم مشاركته في كل ذلك أحد من خلقه لاملك مقرب ولا نبي مرسل.

وقال تعالى ﴿ إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود* ذو العرش المجيد * فعال لما يريد﴾ (٢)هذه أيضا بعض أفعاله سبحانه وتعالى [يبدئ، ويعيد، فعال لمايريد].

قال تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضٰهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم * فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ (٣).

وفي هذه الآيات بعض أفعال الله مثل [استوى، أوحى ، إئتيا، قضى، أنذر، زين].

وقال تعالى ﴿ قال لاتخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ (٤)

وهنا أيضا في الآية أثبت تعالى لنفسه بعض الأفعال التي يشتق منها الأسماء التي وصف بها نفسه في آيات أخرى. فمن هذه الأفعال [أسمع، أرى ، قال] والمعية في الآية معية حفظ ونصرة وتأييد (٥).

قال تعالى ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم

١- سورة النجم آية (٤٣-٥١)

٢- سورة البروج آية (١٢-١٦)

٣- سورة فصلت (١١ - ١٣)

٤- سورة طه آية (٤٦)

٥- انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٥٥

مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (١).

وقد أثبت الله في الآية فعل [استوى، يغشى، خلق].

قال تعالى ﴿ إن الله يحكم ما يريد﴾ (٢) ﴿ولوشاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ (٣) .

في الآيات بعض أفعال الله تعالى : [يحكم ، يريد، شاء، يفعل مايريد].

قال تعالى : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ * ﴿إن الله يحب المتقين﴾ * ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ * ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ (٤).

الآيات السابقة أثبتت لله تعالى فعل [يحب] لأوليائه والمتصفين بتلك الصفات التي ذكرها الله في هذه الآيات.

قال تعالى: ﴿ قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ (٥) ﴿فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين﴾ (٦). أثبت الله تعالى لنفسه [أصيب، أشاء ، فسأكتبها، الرحمة، أرحم، الراحمين].

وقال تعالى ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ (٧) ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ (٨) ﴿ ذلك بأنهم إتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾ (٩) ﴿ ولكن كره الله إنبعاثهم فثبطهم وقيل

١- سورة الأعراف آية (٥٤)

٢- سورة المائدة آية ١

٣- سورة البقرة آية (٢٥٣)

٤- سورة البقرة آية (٩٥)، التوبة آية (٤) ، الحجرات آية (٩)، البقرة آية (٢٢٢)

٥- سورة الأعراف آية (١٥٦)

٦- سورة يوسف آية (٦٤)

٧- المائدة آية ١١٩

٨- النساء آية (٩٣)

٩- محمد آية ٢٨

اقعدوا مع القاعدين﴾ (١).

أثبت الله تعالى لنفسه في الآيات بعض أفعاله [رضي ، غضب، أسخط الله، كره].

وقال تعالى : ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ (٢)، ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ (٣) ، ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم﴾ (٤) .

فأثبت الله لنفسه فعل [انتقم ، أخذناه، فنبذناهم].

قال تعالى ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ (٥) ، ﴿إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيداً* فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ (٦)، ﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لايشعرون﴾ (٧).

أثبت الله لنفسه في الآيات بعض أفعاله [مكر ، أكيد كيدا، مكرنا مكرا].

قال تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ (٨)، ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ (٩).

وكذلك أثبت الله في آيات أخرى صفة الكلام له سبحانه وتعالى وأن القرآن

١- التوبة آية (٤٦)

٢- الأعراف آية (١٣٦)

٣- الزخرف آية (٥٥)

٤- الذاريات آية (٤٠)

٥- آل عمران آية (٥٤)

٦- الطارق آية ـ١٥ - ١٧)

٧- النمل آية (٥٠)

٨- النساء آية (١٦٤)

٩- الأعراف آية (١٤٣)

الكريم هو كلام الله وكذلك التوراة التي أنزل على موسى عليه السلام هو أيضا كلام الله .

وقال تعالى :﴿ إنا نحن نحي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شئ أحصينه فى إمام مبين﴾(١) .

فأثبت الله سبحانه وتعالى لنفسه بعض الأفعال فى الآية السابقة « نحي ، نكتب، أحصينه»

وقال تعالى : ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين * بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ (٢).

في الآيات بعض أفعال الله تعالى وهي / أردنا ، نتخذ، نقذف.

وقال تعالى : ﴿لايسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ (٣). ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي..﴾(٤).

﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين.. ﴾(٥).

في الآيات السابقات بعض أفعاله تعالى ﴿يفعل ، ففتقناهما، جعلنا، رمى، يبلى﴾

وقال تعالى ﴿وإن تعودوا نعد﴾ (٦)، ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ (٧)

١- سورة يس آية (١٢)

٢- سورة الأنبياء آية (١٧، ١٨)

٣- سورة الأنبياء آية (٢٣).

٤- سورة الأنبياء آية (٣٠)

٥- سورة الأنفال آية (١٧)

٦- سورة الأنفال آية (١٩)

٧- سورة الأنفال آية (٢٤)

﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ (١) ، ﴿لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ (٢). ﴿الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ (٣)، ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ (٤)، ﴿إن الله لايستحى أن يضرب مثلا مابعوضة....﴾ (٥)، ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ومايعلم جنود ربك إلاّهو﴾(٦)، ﴿وربك يخلق مايشاء ويختار﴾ (٧) ، ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا﴾ (٨).

وقال تعالى : ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء إن الله على كل شئ قدير * ما يفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ (٩).

وقال تعالى : ﴿قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم

١- سورة الأنفال آية (٢٦)

٢- سورة الأنعام (١٠)

٣- سورة البقرة آية (١٥)

٤- سورة البقرة آية (٧)

٥- سورة البقرة آية (٢٦)

٦- سورة المدثر آية (٣١)

٧- سورة القصص آية (١٠٣)

٨- سورة آل عمران آية (٣٣)

٩- سورة فاطر آية (١، ٢)

أجمعين ﴾(١)، وقال تعالى : ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين * ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ (٣)، وقال تعالى : ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض * لا إله إلا هو فأني تؤفكون﴾(٤).

وقال تعالى : ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا ومالحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(٦).

١- سورة ص ، آية (٨٤، ٨٥)

٢- سورة ص آية (٧٢).

٣- سورة الأنبياء، آية (١٠٤، ١٠٥)

٤- سورة: فاطر آية (٣).

٥- سورة الرعد آية (٢٦)

٦- سورة الرعد اية (٢ - ٣)

وجه الدلالة :-

هذه بعض الأدلة من القرآن الكريم، على بعض أفعال الله، والدلالة فيها بينة على ثبوت هذه الأفعال لله تعالى بشكل عام ، ومتضمنه لأنواع أفعاله الذاتية واللازمة والمتعدية الإختيارية وغيرها، والشاهد فيها ظاهر في إخباره سبحانه وتعالى عن أفعاله وأعماله وعن أسمائه وصفاته .

ولايخفى على كل لبيب أن من مقتضيات التوحيد ، توحيده سبحانه وتعالى في أفعاله وأسمائه وصفاته، وإذا مررنا بآية من هذه الآيات الدالة على قدرته ومشيئته، فإنه يجب علينا التسليم والإيمان بها، وهذا من كمال الإيمان للمسلم، ثم يجب علينا أن نُمِرّها، وأن لانتعرض ونتعمق في معرفة كيفيتها وعدم السؤال عن ماهيتها، لأن السؤال عن الماهية هو السؤال عن ماهية الرب سبحانه ولايستطيع أحد أن يجيب عن ذلك، لأنه لايمكن للبشر تصور ماهية الرب سبحانه وتعالى المحيط بكل شيئ، العليم العظيم، والحكم على الشئ فرع عن تصوره.

وقبل أن نسترسل في هذه القضية يجدر بنا أن نعقب على هذه الآيات بذكر آراء أئمة التفسير، وما هي نتائج دراساتهم لهذه الأفعال ؟
فيما يلي نذكر بعض آراء أئمة التفسير من أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني : آراء المفسرين في أفعال الله تعالى :-

بعد بيان الشاهد من الآيات على وجه العموم ، نأتي الى آراء المفسرين، وحينما نقول المفسرين، نقصد بهم أولئك الذين تلقت الأمة الإسلامية - سلفا وخلفا بمافيهم جمهور المفسرين وجمهور الفقهاء والمحدثين، وشراح الحديث، وأتباع الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة الدين - بالقبول والارتياح والتسليم لكتبهم وآرائهم، لأنهم لم يخالفوا السلف الصالح ولم يتجاوزوا نصوص القرآن والسنة، ولم يخرجوا عن قواعد وأصول ومقاصد الشريعة وعن عقيدة أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحق والصدق ولم يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من المفسرين في آفات وأمراض التأويل والتحريف وخطر التكييف والتمثيل والتعطيل، وسلموا من شبهة الإلحاد في أسماء الله وصفاته وأفعاله .

رأي الإمام الطبري :-

من المفسرين الذين وقع إختياري عليه هو الإمام المفسر العالم الجليل/ محمد بن جرير الطبري (١).

١- هو أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام الجليل ، المجتهد، ولد سنة ٢٢٤هـ في طبرستان ، رحل في طلب العلم وعمره اثنتى عشرة سنة فطاف الأقاليم وسمع بمصر والشام والعراق ثم استقر ببغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ (طبقات الشافعية لابن السبكي جـ ٢، ص ١٣٨.

ثناء الناس على تفسيره : قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية «وأما التفاسير التي في أيدي الناس، فأصحها تفسير إبن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة، ولاينقل عن المتهمين ...» الفتاوي جـ٢، ص ١٩٢، مقدمة في أصول التفسير ص ١٧١

قال الإمام النووي: «أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري...» الاتقان جـ٢، ص ١٩٠، وقال ابوحامد الاسفرائيني «لوسافر رجل الى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير الطبري لم يكن ذلك كثيرا..» معجم الأدباء جـ١١ ص٤٢،

قال الدكتور الذهبي : يعتبر الطبري أبا للتفسير كما يعتبر أبا للتأريخ الإسلامي وذلك بالنظر لمافي هذين الكتابين من الناحية العلمية العالية» التفسير والمفسرون جـ١ ص ٢٠٦، انظر وفيات الأعيان جـ٢ ص ٢٣٢ - ٢٣٣، ولسان الميزان جـ٥ ص ١٠٠ - ١٠٣، قلت: وما من شك من

يقول رحمه الله عند قوله تعالى ﴿وجاء ربك والملك صفاصفا﴾(١) أى : وإذا جاء ربك يامحمد وأملاكه صفوفاً بعد صف. ثم يستشهد بالأحاديث الصحيحة ويصرح بأن الله يجئ ويأتي يوم القيامة لفصل القضاء بلاكيفية « أى على كيفية لانعلمها، وهذه الأحاديث سنذكرها بإذن الله تعالى في المبحث القادم».

والإتيان في قوله تعالى ﴿هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله...﴾(٢) والمجئ في الآية التي قبلها صفة من صفات الله عزوجل وهي من الأفعال الإختيارية له عزوجل وهي كذلك من الصفات الذاتية القائمة بذاته المقدسة، لاينفك عنها فهو القائم لذلك الفعل متى شاء ومتى أراد لايمنعه مانع، وليس مجيئه وإتيانه كمجئ وإتيان أحد من خلقه.

ويقول في آية أخرى عند قوله ﴿فعال لما يريد﴾ هو غفار لذنوب من شاء من عباده إذا تاب وأناب منها معاقب من أصر عليها وأقام ، لايمنعه مانع من فعلماأراد أن يفعله ولايحول بينه وبين ذلك حائل، لأن له ملك السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (٣).

قلت إذا كان هذا تأويلا فالتأويل في كلام المفسرين كابن جرير ونحوه يريدون به تفسير الكلام، وبيان معناه ، سواء وافق ظاهره أوخالف.وهذا اصطلاح

إمامة أبي جعفر الطبري في التفسير والعقيدة وخاصة في تفسيره لآيات الصفات والأفعال والتوحيد وغيرها ، ومع ذلك فإنه يجب اتخاذ الحذر في بعض ما يسنده من روايات إسرائيلية وغيرها في تفسيره القيم ، فياليت شعري لُحقق هذا السفر العظيم ، حتى تعم الفائدة .

١- سورة الفجر (٢٢) وانظر تفسر الآية في تفسر الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، جـ٣٠ ص ١٨٥، الطبعة الثانية . نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٢- سورة البقرة آية: (٢١٠)، وانظر تفسر الآية في تفسر الطبري جـ٤ ص ٢٦٦ ، طبعة ابن تيمية تحقيق محمود محمد شاكر .

٣- سورة البروج آية (١٦) وانظر: تفسير الآية في تفسير الطبري جـ٣٠ ص١٣٩ .

معروف وهذا التأويل كالتفسير، يقبل حقه، ويرد باطله (١) ونجده كذلك عند قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض ، مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولاأكثر إلا هو معهم أين ماكانوا ثم ينبئهم بماعملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم﴾ (٢).

يقول تعالى جل ذكره لنبيه محمد ﷺ : ألم تنظر يامحمد بعين قلبك فترى ﴿أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض﴾ من شئ لايخفى عليه صغير ذلك وكبيره يقول جل ثناؤه: فكيف يخفى على من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم، ثم وصف جل ثناؤه قربه من عباده وسماعه نجواهم ، ومايكتمونه الناس من أحاديثهم، فيتحدثونه سراً بينهم ، فقال ﴿مايكون من نجوى ثلاثة﴾ من خلقه ﴿إلا هو رابعهم﴾ يسمع سرهم ونجواهم، لايخفى عليه شئ من أسرارهم ﴿ولاخمسة إلا هو سادسهم﴾ يقول: ولايكون من نجوى خمسة إلا هو سادسهم كذلك ﴿ولا أدنى من ذلك﴾ يقول : ولا أقل من ثلاثة ﴿ولاأكثر﴾ من خمسة إلا هو معهم إذا تناجوا ﴿أينماكانوا﴾ يقول في أي موضع ومكان كانوا .

وعنى بقوله ﴿هورابعهم﴾ بمعنى أنه مشاهدهم بعلمه وهو على عرشه. كماحدثني عبدالله بن أبي زياد قال: ثني نصر بن ميمون المضروب ، قال: ثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان عن الضحاك، في قوله ﴿مايكون من نجوى ثلاثة﴾... إلى قوله ﴿وهو معهم﴾ قال: هو فوق العرش وعلمه معهم ﴿أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم﴾ (٣).

قلت: والمعية لله سبحانه وتعالى لخلقه في الآية معية علم واحاطة مع علوه على

١- انظر الموضوع بتوسع في شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٣ تحقيق جماعة من العلماء ط. دار الفكر العربي والتدمرية لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ودقائق التفسر للمؤلف ايضا جـ ص

٢- سورة المجادلة آية (٧)، وانظر : تفسير الآية في تفسير الطبري جـ ١٢/٣٠

٣- المصدر السابق جـ٣٠، ص ١٢ تفسير الآية (٧) من سورة المجادلة.

عرشه وليست هذه المعية معية ذات التي تقتضي منه خلو العرش كما يقوله نفاة الأفعال وهذا ما أراده الإمام الطبري في قوله: "بمعنى أنه مشاهدهم بعلمه وهو على عرشه" . وهذا التفسير إن كان تأويلا فهو تأويل حق وعليه أهل السنة والجماعة (١) ويتفق مع قوله تعالى ﴿ومايعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون في

١- قال شارح الطحاوية . «التأويل في كتاب الله وسنة رسوله هو الحقيقة التي يؤول اليها الكلام فتأويل الخبر هو عين المخبربه، وتأويل الأمر نفس الفعل المأموربه..» شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٢، ط، دار الفكر، وانظر كذلك التدمرية ص ٩٤تحقيق محمد بن عودة، وقال شيخ الإسلام أحمد إبن تيمية : (لفظ التأويل قد صار مستعملاً في ثلاثة معان: أحدها وهو إصطلاح كثير من المتكلمين في الفقه وأصوله. أن التأويل هو صرف اللفظ عن الإحتمال الراجح إلى الإحتمال المرجوح، لدليل يقترن به، وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات، وترك تأويلها وهل هذا محمود وحق أو مذموم وباطل؟.

والثاني : أن التأويل بمعنى التفسير وهذا هو الغالب على إصطلاح مفسري القرآن، كما يقول إبن جرير ومجاهد وقال الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري وغيرهم، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به معرفة تفسيره. وهذا التأويل هو تفسير الكلام، وهو الكلام الذي يفسر اللفظ حتى يفهم معناه أو تعرف علته أو دليله.

والثالث : أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما قال تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله ؟ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل: قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ سورة الأعراف آية : ٥٣ فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار.... وهو ماجاء في قصة يوسف ﴿وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي..... ﴾ يوسف (١٠٠) وإذا عرف ذلك فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة الغنية بمالها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات. وتأويل ما أخبر الله به من الوعد والوعيد وهو نفس ما يكون من الوعد والوعيد) التدمرية : ص ٩٦ بتصرف واختصار.

العلم (١) كما قال ابن عباس رضي الله عنه (٢)وهذا الوقف ذهب اليه بعض السلف وبعضهم وقف عند قوله ﴿إلا الله﴾ وسنأتي لتفصيل هذه القواعد في الصفحات القادمة بعد ذكر آراء المفسرين : انظر تفسير الإمام أحمد بن تيمية دقائق التفسير جـ٢، ص ٣٤٣.

ونجد كذلك الإمام الطبري رحمة الله عليه لم يتوقف عند تفسيره للصفات والأفعال الإلهية فحسب بل ناقش وردَّ عن الشبـه لمن تأول وحرف في أفعال الله تعالى، وألحد فيها.

فنجده مثلاً يفسر قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ أى : الرحمن على عرشه إرتفع وعلا (٣) وكذلك يفسر قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ قائلاً : فإنه يعني : علا عليه (٤) ثم نراه يناقش الشبه ويرد على المتأولين قائلاً لهم:-

والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله : ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ الذي هو بمعنى العلو والإرتفاع، هرباً من عند نفسه من أن يلزمه بزعمه - إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك - أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر. ثم لم ينج مما هرب منه !

١- قال ابن عباس أنا ممن يعلم تأويله . انظر الطبري جـ ص ٢٢١. عند تفسير آية (٧) من سورة آل عمران.

٢- قال الطبري : فقال بعضهم معنى ذلك وما يعلم تأويل ذلك الا الله وحده منفرد بعلمه. جـ٣ ص ١٢٢، وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (وجمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف عند قوله (إلا الله) وقدروى عن مجاهد وطائفة أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، ولا منافاة بين القولين عند التحقيق.....) التدمرية ص ٩٠، تحقيق / محمد بن عـودة .

٣- المرجع السابق جـ٦١، ص ١٣٨، تفسر أية (٥) من سورة طه.

٤- المرجع السابق ، جـ١٦، ص ٣٢٥، تفسير أية (٢) من سورة الرعد. طبعة دار المعارف. تحقيق محمود محمد شاركر.

فيقال له: زعمت أن تأويل قوله ﴿استوى﴾ أقبل أفكان مدبراً عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه إقبال تدبير.

قيل له : فكذلك قل : علا عليها علو ملك وسلطان، لاعلو انتقال أو زوال. ثم لن يقول في شئ من ذلك قولاً إلا الزم في الآخر مثله. ولو أنا كرهنا إطالة الكتاب بماليس من جنسه، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولا، لقول أهل الحق فيه مخالفاً، وفيما بينا مايشرف بذي الفهم على مافيه الكفاية إن شاء الله (١) ثم قال رحمه الله: فإن قال لنا قائل: أخبِرنا عن إستواء الله جل ثناؤه إلى السماء كان قبل خلق السماء أم بعده؟

قيل : بعده وقبل أن يسويهن سبع سموات ، قال جل ثناؤه: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان..﴾ (٢) والإستواء كان بعد أن خلقها دخانا وقبل أن يسويها سبع سموات (٣).

ونخرج من هذه النصوص كيف تمسك المفسر بعقيدة السلف الصالح وكان منهجه الإتباع لا الابتداع وخاصة لدى تفسيره لآيات الصفات والأفعال الإلهية.

وأمر آخر حيث تعرض في تفسيره لمناقشة المتكلمين الذين خاضوا في أفعال الله بمنهج أهل الكلام ونفوا قدرة الله ومشيئته في أفعال العباد وأن الله تعالى ليس له دخل في أفعال العباد والأمر مستحدث وأن الإنسان مختار حر في أفعاله ليس لله دخل في أفعاله أبدا فنجد ابن جرير الطبري يتعرض لهم ويناقشهم ويثبت عقيدة السلف الصالح مما يشهد له بذلك أنه كان عالما متمكناً في أمور العقيدة وغيرها.....

فمثلاً يقول عند تفسيره لقوله تعالى ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ (٤) "وقد

١- المرجع السابق . جـ١٦، ص ٤٢٨ - ٤٣١ باختصار ، تفسير آية (٢) من سورة الرعد.

٢- سورة فصلت آية : (١١)

٣- المرجع السابق تفسير الطبري جـ ١، ص ٤٣١

٤- المرجع السابق تفسير الطبري جـ ١، ص ٤٣١

ظن بعض أهل الغباء من القدرية أن في وصف الله جل ثناؤه النصارى بالضلال بقوله ﴿ولا الضالين﴾ وإضافة الضلال اليهم دون إضافة إضلالهم إلى نفسه وتركه وصفهم بأنهم المضللون كالذي وصف به اليهود أنه مغضوب عليهم، دلالة على صحة ماقاله إخوانه من جهلة القدرية ، جهلاً منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه.

ولوكان الأمر على ماظنه الغبي الذي وصفنا شأنه، لوجب أن يكون كل موصوف بصفة أومضاف إليه فعل لايجوز أن يكون فيه سبب لغيره، وأن يكون كل ماكان فيه من ذلك من فعله، ولوجب أن يكون خطأ قول القائل: تحركت الشجرة إذا حركتها الرياح، واضطربت الأرض إذا حركتها الزلزلة ، وما أشبه ذلك من الكلام الذي يطول بإحصائه الكتاب. وفي قوله جل ثناؤه ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ..﴾(١) وإن كان جريها بإجراء غيرها إياها مايدل على خطأ التأويل الذي تأوله من وصفنا قوله في قوله ولا الضالين ، وإدعائه أن في نسبة الله جل ثناؤه، الضلالة إلى من نسبها إليه من النصارى تصحيحاً لما ادعى المنكرون أن يكون الله جل ثناؤه في أفعال خلقه بسبب من أجلها وجدت أفعالهم مع إبانة الله عز ذكره نصاً في آي كثيرة من تنزيله: أنه المضل الهادي ، فمن ذلك قوله جل ثناؤه ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ (٢) فأنبأنا جل ذكره أنه المضل الهادي دون غيره، ولكن القرآن نزل بلسان العرب على ماقدمنا البيان عنه ، ومن شأن العرب إضافة الفعل إلى من وجد منه الفعل

فكيف بالفعل الذي يكتسبه العبد كسباً ، ويوجده الله جل ثناؤه عيناً منشأة، بل ذلك أحرى أن يضاف إلى مكتسبه كسباً له بالقوة منه عليه، والإختيار منه له،

١- سورة يونس آية (١٢)

٢- سورة الجاثية آية (٢٣)

وإلى الله جل ثناؤه بإيجاد عينه وإنشائهاتدبيرا ...)(١).

وهكذا نراه في مواضع كثيرة يتصدى للرد على المخالفين في الأفعال والأسماء والصفات الإلهية ويثبت رأى السلف ويذهب إلى ماذهب إليه السلف من عدم صرف آيات الصفات عن ظاهرها مع المعارضة لفكرة التجسيم والتشبيه والرد على أولئك الذين يشبهون الله بالإنسان ونجد هذه القضايا واضحة عند تفسيره لقوله تعالى في الآية «٦٤» من سورة المائدة ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة ... الآية﴾ جـ٦، ص ١٩٣ ومابعدها وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿.. والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه...﴾.

وما بعدها آية ٦٧ من سورة الزمر جـ ٢٤، ص ١٦ فنراه يرد عليهم بنفس أسلوبهم الكلامي والمنطقي بنصيب لايستهان مع حرصه كل الحرص على أن يحتفظ بسنيته ضد وجوه النظر التي لاتتفق مع تعاليم أهل السنة والجماعة.

والحق الذي يجب أن يقال بشأن تفسير الطبري في هذا المجال وهو نصرة مذهب أهل الحق في باب الأسماء والصفات والأفعال الربانية العلية مع ماجمعه من أقوال المفسرين الذين تقدموا عليه وما نقله للمسلمين من مدرسة ابن عباس ، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين ، وكذلك ما استفاده مماجمعه ابن جريج والسدي وابن اسحاق وغيرهم جعلت هذا التفسير من أعظم كتب التفاسير على مذهب أهل السنة والجماعة الذي هو المذهب الحق مع أن النقص والخطأ من وصف البشر والكمال المطلق لم يجعله الله لأحد من خلقه بل اختص به سبحانه لنفسه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

١- تفسير ابن جرير الطبري جـ ١ ص ٦٤ بتصرف واختصار.

رأي الإمام البغوي :-(١).

يقول رحمه الله تعالى :-

عند قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (٢) أى : أن الرحمن على العرش (٣) ثم قال: قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال ابو عبيدة : صعد ، و أولت

١- هو الإمام البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء.

ولادته : ولد سنة ٤٣٦، وفاته : توفي سنة ٥١٠هـ. نشأ وتعلم وتوفي في بغا احدى قرى خراسان . لقب : بمحي السنة، وركن الدين / وهو فقيه، ومحدث، ومفسر، تفقه على القاضي حسين وسمع الحديث منه وكان تقيا، ورعا، زاهدا، قانعا،أنظر: وفيات الأعيان :١ - ١٤٥، تهذيب بن عساكر: ٤ - ٣٤٥، دائرة المعارف الإسلامية: ٤ - ٢٧.

مبلغه من العلم : كان البغوي اماما في التفسير، اماما في الحديث، اماما في الفقه.

قال السبكي عنه في الطبقات «كان اماما جليلا ورعا، زاهدا فقيها، محدثا مفسرا، جامعا بين العلم والعمل، سالكا سبيل السلف وصنف في تفسير كلام الله تعالى ، صنف كتبا كثيرة في الفقه والحديث والتفسير وبورك له في تصانيفه ورزق فيها القبول لحسن نيته».

فمن تصانيفه: «معالم التنزيل في التفسير والتأويل»، «شرح السنة» في الحديث «والمصابيح في الحديث» و«الجمع بين الصحيحين» و«التهذيب في الفقه» وغيرها من التصانيف المفيدة المباركة.

تفسيره: معالم التنزيل في التفسير والتأويل يقع في خمس مجلدات وهو كتاب متوسط . نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم

أنظر: كشف الطنون ، جـ٢ ص ٢٨٥.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: والبغوي تفسيره مختصر عن الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الضعيفة والآراءالمبتدعة وسئل عن أى التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة: الزمخشري، ام القرطبي، أم البغوي ؟.

فأجاب : أسلمها «أى أسلم الكتب الثلاثة» من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي ، مقدمة في أصول التفسير للشيخ أحمد بن تيمية ص ١٩، الفتاوى جـ١٣ ص ٣٨.

قال محمد حسين الذهبي : قرأت فيه «أى في تفسير البغوي» فوجدته بتعرض لتفسير الآية بلفظ سهل موجز وينقل ماجاء عن السلف في تفسيرها. التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبي، جـ١ ص٢٣٦ ط ١٣٩٦/٢هـ

٢- سورة طه آية (٤)

٣- معالم التنزيل في التفسير والتأويل، تأليف : أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، جـ٣ ص ٣٣٦. عند تفسيره الآية (٢) من سورة الرعد، ط. نشر : دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، سنة الطبع ١٤٠٥هـ.

المعتزلة الاستواء بالاستيلاء.

فأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله عزوجل و أثبت مالك بن أنس الاستواء فقال إنه غير مجهول و الكيف غير معقول، وروي ذلك عن سفيان الثوري، والأوزاعي ، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينه، وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التى جاءت في الصفات المتشابهات، أمروها كما جاءت بلاكيف..»(١).

ونجده، كذلك يثبت معاني الآيات والصفات بغير كيفية لها فيثبت العلم بالصفة ويفوض الكيف بها إلى الله تعالى : يقول عند قوله تعالى : ﴿أويأتي ربك﴾ بلاكيف ، لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة (٢).

وكذلك نجده يثبت الأفعال الاختيارية لله تعالى التي أثبتها النقل ولم يمنعها العقل فهو يفعل الخير لمن يستحق وهذا إحسان منه وفضل، ويفعل الشر لمن يستحق الشر والضلال والغواية وهذا عدل منه سبحانه وما ربك بظلام للعبيد، لأنه أحاط بكل شئ علما فهو يعلم خلقه ويعلم عن كل إنسان من اى معدن ومن أى طينة هو ؟.

﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لايخرج الا نكدا﴾(٣).

يقول عند قوله تعالى ﴿ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ (٤) أى لوشاء الله لجعلكم على ملة واحدة وهي الإسلام ولكن يضل من يشاء بخذلانه إياهم عدلا منه ويهدي من يشاء بتوفيقه إياهم فضلا منه(٥).

ويقول في نفس الموضوع : «كذلك كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة، وهدى من

١- المصدر السابق و جـ٢، ص ٤٨١، عند تفسيره لآية (٥٥) من سورة الأعراف.

٢- معالم التنزيل ، للبغوي جـ٢، ص٤٤٣، سورة الأنعام آية (١٥٨)

٣- سورة الأعراف : آية (٥٨)

٤- سورة النحل:آية (٩٣).

٥- معالم التنزيل ، للبغوي ، جـ٣ ص ٤٤٧.

صدق ، فكذلك هو سبحانه وتعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء» (١) ويؤكد ذلك في أية ثالثة قائلا «أي : قال الله تعالى : يامحمد لوشاء ربك لآمن في الآرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (٢). وفي هذا تسلية للنبي ﷺ ، وذلك أنه كان حريصا على أن يؤمن جميع الناس ، فأخبره الله جل ذكره، أنه لن يؤمن الا من سبق له من الله السعادة ، ولايضل الا من سبق له من الله الشقاوة، ﴿وماكان لنفس أن تؤمن الا بإذن الله﴾ قال البغوي : قال ابن عباس الا بأمر الله وقال عطاء: بمشيئة الله ، وقيل بعلم الله (٣)، وأمارؤية الله تعالى فيقول فيها: «يتمسك أهل الإعتزال بظاهر قوله تعالى ﴿لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ (٤) في نفي الرؤية ، ومذهب أهل السنة إثبات رؤية الله عزوجل عيانا و قال الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (٥) وقال ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ (٦)قال مالك رضي الله عنه: لولم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب،وقرأ النبي ﷺ ﴿للذين احسنوا الحسنى وزيادة﴾ وفسره بالنظر الى وجه اللهعزوجل. وعلم أن الأدراك غير الرؤية لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشئ، والإحاطة به، والرؤية المعاينة وقد تكون الرؤية بلاإدراك ، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا﴾ (٧) وقال ﴿لاتخاف دركا ولا تخشى﴾ (٨)فنفى الإدراك مع إثبات الرؤية فالله

١- المصدر السابق جـ ٥، ص ٤٨٣، سورة المدثر آية (٣١).

٢- سورة يونس آية : (٩٩، ١٠٠)

٣- معالم التنزيل ، للبغوي ، جـ٣، ص ١٨٥

٤- سورة الأنعام آية (١٠٣،)

٥- سورة القيامة آية «٢٢و ٢٣»

٦- سورة الطففين آية : ١٥

٧- سورة الشعراء آية (٦١، ٦٢)

٨- سورة طه آية (٧٧)

عزوجل يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة، كما يعرف في الدنيا ، ولايحاط به قال الله تعالى ﴿لايحيطون به علما﴾ (١) فنفى الإحاطة مع ثبوت العلم .

قال سعيد بن المسيب : لاتحيط به الأبصار، وقال عطاء: كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به . وقال ابن عباس ومقاتل : لاتدركه الأبصار في الدنيا، وهو يرى في الآخرة.

وقوله ﴿وهو اللطيف الخبير﴾(٢) : قال ابن عباس رضي الله عنهما: اللطيف بأوليائه، الخبيربهم .

وقال الزهري: معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل الموصل للشيئ باللين والرفق . وقيل اللطيف الذي يُنسِي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا، وأصل اللطيف دقة النظر في الأشياء (٣).

ويقول عند قوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾(٤) القاهر : الغالب، وفي القهر زيادة معنى على القدرة. وهو منع غيره عن بلوغ المراد. وقيل : هو المفرد بالتدبير يجبر الخلق على مراده. وقوله ﴿فوق عباده﴾ هو صفة الإستعلاء الذي تفرد به الله عزوجل وهو الحكيم في أمره والخبير بأعمال عباده (٥).

ويقول عند قوله ﴿وماقدروا الله حق قدره﴾ أى : ماعظموه حق عظمته . وقيل ماوصفوه حق وصفه (٦).

ويقول عند قوله تعالى ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ (٧) ويد الله صفة من صفات ذاته،

١- سورة طه آية (١١٠)

٢- سورة الملك آية (١٤)

٣- معالم التنزيل، للبغوي، جـ ٢ ص ٤٠٠. والآية من سورة الأنعام آية (١٠٣)

٤- سورة الأنعام آية : (١٨)

٥- معالم التنزيل، للبغوي، جـ٢ ص ٣٤٣.

٦- المرجع السابق جـ٢، ص ٣٩٠. سورة الأنعام آية (٩١)

٧- سورة المائدة آية ٦٤

كالسمع ، والبصر، والوجه، وكلتا يديه يمين والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم ، وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات أمروها كماجاءت بلا كيف (١) وأما عن أفعاله تعالى وأنها تشتق منها الأسماء والصفات ، يقول في قوله تعالى ﴿إن الله اصطفى آدم نوحا﴾ (٢) الآية و قال إبن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود : نحن من أبناء إبراهيم واسحاق ويعقوب . ونحن على دينهم ، فأنزل الله تعالى الآية .

وقال البغوي يعني : أن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام وأنتم على غير دين الإسلام و اصطفى : اختار أفتعل من الصفوة ، وهي الخالص من كل شئ (٣) . وأما قوله تعالى : ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾ (٤) قال البغوي : قال الضحاك يصنعون ويصنع الله و قال البغوي والمكر التدبير، وهو من الله التدبير بالحق وفي قوله تعالى : ﴿وأيدكم بنصره﴾ (٥) أى قواكم وقوله ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ بنصرته إياكم وتقويته لكم.

وفي قوله تعالى : ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ (٦). قال سعيد بن جبير وعطاء يحول بين المؤمن والكافر، وبين الكفر والإيمان.

وقال مجاهد: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا باذنه سبحانه وتعالى (٧).

وأما تفسيره للصفات والأسماء فيقول رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى

١- معالم التنزيل للبغوي، جـ٢، ص ٢٧٧.

٢- سورة آل عمران، آية «٣٣»

٣- معالم التنزيل، للبغوي جت ١ ص ٤٥٢.

٤- سورة الأنفال ، آية (٣٠) . معالم التنزيل ، للبغوي جـ ٢ ص ٦٢٣.

٥- سورة الأنفال، آية (٢٦) . معالم التنزيل ، للبغوي جـ٢ ص ٦١٩.

٦- سورة الأنفال (٢٦) معالم التنزيل و للبغوي جـ٢ ص ٦١٠

٧- سورة الأنفال آية (٢٤) معالم التنزيل ، للبغوي جـ ٢ ص ٦١٦

﴿الرحمن الرحيم﴾ (١).

قال البغوي « قال ابن عباس رضي الله عنهما : هما إسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر » واختلفوا فيهما ، منهم من قال : هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم ومعناهما ذوالرحمةو وذكر أحدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب الراغبين، وقال المبرد : هو إنعام بعد إنعام ، وتفضل بعد تفضل ومنهم من فرق بينهما فقال: الرحمن معنى العموم ، والرحيم معنى الخصوص . فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا، وهو على العموم لكافة الخلق . والرحيم بمعنى العافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على الخصوص . ولذلك قيل في الدعاء "يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة" .

فالرحمن : من يصل رحمته إلى الخلق على العموم .

والرحيم : من يصل رحمته إلى الخلق على الخصوص. ولذلك يدعى غير الله رحيما، ولايدعى رحمن ، فالرحمن عام المعنى ، خاص اللفظ، والرحيم ترك عقوبة من يستحقها، وإسداء الخير إلى من لايستحق، فهي على الأول صفة ذات، وعلى الثاني صفة فعل» (٢).

نلاحظ من النص السابق أن الإمام البغوي يثبت الأسماء والصفات لله تعالى وكذلك يثبت ما يدل عليه اللفظ في لغة العرب أى أنه يثبت العلم بالأسماء والصفات ويفوض الكيف إلى الله تعالى كما سبق ذلك في تفسيره للآيات الأخرى في باب الصفات ويثبت أيضا أفعال الله تعالى على مايليق بجلاله وأن أفعال الله وإرادة الله ومشيئتة الله مُقَدّمةٌ على أفعال وإردة ومشيئة العبد.

ونكتفي بهذه النصوص والآراء من تفسير الإمام البغوي ولاحظنا كيف سلك المؤلف منهج السلف الصالح فى باب الأفعال والصفات الإلهية وننتقل إلى تفسير ومفسر آخر.

١- سورة الفاتحة آية (٢)

٢- معالم التنزيل في التفسير والتأويل للبغوي جـ١ ص ٢٥

رأي الإمام ابن الجوزي :- (١).

يقول رحمه الله عند قوله تعالى ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن

١- هو الإمام : أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ينتهي نسبه إلى ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولد سنة ثمان وخمسمائة للهجرة انصرف عن اللعب إلى مجالس العلم منذ صغره فأخذ العلم عن شيوخه الذين بلغ عددهم الكثير ذكر منهم ٨٧ شيخا وامتاز ابن الجوزي بميزات جعلت منه أكبر عالم في عصره مع كثرة مصنفاته في شتى الفنون والعلوم من التفسير والفقه والحديث والتواريخ مع حظوته في الوعظ حيث كان يحضر مجلسه الملوك والوزراء وبعض الخلفاء وأصيب بحسد الحاسدين ودس الدساسين فسجن وبقي في سجنه خمس سنين من سنة ٥٩٠ هـ حتى سنة ٥٩٥هـ، حيث أفرج عنه فقدم بغداد ، واستقبله خلق كثير، وعاد إلى الوعظ والإرشاد والكتابة ونشر العلم حتى توفاه الله ليلة الجمعة ١٢ رمضان سنة ٥٩٧هـ، بين العشائين وقد قارب التسعين من العمر ودفن قرب مدفن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

ثناء الناس عليه:

١ - قال ابن خلكان : كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف في فنون كثيرة منها: زاد المسير في علم التفسير، والمنتظم في التواريخ ، والموضوعات في الحديث وبالجملة فكتبه اكثر من أن تعد.

٢ - قال عنه الحافظ ابن كثير: أحد أفراد العلماء ، برز في علوم كثيرة ، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوا من ثلاثمائة مصنف، وله في العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير، والحديث ، والتاريخ ، والحساب ، والنجوم، والطب، والفقه، وغير ذلك من اللغة والنحو.

٣ - وقال ابن جبير بعد أن وصف مجلسا كان ابن الجوزي يعظ فيه: وماكنا نحسب أن متكلما في الدنيا يعطى من امتلاك النفوس والتلاعب فيها ما أعطى هذ الرجل ، فسبحان من يخص بالكلام من يشاء من عباده.

٤ - قال الحافظ الذهبي : ماعلمت أن احدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل.

أما تفسيره المسمى «زاد المسير في علم التفسير» ثمان مجلدات من القطع المتوسط، وقبل تفسيره وكتابته قرأ كتب التفاسير السابقة واشبعها قراءة ودراسة وقرأ العلوم المساعدة ثم ألف تفسيره مخلصا من التطويل الممل ومن الإختصار المخل .

مدا ..﴾(١) أي من كان في الكفر والعمى عن التوحيد فالله تعالى جعل جزاء ضلالته أن يتركه فيها قال إبن الأنباري: خاطب الله العرب بلسانها ، وهي تقصد التوكيد للخبر بذكر الأمر يقول أحدهم : إن زارنا عبدالله فلنكرمه ، بقصد التوكيد، وينبه على أني أُلزم نفسي إكرامه، ويجوز أن تكون اللام لام الدعاء على معنى : قل يامحمد : من كان في الضلالة فاللهم مدله في العمر مدا .

قال المفسرون: ومعنى مد الله تعالى له: إمهاله في الغي (٢).

ويقول عند قوله تعالى ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ (٣)إختلفوا في معنى إضافة معنى قتلهم إليه على أربعة أقوال :-

أحدها : أنه قتلهم بالملائكة الذين أرسلهم.

والثاني: أنه أضاف القتل إليه لأنه تولى نصرهم .

والثالث: لأنه ساقهم إلى المؤمنين وأمكنهم منهم.

والرابع: لأنه القى الرعب في قلوبهم.

وأما قوله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾(٤) إختلفوا في معنى إضافة الرمي.

إلى ثلاثة أقوال:

أحدها : أن المعنى : وما ظفرت أنت ولا أصبت ولكن الله أظفرك وأيدك.

والثاني: وما بلغ رميك كفاً من تراب أوحصى أن تملأ عيون ذلك الجيش الكثير إنما الله تولى ذلك.

والثالث : وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب

١- سورة مريم ، آية «٧٥»

٢- زاد المسير، لابن الجوزي جـ١ ص ١٨٠

٣- سورة الأنفال، آية «١٧»

٤- سورة الأنفال ، آية «١٧»

ويقول : عند قوله تعالى :

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذرو الذين يلحدون في اسمائه يسيجزون ما كانوا يعملون﴾ (١). والمعنى : أن اسماء الله حسنى، وليس المراد أن فيها ماليس بحسن وقوله : فادعوه بها أى : نادوه بها ، كقولك : يا الله ، يارحمن. والإلحاد : العدول عن الاستقامة، ولاينبغي لأحد أن يدعوه بمالم يسم به نفسه، فيقول ياجواد ولايقول ياسخي، ويقول ياقوي، ولايقول ياجلد ويقول يارحيم، ولايقول يارفيق. لأنه لم يصف نفسه بذلك (٢).

ويتضح من النص السابق أن المصنف رحمه الله يريد أن يثبت أن الأسماء والصفات لله تعالى أمر توقيفي يتوقف على الدليل من القرآن أو من السنة، فلا يجوز لأحد أن يصف الله بوصف، أو أن يسميه باسم لم يرد عليه دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ.

ويقول أيضا عند قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ (٣) قد شذ قوم فقالوا العرش بمعنى الملك. وهذا عدول عن الحقيقة إلى التجوز، مع مخالفة الأثر، ألم يسمعوا قوله تعالى ﴿وكان عرشه على الماء﴾(٤) أتراه كان الملك على الماء؟ وكيف يكون الملك ياقوتة حمراء؟

وبعضهم يقول استوى بمعنى استولى، ويحتج بقول الشاعر:

حتى استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق.

وبقول الشاعر:

مهما استويا بفضلهما جميعا   على عرش الملوك نعير زور.

١- سورة الأعراف ، آية : «١٨٠» المسير، لابن الجوزي، جـ٣، ١٩٨.

٢- زاد المسيرو لابن الجوزي. جـ٣ ص ١٩٨.

٣- سورة الأعراف آية «٥٤»

٤- سورة هود آية (٧)

وهذا منكر عند اللغويين ، قال ابن الأعرابي: العرب لاتعرف استوى بمعنى استولى ومن قال ذلك فقد أعظم . قالوا وإنما يقال استولى فلان على كذا، إذا كان بعيدا عنه غير متمكن منه، ثم تمكن منه والله عزوجل لم يزل مستوليا على الأشياء والبيتان لايعرف قائلهما كذا قال ابن الفارس اللغوي ولو صحا فلا حجة فيهما لما بينا من إستيلاء من لم يكن مستوليا، نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة (١).

ويقول عند قوله تعالى ﴿وماقدروا الله حق قدره﴾ (٢) معنى الآية على ثلاثة أقوال:-

١ - ماوصفوه حق صفته ، قاله أبو العالية، واختاره الخليل.

٢ - ماعظموا الله حق عظمته وقاله ابن عباس، والحسن، والفراء، وثعلب، والزجاج.

٣ - ماعرفوه حق معرفته، قاله أبوعبيدة. (٣).

ويقول : في الادراك قولان في قوله تعالى ﴿لاتدركه الأبصار﴾ (٤) أحدهما : أنه بمعنى الإحاطة، .

والثاني: بمعنى الرؤية . وفي الأبصار قولان : أحدهما : أنها العيون، قاله الجمهور، والثاني:أنها العقول. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: لاتحيط به الأبصار، رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب، وعطاء. وقال الزجاج معنى الآية: الإحاطة بحقيقتة وليس فيها دفع للرؤية، لما صح عن رسول الله ﷺ من الرؤية، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث.

والثاني : لاتدركه الأبصار إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، رواه عكرمة عن ابن عباس.

١- زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، جـ٣ ص ١٤٤

٢- سورة الأنعام آية (٩١)

٣- زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي جـ٣، ص ٥٧.

٤- سورة الأنعام آية : «١٠٣»

الثالث : لاتدركه الأبصار في الدنيا، ويدل على أن الآية مخصوصة بالدنيا قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ (١) فقيد النظر إليه بالقيامة : وأطلق في هذه الآية ، والمطلق يحمل على المقيد.

وقوله تعالى ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ فيه قولان: وهما الإحاطة والرؤية في الإدراك، والعيون والعقول في الأبصار، قال الزجاج: وفي هذا الإعلام دليل على أن خلقه لايدركون الأبصار ، أى : لايعرفون حقيقة البصر، وما الشئ الذي صاربه الإنسان يبصر من عينيه، دون أن يبصر من غيرهما من أعضائه. فأعلم الله أن خلقا من خلقه لايدرك المخلقون كنهه، ولايحيطون بعلمه، فكيف به عزوجل فأما اللطيف، فقال أبوسليمان الخطابي: هو البر بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لايعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لايحتسبون. قال إبن الأعرابي: اللطيف الذي يوصل إليك أربك في رفق ومنه قولهم ألطف الله بك ويقال: هو الذي لَطَفَ عَنْ أن يُدرْك بالكيفية وقد يكون اللطف بمعنى الدقة والغموض، ويكن بمعنى الصغر في نعوت الأجسام، وذلك مما لايليق بصفات الباري سبحانه .

وقال الأزهري: اللطيف من أسماء الله ، معناه الرفيق بعباده، والخبير : العالم بكنه الشئ، المطلع على حقيقته. (٢).

ويقول أيضا عند قوله تعالى : ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾. (٣).

المراد من الآية : لايغفر لمشرك مات على شركه. وفي قوله تعالى ﴿ لمن يشاء ﴾ نعمة عظيمة من وجهين:-

أحدهما : أنها تقتضي أن كل ميت مات على ذنب دون الشرك لايقطع عليه بالعذاب، وإن مات مصراً .

١- سورة القيامة آية (٢٢-٢٣)

٢- زاد المسير بعلم التفسير و لابن الجوزي جـ٣، ص ٨٦.

٣- سورة النساء آية : ٤٨

والثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهوأن يكونوا على خوف وطمع(١).

وفي قوله تعالى ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله﴾ (٢) وفي معنى الآية قولان:

أحدهما : كلما جمعوا لحرب النبي ﷺ فرقهم الله.

الثاني: كلما مكروا مكرا رده الله. (٣) ويقول في قوله تعالى : ﴿ وماينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا﴾(٤) أى : مايصلح له، ولايليق به إتخاذ الولد، لأن الولد يقتضي مُجانسة، وكل متخذ ولدا يتخذه من جنسه، والله تعالى منزه عن أن يجانس شيئاو أو يجانسه، فمحال في حقه إتخاذ الولد (٥) .

ويقول عند قوله تعالى ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه﴾ قوله نقذف: أى : نسلط الحق وهو القرآن على الباطل وهو كذبهم ، فيدمغه: فيكسره. والمعنى: إنا نبطل كذبهم بمانبين من الحق حتى يضمحل ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ أي من وصفكم الله بما لايجوز (٦) لأن المشركين قالوا إن الملائكة بنات الله فقال الله ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ﴾ (٧) والمراد باللهو : الولد. رواه أبوصالح عن ابن عباس وبه قال السدي .

قال الزجاج المعنى: لو أردنا أن نتخذ ولداً ذا لهوٍ نلهى به.

وقال بعضهم : المرأة رواه عطاء عن ابن عباس ،

وقال آخرون : اللعب.

وقوله ﴿ لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ قال ابن جريج : لاتخذنا نساءاً وولداً من أهل السماء.

١- زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي جـ٢، ص ١٣٦.

٢- سورة المائدة، آية : ٦٤

٣- زاد المسير ص ٢٩٩.

٤- سورة مريم ، آية : (٩٢)

٥- زاد المسير جـ ٥، ص ١٨٥.

٦- الآية من سورة الأنبياء ورقمها ١٨و وتفسيرها في زاد المسير جـ٥ ص ٢٣٧

٧- سورة الأنبياء آية (١٧)

رأي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :- (١).

١- هو الإمام شيخ الإسلام ، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله الحراني الدمشقي الحنبلي، أبوالعباس، تقي الدين ابن تيمية ولد سنة ٦٦١هـ = ١٢٦٣م فى حران ، ثم انتقل مع والده الى دمشق، فنشأبها، ونبغ واشتهر وزاع صيته بين الناس، طلب إلى مصر من أجل فتوة أفتى بها فقصدها فسجن مدة ثم أنتقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق ، ثم أعيد . وتوفي معتقلا بقلعة دمشق في ليلة الإثنين من ذى القعدة من سنة ٧٢٨هـ - ١٣٢٨م كانت حياته حافلة بالجد والنشاط والتعليم والتعلم والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة البدع والخرافات وكان رحمة الله عليه كثير البحث في فنون الحكمة ، داعية إصلاح في الدين،ومجاهد،ومناضل عظيم،آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان،انتفع بعلمه كثير من الناس ولازال إلى اليوم، أما عن تفسيره فليس له كتاب كامل في التفسير وإنما تعرض للآيات التى أخطأ فيها كثير من المفسرين، ولهذا لم يصل إلينا كتابٌ واحدٌ كاملاً في التفسير . ولما طلب منه أحد أقربائه وأصفيائه عن كتابة تفسير للقرآن الكريم - فقد كان يلقي دروس التفسير مشافهة على تلاميذه- فأجاب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية قائلاً : (إن القرآن فيه ماهو بين بنفسه، وفيه ماقد بينه المفسرون، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ولايتبين له تفسيرها، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيراً، ويفسر غيرها بنظيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل، لأنه أهم من غيره، وإذا تبين معنى آية تبين معاني نظائرها ...) ومن هنا يتبين لنا أن الإمام ابن تيمية لم يهتم إلا ببعض الآيات التى أشكلت على غيره من المفسرين والذي يهمنا من تفسيره أن نرى رأيه في الأفعال الإلهية لله تعالى.

ثناء الناس له:

قال صاحب الدرر: ناظر العلماء واستدل وبرع فى العلم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين. جـ١ : ١٤٤، (وقال صاحب البداية والنهاية : اشتغل بالعلوم، وكان ذكيا كثير المحفوظ، فصار إماما في التفسير وما يتعلق به، عارفا بالفقه عالما بالأصول والفروع والنحو واللغة، أثني عليه الكثير مثل ابن دقيق العيد، والقاضي الحنفي ابن الحريري وابن الزملكاني، قال ابن الزملكاني : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد ...) جـ١٤ ص ١٤٢.

وجاء في ترجمة الذهبي في التاريخ الكبير عن ابن تيمية قوله : وأما التفسير فمسلم إليه وله من استحضار الآيات من القرآن قوة عجيبة، ولفرط إمامته في التفسير وعظم إطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويوحي أقوالا عديدة وينصر قولا واحدا موافقا لما دل عليه القرآن

يقول الإمام أحمدإبن تيمية: (من أعظم الأصول معرفة الإنسان ربه بما نعت به نفسه من الصفات الفعلية، كقوله في هذه السورة: ﴿الذي خلق * خلق الإنسان من علق﴾ (١) و (الخلق) مذكور في مواضع كثيرة وكذلك غيره من الأفعال . وهو نوعان:-

١) فعل يحتاج إلى مفعول به مثل (خلق) ، فإنه يقتضي مخلوقا، وكذلك (رزق) . كقوله تعالى ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء﴾(٢)وكذلك الهدى، والإضلال، والتعليم، والبعث، والإرسال والتكليم. وكذلك ما أخبر به من قوله: ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ (٣)﴿فسواهن سبع سموات﴾ (٤)﴿والسماء بنيناها بأييد﴾(٥) وقوله ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماءاًفأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾ (٦)وقوله ﴿الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء

والحديث، ويكتب في اليوم والليلة، من التفسير نحواً من أربعين كراريس....) وقال عنه أبو الفتح اليعمري: (..... إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته). وسنتطرق لهذه الشخصية ببيان وتوضيح أكثر ونتعرض لآرائه وكلام الناس فيه ونناقشها بالأدلة إن شاء الله . أنظر بتوسع: في الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي جـ٢ ص ٣٨٨، فوات الوفيات ١/٣٥-٤٥، دائرة المعارف الإسلامية ١/١٠٩، الأعلام لخير الدين الزركلي جـ١/١٤٤، الحافظ أحمد بن تيمية لأبي الحسن الندوي ص٢٣٧، الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام كافر للحافظ : محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي (٥٦-٢٢٢)

١- سورة العلق، أية (٢،١)

٢- سورة الروم، آية (٤٠)

٣- فصلت، آية (١٢).

٤- البقرة، آية (٢٩)

٥- الذاريات آية (٤٧)

٦- البقرة، آية (٢٢)

وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات﴾(١)وهذا في القرآن كثير جدا .

٢) فعل لازم كقوله : ﴿ثم استوى على العرش ﴾ (٢)، ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل....﴾ (٣) ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك﴾ (٤) وقوله ﴿وجاء ربك﴾ (٥).

فأما النوع الأول : فالمسلمون متفقون على إضافته إلى الله، وأنه هو الذي يخلق ويرزق لكن هل قام به فعل هو الخلق؟ أو الفعل هو المفعول؟ والخلق هو المخلوق ؟ وهذا فيه قولان عند المثبتين للصفات في الأفعال الإلهية:-

القول الأول: لايقوم به فعل وإنما الفعل هو المفعول وهذا قول طائفة منهم (الأشعرى وأصحابه، وغير أصحابه كابن عقيل وهو أول قول القاضي أبي يعلى وهؤلاء لايقسمون الصفات إلى ذاتيه ومعنوية، وفعلية وهذا تقسيم لاحقيقة له.

القول الثاني:-

أنه تقوم به الأفعال وهذا قول السلف وجمهور مثبتة الصفات ومن قال إنه يتكلم بمشيئته وإختياره كلاماً يقوم بذاته يمكنه أن يقول إنه يفعل باختياره ومشيئته فعلا يقوم بذاته. ومن قال بقيام الأمور الإختيارية بذاته:- منهم من يصحح دليل الأعراض . والإستدلال على حدوث الأجسام . كالكرامية ومتأخري الحنفية، والمالكية، والحنابلة، والشافعية. ومنهم من لايصححه كأئمة السلف، وأئمة السنة، والحديث وأحمد بن حنبل والبخاري وغيرهم.

وأما الأفعال اللازمة كالإستواء والمجئ - فالناس متنازعون في نفس إثباتها

١- سورة المؤمن، آية (٦٤)

٢- سورة الأعراف ٥٤، وانظر الإستواء المذكور في آيات أخرى، سورة يونس ٣، الرعد ٢، طه ٥، الفرقان ٥٩ ، ألم السجدة : ٤، الحديد : ٤.. (٢٩)

٣- سورة البقرة آية ٢١٠

٤- سورة الأنعام آية ١٥٨

٥- الفجر آية ٢٢

لأن هذه ليس فيه مفعول موجود يعلمونه حتى يستدلوا بثبوت المخلوق على الخلق وإنما عرفت بالخبر فالأصل فيها الخبر لا العقل والذين أثبتوا الصفات الخبرية لهم في هذه قولان.

القول الأول :-

منهم من يجعلها من جنس الفعل المتعدي لجعلها أموراً حادثة وهذا قول الأشعري ومن وافقه كالقاضي أبي يعلى، وابن الزاغوني، وابن عقيل.

القول الثاني:-

أنها دلت عليه أفعال تقوم بذاته بمشيئته واختياره كما قالوا مثل ذلك في الأفعال المتعديه، وهذا قول أئمة السنة والحديث والفقه، والتصوف وكثير من أصناف أهل الكلام. ولهذا صار الناس فيما ذكر الله في القرآن من الإستواء والمجئ ونحو ذلك على عدة أقوال منها:-

١) طائفة يقولون/ تجري على ظاهرها ويجعلون إتيانه من جنس إتيان المخلوق ونزوله من جنس نزولهم . وهؤلاء هم المشبهة الممثلة، ومن هؤلاء من يقول: إذا نزل خلا منه العرش فلم يبق فوق العرش.

٢) وطائفة يقولون:- بل النصوص على ظاهرها اللائق به، كما في سائر ماوصف به نفسه، وهو ليس كمثله شئ لافي ذاته، ولافي صفاته، ولا في أفعاله. ويقولون نزل نزولا يليق بجلاله وكذلك يأتي إتيانا يليق بجلاله. وهو عندهم ينزل ويأتي. ولم يزل عاليا وهو فوق العرش ، كما قال حماد بن زيد: هو فوق العرش يقرب من خلقه كيف يشاء. وقال إسحاق بن راهوية: ينزل ولايخلو منه العرش ونقل ذلك عن أحمد بن حنبل في رسالته. وتفسير النزول بفعل يقوم بذاته هو قول علماء أهل الحديث ، وهو الذي حكاه أبوعمر بن عبدالبر عنهم، وهو قول عامة القدماء من أصحاب أحمد وقد صرح به إبن حامد وغيره.

٣ ، ٤) وطائفتان واقفتان: منهم من يقول: ماندري ما أراد الله بهذا ومنهم من لايزيد على تلاوة القرآن. وعامة المنتسبين إلى السنة واتباع السلف يبطلون تاويل من يتأول الباطل... (١).

من النص السابق يتضح لنا أن المفسر على علم واطلاع واسع في باب الأفعال الإلهية وأنه يسير في هذا الموضوع ثابت الجنان بأدلة من القرآن والسنة تؤيد ما يقوله. وينتصر لمذهب السلف في إثباتهم لأفعال الله تعالى التى أثبتها النقل ، سواء كانت هذه الأفعال أفعالا متعدية أو أفعالا لازمة، فإثباتها لله تعالى لايستلزم منه تشبيه ولاغيره كما زعمت ذلك الفرق الأخرى، فالمتكلمون سواء كانوا معتزلة أو غيرهم تابعوا الفلاسفة في أن الصفات تستلزم التعدد والتركيب والإفتقار أو مشابهة المخلوقات والأشاعرة تأولوا المجئ والإستواء والنزول لأنها تستلزم الحركة والإنتقال والمشابهة للحوادث - وهؤلاء سنفرد لهم البحث والمناقشة في فصول مخصصة قادمة - أما غيرهم من الذين سكتوا وقالوا السكوت أسلم.

فهؤلاء يقول في شأنهم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (قلت لاريب انه يجب الايمان بكل ما أخبر به الرسول وتصديقه فيما أخبربه فلا يشترط في الايمان المجمل العلم بمعنى كل ما أخبر به، هذا لاريب فيه وهو متفق عليه بين السلف والخلف ومازال كثير من الصحابة يمر بآية أو لفظ من القرآن لايفهمه فيؤمن به وإن لم يفهم معناه لكن هل يكون في القرآن ما لايفهمه أحد من الناس، بل ولاالرسول ، عند من يجعل التأويل هو معنى الآية ويقول: إنه لايعلمه الا الله

١- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية. تحقيق د/ محمد السيد الجليند جـ٥،ص ٢٢٥ - ٢٤٠ باختصار وتصرف، ط الثالثة ١٤٠٦هـ نشر دار القبلة الإسلامية - جدة.

فيلزم أن يكون في القرآن كلام لايفهمه لا الرسول، ولا أحد من الأمة بل ولاجبريل وهذا هو المنكر الذى أنكره العلماء.وفرق بين أن يقال الرب الذي هو يأتي إتيانا يليق بجلاله، أو يقال ما ندري هل هو الذي يأتي أو أمره. فكثير من هؤلاء لايجزم بأحدهما بل يقول أسكت ، فالسكوت أسلم .

ولاريب أن من لم يعلم فالسكوت له أسلم، لكن هو يقول أن الرسول وجميع الأمة كانوا كذلك لايدرون ! هل المراد به هذا أو هذا ؟ ولا الرسول كان يعرف ذلك ؟

فقائل هذا مبطل متكلم بمالا علم له به وكان يسعه أن يسكت عن هذا لايجزم بأن الرسول و الأئمة كلهم جهال يجب عليهم السكوت كما يجب عليه)(١).

ثم يذهب المفسر بعد هذا الرد إلى إثبات أفعال الله تعالى اللازمة و المتعدية و الإختيارية كما أثبتها النقل مثل النزول و الإتيان و المجئ قائلاً ليس في إثبات ذلك تشبيه صفات الله و أفعاله بصفات و أفعال المخلوقين ولافرق بينها وبين الأفعال التى تحتاج إلى مفعول فالأمر توقيفي لاغير و الأحسن أن نكون مع النص .

يقول رحمه الله : (أما كون إتيانه ومجيئه ونزوله ليس مثل إتيان المخلوق ومجيئه ونزوله فهذا أمر ضروري متفق عليه بين علماء السنة ومن له عقل فان الصفات و الأفعال تتبع الذات المتصفة الفاعلة، فإذا كانت ذاته مباينة لسائر الذوات ليست مثلها، لزم ضرورةً أن تكون صفاته مباينة لسائر الصفات ليست مثلها ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفة كل موصوف إلى ذاته. ولاريب أن العلي الأعلى العظيم، فهو أعلى من كل شئ ، و أعظم من كل شئ فلايكون نزوله

١- المصدر السابق، جـ٥، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

وإتيانه بحيث تكون المخلوقات تحيط به أو تكون أعظم منه وأكبر.

وأما لفظ الزوال والإنتقال فهذا اللفظ مجمل والأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص، فيثبت ما أثبته الله ورسوله باللفظ الذي أثبته، وينفي ما نفاه الله ورسوله باللفظ الذي نفاه، وهو أن يثبت النزول والإتيان والمجئ، وينفي المثل، والسمي والكفوء والند) (١). ويقول أيضا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الذي خلق * خلق الإنسان من علق﴾ (٢). معرفا نفسه لخلقه. «في هذا المقام بيان لتعريفه بما قد عرف من الخلق عموما، وخلق الإنسان خصوصا، وأن هذا مما تعرف به الفطرة كما تقدم. ثم إذا عرف أنه الخالق فمن المعلوم بالضرورة أن الخالق لايكون إلا قادرا، بل كل فعل يفعله فاعل لايكون إلا بقوة وقدرة، حتى أفعال الجمادات، كهبوط الحجر والماء وحركة النار هو بقوة فيها، وكذلك الإنسان وغيره، والخلق أعظم الأفعال، فإنه لايقدر عليه إلا الله. فالقدرة عليه أعظم من كل قدرة وليس لها نظير من قُدَرة المخلوقين، وأيضا فالتعليم بالقلم يستلزم القدرة. فكل من الخلق والتعليم يستلزم القدرة. وكذلك كل منهما يستلزم العلم. فإن المعلم لغيره يجب أن يكون هو عالماً بما علمه إياه، وإلا فمن الممتنع أن يعلم غيره مالايعلمه هو. والخلق أيضاً يستلزم العلم كما قال تعالى ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (٣) وذلك من جهة أن الخلق يستلزم الإرادة. فإن فعل الشئ على صفة مخصوصة ومقدار مخصوص لايكون إلا بإرادة خصص هذا عن ذاك، والإرادة، تستلزم العلم فلا يريد المريد إلا ما شعر به وتصوره في نفسه، والإرادة، بدون الشعور ممتنعة، وأيضا فالخلق -أي

١- دقائق التفسير ٥/٢٥٢ - ٢٥٣ بتصرف

٢- سورة العلق آية (١، ٢)

٣- سورة الملك آية (١٤)

خلق الإنسان- هو فعل لذات الإنسان الذي هو من عجائب المخلوقات وفيه من الإحكام والإتقان ما يبهر العقول، والفعل المحكم المتقن لا يكون إلا من عالم بما فعل، فالخلق، يدل على العلم(١).

ويقول عند قوله تعالى ﴿ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ (٢).

مستدلا بالآية على إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة، يقول رحمه الله: (وأما الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، كمالك، والثوري والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد واسحاق وأبي حنيفة وأبي يوسف وأمثال هؤلاء وسائر أهل السنة والحديث والطوائف المنتسبين إلى السنة والجماعة كالكلابية والكرامية والأشعرية والسالمية وغيرهم فهؤلاء كلهم متفقون على إثبات الرؤية لله تعالى والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ عند أهل العلم.

وأما احتجاج النفاة بقوله تعالى ﴿لاتدركه الأبصار﴾ على نفي الرؤية فالآية حجة عليهم لا لهم، لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية، أو الرؤية المقيدة بالإحاطة، والأول باطل، لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال أنه أدركه، كما لايقال أحاط به، كما سئل إبن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال: ألست ترى السماء؟ قال بلى، قال أكُلّها ترى؟ قال: لا.

ومن رأى الجيش أو الجبل لايقال أنه أدركها، وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها وإذا كان المنفي هو الإدراك، فهو سبحانه وتعالى لايحاط به رؤية كما لايحاط به علما، ولا يلزم من نفي إحاطة العلم والرؤية نفي العلم والرؤية بل يكون ذلك دليلا على أنه يرى ولايحاط به، كما يعلم ولايحاط به،

١- دقائق التفسير، (٥/٢١٥)

٢- سورة الأنعام: (١٠٣)

فإن تخصيص الإحاطة بالنفي يقتضي أن مدرك الرؤية ليس بمنفي، وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم....)(١).

ومما سبق يتضح لنا أن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية مثبت لله تعالى الأفعال والأسماء والصفات على حقيقتها. بل إنه يفصل في جميع الأفعال الإلهية التي ورد ذكرها في القرآن والسنة ويصنفها إلى أفعال لازمة وأفعال متعدية ويناقش المخالفين فيها ويضع قاعدة عظيمة وجليلة في مسائل الصفات والأفعال من حيث وجوب النوع مطلقا وجواز الآحاد معينا من أفعال الباري سبحانه وتعالى وصفاته وأسمائه فيقول: (المضافات الى الله سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة سواء كانت إضافة اسم إلى اسم أو نسبة فعل إلى اسم، أوخبر باسم عن اسم لايخلو من ثلاثة أقسام:-

القسم الأول: إضافة الصفة الى الموصوف . كقوله تعالى ﴿ولايحيطون بشيء من علمه﴾ (٢) وقوله: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ (٣).

وحديث الإستخارة : « اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك» (٤)

والحديث الآخر :«اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق» (٥)

فهذا في الإضافة الإسمية.

وإما بصيغة الفعل / كقوله : ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ (٦) وقوله ﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم﴾(٧).

وإما بالخبر الذي هو جملة إسمية : كقوله : ﴿والله بكل شئ عليم﴾(٨)، ﴿والله

١- دقائق التفسير جـ ٣ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ بتصرف.

٢- سورة البقرة آية (٢٥٥)

٣- الذاريات آية (٥٨)

٤- رواه البخاري في باب التوحيد، جـ٢ ص ٦٠ باب الدعوات.

٥- النسائي في كتاب الدعاء جـ٣، ص ٥٤.

٦- سورة البقرة آية (١٨٧)

٧- المزمل آية (٢٠)

٨- سورة البقرة، آية (٢٨٢)

على كل شئ قدير﴾(١).

وإما بالخبر الذي هو جملة فعلية/ كقوله : ﴿علم أن لن تحصوه﴾ (٢).

القسم الثاني / إضافة المخلوقات كقوله ﴿ناقة الله ﴾ (٣) ﴿رســـول الله ﴾(٤) ﴿عباد الله﴾(٥) وقوله ﴿ذو العرش ﴾(٦) وقوله ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾(٧)فهذا القسم لاخلاف بين المسلمين في انه مخلوق.

القسم الثالث: وهو المهم ما فيه معنى الصفة والفعل:-

مثل قوله تعالى : ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾(٨)، وقوله ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾(٩) ، وقوله ﴿إن الله يحكم مايريد﴾(١٠)، ﴿فعال لمايريد﴾ (١١)، وقوله ﴿وغضب الله عليه﴾ (١٢)، وقوله ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾(١٣)، وقوله ﴿ذلك بأنهم اتبعوا مااسخط الله وكرهوا رضوانه﴾(١٤) وقوله ﴿رضي

١- سورة البقرة آية (٢٨٤)

٢- المزمل﴾ آية (٢٠)

٣- الشمس آية (١٣)

٤- التوبة آية (١٢٠)

٥- الإنسان آية (٦)

٦- غافر آية (١٥)

٧- سورة البقرة آية (٢٥٥)

٨- النساء آية (١٦٤)

٩- يس آية (٨٢)

١٠- المائدة آية (١)

١١- البروج آية (١٦)

١٢- النساء آية (٩٣)

١٣- الزخرف آية (٥٥)

١٤- محمد آية (٢٨)

الله عنهم ورضوا عنه﴾(١)، وقوله ﴿وقل رب اغفر وارحم﴾ (٢)، وقوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ (٣) وقوله ﴿وجاء ربك﴾(٤) ، وقوله ﴿ أن يأتيهم الله﴾ (٥) وقوله ﴿ أو يأتي ربك﴾ (٦). وكما جاء في الحديث "إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله" (٧)والحديث الآخر "يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة" (٨) والحديث الآخر "ينزل ربنا الى سماء الدنيا..." (٩) والحديث الآخر "إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات ...."(١٠).

فيقول الإمام أحمد بعد ضرب هذه الأمثلة : والناس في هذا على قولين:-

القول الأول : قول المعتزلة والكلامية والأشعرية وكثير من الحنابلة ومن اتبعهم من الفقهاء وللصوفية وغيرهم وذهبوا الى قولين اختلف أهل كل قول عن القول الآخر.

١/ أن هذا القسم لابد أن يلحق بأحد القسمين قبله فيكون إما قديما قائما عند من يجوز ذلك وهم أهل السنة.

٢/ أن يلحق الى القسم الثاني فيكون مخلوقا منفصلا عنه، ويمتنع أن يقوم به

١- البينة آية (٨)

٢- المؤمنون آية (١١٨)

٣- الأعراف آية (٥٤)

٤- الفجر آية (٣٢)

٥- البقرة آية (١٢٠)

٦- الأنعام آية (١٥٨)

٧- أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى(ولقدأرسلنانوحاإلى قومه) ج٦/٨،٢٦٤/٣٠٠ في تفسير سورة الاسرآء،ومسلم (١٩٤) في الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة

٨- صحيح البخاري، ٢٩/٦-٣٠، في الجهاد باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم ، ومسلم (١٨٩٠) في الأمارة: باب بيان الرجلين يقتل احدهما الآخر

٩- البخاري ج ٦٦/٢

١٠- أخرجه ابوداود في سننه برقم ٤٧٣٨

نعت أوحال أو فعل أو شئ ليس بقديم، وهؤلاء يسمون هذه المسألة بمسألة (حلول الحوادث بذاته)، ويقولون بامتناع حلول الحوادث بذاته تعالى وهم فريقان.

أ - الفريق الأول : من يرى إمتناع قيام الصفات به، لاعتقاده أن الصفات أعراض وأن قيام العرض به يقتضي حدوثا. وهؤلاء ردوا جميع مايضاف إلى الله سواء كان إضافة خلق أو إضافة وصف من غير قيام معنى به، وقالوا القرآن مخلوق، وليس لله مشيئة قائمة به، ولاحب ولابغض.

ب - الفريق الثاني / مذهب الصفاتية أهل السنة و غيرهم يرون قيام الصفات به فيقولون له مشيئة قديمة، وكلام قديم واختلفوا في حبه وبغضه ورحمته وأسفه ورضاه.

القول الثاني/ وهو قول الكرامية ، وكثير من الحنبلية، وأكثر أهل الحديث ، ومن تبعهم من الفقهاء والصوفية وجمهور المسلمين وأكثر كلام السلف ومن حكى مذهبهم أن هذه الصفات والأفعال ونحوها المضافة إلى الله قسم ثالث ليست من المخلوقات التي بها مشيئته المنفصلة عنه، وليست بمنزلة الذات والصفات القديمة الواجبة التى لاتتعلق بها مشيئته لا بأنواعها ولابأعيانها. فهم يقولون / يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء، ولم يزل متكلما، وكلامه ليس مخلوق وإن كانت له مشيئة قديمة، فهو يريد إذا شاء ويغضب ويمقت، ويقرهؤلاء وأكثرهم بماجاءت به النصوص على ظاهرها مثل الإستواء أنه أستوى عليه بعد أن لم يكن مستويا عليه، وأنه يدنوا إلى عباده ويقرب منهم ، وينزل إلى سماء الدنيا ويجئ يوم القيامة . ومنهم من يقول: تحل الحوادث به، ومنهم من لايطلق هذا اللفظ لعدم ورود الأثر به ، وإما لإيهام معنى فاسد من أن ذلك كحلول الأعراض بالمخلوقات.

ثم يقول في موضع آخر :(وكلام السلف والأئمة والعلماء في هذا الأصل كثير منتشر، ليس هذا موضع إستقصائه.

وأما دلالة الكتاب والسنة على هذا الأصل فأكثر من أن تحصر، وقد ذكر منها الإمام أحمد وغيره من العلماء في الرد على الجهمية، كما ذكر الخلال في كتاب السنة ونقله الإمام المروزي عن أحمد بن حنبل .....)(١).

وبعد أن أورد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية مجموعة كبيرة من الآيات والآحاديث التي تدل على أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته عقب عليها فقال: (وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لايجعلون النوع حادثا، بل قديما ويفرقون بين حدوث النوع وحدوث الفرد، كما يفرق جمهور العقلاء بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه) (٢).

ثم ذكر شيخ الإسلام أصل خطأ المبتدعة في هذه المسألة فقال وأصل وقوع ذلك في المنتسبين للإسلام والإيمان: أن أقواما من أهل النظر والكلام أرادوا نصرة ما اعتقدوه أنه قوله - أي قول الرسول ﷺ - بما اعتقدوه أنه حجة، ورأوا أن تلك الحجة لها لوازم يجب إلتزامها وتلك اللوازم تناقض كثيراً من أخباره.

وهؤلاء غلطوا في المنقول والمعقول جميعا، كما إعتقدت المعتزلة وغيرهم من الجهمية نفاة الصفات والأفعال أنه أخبر أن كل ما سوى الذات القديمة المجردة عن الصفات محدث الشخص والنوع جميعا، وظنوا أن هذا من التوحيد الذي جاء به، واحتجوا على ذلك بما يستلزم حدوث كل ما قامت به صفة وفعل، وجعلوا هذا هو الطريق إلى إثبات وجوده ووحدانيته وتصديق رسله،

١- درء تعارض العقل والنقل ج ٢ / ١١٥-١١٦

٢- المرجع السابق جـ٢ / ١٤٨

فقالوا إن كلامه مخلوق، خلقه في غيره، لم يقم به كلام، وأنه لايرى في الآخرة، ولايكون مبايناً للخلق، ولايقوم به علم ولا قدرة ولاغيرهما من الصفات، ولا فعل من الأفعال، لاخلق للعالم، ولا إستواء ولاغير ذلك، فإنه لو قام به فعل أو صفة لكان موصوفاً محلاً للأعراض، ولو قام به فعل يتعلق بمشيئته للزم تعاقب الأفعال ودوام الحوادث، وإذا جوزوا دوام النوع الحادث أو قدمه بطل ما احتجوا به على ما ظنوا أن الرسول ﷺ أخبر به، وهم مخطئون في المنقول والمعقول، فإن الرسول ﷺ لم يخبر قط بقدم ذات مجردة عن الصفات والأفعال، بل النصوص الإلهية متظاهرة باتصاف الرب بالصفات والأفعال وهذا معلوم لمن سمع الكتاب والسنة....)(١).

وقد ذكر شيخ الإسلام أحمد بن تيمية هذه القضية وناقشها في مواضع كثيرة في كتبه، وانتصر لأهل السنة والجماعة في صحة إثباتهم أفعال الله تعالى الواردة في القرآن والسنة وتجددها على الدوام على ما يليق بجلاله وكماله.
ونكتفي بما ذكرنا وننتقل إلى مفسر آخر.

١- المرجع السابق ص ١٤٩ - ١٥٠

رأي الإمام ابن قيم الجوزية (١): -

يقول رحمه الله تعالى عند تفسيره لسورة الفاتحة : (تضمنت الفاتحة الرد على الذين يثبتون مع الله خالقا آخر، وإن لم يقولوا إنه مكافيء له، فليست أفعالهم مقدورة لله، ولا هو الذي جعل أربابها فاعلين بل هم الذين جعلوا أنفسهم شائين مريدين فاعلين، وحقيقة قولهم أنه تعالى ليس ربا لأفعال الحيوان ولاتتناولها ربوبيته. مع أن في عموم حمده ما يقتضي حمده على طاعات خلقه، إذ هو المعين عليها والموفق لها، وهو الذي شاءها منهم، كما قال في غير موضع من كتابه ﴿وما تشاءون إِلاَّ أن يشآء الله ﴾(٢). فهو محمود على أن يشاءها لهم، وجعلهم فاعليها بقدرته ومشيئته فهو المحمود عليها في الحقيقة.

وعندهم: أنهم هم المحمودون عليها، ولهم الحمد على فعلها، وليس لله حمد على نفس فاعليتها عندهم ولا على ثوابه وجزائه عليها.

١- هو الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، ابن قيم الجوزية ولد سنة ٦٩١هـ، سمع الحديث واشتغل بالعلم، برع في علوم متعددة لاسيما علم التفسير والحديث والأصلين، تتلمذ على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ولازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علما جما مع علومه السابقة، فصار فريداً في عصره في فنون كثيرة، كان كثير الابتهال وحسن القراءة والخلق وكان أكثر الناس في زمانه عبادة وزهدا وطول صلاة وقيام وركوع وسجود. امتحن وعذب وأوذي وحبس مع شيخه ابن تيمية، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، له تصانيف كثيرة منها التفسير القيم، الصواعق المرسلة، القصيدة النونية، وزاد المعاد، شفاء العليل وغيرها كثيرة، وأخذ عنه العلم خلق كثير وبعد أن كمل له من العمر ستون سنة، جاءته منيته وتوفاه الله، ليلة الخميس ٢١/ رجب / سنة ٧٥١هـ، قال ابن رجب الحنبلي : (تفنن شيخنا في علوم الإسلام، وكان عارفا في التفسير، لايجارى فيه، وبأصول الدين وإليه فيه المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه، لايلحق في ذلك، وبالفقه والأصول والعربية، وله فيه اليد الطولى، ولم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله).

انظر: الدر الكامنة: (٣/٤٠٠)، جلاء العينين /٢٠، شذارات الذهب: (٦/١٦٨)، البداية والنهاية: (٧/٢٤٦)، فهرس المؤلفين /٢٣٤، معجم المطبوعات: /٢٢٢، الأعلام: (٦/٥٦).

٢- سورة التكوير آية (٢٩)

وفي قوله ﴿وإياك نستعين﴾(١)رد ظاهر عليهم. إذ استعانتهم به إنما تكون عن شيئ هو بيده تحت قدرته ومشيئته، فكيف يستعين من بيده الفعل وهو موجده إن شاء أوجده وإن شاء لم يوجده بمعنى ليس ذلك الفعل بيده ولا هو داخل تحت قدرته ولامشيئته ؟

وفي قوله ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾(٢) أيضا رد عليهم، فإن الهداية المطلقة التامة هي المستلزمة لحصول الاهتداء، ولولا أنها بيده تعالى دونهم لما سألوه إياها وهي المتضمنه للإرشاد والبيان والتوفيق والإقتداء، وجعلهم مهتدين (٣)

يتبين لنا من النص السابق أن الإمام ابن قيم الجوزية يثبت أفعال الله تعالى لأنه هو القادر والمريد وله القدرة والمشيئة المطلقة.

وكذلك يثبت أنه سبحانه وتعالى هو الخالق لأفعال العباد وهو المعين لهم على إتمام أفعالهم وهو الهادي الذي هدى الخلق لفعل الخير والإستقامة على الدين القيم والصراط المستقيم ولو أن هذه الهداية والإعانة لم تكن بيده لم يسألوه إياها .

والمفسر يقصد بهذا الرد على القدرية الذين اتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها وليس لله دخل في ذلك أبدا (٤) وهذا خطأ عظيم لأنهم بذلك نفوا قدرة الله وارادته وافعاله تعالى، وعطلوا الله عن صفاته مع أنه سبحانه هو الذي خلقهم وجعلهم قادرين، وفاعلين ومنحهم الإرادة على فعل الخير، وترك الشر فهو الذي هداهم. ولهذا لايستحق الحمد سواه لأنه هو خالقهم وخالق أفعالهم. لقوله تعالى ﴿الله خالق كل شئ﴾ (٥) فهو الخالق على

١- سورة الفاتحة آية (٥)

٢- سورة الفاتحة آية (٦)

٣- التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمع محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد فقي، جـ١ / ص ٥٤.

٤- أنظر آراء القدرية ضمن فرق المعتزلة في الملل والنحل للشهرستاني جـ١، ص٥٤.

٥- سورة الزمر آية (٦٢)

الحقيقة لا على المجاز لجميع أفعالهم ولكن الشبهة التي قادت هؤلاء لمثل هذا القول، هو أنهم قالوا إن أثبتنا بأن الله هو الخالق لأفعال العباد فيقتضي بأنه هو الذي خلق الشر. فلهذا اتفقوا بأن الله منزه أن يضاف إليه شر وظلم، وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما، كما لو خلق العدل كان عادلا.... الى آخر ماقالوا.

وكلامهم يكون صحيحا إذا كان الله تعالى لم يخلق في العباد القدرة والإرادة على الفعل ولم يمنحهم العقل الذي به يميزون بين الخير والشر. ولما كان الله تبارك وتعالى قد خلق فيهم الأدوات التي بها ينسب إليهم أفعالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فلا محذور ولاشبهة إذاً ؛ لأن الله تعالى هو الذي قدر لبعض عباده فعل الخير وقدر للآخرين فعل الشر فوقع ذلك بعلم الله.

والله تعالى يقول ﴿ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين﴾ (١) وقال تعالى ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ (٢) وقال تعالى ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة، وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا * ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ (٣) وقال تعالى ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد﴾ (٤).

ويقول رحمة الله عليه في مكان آخر مستدلا على صفات الله وأفعاله راداً على المؤلين والمعطلين والنافين لصفات الله تعالى :-

(في إثبات صفة الرحمة لله تعالى: مايتضمن إثبات الصفات التي تستلزمها من الحياة، والإرادة والقدرة، والسمع والبصر، وغيرها.

١- البلد آية (٨ - ١٠)

٢- الإنسان آية (٣)

٣- النساء آية (٧٨، ٧٩)

٤- سورة فصلت آية (٤٦)

وكذلك صفة الربوبية: تستلزم جميع صفات الفعل، وصفة الإلهية تستلزم جميع أوصاف الكمال: ذاتاً وأفعالاً، فكونه محموداً إلهاً رباً رحماناً رحيماً، ملكاً معبوداً، مستعاناً، هادياً، منعماً، يرضى ويغضب، مع نفي قيام الصفات به جمع بين النقيضين وهو أمحل المحال.

وهذا الطريق تضمن إثبات الصفات الخبرية من وجهين:-

الوجه الأول : أنها من لوازم كماله المطلق، فإن استواءه على عرشه من لوازم علوه، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا في نصف الليل الثاني، من لوازم رحمته وربوبيته، وهكذا سائر الصفات الخبرية.

الوجه الثاني :- أن السمع ورد بها ثناءاً على الله ومدحاً له، وتعرفاً منه إلى عباده بها فجحدها وتحريفها عمادلت عليه مناقض لماجاءت له..)(١) و مما سبق يتضح أن المفسر يعتقد بإعتقاد أهل السنة والجماعة في وجوب قيام الصفات الخبرية بالله سبحانه وتعالى وهذا من صميم موضوعنا، وكذلك يرى المفسر أن من لوازم ألوهية الله وكماله المطلق إثبات الصفات التي أثبتها القرآن على مايليق ذلك بجلال الله وكماله مثل الاستواء والنزول كما أثبت النقل بذلك وأما تفسير الإستواء بالعلو، وتفسير النزول بالنزول حقيقةً لايقتضي منه خلو العرش ولا الحركة والانتقال ولكنه نزول على مايليق بجلال الله وقدسيته، فهو مذهب أهل الحق من السلف الصالح وأما معنى النزول في اللغة العربية فهو معلوم ومعروف لدى كل عالم باللغة العربية. ولكن، لايخفى على كل لبيب، أن النزول و المجيء والإتيان وغيرها من الصفات، لكل صفة منها لوازم. فلا يجوز نفي هذه اللوازم عنها لافي حق الرب ولافي حق العبد ويلزمها كذلك لوازم من جهة إختصاصها بالعبد، فلا يجوز إثبات تلك اللوازم للرب ويلزمها لوازم من حيث إختصاصها بالرب، فلا يجوز سلبها عنه ولاإثباتها للعبد فعلم مما

١- المصدر السابق جـ١، ص ٥٥

سبق أنه ينزل ويأتي ويجئ على هيئة وكيفية هو أعلم بها ، فيأتي كما شاء وكيفما يشاء . وهذا في سائر أفعاله التي جاء ذكرها في القرآن والسنة. (١).

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ﴾ (٢) الإنطاق فعل الله الذي لايجوز تعطيله والنطق فعل العبد الذي لايمكن إنكاره.

ويقول أيضا : عند قوله تعالى ﴿وأنه هو أضحك وابكى﴾ (٣) فهو المضحك المبكي حقيقة، والعبد الضاحك الباكي حقيقة، لولا المنطق الذي أنطق ، والمضحك المبكي الذي أضحك وأبكى لم يوجد ناطق ولاضاحك ولاباك. فإذا أحب عبداً أنطقه بما يحب وأثابه عليه، وإذا أبغضه أنطقه بما يكرهه فعاقبه عليه، وهو الذي أنطق هذا وهذا ، وأجرى مايجب على لسان هذا وما يكره على لسان هذا... وقال عند قوله تعالى : ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ (٤) فالإزاغة فعله والزيغ فعلهم، وقال عند قوله تعالى : ﴿ففهمناها سليمان﴾ (٥) فالتفهيم منه سبحانه وتعالى والفهم من نبيه سليمان، وقال عند قوله تعالى : ﴿وعلمناه من لدنا علمنا﴾ (٦) فالتعليم منه سبحانه، والتعلم من العبد فهذا المعنى ثابت في جميع الأفعال فهو سبحانه الذي جعل العبد فاعلا.

كقوله تعالى ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ (٧) وقوله تعالى ﴿وجعلناهم أئمة

١- كتاب مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلةز للمؤلف نفسه. ص ٣٨٩.

٢- سورة فصلت، آية (٢١)

٣- سورة النجم آية (٤٣)

٤- سورة الصف آية (٥)

٥- سورة الأنبياء آية (٨٩)

٦- سورة الكهف آية (٦٥)

٧- سورة الأنبياء آية (٧٣)

يدعون إلى النار﴾ (١).

فهو سبحانه الذي جعلهم أئمة الهدى، يهدون بأمره وجعل أئمة الضلال والبدع يدعون إلى النار. بقدرته ومشيئته وقضائه وحكمه، فالجعل المضاف إلى الله سبحانه يراد به الجعل الذي يحبه ويرضاه، والجعل الذي قدره وقضاه مثل قوله ﴿ما جعل الله من بحيرة ولاسائبة....﴾ (٢) فهذا نفي لجعله الشرعي الديني أى ماشرع ذلك ولا أمر به ولا أحبه ولارضيه.

ومثل قوله ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ (٣) فهذا جعل كوني قدري أى قدرنا ذلك وقضيناه ، ويراد به أنه سبحانه مكنهم من فعل ذلك وأقدرهم على فعله من غير أن يضطرهم إلى فعله، ولا أكرههم ولا أجبرهم (٤).

ونختم بهذه النصوص والنقولات من آراء الإمام إبن قيم الجوزية الذي أظهر المؤلف فيها أفعال الله تعالى وأوضحها وفسرها أجمل توضيح وتفسير، وأزال الشبهة لدى فريق ذهب إلى القول بأن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، وأثبت المؤلف كذلك أفعال الله تعالى التي جاءت في القرآن وفي السنة وبين أنها من لوازم كماله المطلق فكما أن إستواءه على عرشه من لوازم علوه، فكذلك نزوله من لوازم رحمته وربوبيته وهكذا في سائر الصفات الخبرية (٥).

ونكتفي بهذا وننتقل الى تفسير ومفسرآخر.

١- سورة القصص آية (٤١)

٢- سورة المائدة آية (١٠٣)

٣- سورة القصص آية (٤١)

٤- أنظر التفصيلات في شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، للمؤلف . دار الكتب العلمية بيروت - لبنان و الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ جـ ١ ص ٢٢٩ - ٢٣٧.

٥- التفسير القيم ، للإمام ابن القيم ، جـ ١ ص ٥٥

رأي الحافظ ابن كثير : -(١) توفي سنة ٧٧٤هـ.

يقول رحمه الله تعالى : عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش﴾(٢) ﴿ للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد واسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثاً وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولاتشبيه ولاتعطيل والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لايشبهه شيء من خلقه و﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾(٣) بل الأمر كما قال الأئمة

١-هو الإمام الحافظ/ عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي من مواليد عام ٧٠١هـ سمع من الآمدي والمزي وأخذ عن ابن تيمية واتبع آراءه وامتحن بسبب ذلك.كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ،له مصنفات في العلوم الشرعية ومن أعظمها تفسير القرآن الكريم في أربعة مجلدات...

تناقل الناس تصانيفه في حياته في الحديث والفقه والتاريخ والتراجم والتفسير.تولي مشيخة الحديث بعد موت السبكي وكان قد كف بصره في آخر عمره، توفي في شعبان سنة ٧٧٤هـ ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية.

قال عنه الحافظ إبن حجر: إشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله، وجمع التفسير، وشرع في كتاب الأحكام لم يكمل، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية، وعمل طبقات الشافعية وشرع في شرح البخاري.... وكان كثير الإستحضار حسن المفاكهة، وصارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته.

وقال الذهبي عنه/ الإمام المفتي المحدث البارع، فقيه متفنن ، محدث متقن، مفسر نقال وله تصانيف مفيدة.

وذكر صاحب الشذرات : كان كثير الإستحضار قليل النسيان، جيد الفهم.

أنظر : الدرر الكامنة ٣٧٣/١، البدر الطالع١٥٣/١، شذرات الذهب ٢٣١/٦، طبقات المفسرين للداودي ص ٣٢٧، التفسير والمفسرون للذهبي جـ١، ص ٢٤٢، الأعلام للزركلي ٣٢٠/١.

٢- سورة الأعراف آية (٥٤)

٣- سورة الشورى آية (١٤)

منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولارسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ماوردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله النقائص فقد سلك سبيل الهدى. (١).

ويقول أيضا عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾(٢). فيه أقوال للأئمة من السلف:-

أحدهما: لاتدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة، كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير ماطريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمدا أبصر ربه فقد كذب على الله واستدلت بالآية .

الثاني: خالفها إبن عباس فعنه إطلاق الرؤية . وعنه أنه رآه بفؤاده.

والثالث: قال المعتزلة بمقتضى مافهموه من هذه الآية أنه لايرى في الدنيا ولافي الآخرة. فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بمادل عليه كتاب الله وسنة رسوله أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾(٣) وقوله تعالى ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾(٤) قال الإمام الشافعي فدل هذا على أن المؤمنين لايحجبون عنه. أما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة وأنس وجريج وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات.

الرابع: وقال آخرون لامنافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك ولايلزم من نفي

١- تفسير ابن كثير للإمام أبي الفداء إسماعيل إبن كثير ، دار الفكر بيروت - لبنان ط ١٤٠١هـ جـ ٢، ص ٢٢١.

٢- سورة الأنعام آية (١٠٣)

٣- القيامة آية (٢٢-٢٣)

٤- المطففين آية (١٥)

الأخص بإنتفاء الأعم. وقال آخرون الإدراك أخص من الرؤية وهو الإحاطة. قالوا ولايلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية كما لايلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم. ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما تثبت الرؤية في الآخرة وتنفيها في الدنيا وتحتج بهذه الآية ، فالذي نفته الإدراك الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ماهو عليه، فإن ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة ولالشيء.. وقوله ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ أى يحيط بها ويعلمها على ماهي عليه لأنه خلقها كما قال تعالى ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (١).

ونخرج مما سبق أن المفسر يتبع منهج السلف الصالح فيثبت الأسماء والصفات والأفعال الإلهية لله تعالى على حقيقتها ولايؤول فيها ولايلحد فيها مع سعة في الإطلاع وبسط في الآراء المختلفة، والإعتماد على الآيات والأحاديث وآراء الصحابة والتابعين والسلف الصالح في تفسيره للآيات وخاصة في آيات الصفات.

فمثلا تفسيره لإتيان الله تعالى يوم القيامة عند قوله تعالى ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ...﴾(٢) يقول فيها ابن كثير:

(يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين كما قال تعالى ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (٣) ، ﴿هل ينظرون إلاّ أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك..﴾ (٤) الآية .

وقد ذكر الإمام أبوجعفر بن جرير حديث الصور المشهور عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ (حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ فيقول « أنا لها » فيذهب

١- انظر تفسير ابن كثير جـ٢ ، ص ١٦٢. سورة الملك آية (١٤)

٢- سورة البقرة آية (٢١٠)

٣- سورة الفجر آية (٢٢)

٤- سورة الأنعام آية (١٥٨)

فيسجد لله تحت العرش، ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام ...) (١) فنراه يثبت إتيان الله تعالى حقيقة يوم القيامة بناءاً على ورود الأدلة من الكتاب والسنة.

ويقول في مشيئة الله تعالى ومشيئة العبد عند قوله تعالى ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾(٢) أى من شاء إهتدى بالقرآن، ثم قال: ﴿وماتشاءون إلا أن يشاء الله﴾(٣) أى: لايقدر أحد أن يهدي نفسه ولايدخل في الإيمان ولايجر لنفسه نفعا ﴿إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما﴾ أى عليم بمن يستحق الهداية . وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ولهذا قال تعالى ﴿إن الله كان عليما حكيما﴾ ثم قال ﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما﴾ أى يهدي من يشاء، ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له...

فأثبت الحافظ ابن كثير مشيئة العبد وأثبت كذلك مشيئة الله وأنها مقدمة وسابقة لمشيئة العبد، وكذلك أثبت علم الله تعالى وأنه يعلم من يستحق الهداية فيهديه، ومن يستحق الغواية فيغويه ، ويمنعه الهداية.

ونراه أيضا يثبت الأفعال الإلهية :- كما في تفسيره لقوله تعالى ﴿تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء﴾ (٤) فيقول: أى أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذي ماشئت كان وما لم تشأ لم يكن وأنت المتصرف في خلقك الفعال لماتريد، وقوله ﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل﴾(٥) أى تأخذ من طول هذا فتزيده في قصر هذا فيعتدلان ثم تأخذ من

١- تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٤٩، وانظر الحديث في البخاري، ٣٩٥/٨، ومسلم (١٩٤)، ومسند الإمام أحمد ٤٣٥/٢.

٢- سورة الانسان آية (٢٩-٣١)

٣- سورة التكوير آية (٢٩)

٤- سور آل عمران (٢٦)

٥- سورة آل عمران آية (٢٧)

هذا في هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان. وقوله ﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ أى تخرج الزرع من الحب والحب من الزرع والنخلة من النواة والنواة من النخلة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، وما جرى مجرى هذا. وقوله ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ أى تعطي من شئت من المال مالا يعده ولايقدر على إحصائه وتقتر على آخرين لمالك في ذلك من الحكمة والارادة والمشيئة (١).

ويقول / عند قوله تعالى ﴿وتوكل على الحي الذي لايموت﴾ (٢) أى في أمورك كلها كن متوكلا على الله الحي الذي لايموت أبدا الذي هو (الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم) الدائم الباقي السرمدي الأبدي الحي القيوم رب كل شئ ومليكه أجعله ذخرك وملجأك، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع إليه فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك) ويقول عن تفرد الله تعالى في الخلق والاختيار عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة﴾ (٣) أى أنه المنفرد بالخلق، وأنه ليس له منازع ولامعقب. فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه. وقوله ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ نفي على الأصح، وقد اختار ابن جرير أن (ما) ههنا بمعنى الذي تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة ، وقد اِحتج بهذا المسلك طائفة من المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح والصحيح أنها نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره، فإن المقام في بيان إنفراده تعالى بالخلق والتقدير والإختيار وأنه لانظير له في ذلك ولهذا قال ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ أى من الأصنام والأنداد التي لاتخلق ولاتختار شيئا.ثم قال تعالى ﴿وربك يعلم

١- تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٥٧.

٢- سورة الفرقان آية (٥٨).

٣- تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٣٢٢

ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ (١) أى يعلم ما تكن الضمائر وما تنطوي عليه السرائر ، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق وقوله ﴿ وهو الله لا إله إلا هو ﴾ (٢) أى هو المنفرد بالإلهية فلا معبود سواه، كما لارب يخلق ما يشاء ويختار سواه ...) (٣)، ففي هذا المقام يثبت ابن كثير أفعال الله تعالى بالجملة كما نص القرآن على ذلك بأنه يخلق مايشاء ويختار فالأمور كلها بيده ومرجع الخير والشر إليه. فهو المحمود عليه بعدله وحكمته وله الحكم الذي لامعقب لحكمه ، لقهره وغلبته وحكمته ورحمته...) (٤).

ومن أمثلة الأفعال الإختيارية التي أثبتها الحافظ فعل الغضب لله تعالى في قوله تعالى ﴿كلوا من طيبات مارزقنكم ولاتطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ (٥)فيقول: (أى كلوا من هذا الرزق الذي رزقتكم ولاتطغوا في رزقي فتأخذوه من غير حاجة وتخالفوا ما أمرتكم به فأغضب عليكم)(٦).

وأما معية الله تعالى لخلقه في قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يعلم مافي السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ...﴾(٧).

فيقول الحافظ ابن كثير : حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بالمعية هو: معية علمه تعالى ولاشك في إرادة ذلك ، ولكن سمعه أيضا على علمه يحيط بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه، لايغيب عنه من أمورهم

١- سورة القصص آية (٦٩)

٢- سورة القصص آية (٧٠)

٣- تفسير ابن كثير، جـ ٣ ص ٣٩٨

٤- المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٩٩.

٥- سورة طه آية (٨١)

٦- تفسير ابن كثير جـ٣، ص ١٦٢

٧- سورة المجادلة آية (٧)

شيء، فهو مطلع عليهم يسمع كلامهم، وسرهم، ونجواهم، ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له. (١).

ويقول عند قوله تعالى : ﴿يسأله من في السموات ومن في الأرض كل يوم هو في شأن﴾(٢).

(وهذا إخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق إليه في جميع الآنات وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم)، وأنه كل يوم هو في شأن، ومن شأنه أن يجيب داعياً ويعطي سائلاً أو يشفي سقيماً، ويرفع قوما ويضع آخرين - ويورد الآحاديث والآثار في إثبات ذلك - وينقل قولا عن ابن عباس نصه: (إن الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفته ياقوتة حمراء قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء) (٣).

ويقول عند قوله تعالى : ﴿فعال لما يريد﴾(٤).

(أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله)(٥) .

وهكذا نرى أن الحافظ ابن كثير يثبت الأسماء والصفات والأفعال لله تعالى على مايليق بجلال الله . وفي هذا النص رد على المؤلة والمعطلة الذين ينفون صفات الله يأولونها ويقولون إن أثبتم الصفات لزم عليكم أن تقولوا في هذه

١- تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٢٣

٢- سورة الرحمن آية (٢٩).

٣- المرجع السابق جـ ٤ / ٢٧٤

٤- سورة البروج آية (١٦)

٥- المرجع السابق: جـ٤/٤٩٧.

الآية أن الله مع خلقه بذاته وهذا قياس مع الفارق لادليل عليه وهو محال فالله من فوق سمواته مطلع وعالم بخلقه وليس هو مع خلقه وعباده بذاته بل بعلمه وسمعه وبصره.

ونختم بهذه النقولات تفسير الإمام ابن كثير الذي أثبت فيه المفسر أفعال الله تعالى وسلك مسلك السلف الصالح ولم يشبه ولم يعطل ولم يحرف في أفعال الله ولا في صفاته ولا في أسمائه فرحمه الله رحمة واسعة ورحم علماء المسلمين أجمعين، والى تفسير آخر.

رأي العلامة / الشيخ محمد الأمين الشنقيطي :-(١).

فيما يلي نذكر رأيه في تفسير آيات الصفات والأفعال الإلهية التى وردت في كتاب الله تعالى ومن ثم نقتبس بعض ماكتبه في تفسيره أضواء البيان لدى

١- من علماء المدينة المنورة وَعلَمٌ من أعلام الأمة الإسلامية في هذا العصر ، من الله عليه بتفسير كتابه العزيز وبارك له فيه وأنتشر بين الناس وهو (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) لكن لم يستطع أن يكمله وأدركته منيته وهو يختم تفسير سورة المجادلة عند قوله تعالى ﴿أولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون﴾ سورة المجادلة آية (٢٢)، ثم جاء من بعده تلميذه الشيخ عطية محمد سالم فأكمله على نفس المنهاج. هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد سيدي أحمد بن المختار الجكني الشنقيطي، ولد رحمه الله في عام ١٣٠٥هـ في تنبه، بشنقيط، بموريتانيا، حفظ القرآن الكريم ثم أخذ علوم اللغة العربية والنحو والصرف والأدب وتفقه على المذهب المالكي، وأصبح قاضيا في بلاده. ثم هاجر بلده قاصدا حج بيت الله الحرام ثم تعرف في الحج على الأمير خالد السديري ثم سكن المدينة المنورة وعزم على البقاء بعد أن تعرف على الشيخ عبدالعزيز بن صالح والشيخ عبدالله بن زاحم ، تولى التدريس بالمسجد النبوي والمعهد العلمي بالرياض لمدة عشر سنوات ثم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وكان يدرس التفسير والأصول وكان عضواً في مجلس الجامعة، وعضواً في هيئة كبار العلماء وعضواً في المجلس التاسيسي لرابطة العالم الإسلامي . وكان محبوبا لدى العامة والخاصة. وموضع تقدير من جميع المسؤلين وبالأخص أصحاب الفضيلة آل الشيخ والملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وقد منحه الجنسية السعودية وجميع من ينتمي إليه وفي كفالته. ومازال في نشر العلم والمعرفة والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن حتى أنتقل الى رحمة الله . وتوفي في ضحى يوم الخميس الموافق ١٣٩٣/١٢/١٧هـ، في مكة المكرمة وهو راجع من الحج ودفن بمقبرة المعلاة وصلى عليه فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك . وفي ليلة الأحد ١٢/٢٠ أقيمت عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوي وصلى عليه فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح وصلى عليه من حضر من الحجاج في مكة والمدينة المنورة مالايحصى عددا رحمة الله عليه رحمة واسعة ورحم علماء المسلمين وأمواتهم أجمعين.

مصنفاته:- ١- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، ٢- دفع إيهام الإضطراب عن آي الكتاب، ٣- مذكرة الأصول على روضة الناظر، ٤- آداب البحث والمناظرة، ٥- تفسيره أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن. وغيرها من الرسائل والمحاضرات والمؤلفات المنظومة في عدة فنون. أنظر ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لتلميذه الشيخ عطية محمد سالم بذيل تفسير أضواء البيان جـ ١٠ بآخر الكتاب.

شرحه وتفسيره للصفات الفعلية وغيرها من الصفات الإلهية واذا قرأنا تفسيره لقوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾(١) نجده يفتتح الحديث عن هذه القضية وإشكالاتها لدى كثير من الناس، فيقول (هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات أشكلت على كثير من الناس، وضل بسبب ذلك خلق لايحصى كثرة، فصار قوم إلى التعطيل، وقوم إلى التشبيه والله جل وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح ، ولم يترك فيه أى لبس ولا إشكال : وحاصل تحرير ذلك أنه جل وعلا بين أن الحق في آيات الصفات مركب من أمرين:

أحدهما : تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى.

الثاني: الايمان بكل ماوصف به نفسه في كتابه، أو وصف به رسوله ﷺ لأنه لايصف الله أعلم بالله من الله . ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾(٢)،

ولايصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال فيه ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾(٣) فمن نفى عن الله وصفا أثبته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله ﷺ زاعما أن ذلك الوصف يلزمه مالايليق بالله جل وعلا، سبحانك هذا بهتان عظيم، ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الايمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل والآية التى توضح هذا، هي قوله تعالى ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ (٤) فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث، وأثبت لنفسه صفات الكمال، والظاهر أن السر في تعبيره بقوله ﴿وهو السميع البصير﴾ دون أن يقول مثلا: وهو العلى العظيم أو نحو ذلك من الصفات الجامعة، وهو :أن السمع والبصر

١- سورة الأعراف آية (٥٤)

٢- سورة البقرة آية (١٤٠)

٣- سورة النجم آية (٣ - ٤)

٤- سورة الشورى آية (١١)

يتصف بهما جميع الحيوانات. فبين أن الله متصف بهما، ولكن وصفه بهما على نفي المماثلة بين صفاته وصفات خلقه بدليل قوله ﴿ليس كمثله ....﴾ (١).

ثم إستعرض المؤلف بالتفصيل منهج المتكلمين وتقسيماتهم لصفات الله تعالى وليس هنا مكان عرضه .. لكننا نذكر إستنباطاته وشواهده عليهم بعد أن نذكر آراءهم يقول رحمة الله عليه:- (وسنبين أن جميع الصفات على تقسيمهم قد جاء في القرآن في وصف الخالق والمخلوق بها، وهم في بعض ذلك يقرون بأن الخالق والمخلوق موصوف بها ولايقرون في البعض الآخر، ولكن وصف الخالق مناف لوصف المخلوق ، كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق ، ويلزمهم فيما أنكروا مثل ما أقروا به لأن الكل من باب واحد).(٢). فمن ذلك الصفات السبع المعروفة عندهم بصافات المعاني وهي «القدرة، والإرادة، والعلم ، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام» فقد اتصف الله بهذه الصفات واتصف المخلوق بها أيضا والآيات القرآنية في ذلك كثيرة ذكر المؤلف أكثرها وخاصة فيما يتعلق بوصف الخالق، وما يتعلق بوصف الحادث المخلوق بها، ثم قال: (وهذه الصفات السبع المذكورة يثبتها كثير ممن يقول بنفي غيرها من صفات المعاني والمعتزلة ينفونها ويثبتون أحكامها فيقولون: هو تعالى حي قادر مريد عليم سميع بصير متكلم بذاته لابقدرة قائمة بذاته، ولا بإرادة قائمة بذاته.

وهكذا فراراً منهم من تعدد القديم، ومذهبهم الباطل لايخفى بطلانه وتناقضه على أدنى عاقل، لأن من المعلوم أن الوصف الذي منه الاشتقاق إذا عدم فالإشتقاق منه مستحيل، فإذا عدم السواد عن جرم مثلاً إستحال أن تقول هو

١- أضواء البيان لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، نشر وتوزيع دار البار - مكة المكرمة ، طبع دار الكتب بيروت جـ٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٥

٢- بتصرف ، نفس المرجع جـ٢/٣٠٥

أسود، إذ لايمكن أن يكون أسود ولم يقم به سواد، وكذلك إذا لم يقم العلم والقدرة بذات إستحال أن تقول هي عالمة قادرة لإستحالة إتصافها بذلك ولم يقم بها علم ولاقدرة .. إلى آخر ماقال) (١).

مما سبق يتبين لنا أن المؤلف قد أدرك ما يريده نفاة الصفات والأفعال من تعطيل صفات الله تعالى ورده عليهم يؤكد أنه ينتصر لمذهب السلف الصالح الذين آمنوا بنصوص القرآن وفهموه وعقلوه ولم ينكروا منه شيئاً حتى في باب صفات الله تعالى التى ظاهرها توهم التشبيه بين صفات الخالق وصفات المخلوق ولكن التشبيه قد نفاه الله تعالى بقوله ﴿ليس كمثله شيء﴾ فنفى المؤلف كما نفى السلف الصالح مشابهة صفات الله بصفات المخلوقين. أما الصفات الفعلية التى اتصف بها الخالق وكذلك اتصف بها المخلوق وقد أثبت الله النوعين في كتابه العزيز ومن أوضح الأمثلة لذلك استواء الله تعالى على

عرشه، وإستواء المخلوق ، يقول تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾(٢) هذا في إستواء الله وقد كرره الله تعالى في سبع آيات وكلها ضمن ثناء الله ومدحه على نفسه.

أما في إستواء المخلوق يقول تعالى ﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه﴾(٣)، ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾(٤)، ﴿واستوت على الجودي﴾(٥) ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى توضح الصفات الفعلية للخالق والمخلوق.

يقول الشيخ محمد الأمين في مثل هذه الصفات الفعلية:

(أما الصفات الفعلية فإن وصف الخالق والمخلوق بها كثير في القرآن،

١- المصدر السابق جـ٢ ص ٣٠٩

٢- سورة طه آية (٥)

٣- سورة الزخرف آية (١٣)

٤- المؤمنون آية (٢٨)

٥- سورة هود آية (٤٤)

ومعلوم أن فعل الخالق مناف لفعل المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق، فمن ذلك وصفه جل وعلا نفسه بأنه يرزق خلقه قال تعالى ﴿إن الله هو الرزاق﴾ (١) ، ﴿والله خير الرازقين﴾ (٢) ﴿وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ... الآية﴾(٣) .

وقال في وصف الحادث بذلك : ﴿واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين، فارزقوهم منه﴾(٤)، وقال ﴿وعلى المولود له رزقهن﴾ (٥).

ووصف نفسه بالعمل / ﴿ أولم يرو أنا خلقنالهم مما عملت أيدينا أنعاما﴾(٦).

وقال في وصف الحادث به ﴿ بماكنتم تعملون ﴾(٧).

ووصف نفسه بتعليم خلقه فقال : ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾(٨).

وقال في وصف الحادث به : ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾(٩) وجمع المثالين في قوله تعالى ﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾ (١٠).

ووصف نفسه بأنه ينبئ ووصفا المخلوق بذلك وجمع المثالين في قوله تعالى: ﴿وإذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنباك هذا قال نبأني العليم

١- سورة الذاريات آية (٥٨)
٢- سورة الجمعة آية (١١)
٣- سورة هود آية (٦)
٤- سورة النساء آية (٨)
٥- سورة البقرة آية (٢٣٣)
٦- سورة يس آية (٧١)
٧- سورة المرسلات آية (٤٣)
٨- سورة الرحمن آية (١ - ٤)
٩- سورة الجمعة آية (٢)
١٠- سورة المائدة آية (٤)

الخبير﴾ (١).

ووصف نفسه بالإيتاء فقال: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك ﴾(٢)، وقال ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ﴾(٣) وقال ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ (٤) وقال في وصف الحادث بذلك ﴿ وآتيتم إحداهن قنطارا ﴾ (٥) ، ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾(٦) ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ (٧) وأمثال هذه الصفات كثيرة جدا في القرآن العظيم ومعلوم أن ماوصف الله به نفسه من هذه الأفعال فهو ثابت له حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، وماوصف به المخلوق منها فهو ثابت له أيضا على الوجه المناسب لحاله، وبين وصف الخالق والمخلوق من المنافاة كما بين ذات الخالق والمخلوق... (٨)﴾.

ويشترك الخالق والمخلوق بالصفات الجامعة كالعظم والكبر والعلو والملك والتكبر والجبروت ونحو ذلك. كما يقول في هذا السياق الشيخ محمد الشنقيطي (وأما الصفات الجامعة كالعظم والكبر والعلو والملك والتكبر والجبروت ونحو ذلك ، فإنها أيضا يكثر جداً وصف الخالق والمخلوق بها في القرآن الكريم) (٩). ثم يسوق المؤلف الأمثلة من القرآن الكريم لبيان بعض الصفات الجامعة بالنسبة للخالق والمخلوق مع بيان الاختلاف والنفي بين

١- سورة التحريم آية (٣)

٢- سورة البقرة آية (٢٥٨)

٣- سورة البقرة آية (٢٦٩)

٤- سورة الجمعة آية (٤)

٥- سورة النساء آية (٢٠)

٦- سورة النساء آية (٢)

٧- سورة النساء آية (٤)

٨- أضواء البيان ، لمحمد الأمين الشنقيطي جـ٢ ص ٣١٣

٩- نفس المرجع جـ٢ ص ٣١٣

ما اتصف به الخالق وما اتصف به المخلوق يقول في ذلك : «معلوم أن ماوصف به الخالق منها مناف لماوصف به المخلوق، كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق.

قال في وصف نفسه جل وعلا بالعلو العِظَم والكبر: ﴿ولايؤده حفظهما، وهو العلي العظيم﴾ (١)، ﴿إن الله كان علياً كبيرا﴾ (٢)، ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ (٣).

وقال في وصف الحادث بالعظم : ﴿فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ (٤)، ﴿ولها عرش عظيم﴾ (٥)، ﴿إنكم لتقولون قولا عظيما﴾ (٦).

وقال في وصف الحادث بالكبر : ﴿لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (٧)، وقال ﴿إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ (٨)﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾(٩)، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ (١٠).

وقال في وصف الحادث بالعلو : ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ (١١)، ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ (١٢)إلى غير ذلك من الآيات:

١- سورة البقرة آية (٢٥٥)

٢- سورة النساء آية (٣٤)

٣- سورة الرعد آية (٩)

٤- سورة الشعراء آية (٦٣)

٥- سورة النمل آية (٢٣)

٦- سورة الإسراء آية (٣١)

٧- سورة الفاطر آية (٧)

٨- سورة الإسراء آية (٣١)

٩- سورة البقرة آية (٤٥)

١٠- سورة البقرة آية (١٤٣)

١١- سورة مريم آية (٥٧)

١٢- سورة مريم آية (٥٠)

وقال في وصف نفسه بالملك: ﴿هو الله الذي لاإله إلا هو الملك القدوس﴾(١).

وقال في وصف الحادث به : ﴿وقال الملك ائتوني به ﴾(٢) ، ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾(٣)، ﴿تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾(٤)، وقال في وصف نفسه بالعزة : ﴿فاعلموا أن الله عزيز حكيم﴾(٥)، ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾(٦).

وقال في وصف الحادث بالعزة: ﴿قالت امرأة العزيز﴾(٧)، ﴿فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب﴾(٨).

قلت وقد جمع الله العزة للخالق والمخلوق في آية واحدة قال تعالى ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون﴾(٩).

وقال في وصف نفسه جل وعلا بأنه جبار متكبر ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾(١٠).

١- سورة الحشر آية (٢٣)

٢- سورة يوسف آية (٥٤)

٣- سورة الكهف آية (٧٩)

٤- سورة آل عمران آية (٢٦)

٥- سورة البقرة آية (٢٠٩)

٦- سورة ص آية (٩)

٧- سورة يوسف آية (٥١)

٨- سورة ص آية (٢٣)

٩- سورة المنافقون آية (٨)

١٠- سورة الحشر آية (٢٣)

وقال في وصف الحادث بهما: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾(١) ،﴿ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾(٢)، ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾(٣).

وقال في وصف نفسه بالقوة: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾(٤) ﴿إن الله لقوى عزيز﴾(٥) ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾(٦).

وقال في وصف الحادث بذلك: ﴿وقالوا من أشد منا قوة ؟﴾(٧) ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ (٨) ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾(٩) ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾(١٠).

وأمثال هذا من الصفات الجامعة كثيرة ، ومعلوم أنه جل وعلا متصف بهذه الصفات حقيقة على الوجه اللائق بكماله، وإنما وصف به المخلوق منها مخالف لما وصف به الخالق كمخالفة ذات الخالق جل وعلا لذوات الحوادث، ولا إشكال في شئ من ذلك:

وكذلك الصفات التى اختلف فيها المتكلمون هل هي من صفات المعانى أو من صفات الأفعال ، وإن كان الحق الذى لايخفى على من أنار الله بصيرته أنها صفات معان أثبتها الله جل وعلا، لنفسه كالرأفة والرحمة.

قال في وصفه جل وعلا بهما: ﴿إن ربكم لرءوف رحيم﴾(١١).

١- سورة غافر آية(٣٥)

٢- سورة الزمر آية (٦٠)

٣- سورة الشعراء آية (١٣٠)

٤- سورة الذاريات آية (٥٨)

٥- سورة الحج آية (٧٤)

٦- سورة فصلت آية (١٥)

٧- سورة فصلت آية (١٥)

٨- سورة هود آية (٥٢)

٩- سورة القصص آية (٢٦)

١٠- سورة الروم آية (٥٤)

١١- سورة النحل آية (٧)

وقال في وصف نبينا ﷺ : ﴿حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾(١).

وقال في وصف نفسه بالحلم: ﴿وإن الله لعليم حليم﴾(٢).

وقال في وصف الحادث بذلك: ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾(٣).

وقال في وصف نفسه بالمغفرة: ﴿إن الله غفور رحيم﴾(٤).

وقال في وصف الحادث بالمغفرة: ﴿ولَمَنْ صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾(٥)، ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله﴾(٦) .

ووصف نفسه جل وعلا بالرضى ووصف الحادث به أيضا فقال: ﴿﴿رضي الله عنهم ورضو عنه﴾ (٧).

ووصف نفسه بأنه يغضب إن انتهكت حرماته فقال: ﴿قل أؤنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه﴾ (٨).

وقال في وصف الحادث بالغضب : ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ (٩)

والمقصود أن كل ما اتصف به جل وعلا من تلك الصفات بالغ من غايات الكمال والعلو والشرف ما يقطع علائق جميع أوهام المشابهة بين صفاته جل وعلا وبين صفات خلقه. فإذا حققت ذلك علمت أنه جل وعلا وصف نفسه بالإستواء على العرش وتمدح بذلك في سبع آيات من كتابه، ووصف غيره بالإستواء على بعض المخلوقات ولم يذكر صفة الإستواء إلاَّ مقرونة بغيرها من صفات الكمال والجلال القاضية بعظمته وجلاله . فلا إشكال في ذلك فللخالق جل وعلا

١- سورة التوبة آية (١٢٨)

٢- سورة الحج آية (٥٩)

٣- سورة الصافات آية (١٠١)

٤- سورة المائدة آية (٣٤)

٥- سورة الشورة آية (٤٣)

٦- سورة الجاثية آية (١٤)

٧- سورة البينة آية (٨)

٨- سورة المائدة آية (٦٠)

٩- سورة الأعراف آية (١٥٠)

استوا ءاً لائقاً بكماله، وللمخلوق أيضاً استوا ءاً مناسباً لحاله.

وينبغي للناظر في هذه المسألة التأمل في أمور:-

الأول : أن جميع الصفات من باب واحد لأن الموصوف بها واحد، ولايجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيئ من صفاتهم ، فمن أثبت مثلا أنه سميع، بصير وأن سمعه وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم، لزمه مثل ذلك في جميع الصفات كالاستواء واليد ونحو ذلك.

الأمر الثاني:- أن الذات والصفات من باب واحد فكما أنه جل وعلا له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق) (١).

فإن قال قائل : إن إثبات الأفعال لله تعالى التى وردت في القرآن الكريم يوهم للإنسان ، أن ظاهر تلك الأفعال ومعانيها المتبادرة إلى الذهن فيها ما يقتضي المشابهة بصفات الحوادث . فلهذا يجب تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث ولايخفى على كل عاقل أن مشابهة المخلوق بالخالق، أو الخالق بالمخلوق كفر فما جوابكم ؟

يجيب الشيخ محمدالأمين الشنقيطي على هذا الاعتراض قائلا:- (اعلم أولا: أنه غلط في هذا خلق لايحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الإستواء واليد مثلا: في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث. وقالوا يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً، لأن إعتقاد ظاهره كفر، لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر، ولايخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول، أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله والقول فيه بما لايليق به جل وعلا.

١- انظر الموضوع بتفصيلاته في أضواء البيان للشنقيطي جـ٢، ص ٣١٤ - ٣١٨، بتصرف واختصار.

والنبي ﷺ الذي قيل له ﴿وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم﴾(١) لم يبين حرفا واحدا من ذلك مع اجماع من يعتد به من العلماء على أنه ﷺ : لايجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة اليه، وأحرى في العقائد ولاسيما ماظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين. حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين، فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بماظاهره المتبادر منه لايليق، والنبي ﷺ كتم ذلك الظاهر المتبادر لأنه كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه. وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة...، ولايخفى أن هذا القول من أعظم الإفتراء على الله جل وعلا، وعلى رسوله ﷺ) (٢) وإنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه، بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأداه شؤم التشبيه إلى نفى صفات الله جل وعلا وعدم الإيمان بها، مع أنه جل وعلا، هو الذي وصف بها نفسه، فكان هذا مشبها أولا، ومعطلا ثانيا، فارتكب مالا يليق بالله ابتداءا وانتهاءا ولو كان قلبه عارفا بالله كما ينبغي معظما له كما ينبغي، طاهرا من أقذار التشبه لكان المتبادر عنده السابق الى فهمه أن وصف الله جل وعلا بالغ من الكمال والجلال مايقطع أو هام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين. فيؤمن بصفات الكمال لله تعالى التى جاءت في القرآن والسنة الصحيحة مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق. فلو قال متنطع بينوا لنا كيفية الاتصاف بصفة الاستواء واليد ونحو ذلك لنعقلها؟ قلنا: أعرفت كيفية الذات المقدسة المتصفة بتلك الصفات ؟ فلا بد أن يقول : لا. فنقول معرفة كيفية الاتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات فسبحان من لايستطيع غيره أن يحصى الثناء عليه كما أثنى هو على نفسه)(٣).

ونختم بهذا المفسر آراء المفسرين لأفعال الله تعالى التى جاء بها القرآن

١- سورة النحل آية (٤٤)

٢- أضواء البيان جـ٢/٣١٩

٣- المرجع السابق جـ٢/٣٢٠

الكريم. وقد علمنا أن جميع آراء المفسرين الذين نقلنا آراءهم بنصوصها من كتبهم تؤكد كلها على إثبات أفعال الله تعالى، وأنها تقوم بذات الله تعالى حقيقة، ومن هذه الأفعال ما يتصف بها الحوادث والمخلوقين، فالأفعال التى يتصف بها الله تبارك وتعالى هى لائقة بالله تعالى على مايليق بعظمته وجلاله وقدسه وعلوه سبحانه وتعالى .

والأفعال التى يتصف بها المخلوق هي أيضا لائقة بهم على مايناسب حالهم وهى قائمة به على الحقيقة ومسؤول عن أفعاله ومحاسب عليها. فلا تشبيه ولاتماثل بين أفعال الله وأفعال الحوادث أبداً، الا من جهة الاسم فقط. ولانريد أن نكرر ماسبق ذكره في أول المبحث عند بياننا للشاهد من آيات الصفات والأفعال. وهذه المفاهيم هي اللبنات الأولى لفهم قضية أزلية أفعال الله تعالى أو أبديتها عند أهل السنة والجماعة .

وبعد أن سقنا آرآء المفسرين نشرع الآن لعرض الأدلة النبوية في بيان أفعال الله تعالى وموقف شراح الحديث من هذه الأفعال . وهو المبحث الثاني من الفصل الثاني، ونسأل الله التوفيق والسداد.

المبحث الثاني : عرض الأدلة النبوية وآراء شراح الحديث

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : عرض الأدلة النبوية .

المطلب الثاني: عرض آراء شراح الحديث لها.

المطلب الأول : عرض الأدلة النبوية :-

بعد عرضنا لأفعال الله تعالى الواردة، في جملة من آيات القرآن الكريم وبعد ذكر الشاهد لها من تلك الآيات، وبيان آراء المفسرين من أهل السنة والجماعة، لتلك الأفعال، نود هنا أن نعقب ذلك المطلب بذكر بعض الأدلة من السنة النبوية على دلالة أفعال الله تعالى .

وفيما يلي نذكر نصوصا من كلام رسول الله ﷺ، ثم نعقب بعد ذلك ببيان آراء شراح الحديث لها، من أهل النسة والجماعة.

١ - عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: (إن الله لاينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)(١).

أثبت الحديث الأفعال التالية : (يخفض، يرفع، كشف، لاينام، ولاينبغي)

٢ - عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض)(٢).

أثبت الحديث الأفعال التالية: (يقبض، يطوي، يقول)

٣ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد فيضع فيها رب العالمين قدمه فيزوى بعضها إلى بعض

١- صحيح مسلم (١٧٩) في الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام.

٢- صحيح البخارى (٤٨١٢) في تفسير سورة الزمر، باب (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) وأطرافه برقم (٦٥١٩، ٧٣٨٢، ٧٤١٣) انظر الفتح (٥٥١/٨).

وتقول قط، قط، بعزتك وكرمك، ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشيء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة)(١).

أثبت الحديث الأفعال التالية : (يضع، يزوي، ينشيء، يسكن)

٤ - عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عزوجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)(٢).

(أثبت الحديث الفعل التالي : (يبسط يده)

٥ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره، وقد أضله في أرض فلاة)، وفي رواية (لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه .... الخ) الحديث(٣).

أثبت الحديث : صفة (الفرح)

٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يضحك الله سبحانه

١- صحيح البخارى (٤٨٤٨) ٨/٤٥٦ في تفسير سورة ق، باب قوله تعالى (وتقول هل من مزيد) وفي الإيمان والنذر، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته وفي التوحيد، باب قوله تعالى:﴿وهو العزيزالحكيم﴾ وأطرافه برقم (٦٦٦١) (١٣٨٤) ومسلم رقم (٢٨٤٨) في الجنة باب النار يدخلها الجباروزن والجنة يدخلها الضعفاء، والترمذى رقم (٣٢٦٨) في التفسير، باب ومن سورة (ق) انظر الفتح ٨/٥٩٤

٢- صحيح مسلم (٢٧٦٠) في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى.

٣- صحيح البخارى ١١/٩١ في الدعوات، باب التوبة، ومسلم رقم (٢٧٤٧) في التوبة باب الحض على التوبة.

وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ... الخ) الحديث(١).

أثبت الحديث فعل : (يضحك)

٧- عن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه قال: حين حضرته الوفاة كنت كتمت عنكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ وسوف أُحدثكموه وقد أحيط بنفسى سمعته يقول (لولا أنكم تذنبون لذهب الله بكم، وخلق خلقاً يذنبون، فيغفرلهم)(٢).

أثبت الحديث فعل : (ذهب، خلق، يغفر)

٨ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وإن غيرة الله: أن يأتي المؤمن ماحرم الله عليه)(٣).

أثبت الحديث فعل : (يغار)

٩ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده إن رحمتى تغلب غضبي).

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم

١- صحيح البخارى ٢٩/٦ و٣٠ في الجهاد باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم، ومسلم برقم (١٨٩٠) في الأمارة باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة والموطأ ٤٦٠/٢ في الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله، والنسائي ٣٨/٦ في الجهاد، باب إجتماع القاتل والمقتول في سبيل الله في الجنة.

٢- صحيح مسلم (٢٧٤٨) في التوبة، باب سقوط الذنوب بالإستغفار، الترمذى رقم ٣٥٣٣ في الدعوات، باب رقم ١٠٥

٣- صحيح البخارى ٢٨١/٩ في كتاب النكاح، باب الغيرة، ومسلم رقم ٢٧٦١ في التوبة باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، والترمذى ١١٦٨ في الرضاع باب ماجاء في الغيرة.

الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)(١).

أثبت الحديث فعل : (قضى، كتب، تغلب) وأثبت الحديث (صفة الرحمة والغضب).

١٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ينزل الله في السماء الدنيا لشطر الليل أو الثلث الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له .... ثم يبسط يديه تبارك وتعالى يقول من يقرض غير معدوم ولا ظلوم)، وعنه (من يسألنى فأعطيه، من يستغفرني فأغفرله)(٢).

أثبت الحديث الأفعال التالية: (ينزل، يقول، استجيب، يبسط، يقول)

١١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل)(٣).

أثبت الحديث فعل (عجب)

١٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض).

١- صحيح مسلم جـ ١٧ ص ٦٨ كتاب التوبة باب سعة رحمة الله تعالى وأنها تغلب غضبه.

٢- صحيح البخارى ٣٨٩/١٣، ٣٩٠ في التوحيد برقم (٧٤٩٤) باب قول الله تعالى ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ وفي التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، وفي الدعوات باب الدعاء نصف الليل، ومسلم رقم ٧٥٨ في صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والموطأ ٢١٤/١ في القرآن باب ماجاء في الدعاء، والترمذى رقم ٣٤٩٣ في الدعوات باب رقم ٨٠ وأبوداود رقم ١٣١٥ في الصلاة باب أى الليل أفضل.

٣- صحيح البخارى ١١٠/٦ في الجهاد، باب الأسارى في السلاسل، وأبوداود برقم (٢٦٧٧) في الجهاد، باب الأسير يوثق.

وفي رواية : (إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال فيحبه جبريل، ثم ينادى في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل عليه السلام، فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم ينادى في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض)

(١) أثبت الحديث فعل: (أحب، نادى، أبغض، دعا)

١٣ - عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة، فقال بعض القوم لو عرست بنا يارسول الله ما هذا ؟ قال: أخاف أن تناموا عن الصلاة فقال بلال: أنا أوقظكم، فاضطجعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته، فغلبته عيناه، فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس فقال: يابلال، أين ماقلت؟ فقال ما ألقيت عليَّ نومة مثلها قط، قال: (إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها عليكم حين شاء، يابلال قم فأذن الناس بالصلاة، فتوضأ، فلما ارتفعت الشمس وابياضت، قام فصلى بالناس جماعة)(٢).

أثبت الحديث فعل (قبض، شاء، رد)

١٤ - عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله

١- صحيح البخارى ٣٨٧/١٣ في التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، وفي الأدب، باب المقت في الله تعالى، ومسلم رقم (٢٦٣٧) في البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً أحبه الى عباده، والموطأ ٩٥٣/٢ في الشعر، باب ماجاء في المتحابين في الله، والترمذى رقم (٣١٦٠ في التفسير، باب سورة مريم.

٢- صحيح البخارى ٢/ ٥٤ في المواقيت باب الآذان بعد ذهاب الوقت وفي التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، ماتشاؤون إلا أن يشاء الله، مسلم برقم (٦٨١) في المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها وأبوداود رقم ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٢٤٠

ﷺ يقول: (إن قلوب بنى آدم بين أُصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك) (١).

أثبت الحديث فعل (يصرف) وأثبت الحديث الأصابع لله تعالى.

١٥ - عن، ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشى مرةً ويكبوا مرةً، وتسعفه النار مرةً، فإذا ماجاوزها إلتفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ماأعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله عزوجل: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها. فيقول: لا يارب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى وهكذا ثلاث مرات حتى إذا أدناه منها)، فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول أي رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها قال: يارب أتستهزىء منى وأنت رب العالمين فضحك إبن مسعود، فقال: ألا تسألوننى مم أضحك ؟ فقالوا ممّ تضحك ؟ قال هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا له ممّ تضحك يارسول الله قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزىء منى وأنت رب العالمين فيقول: إني لا أستهزىء منك، ولكنى على

١- صحيح مسلم (٢٦٥٤) في القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء.

ما أشاء قادر)(١).

أثبت الحديث فعل : (يقول ضحك أعطيت، لا استهزئ، ما أشاء قادر).

١٦ - عن شريك بن عبدالله أنه قال سمعت ابن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة .... إلى أن قال: حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة ....) (٢).

أثبت الحديث فعل: (دنا الجبار، أوحى الله).

١٧ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن يمين الله ملئى لايفيضها نفقة سحّاء الليل والنهار، أرأيتم ماأنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص مافي يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض، أو القبض يرفع ويخفض)(٣).

قال البخارى: (باب قول الله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾(٤) ﴿ومايأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾(٥) وقوله تعالى: ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾(٦) وأن حدثه لايشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (٧)

١- صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب أخر أهل النار خروجاً ٤٢/٣

٢-) صحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب (وكلم الله موسى تكليما) رقم (٧٥١٧).

٣- صحيح البخارى (٧٤١٩) كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم (٩:١٥٢) الفتح ٤٠٣/١٣

٤- سورة الرحمن آية (٢٩)

٥- سورة الأنبياء آية (٢)

٦- سورة الطلاق آية ((١)

٧- سورة الشورى آية (١١)

وقال ابن مسعود: عن النبي ﷺ إن الله عزوجل يحدث من أمره مايشاء وإن مما أحدث أن لاتكلموا في الصلاة)(١).

أثبت الحديث فعل: (أنفق، خلق، يرفع، يخفض يمين الله، والسخاء، واليد، يحدث من أمره ما يشاء)

١٨- عن أسامة بن زيد قال كنا عند النبي ﷺ إذ جاءه رسول إحدى بناته تدعوه إلى ابنها في الموت، فقال النبي ﷺ إرجع فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب فأعادت الرسول أنها أقسمت لتأتينها، فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، فدفع الصبى إليه ونفسه تقعقع كأنها في شن، ففاضت عيناه، فقال له سعد يارسول الله ما هذا ؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)(٢).

أثبت الحديث : (أخذ، أعطى)

١٩ - عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)(٣).

أثبت الحديث فعل (أحب، كره)

١- صحيح البخارى. كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ البخارى (٩:١٨٧) والفتح: ٤٩٦/١٣، وأبوداود في الصلاة باب (١٦٦).

٢- صحيح البخارى (٧٣٧٧) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ ٩: ١٤١، الفتح ٣٥٨/١٣

٣- صحيح مسلم (١٠/١٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

٢٠ - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يدنى المؤمن حتى يضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول له: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول: نعم يارب (ثلاثا) فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى نفسه أنه قد هلك قال فإنى قد غفرتها لك فيعطى كتاب حسناته ... الخ)(١).

٢١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن الله عزوجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لوعدته لوجدتنى عنده، يا ابن آدم إستطعمتك فلم تطعمنى قال يارب وكيف أُطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه إستطعمك عبدى فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب كيف أُسقيك وأنت رب العالمين قال إستسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندى)(٢).

قلت : قد يرد إشكالاً على البعض في هذا الحديث بحسب مافهموه من ظاهر الحديث، ولكن الله تعالى قد فسر ذلك الإشكال وأزاله حينما قال العبد كيف وأنت رب العالمين ؟ فقال الله تعالى مرض عبدى فلان فلم تعده؛ أما علمت لو أنك عدته لوجدتنى عنده، أى لوجدت أجر الزيارة وثوابها عندى، وهكذا في ثواب الإطعام والسقية.

٢٢ - عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن قلوب بنى آدم كلها بين أُصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد

١- صحيح البخارى (٢٤٤١) كتاب المظالم باب قول الله آلا لعنة الله على الظالمين، والفتح ٩٦/٥ ومسلم (٢٧٦٨) وأحمد ٧٤/٢

٢- صحيح مسلم (٢٥٦٩) في البر والصلة باب فضل عيادة المريض ١٢٥/١٦

يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله ﷺ اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)(١).

٢٣ - عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال: ذات يوم في خطبته ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ماجهلتم مما علمنى يومى هذا كلُّ مالٍ نحلته عبداً حلال،وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك وأنزلت عليك كتاباً لايغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان وإن الله أمرنى أن أحرق قريشا فقلت رب إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك ...) الحديث(٢).

٢٤ - عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون لبيك وسعديك. فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون: ومالنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك. فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا: يارب: وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا)(٣).

١- صحيح مسلم (٢٦٥٤) في القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ٢٠٤/١٦

٢- صحيح مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة.

٣- صحيح البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

وجه الدلالة : -

هذه بعض الأدلة الصريحة على أفعال الله تعالى التي وردت في السنة النبوية الشريفة، ويكفي صحة الدلالة أن الرسول ﷺ أثبتها الله تعالى .

وهي تمثل أدلة صريحة وظاهرة على صحة إثبات الأفعال الإلهية،وصحة قيامها بذاته تعالى لأن الرسول ﷺ أثبتها الله تعالى على ما يليق بجلاله.

وقبل أن نذكر تحليلنا لهذه الأفعال والتي سبقتها أيضا في المبحث السابق نود أن نعقب على هذه الأفعال بآراء شراح الحديث من أهل السنة والجماعة حيث ننقل عنهم بعض النصوص التي تبين آراءهم.

وفي المطلب التالي نذكر هذه الآراء

المطلب الثاني : آراء شراح الحديث للأفعال الإلهية :-

بعد ذكر الشاهد للأفعال الإلهية في السنة نأتي لبيان آراء علماء الأمة من شراح الحديث والحفاظ وغيرهم من أئمة الحديث.وإذا تأملنا ماكتبوه نجد أنهم يثبتون ما أثبته القرآن والسنة فيؤمنون بجميع أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته التي أثبتها القرآن والحديث وينفون عن الله مانفاه القرآن والحديث ويعلمون ذلك علم اليقين لأنهم عرفوا ربهم وعلموا أنهم سيختبرون في ذلك يوم القيامة فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفونه فيقول أناْ ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم، فيقولون : أنت ربنا، فيتبعونه ... (١) إلى آخر تلك الأخبار ونحن في هذه العجالة سنقتصر على ذكر أراء علماء الحديث مع الإحالة للمصدر الذي نذكر منه، وفيما يلي نذكر أراءهم :

- **قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي** : (لله تعالى أسماء وصفات جاء بهاكتابه وأخبربها نبيه ﷺ لايسع أحداً من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها، فمن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله تعالى، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لايدرك بالعقل ولا بالرؤية ولابالكيف) (٢).

- **سأل بعض الطلاب الإمام أحمد بن حنبل** عن الأحاديث التي تروى مثل قوله ﷺ : «إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا» وقوله: «إن الله يضع قدمه...» ومثل تلك الأحاديث فأجابهم فقال/ نعلم ونؤمن، ونصدق بها،

١- رواه مسلم : ١٩/٣ باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى.

٢- ذم التأويل : الإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي ، تحقيق بدر بن عبدالله /٢٣.

ولاكيف ، ولامعنى، ولانرد منها شيئا ونعلم أن ماجاء به الرسول حق إذا كانت بأسانيد صحيحة، ولانرد على رسول الله ﷺ قوله، ولايوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أووصفه به رسوله بلا حد ولاغاية ﴿ليس كمثلة شيء وهو السميع البصير﴾ (١) ولايبلغ الواصفون صفته،وصفاته منه،ولانتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصفه كماوصف نفسه ولانتعدى ذلك، بل نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولانزيل صفة من صفاته ....» (٢).

- **جاء في التمهيد لابن عبدالبر:** أن سفيان بن عيينة قال في حديث عبد الله « أن الله يجعل السماء على أصبع» (٣) وحديث « أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن (٤)وحديث «إن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق » (٥) وأنه عزوجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة (٦)ونحو هذه الأحاديث نرويها ونقربها كما جاءت بلاكيف (٧) .

- **قال محمد بن الحسن /** إتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عزوجل من غير تغيير ولاوصف ولاتشبيه فمن فسر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا

١- الشورى آية (١١)

٢- المصدر ذم التأويل، لابن قدامة ص ٢٢

٣- أخرجه البخاري (٨/٥٥٠) ، (٣٩٣/١٣) ومسلم (٤: ٢١٤٧) الترمذي برقم ٣٢٣٨ والدر المنثور للسيوطي (٤:٢٤٦)

٤- الحديث بهذا اللفظ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٤٢٢ من حديث عائشة واسناده ضعيف ولكن الحديث صحيح رواه مسلم ٢٠٤٥/٤ وقد سبق أن ذكرنا الحديث.ص ١٦٢

٥- أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٥٥٤، ٥٦٩، ٥٧٣)

٦- البخاري (٣: ٢٩) (١١: ١٢٨) ومسلم (١:٥٢١). وسبق أن ذكرنا الحديث بنصه وتخريجه.

٧- التمهيد لابن عبدالبر : (١٤٧/٧)،الدار قطني في الصفات / ٦٣.

ولكن آمنوا بمافي الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لاشيء (١) .

وهذا النص ليس معناه تفويض العلم بمعاني صفات الله وأسمائه وأفعاله وإنما تفويض العلم بكيفية صفات الله وأسمائه وأفعاله إلى الله تبارك وتعالى .

- **يقول الإمام الحافظ محدث الشام ، أبوبكر أحمد بن الخطيب،** صاحب التصانيف الكثيرة ومن مواليد سنة إثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة:- «أما الكلام في الصفات : فإن ماروى منها في السنن الصحاح ، مذهب السلف رضى الله عنهم إثباتها ، وإجراؤها على ظاهرها ،ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله ، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والفصل إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكيف ، فإذا قلنا: لله يد وسمع وبصر فإنما هي صفات لله أثبتها الله تعالى لنفسه ولانقول أنها جوارح ولانشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾(٢) وقوله ﴿ولم يكن له كفواً

١- شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي (٣: ٤٣٢)

٢- سورة الشورى آية : ١١

أحد﴾ (١).- (٢).

وندرك من كلام الحافظ تماماً على ماكان عليه السلف الصالح من إيمان راسخ بأسماء الله وصفاته وأفعاله وردهم للتشبيه والتعطيل في هذا الباب وتمسكهم بمنهج الوسطية بإثبات جميع الصفات والأفعال الإلهية التي أثبت النقل صحتها. ونفي مانفى عنه النقل من الأفعال والصفات التي لاتليق بجلاله وقدسه.

- **قال أبوعثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني** : «إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله، وشهد له بها رسوله على ماوردت به الأخبار الصحاح ونقله العدول الثقات ، ولايعتدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه، ولايكيفونها تكييف المشبهة ، ولايحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية ، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف، بأن منّ عليهم بالتفهيم والتعريف، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قوله عز من قائل : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (٣)» (٤) قلت نعم هذا هو الحق ، ولهذا فأصحاب الحديث بل الأئمة منهم كانوا يؤمنون بجميع أفعال الله وصفاته وكانوا يمرونها على ظاهرها ولا يخوضون فيها ولايسألون في كيفتها، فهذا مالك إمام أهل الحجاز وهذا الثوري إمام أهل العراق ، وهذا الأوزاعي إمام أهل الشام ، وهذا الليث بن سعد إمام أهل مصر والمغرب ، ثبت عنهم وعن غيرهم خلق كثير أنهم كانوا يؤمنون بها ويمرونها على ظاهرها

١- سورة الإخلاص آية : ٤

٢- بتصرف واختصار، تذكرة الحفاظ ، للذهبي (٣: ١١٤٢)

٣- سورة الشورى آية : ١١

٤- عقيدة السلف ، للإمام الصابوني.

ولايؤلون فيها ولايكيفون فيها (١).

قال الربيع بن سليمان الشافعي لما سئل عن أفعال وصفات الله تعالى : (حرام على العقول أن تمثل الله تعالى ، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه أو على لسان رسوله ﷺ) (٢)

- يقول الإمام الحافظ أبوعبدالله محمد بن أحمد الذهبي :

(إن أحببت ياعبدالله الإنصاف ، فقف مع نصوص القرآن والسنن ، ثم انظر ماقاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات ، وماحكوه من مذاهب السلف فإما أن تنطق بعلم، وإما أن تسكت بحلم، ودع المراء والجدال ، فإننا على أصل صحيح وعقد متين ، من أن الله تقدس اسمه لامثل له، وإن إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته المقدسة...) ثم أورد نص حديث رسول الله مع الجارية حين سألها: أين الله فقالت في السماء فقال ﷺ أعتقها فإنها مؤمنة قائلاً: (وهكذا رأينا كل من يسأل أين الله ؟ يبادر بفطرته ويقول في السماء ففي الخبر مسألتان:

أحداهما: شرعية قول المسلم أين الله ؟

وثانيهما: قول المسؤول : في السماء . فمن أنكر هاتين المسألتين ، فإنما ينكر عن المصطفى ﷺ) (٣).

١- انظر الآجري في الشريعة (٣١٤) ، والبيهقي في الأسماء (٤٥٣) والدار قطني في الصفات (٦٧) والذهبي في العلو (١٠٥) وابن عبدالبر في التمهيد (٧:١٤٨)

٢- ذم التأويل ، للإمام المقدسي (٢٣)

٣- مختصر العلو للحافظ شمس الذهبي اختصار الألباني ، (٨١) طبعة المكتب الإسلامي بيروت ط ١/ ١٤٠١هـ.

- **قال الحافظ حماد بن زيد البصري** من مواليد سنة ثمان وتسعين للهجرة:- «إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله، ومقالة السلف وأئمة السنة بل والصحابة والله ورسوله والمؤمنون أن الله عزوجل في السماء ، وأن الله على العرش وأن الله فوق سمواته، وأنه ينزل إلى السماء الدنياو وحجتهم على ذلك النصوص والآثار.

ومقالة الجهمية: أن الله تبارك وتعالى في جميع الأمكنة ، تعالى الله عن قولهم بل هو معنا أينما كنا بعلمه. ومقالة متأخري المتكلمين : أن الله تعالى ليس في السماء ، ولاعلى العرش ، ولا على السموات ولا في الأرض ، ولاداخل العالم ، ولاخارج العالم ، ولاهو بائن عن خلقه ولامتصل بهم ، وجميع هذه الأشياء صفات الأجسام والله تعالى منزه عن الجسم وقال لهم أهل السنة والأثر، نحن لانخوض في ذلك ، ونقول ماذكرناه إتباعا للنصوص ، وإن زعمتم ما زعمتم، ولانقول بقولكم ، فإن هذه السلوب نعوت المعدوم ، تعالى الله جل جلاله عن العدم، بل هو موجود متميز، موصوف بماوصف به نفسه، من أنه فوق العرش بلاكيف» (١).

- **وقال الإمام الحافظ أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الضرير** إثر ماروى حديث أبي هريرة «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها»:

(قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث ومايشبهه من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا، ونؤمن به ولانتوهم ولانقول كيف؟ هكذا روى عن مالك وابن عيينة وابن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. قال: وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات ، وقالوا: هذا تشبيه، وفسروها على غير مافسر به أهل العلم. وقالوا إن الله لم يخلق آدم بيده وإنما معنى اليد ههنا القوة

١- أنظر في السنة ، للإمام أحمد بن حنبل (٩ - ١٠) العلو ، للذهبي (١٤٦ - ١٤٧)

وقال إسحاق بن راهوية: إنما يكون التشبيه إذا قال : يد مثل يدي، أوسمع كسمعي فهذا تشبيه، وأما إذا قال كماقال الله : يد، وسمع، وبصر، فلايقول : كيف، ولايقول: مثل فهذا لايكون تشبيه عنده، قال تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (١).

- **ولما دخل رجل على الإمام مالك بن أنس** يسأله عن الاستواء في قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. (فأطرق الإمام مالك رأسه وعلاه الرحضاء - العرق - وانتظر القوم مايجئ منه فيه ، فرفع رأسه إليه ، قال : الإستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء ، وأمربه فأخرج) (٢).

وقال الإمام مالك بن أنس : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لايخلوا منه شيء (٣).

قال الذهبي معلقا: كيفية الإستواء لانعقلها، بل نجهلها، وأن إستواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به ، لانتعمق ولانتحذلق ولانخوض في لوازم ذلك نفيا ولا إثباتا بل نسكت ونقف كما وقف السلف، نعلم أنه لوكان له تاويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولماوسعهم إقراره والسكوت عنه ، ونعلم يقينا مع ذلك أن الله جل جلاله لامثل له في صفاته ولافي إستوائه ولافي نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا).

- **قال أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري** في كتابه خلق أفعال العباد: حدثنا محمد بن عبدالله جعفر البغدادي قال: سمعت أبا زكريا يحي بن يوسف الزمي قال: كنا عند عبدالله بن إدريس فجاءه رجل فقال: يا أبا

١- العلو، للذهبي (٢١٨) ، جامع الترمذي (١٢٨/١)

٢- أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٣٣) اللالكائي (٩٢/١)،ذم التأويل للمقدسي (١٣) ، الصابوني في عقيدة السلف (٢٤).

٣- أخرجه الآجري في الشريعة ص ٢٨٩.

محمد ما تقول في قوم يقولون: القرآن مخلوق ... ؟

فقال (أمن اليهود ؟ قال لا . قال فمن النصارى ؟ قال لا . قال : فمن المجوس ؟ . قال لا . قال فمن أين ؟ قال من أهل التوحيد. قال فليس هؤلاء من أهل التوحيد، هؤلاء الزنادقة من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أن الله مخلوق يقول الله : بسم الله الرحمن الرحيم. فالله لايكون مخلوقا ، والرحمن لايكون مخلوقا، والرحيم لايكون مخلوقا، وهذا أصل الزنادقة من قال هذا فعليه لعنة الله لاتجالسوهم ولاتناكحوهم) (١).

- **وقال ضمرة بن ربيعة** عن صدقة، سمعت سليمان التيمي يقول/ لوسئلت أين الله ؟ لقلت في السماء ، فإن قال : فأين كان عرشه ؟ قبل السماء ؟ لقلت على الماء ، فإن قال : فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت : لا أعلم .

قال أبو عبد الله وذلك لقوله تعالى(ولايحيطون بشيء من علمه إلاَّ بماشاء)(٢).

- وقال يحي بن معين ، سيد الحفاظ ، المتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين للهجرة إذا قال لك الجهمي : وكيف ينزل ؟ فقل له : كيف يصعد ؟ (٣). والكيف في الحالين منفي عن الله تعالى لامجال للعقل فيه ، فالأولى ترك السؤال عن الكيفية.

- **أخرج الإمام اللالكائي** وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً في قوله تعالى ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾(٤) قالت: (الكيف غير معقول، والإستواء غير مجهول ، والإقرار به إيمان، والجحودبه كفر) (٥).

١- محمد بن إسماعيل البخاري، خلق أفعال العباد ، ص ١٤

٢- سورة البقرة، آية (٥٥). أنظر : في خلق أفعال العباد للإمام محمد بن اسماعيل البخاري ص ١٥.

٣- العلو ، للذهبي (١٨٨)

٤- سورة طه آية (٥)

٥- أخرجه الذهبي في العلو ص ٦٥و واللالكائي (٦٦٣) والصابوني في عقيدة السلف (٢٣) وهذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الراي ومالك والإمام الترمذي وغيرهم....

- **وقال الأصمعي عن العلاء بن الفضل** عن أبيه قال: لماقتل عثمان فتشوا خزانته ، فوجدوا فيها صندوقاً مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه ورقة مكتوب فيها:- «هذه وصية عثمان ، بسم الله الرحمن الرحيم ، عثمان بن عفان يشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق وأن الله يبعث من في القبور ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد، عليها يحي وعليها يبعث إن شاء الله تعالى».

فأثبت عثمان رضي الله عنه أسماء الله تعالى (الله، الرحمن ، الرحيم) وأثبت أيضا بعض أفعال الله تعالى مثل (يبعث) ونفى عنه بعض الأفعال وهو مقتبس من القرآن ﴿إن الله لايخلف الميعاد﴾ (١). وأثبت لله تعالى المشيئة والإرادة فقال/ (إن شاء الله تعالى).

يقول الإمام الدارمي :-

(وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه، وقد رزقوا العافية، وابتلينا من بعدهم عند دروس الإسلام وذهاب العلماء فلم نجد بداً من أن نرد ما أتو به من الباطل بالحق، وقد كان رسول الله ﷺ يتخوف على أمته ويحذرها إياهم ثم الصحابة من بعده والتابعون ، مخافة أن يتكلموا في الله وفي القرآن بأهوائهم فيضلوا ويتماروا به على جهل حتى إن بعضهم كان يتقي تفسير القرآن لأن القائل منه إنما يقول على الله ....) (٢).

- **قال شيخ الإسلام الهروي** : سئل الإمام أبوحنيفة رحمه الله: (ماتقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: هي مقالات الفلاسفة أعرض عنها عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة، فإنها بدعة) (٣)

١- سورة آل عمران آية (٩)

٢- الرد على الجهمية ، لأبي سعيد الدارمي (٢٥٩)

٣-.صون المنطق ، للسيوطي (ص ٣٢) ، وأخرجها الهروي في ذم الكلام وأبوالمظفر السمعاني وابن قدامة المقدسي في ذم التأويل (ص ٣٣)

- **وقال سفيان الثوري** : كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، فسأله رجل . فقال: « الرحمن على العرش استوى» كيف استوى ؟.

فقال: الإستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق. (١)).

- **قال الحافظ شمس الدين الذهبي** بعد أن ذكر بعض أحاديث الصفات والأفعال الإلهية :(وقولنا في هذه الأحاديث : أننا نؤمن بماصح منها، وبما اتفق السلف على إمراره. وإقراره، وأما مافي إسناده مقال، واختلف العلماء في قبوله وتأويله، فإنا لانتعرض له بتقرير، بل نرويه في الجملة ونبين حاله، ثم ذكر الأحاديث التي فيها ذكر عرش الرحمن .

فقال: (ضاعت الأفكار وطاشت العقول، وكلّت الألسنَة عن العبارة عن بعض المخلوقات فالله أعلا وأعظم «آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » تباً لذوي العقول الخائفة، والقلوب المعطلة والنفوس الجاحدة، إسمع وتعقل مايقال لك، وتدبر ما يلقى إليك، والجأ إلى الإيمان بالغيب ، فليس الخبر كالمعاينة، والقرآن مشحون بذكر العرش وكذلك الآثار بما يمتنع أن يكون مع ذلك أن المراد بذلك الملك، فدع المكابرة والمراء فإن المرآء في القرآن كفر» (٢) .

وقال الإمام أبوعمر الأوزاعي : (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخر فوه لك بالقول). (٣).

١- العلو ، للذهبي ، (١٣٢، أحمد بن تيمية ، الرسالة الحموية (ص ٨) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٩٢) بإسناد آخر عن ابن عيينة.

٢- مختصر العلو للعلي الغفار، للحافظ شمس الدين الذهبي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي بتصرف ص ٩٢، ١٠٠

٣- لمعة الإعتقاد ، لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة ، ص ٩٤، دار الكتب القطرية.

وقال موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة: «مجئ الله لفصل القضاء يوم القيامة والرضا والمحبة والغضب والسخط والكره والنزول والعجب والضحك والإستواء والعلو والكلام جميعها صفات الله ، أجمع السلف على ثبوتها، فيجب إثباتها له من غير تحريف ولاتعطيل ولاتكييف ولاتمثيل وهي صفات حقيقية لله تليق به ، ومن صفاته أنه الفعال لما يريد لايكون شيء إلا بإرادته، أراده الله العالم فاعلوه، ولو عصمهم لماخالفوه، ولوشاء أن يطيعوه جميعهم لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، وأنه لم يجبر أحداً على معصيته، وأن للعبد فعلا وكسبا يجزى على حسنه بالثواب ، وعلى سيئه بالعقاب وهو واقع بقضاء الله وقدره (١).

قال أبوعمر بن عبدالبر:- روى الإمام مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن وأبي عبدالله الأغر جميعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل ، فيقول من يدعوني فأستجيب له ؟ ....)(٢) إلى آخر الحديث ثم قال:

(هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد ، لايختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل على أن الله تعالى في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة القائلين بأن الله في كل مكان، تعال الله عن قولهم. ثم قال وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، وأنهم لايكيفون شيئا من ذلك ولايحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرونها ولايحملون

١- المصدر السابق (٥٢ - ٨٤) بتصرف وإختصار.

٢- متفق عليه، انظر: تخريج الحديث ص ١٧١ من الرسالة.

منها شيئا على الحقيقة، ويزعمون أن من أقربها مشبه وهم عند من أقربها معطلين للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما ينطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة (١).

- قال الإمام ابن قتيبة لدى شرحه لحديث « إن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » (٢) (ونحن نقول : إن هذا الحديث صحيح ، وأن الذي ذهبوا إليه في تأويل الأصابع لايشبه الحديث لأنه عليه السلام قال في دعائه « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقالت له إحدى أزواجه « أتخاف يارسول الله على نفسك ؟ فقال : إن قلب المؤمن ، بين أصبعين من أصابع الله عزوجل فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله فهو محفوظ بتينك النعمتين فلأي شيء دعا بالتثبت ؟ ولم احتج على المرأة التي قالت له : أتخاف على نفسك بما يؤكد قولها وكان ينبغي أن لايخاف إذا كان القلب محروسا بنعمتين » (٣).

وقال الإمام أبو سعيد الدارمي المتوفى سنة ٢٨٠هـ:-

(الحمد لله الذي يعلم سر خلقه وجهرهم ويعلم مايكسبون، نحمده، بجميع محامده ونصفه بما وصف به نفسه ووصفه به الرسول، فهو الله الرحمن الرحيم ، قريب مجيب و متكلم قائل وشاء مريد ﴿فعال لما يريد﴾(٤)، الأول قبل كل شيء و الآخر بعد كل شيء و ﴿له الأمر من قبل ومن بعد﴾(٥)، له الأسماء الحسنى يقبض

١- أثبات صفة العلو ، للإمام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة، طبعة الدار السلفية الكويت، ص١٢٧، ١٢٩ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ ،والتمهيد لابن عبد البر ١٤٥/٧

٢- صحيح مسلم (٤ : ٢٠٤٥) والمستدرك للحاكم (٤: ٣٢١) طبعة دار الجيل - بيروت - لبنان ١٣٩٣هـ

٣- تاويل مختلف الحديث ، لمحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ص ٢٠٩) طبعة دار الجيل - بيروت - لبنان ١٣٩٣هـ.

٤- سورة البروج آية ١٦

٥- سورة الأعراف آية ٥٤

ويبسط و ويتكلم، ويرضى ويسخط ، يغضب، ويحب ويبغض ويكره، ويضحك، ويأمر وينهى، ذوالوجه الكريم والسمع السميع، والبصر البصير، والكلام المبين واليدين والقبضتين والقدرة والسلطان والعظمة والعلم الأزلي لم يزل كذلك ولايزال استوى على عرشه فبان من خلقه لاتخفى عليه منهم خافية، علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (١) إن الأمة كلها والأمم السالفة قبلها لم يكونوا يشكون في معرفة الله تعالى أنه فوق السماء بائن من خلقه) (٢).

ويقول ايضا فيمن أنكر صفات الله وفسرها على خلاف ماعنى الله وعلى خلاف ما تأولها الفقهاء الصالحون من علماء أهل السنة والجماعة، وهؤلاء المنكرون يضعون اللوم على علماء المسلمين وسلفهم فيقولون عنهم بأنهم يكيفونها ويشبهونها بذوات أنفسهم وفي معرض هذا يقول الإمام أبوسعيد الدارمي مدافعا عن علماء الأمة:-

أما قولك : (أن كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو موجود في الخلق خطأ، فإنا لانقول إنه خطأ بل هو عندنا كفر ، ونحن لتكييفها وتشبيهها عما هو موجود في الخلق أشد أنفة منكم غير أنا كمالانشبهها ولانكيفها لانكفر بها، ولانبطلها بتأويل الضلال ولانكذب بها كتكذيبكم ولانفسرها كتفسيركم ...) (٣).

وقال الإمام عبدالله بن مسلم بن قتيبه المتوفى سنة ٢٧٦هـ:-

(قالوا في الضحك: هو مثل قول العرب/ ضحكت الأرض بالنبات : إذا طلع فيها ضروب الزهر وضحكت الطلعة : إذا انفتق كافورها عن بياضها، (وضحك

١- الرد على الجهمية ، للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، ضمن رسائل عقائد السلف للدكتور على سامي النشار ص ٢٥٦. نشر مكتبة الأثار السلفية ومنشاة المعارف الإسكندرية.

٢- المرجع السابق، (٢٧٩)

٣- رد الإمام الدارمي على المريسى العنيد، (٣٨٠ - ٣٨١) بتصرف. ضمن رسائل عقائد السلف للدكتور على سامي النشار.

المزن) إذا لمع فيه البرق، وليس من هذه شيء إلا وللضحك فيه معنى حدث. فإن كان الضحك الذي فروا من تشبيهه بالإنسان ، فإن في هذا تشبيها بهذه المعاني.

ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء في النفي عارضوهم بالافراط في التمثيل، فقالوا بالتشبيه المحض، وبالأقطار والحدود، وحملوا الألفاظ الجائية في الحديث على ظاهرها، وقالوا بالكيفية فيها، وكلا الفريقين غالط، وقد جعل الله التوسط منزلة العدل، ونهى عن الغلو فيما دون صفاته، من أمر ديننا فضلا عن صفاته، ووضع عنا أن نفكر فيه و كيف كان ؟ وكيف قدر ؟ وكيف خلق ؟ ولم يكلفنا مالم يجعله في تركيبنا ووسعنا، وعدل القول في هذه الأخبار، أن نؤمن بماصح منها بنقل الثقات لها. فنؤمن بالرؤية والتجلي وأنه يعجب وينزل إلى السماء وأنه على العرش استوى ونؤمن بالنفس واليدين من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو بحد، فنرجوا أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً إن شاء الله ...) (١).

١- المرجع السابق ص ٣٩٥ .

هذه بعض أقوال أئمة الحديث والتفسير نقلتها من مصادر عقائد أهل السنة والجماعة، وهذه النقولات هي غيض من فيض وإذا أردنا أن نحصي أقوالهم في هذه القضايا لاحتجنا إلى مجلدات ومجلدات، ولا يخفى على الباحث كثرة المصنفات في هذا الجانب، وخاصة ممن صنف فيها في القرون الثلاثة، الأول وبعدها وقد أشرت إلى بعضها في أول الرسالة، وليس الهدف هو إحصاء هذه النقولات ولكن الهدف هو بيان ما عليه أهل السنة والجماعة في هذا الأمر ولعلى وفقت إلى ذلك فيما نقلته من أقوال وآراء.

تحليل وتعقيب : -

بعد النظر في كل من آيات القرآن الكريم الدالة على دوام قيام أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته به، ثم النظر في تفاسير السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ، وبعد النظر أيضا في أحاديث الرسول ﷺ الدالة على دوام قيام أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته به،ثم النظر في آراء شراح الحديث من أئمة الحديث من السلف الصالح ومن أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين وتابع التابعين ومن تبعهم بإحسان ممن أقتفى أثرهم واتبع سبيلهم. يمكن لنا أن نخرج ببعض القواعد العامة في باب الأفعال الإلهية .

١) إثبات جميع أفعال الله تعالى الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة والإيمان والتسليم بها لأنها جزء من التوحيد مع العلم لمعانيها . وتفويض كيفيتها إلى الله.

٢) عدم طلب معرفة الكيفية لأفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته لأن من جهل كيفية الأصل والذات فهو حتما يجهل كيفية الفرع والعرض والصفات.ومن سأل كيف استوى ؟ وكيف قامت به الأفعال والصفات ؟ قيل له كيف هو ؟ فإن قال: لا أعلم كيفيته. قيل له كذلك نحن لانعلم كيفية إستوائه، وكيفية أفعاله وصفاته وأسمائه. ولهذا ذهب أهل السنة والجماعة إلى عدم تكييف أفعال الله وأسمائه وصفاته، لأنهم أدركوا أن العلم بكيفية الأفعال والصفات والأسماء متوقف على العلم بكيفية الذات فمادام العلم بكيفية الذات لايمكن الوصول إلى معرفتها وإدراكها ، فكذلك العلم بكيفية الصفات لايمكن الوصول إليها لأن ذلك العلم مما اختص الله به نفسه ولايمكن للمخلوق أن يتصور كيفية ذات الله ولا كيفية أفعاله وصفاته.

٣) أهل السنة والجماعة لايمثلون أفعال الله وصفاته وأسمائه بأفعال المخلوقات والحوادث لأن الله تعالى قال في كتابه : ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾(١) ، ﴿ليس كمثله شيء﴾(٢).

٤) أهل السنة والجماعة يذمون التأويل ولايرضون به في تفسير أفعال الله تعالى لأنه يؤدي إلى تعطيل أفعال الله ثم الوقوع في لوثة التشبيه ونتيجته هو التحريف للألفاظ والمدلولات.

٥) يذهب أهل السنة والجماعة من أئمة الحديث والتفسير إلى أنه يجب مع الايمان لأفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته معرفة معاني أفعال الله وأسمائه وصفاته والتدبر والتعقل فيها، ومناجاة الله بها.

٦) أفعال الله كلها على الحقيقة، قائمة بالله تعالى على مايليق بكماله وجلاله، من غير أى تشبيه أو تمثيل، وأفعال البشر كذلك على الحقيقة قائمة بهم على ما يليق بهم، وهي كسب لهم ولم يكن الله يوما معطلا عن الفعل، بل هو المتصف بالصفات والأسماء الحسنى قبل خلق الخليقة ولم يزل هو المتصف بها، وهذا الذي يعبر عنه المتكلمون « بحلول الحوادث » فالقول بحلول الحوادث على معنى إثبات الأفعال والصفات الأختيارية والمتجددة بذاته تعالى هو مذهب أكثر أهل الحديث بل هو قول أئمة الحديث وهو المنقول عن سلف الأمة وأئمتها وخلق كثير من -أتباع الأئمة الأربعة، الحنفية والمالكية والشافعية

١- سورة النحل آية (٨٤)

٢- سورة الشورى آية (١١).

والحنابلة - لايحصى عددهم إلا الله تبارك وتعالى (١) بغض النظر عن مدى صحة استخدام مصطلحات المتكلمين مثل «حلول الحوادث» وسيأتي الكلام عن ذلك في الفصول القادمة.

٧) أفعال الله تعالى التي أثبتها سبحانه لنفسه وأثبتها له رسوله محمد ﷺ ، منها على الإيجاب والتفصيل مثل أنه سبحانه وتعالى : إستوى على العرش وأنه يحب التوابين ، وأنه يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات، وأنه يخلق ويرزق ويكافئ ويمسك السماء أن تقع على الأرض، ...... إلى غيرها من الأفعال الإيجابية. ومنها على النفي الإجمالي مثل أنه سبحانه وتعالى «لاينام ، ولايموت ، ولايعجزه شيء ولايعتريه تعب ولانصب، ولاينسى ولايظلم ، ولايستحي من الحق....» إلى غيرها من الأفعال التي نفاها عن نفسه، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بها جميعاً ولايزيدون فيها ولاينقصون منها.

٨) يرى أهل السنة أن باب الأفعال الإلهية لامنتهى لها وكذلك أقواله لامنتهى لها، وكذلك صفاته وأسماؤه، وأما ما أحصاه العلماء من التسعة والتسعين إسماً فإنما هي من أسمائه وهناك الكثير مما استأثر الله تعالى في علمه الغيب عنده.

٩) إشتقاق الأسماء والصفات من الأفعال الإلهية، أمر توقيفي ، فلايصح اقتباس اسم من ما أخبر الله به عن أفعاله، مثل قوله تعالى ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾(٢) وقوله تعالى ﴿ الله يستهزئ بهم﴾(٣) وقوله ﴿وأكيد كيدا ﴾(٤).

١- أنظر الموضوع بتوسع : في بيان تلبيس الجهمية أو نقض تأسيس الجهمية: لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ٢٢/١، تصحيح محمد عبدالرحمن قاسم ، مؤسسة قرطبة

٢- سورة الأنفال آية (٣٠)

٣- سورة البقرة آية (١٥)

٤- سورة الطارق آية (١٦)

فلا يقال عنه أنه سبحانه وتعالى ماكر ولامستهزئ ولاكائد ولايدعى بتلك الأفعال ما لم يثبت النقل بذلك .

١٠) لم يثبت عن أحد من السلف الصالح أنه قال بالمجاز في أفعال الله تبارك وتعالى، وأما من جاء من الخلف وقال بذلك فقد خالف بقوله منهج السلف الصالح وخرج عنهم.

ومن هنا فكل من يقول بالمجاز في الأفعال الإلهية خارج عن معتقد أهل السنة والجماعة فيما خرج وشذ عنهم من أقوال وآراء. سواء كان ذلك الخروج عن قصد أوغير قصد.

١١) الضابط والمعيار في جميع أفعال الله تعالى والتي يوهم ظاهرها ذهن السامع من التشبيه وغيره، فالحق في ذلك، أنه يعرف أولاً مافي نفس السامع والسائل فإن / كان يظن أن المراد من الظاهر هو ماتبادر إليه ذهنه وسبق عليه علمه من التشبيه والتمثيل فهو بلاشك غير مراد.

وإن: كان يظن ويعتقد أن الظاهر هو ثابت لله تعالى على الحقيقة وعلى مايليق بجلال الله تعالى من غير تشبيه ولا تعطيل ولاتمثيل ولاتكييف فهو المراد وهو الحق . وعليه أهل السنة والجماعة (١).

١٢) القول بأن الله تبارك وتعالى كان معطلاً عن الفعل ولم تكن الصفة قائمة به حتى بدأ في الفعل، مثل : الخلق والكلام، والعلم والقدرة والإرادة والإستواء والحب والرضا وغيرها من الأفعال هو قول محدث مبتدع وهو تقوُّل

١- أنظر الموضوع بتوسع في الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية تحقيق محمد بن عودة السعوي ، ص ٧٦

على الله بغير علم، ولم يقله الرسول ﷺ ولاصحابته من بعده ولا التابعين ولاسلف الأمة من أهل التفسير والحديث وغيرهم، وإنما هي أقوال أهل الكلام ويؤدي إلى تعطيل صفات الله ووصفه بما لايليق به ولهذا رد عليهم أهل الحديث والسنة. (١).

١٣) القول بأن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم. قول باطل وهيهات للخلف أن يكونوا كذلك ، بل مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم . لأن السلف آمنوا بآيات وأحاديث الصفات والأفعال وأمروها على ظاهرها بفهم ثاقب وعلم راسخ.

١٤) لانقول إن الأمة كلها تجهل معاني تلك الأفعال والأسماء والصفات. بل في الأمة من يعلم معاني تلك الأفعال والصفات فمنهم من وضحها وفسرها، ومنهم من أقرّبها ومرّ عليها مع العلم بمعانيها ومنهم من أظهر المعنى اللغوي للفعل وللاسم والصفة ، ثم أضاف ذلك المعنى إلى أفعال الله وأسمائه وصفاته، على مايليق بكماله وجلاله، مع نفي المماثلة والمشابهة بين الأفعال والأسماء والصفات الإلهية وبين أفعال وأسماء وصفات الحوادث والمخلوقات .

١٥) إن هذه الأحاديث والأفعال الإلهية التي أخبربها الرسول ﷺ ونقلها العدول والثقات في سلسلة ذهبية متصلة من آخر السند إلى الرسول ﷺ هي أخبار تقوم بها الحجة على الأمة ويجب الإيمان بها والعمل بها فلاتقبل فلسفة المتكلمين حتى وإن كان الناقل واحداً مادام أنه ثقة عدل ضابط شهد له أقرانه ومعاصروه بذلك .

١- مختصر الصواعق المرسلة، لابن قيم الجوزية، توزيع ونشر دار الباز بمكة المكرمة (ص ٤٣٦)

ولهذا وقع في الخطأ من وقع ، حينما أدخلوا أنفسهم في باب هم محجوبون عن معرفة كنهه وذاته، وليس لنا إلاَّ التسليم والايمان، وحينما نثبت ذلك نؤكد أننا بريئون من أولئك الغلاة الذين بالغوا في النفي وفي تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة المخلوقات وأنه لاتقوم به الحوادث ولاتقوم به الأفعال ولا معنى لهذه الأسماء والصفات وهم الجهمية (١) وأتباعهم، حتى جردوا الله تبارك وتعالى عن أسمائه وصفاته وجعلوا الله واحداً في ذاته لاصفات ولاأسماء له،مع أنه تعالى يثبت لنفسه الأسماء ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ (٢) ونعت الله نفسه في كتابه في كثير من آياته بأنه ﴿هو الله الذي لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافي السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (٣) .

وكذلك في نفس الوقت بريئون من أولئك الذين فوضوا علم هذه الأفعال والأسماء والصفات إلىٰ الله تعالى وقالوا هذا أسلم، وهذا جهل منهم،فهم

١- وهم أتباع الجهم بن صفوان مولى بني راسب ينسبه قومه إلى ترمذ وينسبه آخرون إلى سمرقند، إنضم إلى الحارث بن سريج إبان فتنة خراسان في آواخر ملك بني أمية، وهو تلميذ الجعد بن درهم الذي قتله خالد القسري سنة ١٢٤، على زندقته وإلحاده، فهو أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته. وكان الجهم وأتباعه ينكرون صفات الباري الأزلية، قتله سلم بن أحوز المازني بمرو، في آخر ملك بني أمية. أنظر : الملل والنحل : الشهرستاني ، جـ ٨٦/١، مقالات الإسلاميين : أبو الحسن الأشعري، ٣٣٨/١، تحقيق : محمد محي الدين، ميزان الإعتدال ١٩٧/١، الكامل: لابن الأثير (حوادث سنة ١٢٨هـ)، لسان الميزان: ١٤٢/٢.

٢- سورة الأعراف آية (١٨٠)

٣- سورة الحشر آية (٢٢ - ٢٤)

يقولون إن العقل قاصر عن معرفة هذه الأسماء والصفات والأفعال فنقول إذاً كيف يأمرنا الله تبارك بأن نعبد رباً نجهل صفاته ونجهل أسماءه ونجهل أفعاله؟ وإنما الصواب عندنا أننا نفوض الكيف إلى الله تعالى ولانفوض العلم بهذه الأفعال والأسماء والصفات؛ فنحن نعلم معنى الغفور والرحيم ونعلم معنى القهار ونعلم معنى الرحمة والغضب والسخط والحب والرضى والنزول والإستواء ونعلم معنى ينتقم ويمكر ويقذف بالحق ومعنى يستهزؤبهم ويمدهم في طغيانهم، ومعنى يمحق الله الربى ويربي الصدقات.... وهكذا، لكننا نجهل كيفية إنتقامه، وكيفية مكره، وكيفية سمعه وبصره، وكيفية إستوائه، وكيفية مجيئه ووجهه.

ثم نحن إذ نتبرأ من الذين بالغوا في الإثبات حتى شبهوا الله بمخلوقاته نقول بالإشتراك في الإسم بين في الصفات والأسماء والأفعال بين الله تبارك وتعالى والعباد؛ حيث وصف الله نفسه بالعلم والرحمة والقدرة والإرادة والمشيئة والفرح والحب والرضى في كتابه، وكذلك وصفه رسوله محمد ﷺ في سنته (١) .

ثم أخبر سبحانه وتعالى في كتابه بأن عباده يتصفون بتلك الصفات والأسماء والأفعال، أو ببعضها فالعبد : يرحم ، ويريد ، ويقدر وله مشيئة ويفرح ويرضى ويكره ويغفر. لكن هذا الإشتراك هو إشتراك في الاسم فقط فليست رحمة الله تعالى كرحمة العبد، وليس علم الله كعلم العبد بل علمه سبحانه وتعالى أعظم وأشمل وهكذا في سائر أفعاله وصفاته.

فأهل السنة والجماعة وسط بين أهل النفاة ، والمشبهة قال تعالى:﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ (٢).

فالوسطية منهج أهل الحق - أهل السنة والجماعة - في التوحيد، وفي

١- أنظر: دقائق التفسير لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، تحقيق د/ محمد السيد الجليند جـ ٥ / ٢٢٥ - ٢٥٥.

٢- سورة البقرة أية (١٤٣)

العبادة وفي الأخلاق وفي الأحكام وفي التشريع وفي سائر القضايا وليس ذلك إلا لاتباعهم القرآن والسنة وآثار الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

١٦) إن أسماء و صفات الباري سبحانه وتعالى مشتقة من أفعاله، ولهذا فالأفعال مجالها أوسع من الأسماء والصفات في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

أما الأسماء والصفات فهي لازمة لأفعاله ولا يصح لأحد أن يشتق من أفعاله تعالى إسماً له إلاّ إذا ثبت ذلك بالنقل، فالأفعال الإلهية تتضمن الأسماء والصفات،بينما الأسماء والصفات تندرج تحت الأفعال.وكذلك لم يثبت الله تعالى لنفسه صفة أو اسماً إلا لأنه يقوم بها.

وإذا تدبرنا في كل اسمٍ أو صفةٍ نجد أنها مشتقة من أفعاله تعالى ولايسع المجال لبيان وتفصيل جميع أسماء الله وصفاته وإنما نكتفي بذكر اسمين نموذج ومثال لهذا الأمر :

قال الله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (١).

ورد هذين الإسمين في أول سورة من سور القرآن الكريم وهي سورة الفاتحة وهذا الثناء والمدح لنفسه سبحانه فهو المستحق للتمجيد والثناء والحمد والشكر وهو أيضاً المستحق للعبادة وإخلاص التوحيد له وحده لاشريك له.

فـ « الرحمٰن» على وزن فعلان من رَحِمَ على وزن فعل و« الرحيم» من فعيل والعرب كثيرا ما تبني الأسماء من «فَعِلَ ، يَفْعَل» على «فعلان» كقولهم من غضب : غضبان، ومن سكر : سكران ، ومن عطش : عطشان.

فكذلك قولهم «رحمٰن» من رحم ، لأن «فعل » إذا كان فيها مدح أوذم بنى على وزن

١- سورة الفاتحة آية (٢)

«فعيل» وإن كانت عين فَعلَ منها مكسورة أو مفتوحة، كما قالوا من «علم» عالم وعليم ، ومن «قدر» قادر وقدير، وليس ذلك منها بناء على أفعالها، لأن البناء من «فَعَل يَفْعَل» و «فَعِلَ يَفْعِل» فاعل . ولوكان « الرحمٰن و الرحيم» خارجين على بناء أفعالهما لكانت صورتهما « الراحم».

وإن اعترض معترض فقال : إذا كان الرحمن أوالرحيم اسمين مشتقين من الرحمة فماوجه تكرار ذلك مع أن المعنى واحد في الاسمين ؟

الجواب : أن يقال له : ليس على ماظننت ، بل لكل كلمة منها معنى لاتؤديه الكلمة الأخري.

فإن قيل: وما المعنى الذي انفردت به كل واحدة من هاتين الكلمتين.

قيل له: أما من جهة العربية فلاتمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب، أن قول القائل « الرحمٰن» أشد عدولا من قوله « الرحيم» ولاخلاف مع ذلك بينهم أن كل اسم له أصل في «فعل يفعل».

وأما من جهة الأثر والخبر : فالرحمن عام ، والرحيم خاص ، فهو سبحانه رحمٰن لجميع خلقه ورحمته وسعت كل شيء فالكافر والمؤمن داخل في هذه الرحمة وهو سبحانه رحيم بالمؤمنين كما قال تعالى ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ (١).

ولهذا وعد بأنه يكتب رحمته للمتقين للذين يتبعون أمره ويهتدون بهديه وهدي نبيه محمد ﷺ ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي.... الآية ﴾(٢).

وأيضاً مايدل على خصوص رحمة الله وقربها من المؤمنين قوله تعالى ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ (٣) .

وأما عن الرحمة العامة فقد أخبر الله تعالى عنها في كتابه ﴿وربك الغني

١- سورة الأحزاب آية «٤٣»

٢- . سورة الأعراف آية : (٥٦)

٣- سورة الأعراف آية (٥٦)

ذو الرحمة﴾ (١).

وقوله تعالى ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذورحمة واسعة ولايرد بأسه عن القوم المجرمين﴾ (٢).

وقول النبي ﷺ : «الراحمون يرحمهم الرحمن ، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (٣).

يدل على الرحمة العامة ومن هنا يظهر لنا الفرق بين الاسمين ولهذا سمى الله نفسه بهما ووصف نفسه بهما.

والقصد أن هذين الاسمين مشتقين من أفعال الله تعالى . ولهذا نجد الخلاف بين أهل العلم في صفة الرحمة هل هي من صفات الذات أم من صفات الأفعال؟ والراجح أنها من صفات الذات والأفعال معا.

فهي من صفات الذات باعتبار أن الله تبارك وتعالى لم يزل متصفا بها «أى بالرحمة» فالرحمة العامة ملازمة لذاته تعالى وإن كان أفرادها تتجدد بحسب الحوادث والأحوال، وهي من صفات الأفعال - وهو الذي يترجح أكثر عند أغلب أهل العلم - لأنه سبحانه وتعالى يرحم من يشاء ، ويعذب من يشاء، وينتقم مِنْ مَن يشاء ويرحم متى وكيف شاء، فحيث أنها تتعلق بمشيئة الله وقدرته فهي من صفات الأفعال.

وقد اتفق السلف والخلف على إثباتها لكن خالف الخلف السلف في إثباتها على ظاهرها والوقوف على المعنى العام، لمحاولة إدراك الكنه والكيفية، ثم اللجوء إلى التأويل عند العجز عن إدراك الحقيقة وهو أمر محتم لهم،

١- سورة الأنعام : آية (١٣٣)

٢- سورة الأنعام ١٤٧

٣- رواه أبوداود جـ٤ / ٢٨٥، في كتاب الآداب باب في الرحمة (٤٩٤١) والترمذي جـ٤/٣٢٤ في كتاب البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين (١٩٢٤) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

فيلجأون إليه، فقالوا «أى الخلف» أن صفة الرحمة لايجوز إثباتها على ظاهرها لأن الرحمة رقة في القلب أو رقة تكون في الراحم. وهي ضعف وخور في الطبيعة، وتألم على المرحوم، وهذه المعاني نقص وماكان كذلك يستحيل القيام في حقه تعالى، فإثبات الرحمة إذاً مستحيل، وقالوا: وإنما المراد لازمها أو إرادة لازمها، وهو إرادة الخير وإرادة الإحسان)...(١)) إلى آخر ماقالوا، ومناقشة هذه الشبه ستكون في الفصول القادمة.. وإنما أردنا هنا توضيح مذهب أهل الحق في أفعال الله تبارك وتعالى الواردة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

ثم ذكر رأي أهل العلم من السلف الصالح سواءٌ كانوا من علماء التفسير أو من علماء الحديث كما سبق أن ذكرنا في المطالب السابقة .
وفي نهاية هذا التحليل نأتي لبيان خلاصة هذا الفصل .

١- الرسائل والمسائل . لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ص٣٩، بتصرف.

خلاصة الفصل :

١) تعرضنا في هذا الفصل لبيان معنى الأفعال الإلهية، في اللغة وفي الإصطلاح، وموضوع الأفعال الإلهية، وعلاقتها بالأزلية والأبدية.

٢) عرضنا نماذج لبعض أفعال الله تعالى الواردة في القرآن والسنة.

٣) ذكرنا بعض أقوال وآراء أئمة التفسير والحديث من أهل السنة والجماعة وموقفهم من الأسماء والصفات والأفعال الإلهية الواردة في الكتاب والسنة، وخاصة الأفعال الإختيارية ومسألة تجددها بذات الله تعالى على الدوام أزلاً وأبدا.

٤) ذكرنا في التحليل والتعقيب عقيدة أهل السنة والجماعة في أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته بشكل عام إعتماداً على الآيات والآحاديث، وآراء أئمة التفسير والحديث.

٥) علمنا فيما سبق أن أهل السنة والجماعة يثبتون جميع أفعال الله تعالى، وأسمائه وصفاته، ويثبتون كذلك تجدد الأفعال على الدوام من غير إعتقاد أي مشابهة، أو مماثلة بالحوادث والمخلوقات وصفاتها.
ولكن : هل فعل الله تعالى قديم أم حادث ؟

وهل فعل الله تعالى أزلي أبدي ؟ أم هو أزلي غير أبدي ؟ أم هو أبدي غير أزلي ؟ وهل هناك فرق بين أفعال الله القائمة في ذاته والمنفصلة عنه ؟
وهل هذه التساؤلات أجاب عنها الشارع الحنيف ؟ وهل هي من صلب العقيدة ومن أهم مسائلها ؟

وهل تكلم فيها أهل السنة والجماعة ؟

أم أن القضية أثيرت بعد عهد الترجمة لكتب الفلاسفة والمتكلمين ؟

وإذا كان الأمر كذلك فمن أين دخل الإختلاف في أفعال الله تعالى ؟

ولماذا ذهبت بعض الفرق إلى نفي أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته بالكلية ؟

ولماذا ذهبت بعض الفرق الأخرى إلى نفي بعضها دون الآخر ؟

وما سبب تعطيلهم لأفعال الله تعالى الواردة في القرآن والسنة، والتي أثبتها السلف الصالح ؟ .

ومن هم الدعاة في إثبات أو نفي أفعال الله تعالى ؟.

وما هي أهم مراحل تطور نشأة الفرق الكلامية الخائضة في هذه القضايا؟

وما أسباب إنتشار بعض الفرق الكلامية بين أهل السنة والجماعة ؟.

وهل أفعال الله تعالى وأسماؤه وصفاته حادثة عندهم أم قديمة وما علاقة الفلاسفة بهذه القضية نفيا أو إيجابا؟ .

وما موقفهم من تعلقات الصفات القديمة عندهم ؟

وما هي نتائج هذه البحوث والآراء عند فرق المتكلمين ؟ وما موقف أهل السنة والجماعة من تلك الآراء والنتائج ..... ؟ وغيرها من الأسئلة .

والإجابة عن هذه الأسئلة بالتفصيل سيكون في الفصل القادم بإذن الله تعالى.

الفصل الثالث

إختلاف الفرق في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : أصل الإفتراق في هذا الباب

المبحث الثاني: رأي الفلاسفة الإسلاميين.

المبحث الثالث: رأي المعتزلة

المبحث الرابع : رأي الأشاعرة

المبحث الأول : أصل الإفتراق في هذا الباب

ويشتمل على مطلب واحد : –

التسلسل التاريخي لظهور فتنة الخوض في أفعال الله تعالى

ويشتمل على مسائل :

الأولى : عهد صدر الإسلام

الثانية : بداية ظهور فتنة الخوض في أفعال الله تعالى

الثالثة : استقلال بعض الشخصيات في تبني الفرق العقائدية

الرابعة: نتائج كثرة الفرق

الخامسة: من أهم ما تتميز به هذه الفترة

السادسة: الأسباب التي أدت لنشر مذهب الأشاعرة

تمهيد :-

قبل أن ندخل في صميم البحث في بيان أساس الإختلاف، وتحرير محل النزاع في قضية أزلية، وأبدية أفعال الله تعالى، وقبل بيان أدلة كل فريق ومناقشة تلك الأدلة يجدر بنا أن نبين في هذا المبحث التسلسل التاريخي لظهور فتنة الخوض في ذات الله وأفعال الله وأسمائه وصفاته ونبدأ من زمن رسول الله ﷺ حتى القرن الخامس عشر الهجري ونتطرق في هذا التسلسل أيضا لبيان أهم الشخصيات وأهم الفرق الكلامية التي كان لها التأثير في تلك الفترات الزمنية سلبا وإيجابا، ونتعرض بشكل عام على أهم آراؤهم في أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته، أما آرائهم الخاصة في الأزلية والأبدية فإننا سنرجئها إلى مبحث المناقشات، ونبين كذلك الأسباب التي أدت إلى إنتشار بعض فرق المتكلمين بين أهل السنة والجماعة.

وبما أن الحديث عن التسلسل التاريخي يطول فإننا سنقسمه إلى فترات زمنية حتى ظهور الفرق الكلامية وتأثيرها على مجريات الأمة الإسلامية في تلك الأزمنة. وبعد الإنتهاء من هذا المبحث، ننتقل إلى المباحث الأخرى في هذا الفصل حيث نتعرض فيها بالتفصيل لأدلة كل فريق في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى مع مناقشة تلك الأدلة على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، والآن ننتقل إلى مسائل المطلب الأول والذي هو بعنوان (التسلسل التاريخي لظهور الفتن)

المسألة الأولى: عهد صدر الإسلام :-

وهي الفترة التي بعث فيها الرسول ﷺ ومازال القرآن الكريم يتنزل عليه من السماء و الوحي لم ينقطع عنه حتى توفي ﷺ . وقد بلغه للناس كما أمره ربه.

والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين يتلقون ذلك الوحي ويحفظونه ويفهمونه ويعملون به وخاصة في مايتعلق بذات الله تبارك وتعالى و أسمائه وصفاته و أفعاله، فلم يعرف عن أحد منهم أنه تردد أو استشكل عليه بعضا مما كان يتنزل عليهم في هذا الجانب وإلا لسألوا واستفسروا عنه لأنه يتعلق بالإعتقاد بالله تبارك وتعالى. وإلا فكيف نفسر تضحيتهم للدين و الذود عنه ؟

وهل يعقل أنهم كانوا يضحون ويفدون لهذا الدين بأموالهم و أنفسهم وهم يجهلون عقيدته ولايعرفون معناه ؟

والجواب: ظاهر في أعمالهم الجليلة وصدق إيمانهم بهذه العقيدة التي خضعوا لها قلبا وقالبا. مع أنه لم يؤثر عنهم أية تساؤلات أو استفسارات في جانب ذات الله عزوجل و أسمائه وصفاته و أفعاله وعن سائر الأمور الغيبية و اليوم الآخر وحركات الجنة و النار وغيرها، وان وردت تساؤلات فكانت في الأحكام وفي فروع الشريعة الإسلامية .

يقول الحافظ ابن قيم الجوزية «وقد تنازع الصحابة رضي الله عنهم في كثير من مسائل الأحكام - وهم سادات المؤمنين و أكمل الأمة إيمانا- ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء و الصفات و الأفعال »(١) ومع ذلك فقد نقلت لنا السنة المطهرة بعضا من ماحدث من تساؤلات ونزاعات، ولكنها سرعان ما اختفت وانتهت وعالجها الرسول ﷺ، فمن ذلك ماحصل من مجادلات في القدر، و أن جماعة من صحابة رسول الله ﷺ كانوا جلوسا بباب النبي ﷺ يتنازعون في القدر هذا ينزع آية وهذا ينزع آية ، ألم يقل الله كذا وكذا؟ ولما

١- إعلام الموقعين ، لابن قيم الجوزية (٤٩/١).

سمعهم رسول الله ﷺ خرج إليهم فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان ، فقال: «بهذا أمرتم ؟ أو بهذا بعثتم ؟ أن تضربوا القرآن بعضه ببعض ! إنما هلكت الأمم قبلكم في مثل هذا ، فانظروا الذي أمرتم فاعملوه، وانظروا الذي نهيتم عنه فانتهوا عنه » (١) .

وقال ﷺ أيضا : «ذروني ماتركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فمانهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم » (٢).

وكذلك جوابه ﷺ لبعض الصحابة حينما تعلل أحدهم بالقدر ودعا بترك العمل. فعن علي رضي الله عنه : (قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال : مامنكم من أحد، مامن نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، الا وقد كتبت شقية أو سعيدة . فقال رجل : يارسول الله : أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فيصير إلى عمل أهل السعادة ، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فيصير إلى عمل أهل الشقاوة ؟ فقال ﷺ : أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة) (٣).

وأيضاً تنبيهه ﷺ للأعرابي الذي جاء يشتكي من قلة المطر:-
فقال يارسول الله ؟ جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا ، فإنا نستشفع بك على الله، وستشفع بالله عليك فقال رسول الله ﷺ:

١- مسند الإمام أحمد (٦٨٤٥) وقال أحمد شاكر إسناده صحيح حاشية مسند أحمد ٣٣/١٠

٢- أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) في كتاب الاعتصام،باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، ومسلم برقم (١٣٣٧)في الحج باب فرض الحج ،والترمذي برقم (٢٦٨١) في العلم باب الانتهاءعمانهى عنه ﷺ،ورواه النسائي في الحج باب وجوب الحج ج٥/ ١١٠

٣- صحيح البخاري برقم (١٣٦٢) كتاب الجنائز باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله.

وجوه أصحابه ثم قال:

«ويحك ! إنه لايستشفع بالله على أحد ، ويحك أتدري ما الله ؟ إن الله فوق عرشه ، وعرشه فوق سماواته» (١) .

وكذلك إشارته ﷺ إلى الشخص الذي أراد أن يشعل نار الفتنة في حياة الرسول ﷺ وأراد خالد بن الوليد قتله فنهاه الرسول عن قتله وبقي حتى ظهر في الخوارج في زمن علي يقاتل مع الخوارج ضد الخليفة علي بن أبي طالب ثم قتل وبقي مذهبه وتوسعت فرقته وخاضت في القرآن والسنة وتأولت النصوص وكان لها ثقلها في مجال الفرق الباطلة التي ظهرت بعد حادثة التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما .

فعن أبي سعيد الخدري قال : بعث علي رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، قال فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء . فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءًا . قال: فقام رجل غائر العينين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال يارسول الله إتق الله - وفي رواية - إعدل يارسول الله، فقال: ويلك ، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله - وفي رواية أخرى ويلك من يعدل إذا لم أعدل - قال ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يارسول الله ألا أضرب عنقه، فقال: لا لعله أن يكون يصلي، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه فقال رسول الله ﷺ : إني لم أومر أن

١- أخرجه أبوداود (٤٧٢٦) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٠٣) والطبراني في الكبير (١٣٣/٢) والآجري في الشريعة(ص ٢٩٣) والدار قطني في الصفات (٣٨) واللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٥٦) والبيهقي في الأسماء (ص ٤١٧) والدارمي (٧١) وابن عبدالبر في التمهيد (١٤١:٧) والبغوي في شرح السنة (١٧٥/١) والذهبي في العلو (٣٧) وغيرهم.

وكم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه فقال رسول الله ﷺ : إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أن أشق بطونهم، قال: ثم نظر إليه وهو مقف وقال : إنه يخرج من ضئضئ -نسل وعقب وجنس- هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. قال أظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»(١). ثم لم تظهر في زمن الرسول ﷺ أية خلافات أومشكلات حول أمور العقيدة بين المسلمين لأنه وقف ﷺ أمام كل فتنة وصحح المسار للصحابة رضي الله عنهم حتى توفي صلى الله عليه وسلم والأمة الإسلامية واحدة متكاملة متعاونة متضامنة تحت شريعة الإسلام على هدى من الكتاب والسنة.

وكذلك الحال في زمن الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، كانت الأمة متفقة في أمر التوحيد والأسماء والصفات والأفعال، إلا ماكان من أمر الإختلاف قبل خلافته فيمن يتولى الخلافة فحسم الأمر الخليفة أبوبكر الصديق فبويع للخلافة ثم كان أمر المرتدين وغيرهم فجهز الجيوش ورد الأمور إلى وضعها السليم، أمافي مجال الأفعال الواردة في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ لم تظهر هناك أية خلافات تذكر إلا سؤال بعضهم الخليفة أبي بكر عن معاني بعض الألفاظ المتشابهة في القرآن الكريم فيجيبهم قائلا أى سماء تظلني ؟ وأي أرض تقلني ؟ إذا قلت في كلام الله مالا أعلم (٢).

وليس معنى هذا أنه يحرم التفسير لكنه لايرى القول في القرآن من غير علم لأن

١- صحيح البخاري (٤٣٥١) كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ص٨/٦٧ وانظر تخريج الحديث ص٤٢

٢- أخرجه أبوعبيد القاسم بن سلام بسنده وهو منقطع انظر تفسير ابن كثيرج٤/٥٠١

عملهم مثل عبدالله بن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وأبوموسى الأشعري وأنس بن مالك وأبوهريرة وغيرهم.

لكن الخلفاء الراشدين كانوا يقفون خلف كل من يريد أن يبحث في المتشابهات فقد روى الإمام اللالكائي -وغيره- بسنده إلى سليمان بن يسار أن رجلا من بني غنيم يقال له صبيغ بن عسل قدم المدينة وكانت عنده كتب فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فبلغ ذلك عمر فبعث إليه وقد أعد له عراجين النخل فلما دخل عليه جلس. قال: من أنت ؟ قال: أنا عبدالله صبيغ. قال عمر ؟ وأنا عبد الله عمر وأومئ إليه، فجعل يضربه بتلك العراجين، فمازال يضربه حتى شجه، وجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب الذي أجد في رأسي) ولما ظهرت الفتن قالوا لصبيغ لقد آن خروجك فقال: لا والله لقد نفعتني توبة الرجل الصالح. (١).

المسألة الثانية : بداية ظهور فتنة الخوض في أفعال الله تعالى :-

بدأت بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكثرت بعد حادثة التحكيم بين علي ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . رضي الله عنهما. فبرز في صفوف المسلمين من يخوض في أفعال الله تعالى، وبرز من يقول بمشابهة المخلوق بالخالق في الأفعال والأسماء والصفات فهذا ابن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر من يهود اليمن أسلم في زمن عثمان، ثم غالى في حب آل البيت، ثم ألَهَ علياً ورفعه إلى مرتبة الألوهية. (٢). وكان له أتباع عرفوا فيما

١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للإمام اللالكائي : (١١٣٨) والحافظ ابن حجر في الإصابة (٥:١٦٩) والآجري في الشريعة(٧٣) وابن بطة في الإبانة (٢:٣٥-٢) ومسلم برقم (١٠٦٥)

٢- الفرق بين الفرق للبغدادي وقد ذكر فرق الشيعة الكثيرة (٢٢٣) الملل والنحل للشهرستاني (١٧٤)

بعد بالسبئية أو السبابية، فبث عبدالله بن سبأ فيهم سمومه وماورثه من معتقدات باطلة ، فكانت السبابية أول مشبهة حيث شبهوا ذات الله بذوات غيره وصفاته بصفات غيره. وظهر أيضا في هذه الفترة رجل من النصارى، في الشام يقال له سوسن فأسلم ثم تكلم في القدر وفي المشيئة والإرادة والقدرة والهداية . فصار له أتباع، ثم تتلمذ على يده بعض أهل العراق وانتشر مذهبه في العراق.

قال الإمام الأوزاعي/ أول من نطق في القدر: رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم - فأخذ عنه معبد الجهني وكان ينشر بدعته في دمشق فقتله عبدالملك بن مروان سنة ثمانين - وأخذ عن معبد الجهني غيلان الدمشقي (١). ولما ظهرت هذه البدعة وهي الخوض في القدر والتعلل بالقدر هب بعض التابعين يستفتون الصحابة في هذا الأمر فجاء فقهاء البصرة وثقاتهم منهم يحي بن يعمر وحميد بن عبدالرحمن (٢). إلى الحجاز فلقيا عبدالله بن عمربن الخطاب رضي الله عنهما فأخبراه بأنه قد ظهر قبلهم أناس يقرؤون القرآن ويتقفرون - يتطلبون العلم - وهم يزعمون أن لاقدر - أى ليس لله تعالى قدرة في أفعال العباد- فقال ابن عمر : إذا لقيتهم فأخبرهم أني برئ منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر ، لوكان لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره..) (٣) فكان القول بالقدر هو فتح أول باب في إنكار أفعال الله تبارك وتعالى، لأن قولهم بالقدر هو أن الأمر

١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٣٩٨).

٢- أنظر ترجمتهما في التهذيب ١١ :٣٠٥)، (٣:٤٦) والتذكرة (٧٥/١) وطبقات الحفاظ (ص ٤٠) وشذرات الذهب (١٥١)

٣- أخرجه مسلم (١:٣٦) وابوداود (٤٦٩٥) والترمذي (٢٧٣٨) البغوي (١:٧) الايمان لابن منده (٨: ١١٨)

أنف (١) أى مستحدث وحادث ففي ذلك أمرين .

أولا: إنكار علم الله تعالى الأزلي الذي يسبق الحوادث، فهم يقولون بأن الله لم يكن يعلم في الماضي بأن عباده يفعلون كذا وكذا وحينما وقعت الأفعال منهم علمها الله أثناء وقوعها،وبعد وقوعها،وحاشا لله أن يكون كذلك بل هو العليم بكل شيء والمحيط بكل شيء .

ثانيا: أن العبد هو الذي أوجد أفعاله بنفسه وليس ذلك بقدرة الله ولا إرادته. وقد ذكر الحافظ ابن حجر عن القرطبي أنه : قد انقرض هذا المذهب. وأن قدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها وإنما خالفوا السلف في أن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الإستقلال أى أنهم ينكرون أفعال الله ويقولون أن أفعالهم ليس فيها دخل لله فالله لم يخلق أفعال العباد أبدا.(٢) وهؤلاء الذين نطقوا بالقدر هم القدرية مجوس هذه الأمة .

وفي مقابل هؤلاء ظهر من يرد على هؤلاء فقالوا بعكسهم أي أن الأمور جميعها وأفعال العباد كلها مقدورة بقدر الله تعالى وبعلمه وإرادته ومشيئته ثم تطورت الفكرة لديهم حتى قالوا بأن الإنسان مجبور ليست له حرية ولا إختيار ولا إرادة ولامشيئة فهو كالريشة في مهب الريح (٣)فنفوا فعل العبد وأثبتوا أفعال الله تعالى فهو خالق أفعال العباد بعكس أولئك . ونسبوا إليه الخير والشر من غير أن يكون للإنسان أى لوم على فعل الشر فوقعوا - أولا - في إنكار أفعال العباد، ثم وقعوا في توجيه الشر إلى الله مع أن الرسول ﷺ نفى الشر عن الله فقال والشر ليس إليك مع أنه قدوقع بعلمه ولم يردها منهم ديانة وشرعة وإنما أرادها منهم مشيئة وتكويناً وقدراً فوقع الخطأ واللبس لدى الفريقين

١- صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٦:١)

٢- فتح الباري (١١٩:١)

٣- الملل والنحل للشهرستاني (ص ٨٥)

القدرية و الجبرية وكل فريق ينزع نصوص القرآن فيردها على الآخر.

وكل هذا كان نتيجة الخوض في أفعال الله تبارك وتعالى

وقد سبق أن ذكرنا أنه كان من نتائج حادثة التحكيم إنقسام الناس إلى فرق: فرقة منهم والت - الإمام علي - فسميت (بشيعة علي)، وفرقة خرجت عنه ولم ترض بولايته فسميت (بالخوارج) وكانت نهايتهم أن حاربهم الامام علي بعد أن ناقشهم فرجع منهم كثير والبقية كفروا علياً، ومعاوية والذين اشتركوا في الحروب سواء مع علي أو معاوية وكفروا أصحاب الجمل وكل من خالفهم بما فيهم أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنهم أجمعين واشتهروا بتكفير صاحب الكبيرة وأنه خالد مخلد في النار فقاتلهم الامام علي (١).

ومقابل الفريقين نشأت فرقة ثالثة حيث أرجأت الحكم في الفريقين خاصة وفي مرتكب الكبيرة عامة إلى الله تعالى وكان هذا أول أمرهم ثم ظهرت منهم بدعة الإرجاء وهي تأخير العمل عن الايمان واشتهر عنهم بأنه لايضر مع الإيمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة فالإيمان عندهم هو المعرفة القلبية والتصديق القلبي فقط. ودخل في هذه الفرقة من الخوارج وغيرهم من القدرية والجبرية مع المؤسسين لهذه الفرقة (٢) ثم لم تزل هذه الأراء والأفكار حتى نمت وترعرعت ثم أصبحت عقيدة يعتقدها الناس من بعدهم وخاصة ممن أسلم حديثاً من الموالي والعوام والعجم وغيرهم، وأما سبب ذكرنا لهذه الفرق هو أن آراءها وأفكارها مازالت مستمرة من بعدهم وساعدت في قيام الفرق الأخرى.

المسألة الثالثة :إستقلال بعض الشخصيات في تبني الفرق العقائدية :-

---

١- أنظر تاريخ الطبري (٥٥:٥)، البداية والنهاية (٢٨٩:٤) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة/ للدكتور / أحمد محمد جلي ط الثالثة ١٤٠٨هـ ص ٥١، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض، الملل (١١٤)

٢- الملل والنحل (١٣٩-١٤٦) وقد ذكر أن أول من قال بالإرجاء هو غيلان الدمشقي وقد قتل غيلان بعد عام ١٠٥هـ

تمخضت من نتائج تلك الفرق أربع شخصيات. صار كل واحد منهم إماما لجماعته وأتباعه في الضلال وسنرى كيف كان منهجهم من الأفعال الإلهية للباري تبارك وتعالى وهذه الشخصيات هي كالتالي:

الشخصية الأولى: واصل بن عطاء الغزال الألثغ، أبوحذيفة، من موالي بني مخزوم، من مواليد المدينة المنورة، ولد بها سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٣١هـ بالبصرة، تتلمذ على الحسن البصري. طرده شيخه الحسن البصري حينما تجرأ على الإفتاء للسائل الذي جاء إلى الإمام البصري يستفتيه في صحة حكم من يحكم بالكفر على مرتكب الكبيرة، وفي صحة من يحكم بالإرجاء على مرتكب الكبيرة وأن الكبيرة لاتضر مع الإيمان كما لاينفع مع الكفر طاعة فسكت الإمام الحسن البصري يفكر في الجواب فسبقه تلميذه واصل فقال: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا بل هو في منزلة بين المنزلتين : لامؤمن ولاكافر.

وزعم واصل بن عطاء: أن الفريقين المتحاربين جيش معاوية وجيش على بن ابي طالب، أحدهما فاسق، مع أنه يوجد في كلا الجيشين صحابة رسول الله ﷺ فقال إن أحد الفريقين فاسق فطعن في عدالتهم ولم يقبل شهادة أحد منهم، وكان له حلقة يجتمع له الناس وكان شيخ الإعتزال لأنه اعتزل مجلس الإمام البصري وصار له أتباع يلقبون بالمعتزلة ولهم آراءهم تطورت شيئا فشيئا مع دخول بعض الشخصيات إليها كما سيمر معنا في الفترة القادمة - إلى أن أنكروا أفعال الله وأسمائه وصفاته . وسيأتي مزيد بحث وكلام عن واصل وأتباعه (الواصلية) وأرائهم في الأفعال الإلهية (١).

الشخصية الثانية :هو/ الجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة الذي ظهر في هذه المرحلة وكان له دور في الإنحراف مع أتباعه الذين صاروا معه. وأصله من خراسان وكان أول من قال بخلق القرآن وأنكر أن يكون الله قد تكلم به على

١- أنظر بتوسع في لسان الميزان : ابن حجر العسقلاني، ٢١٤/٦، طبعة حيدر آباد/ ١٣٣١هـ، وفيات الأعيان: بن خلكان، ١٧٠/٢ طبعة مصر، ١٣١٠هـ، مروج الذهب: المسعودي: ٢٩٨/٢ طبعة القاهرة ١٢٨٣هـ، الفرق بين الفرق: البغدادي، ١٢١، الملل والنحل: الشهرستاني: ٤٨/١.

الحقيقة ، وأنكر أن يكون الله قد اتخذ إبراهيم خليلا.

فهو أول من أنكر صفات الله عزوجل وكان يحب الخوض في صفات الله ويشغل علماء زمانه. قال له وهب بن منبه (شيخه الذي كان يتردد عليه كثيراً ويسأله في الصفات) : (ويلك ياجعد، أقصر المسألة عن ذلك، إني لأظنك من الهالكين، لولم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ماقلنا ذلك، وأن له عيناً ماقلنا ذلك، وأن له سمعاً ماقلنا ذلك، وذكر الصفات من العلم والكلام .. وغير ذلك) (١) . ثم لم يلبث جعد ابن درهم، أن أصبح شيخا ومعلما لآخر خلفاء بني أمية وهو مروان بن محمد (٢) وكان جعد قد تتلمذ وأخذ بدعة إنكار صفات الله تعالى بقصد التنزيه عن شيخه بيان بن سمعان (٣) وأخذها بيان عن طالوت إبن أخت- لبيد بن الأعصم زوج إبنته، وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ ، واخذها لبيد عن يهودي باليمن، - لعله ابن سبأ اليهودي - ثم انتقلت هذه البدعة وهي إنكار صفات الله وأسمائه وأفعاله إلى الفرق الأخرى كما سنرى في الصفحات القادمة، وأخذ وزر هذه السيئة إلى يوم القيامة هو الجعد بن درهم، وكانت نهايته على يد أمير الكوفة خالد بن عبدالله القسري الذي ضحى به يوم عيدالأضحى فخطب الناس قائلا : أيها الناس ضحوا تقبل الله منكم فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم

١- البداية والنهاية: ابن كثير ، (٥:٣٦٤)، ميزان الاعتدال: الذهبي ١٨٥/١ طبعة ١٣٢٥هـ، الكامل: لابن الأثير: ١٦٠/٥، النجوم الزاهرة: لابن تغري بردي: ٣٢٢/١، الاعلام الرزكلي: ١٢٠/٢، لطائف المعارف للثعالبي ص ٤٣، تحقيق إبراهيم الأبياري ط ١٩٦٠ القاهرة، التاريخ الكبير لابن عساكر ج ٥ ص٦٨، شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي جـ١/ص ١٦٩.

٢- هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، أبو عبدالملك، القائم بحق الله، ويعرف بالجعد وبالحمار، آخر ملوك بني أمية. أنظر: الكامل: لابن الأثير ١١٩/٥، الاعلام: الزركلي، ٢٠٨/٧.

٣- وقد زعم بيان بن سمعان: أن معبوده إنسان من ثور علي صورة الإنسان في أعضائه وأنه يفنى كله إلا وجهه انظر الفرق بين الفرق، للبغدادي ص٥٤، ٢٢٦، ٢٢٧، جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي خالد العلي ص ٤٩، ٤٧.

موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر.

الشخصية الثالثة:- الجهم بن صفوان (١)

الخزري الذي تتلمذ على الجعد بن درهم لما التقى به في الكوفة وأخذ عنه القول بنفي أفعال الله تعالى وصفاته ودعى إلى تعطيل الرب عزوجل عن أفعاله ودعى إلى القول بخلق القرآن وزاد على هذه البدع بدعا أخرى منها:-

١) قال بالإجبار : والإظهار إلى الأعمال وأنكر الإستطاعات حيث زعم أن العبد مجبور على فعله فلا إستطاعة ولاقدرة له على الإختيار في الفعل وإنما هو مسير تحت قدرة الله وليس بعدها قدرة.

٢) وزعم أن علم الله حادث وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أوحي أو عالم أومريد وقال : لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء موجود حي عالم مريد، لكنه وصفه بأنه (قادر موجود فاعل خالق محي مميت) لأن هذه الأوصاف مختصة به.

٣) وزعم بفناء الجنة والنار وأن الإيمان هو المعرفة فلا فعل ولاعمل لأحد غير الله وماينسب إلى المخلوق من ذلك فهو على المجاز. (٢). وقد تتلمذ على الجهم وأخذ عنه هذه الضلالات بشر المريسي وأخذ عن بشر الوزير أحمد بن أبي دوآد الذي سلط الخلفاء العباسيين لتعذيب أئمة أهل السنة بإجبارهم على القول بخلق القرآن . كما سيمر معنا بعضا منها. ولما اشتهر أمره في

١- السمرقندي، أبومحرز، من موالي بني راسب، رأس الجهمية، قال الذهبي عنه: (الضال المبتدع، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرا عظيما) توفي سنة ١٢٨هـ. أنظر: ميزان الإعتدال: الذهبي ١٩٧/١، الكامل : لابن الأثير، حوادث سنة ١٢٨هـ، لسان الميزان: لابن حجر: ١٤٢/٢، خطط المقريزي: ٣٤٩/٢، ٣٥١، الإعلام: الزركلي: ١٤١/٢، جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي، خالد العلي، المكتبة الأهلية بغداد ط/١٩٦٥ ص ٦١-٧١، ١٠٨.

٢- الفرق بين الفرق، للبغدادي (١٩٩)، تذكرة الحفاظ (١٥٩:١)

أصبهان وقيل بعضهم في مرو، قتله نائب الخليفة في مرو سالم بن أحوز، أما آراؤه فقد أنتشرت بين أتباعه.

الشخصية الرابعة:- مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، البلخي.

أصله من بلخ إنتقل إلى البصرة، وتوفي بها سنة ١٥٠هـ، بالغ في إثبات الصفات حتى جسم وكان يأخذ من اليهود والنصارى، وكان يشبه الرب بالمخلوقات.. (١). قال عنه الإمام أبوحنيفة النعمان : أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل ومقاتل مشبه... (٢)، فكان مقاتل هو أول من دعى إلى التشبيه والتجسيم بين أفعال وصفات المخلوق وبين أفعال وصفات الخالق، وقد لقيت دعوته إستجابة عند الفرق الأخرى، فنادت بالتجسيم والتشبيه وسموا فيما بعد بالحشوية والمشبهة .

المسألة الرابعة: نتائج كثرة الفرق :-

تتسم هذه الفترة بأمور مهمة كان لها الدور الكبير في التأثير على تسلسل الإنحراف والخوض في أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته وهي كالتالي:

١ - دخول كثير من الطوائف الأخرى في الإسلام مثل اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم .

١- التذكرة للذهبي، (١: ١٦٠)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ١٣/١٦٩، الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٦٧، وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٢ ص ١١٢، البداية والنهاية لابن كثير جـ٩ / ٣٥٠، مقالات الإسلاميين جـ١ ص ٢١٤، المواقف للإيجي ص ٢٧٣، المنتقى من منهاج الاعتدال لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص ١٥.

٢- ميزان الإعتدال للذهبي طبعة الحلبي (٤: ١٧٥)، تاريخ الطبري (١٣: ١٦٤) ، الإعلام: للزركلي: ٧/٢٨١.

٢ - دخول كثير من المناطق والبلاد التي كانت موطناً للأفكار والمعتقدات والديانات المختلفة بعد مد الفتوحات الإسلامية واتساعها.

٣ - إقدام الخليفة المأمون إلى ترجمة كتب الفلاسفة من المنطق والكلام والعلوم الأخرى.

٤ - مجادلة الدهريين وغيرهم من الذين كانوا يجادلون المسلمين بالمنطق والكلام والإستدلال العقلي مما اضطر المسلمين إلى العكوف على دراسة المنطق وعلم الكلام، وكان من أعظم سلبيات هذا العمل هو خروج طائفة من المتكلمين والعقلانيين الإسلاميين على الخوض في سائر أمور العقيدة بنفس المنهج العقلاني الذي كانوا يستدلون به على وجود الله تعالى.

٥ - كان من نتائج إختلاط المسلمين بغيرهم من الشعوب والأمم نشوء فرق كثيرة من الذين أسلموا حديثاً ولازالت لديهم أفكاراً سابقة موروثة قديمة في الإلهيات، ثم محاولة مزج تلك الأفكار والمعتقدات مع الإسلام وعقائده، وشرائعه.

٦ - دخول كثير من المنافقين للإسلام بقصد التحريف وتفرقة وحدة المسلمين والعمل في إفساد عقائد المسلمين بالخوض في ذات الله وافعال الله .

٧ - عدم مجالسة أصحاب الفرق والدعوات للعلماء من أهل السنة والجماعة ومن السلف الصالح من التابعين وتابعيهم في مدارسهم وحلقاتهم ومواعظم مع إعجاب كل ذي رأي برأيه ومتابعة الهوى، الذي كان له الأثر الأكبر في الإنحراف عن منهج القرآن والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ولقد كان من نتائج كثرة الفرق وتداخل بعضها في بعض أن تولدت فرق متميزة جديدة تحمل الأفكار والمعتقدات السابقة، بمنهج عقلي علمي، وكان لها مدارس وتلاميذ وشيوخ، ومن أهم وأعظم تلك الفرق التي كان لها ثقلها في التأثير على مجتمعات أهل السنة والجماعة هي : فرقة المعتزلة.

وفيما يلي نذكر أهم رجالاتها الذين كانت لهم آراء واعتقادات خاصة في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى مقابل فرق الفلاسفة اليونانيين والإسلاميين(١) .

١- سنتكلم عن الفلاسفة وآرائهم في الأزلية والأبدية في المبحث القادم.

ظهور فرقة المعتزلة وأهم رجالاتها(١) : -

١ - **واصل بن عطاء** وقد تقدمت ترجمته (٢) نادى بالوسطية بين أفكار الخوارج وأفكار المرجئة وبين أفكار جهم،ومقاتل،رأس المعتزلة ورئيسها الأول وقد قرر لأصحابه مذهبه ومايعتقده في أفعال الله تعالى من أراء تبنتها فرقته (الواصلية) وهي على مايلي:-

١ - نفي صفات الله تعالى من العلم والقدرة والإرادة ، وأنه يستحيل أن يوجد إلهين قديمين أزليين ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين.

٢ - أن العبد هو الفاعل للخير والشر وليس لله تعالى قدر في أفعال العبد قال واصل في ذلك «إن الباري تعالى حكيم عادل، لايجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم ولايجوز هو الفاعل للخير والشر، والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية .... »

١- انظر : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبدالجبار و أبو القاسم البلخي و الحاكم الجشمي تحقيق فؤاد سيد نشر الدار التونسية - تونس ، المكتبة المركزية جامعة أم القرى (٢١٩/٥) ص ١٢، ١١٥، فرق وطبقات المعتزلة (المنية والأمل لابن المرتضى) تحقيق د/ علي سامي النشار، عصام الدين محمد علي ط ١٩٧٢م نشر دار المطبوعات الجامعيةالمكتبة المركزية جامعة أم القرى (٢١٩/٥) ص ٣ - ١١، علم الكلام ومدارسه د/ فيصل بدر عون ط ١٩٧٧، نشر مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس، ص ١٦٧ - ٢٤٢، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية د/ عرفان عبدالحميد، نشر مؤسسة الرسالة ط ١٤٠٤/١هـ، بيروت ص ١٠٣-١٣٠، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين علي مصطفى الغرابي ص ٤١ -١٠١ ، المكتبة المركزية جامعة أم القرى ٢١٧، أهم الفرق الإسلامية (السياسية والكلامية) د/ البير نصري نادر ط ٢ / ١٩٦٦ ص ٦٧ - ٨٣، المكتبة المركزية جامعة أم القرى ٢٧٠، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين فخر الدين الرازي، ص ٣٨ - ٤٥، المكتبة المركزية جامعة أم القرى ٢٧٠، المعتزلة زهدي جار الله مطبعة مصر القاهرة، ط / ١٣٦٦ هـ، ص٢ - ٢٤١، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية جـ١ (المعتزلة) د/أحمد محمود صبحي ص١٢-٢٤٠.

٢- أنظر ترجمته في صفحة (٢١٤) من الرسالة، فرق وطبقات المعتزلة ص ٤١ - ٤٧، فضل الإعتزال ص ٦٤.

(١)، وقد نشر مذهب الإعتزال في الأفاق، فبعث من أصحابه عبدالله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن سالم إلى خراسان، والقاسم إلى اليمن وأيوب إلى الجزيرة، والحسن بن ذكوان إلى الكوفة، وعثمان الطويل إلى أرمينية (٢).

٢ - **أبوالهذيل حمدان بن الهذيل العلاف** مولى عبدالقيس شيخ المعتزلة و أنفرد عن واصل بأمور هي:-

١ - أنّ الباري تعالى عالم بعلم ، وعلمه ذاته، قادر بقدرة، وقدرته ذاته، حي بحياة، وحياته ذاته. وهو يقصد بهذا أن الصفات ليست معاني قائمة من غير الذات بل هي من ذات الله . وهو بهذا يقول بتعدد الذوات كقول النصارى بالأقانيم الثلاثة - وهذا القول أشد من قول النصارى. والفرق بين قول القائل: عالم بذاته لابعلم، وبين قول القائل: عالم بعلم هو ذاته**مايلي**

فأماالأول : نفي الصفة، والثاني: إثبات ذات هو بعينه صفة، أو إثبات صفة هي بعينها ذات. فأبوا الهذيل يثبت ذاتا هو بعينها صفة وهو ما يعرف بأحوال أبوالهذيل ....

٢ - القول بانقطاع حركات أهل الخلدين ، والحكم بفناء الجنة والنار، وتجتمع الذات في سكون دائم لأهل الجنة، وتجتمع الآلام في سكون دائم لأهل النار. قال البغدادي : من فضائح أبي الهذيل، قوله بفناء مقدورات الله عزوجل، حتى لايكون بعد فناء مقدوراته قادراً على شيء.ولهذا زعم بفناء نعيم أهل الجنة و أهل النار.

٣ - قوله في الإستطاعة أنها عرض من الأعراض غير السلامة والصحة وفرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح، فقال لايصح وجود أفعال القلوب منه مع

١- الملل والنحل ، للشهرستاني (١:٤٤)، الفرق بين الفرق للبغدادي ٩٦-٩٩)

٢- الأعلام: الزركلي، ١٠٨/٨، ١٠٩، تاريخ الإسلام: الذهبي: ٣١١/٥، النجوم الزاهرة: ابن تغري بردي، ٣١٣/١ - ٣١٤.

عدم القدرة (١).

٣ - **إبراهيم بن سيار بن هاني النظام** (٢)، ويعتبر من أوائل المتكلمين، الذين درسوا علم الكلام واطلعوا على كتب المتكلمين من الإغريق والرومان ، فالنظام هذا، قد طالع كثيرا في كتب الفلاسفة والمتكلمين وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وانفرد عن أصحابه بمسائل في افعال الله تعالى منها:-

١ - أنه زاد على القول بنفي القدر خيره وشره، وأن الله تعالى لايوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وليست هي مقدورة للباري تعالى خلافا لأصحابه الذين قالوا بأنه قادر عليها لكنه لايفعلها لأنها قبيحة والنظام يرى أن إثبات قدرة الله على فعل القبيح قبيح، ولهذا نفى قدرة الله على الشرور.

٢ - أن الباري ليس موصوفا على الإرادة في الحقيقة، وإذا وصف بكونه مريدا لأفعال العباد فالمعنى أنه آمر بها وناه عنها ... إلى آخر ماقال مع إنكاره لصفات الله تعالى وأسمائه الحسنى إلا ما أثبته العقل كالصفات العقلية فهو يثبت منها الاسماء المجردة فقط من غير أن تقتضي الصفات والأفعال ٠ وذهب أيضا إلى القول بأنه لايمكن الاشتقاق من الاسم أبدا (٣).

٤ - **أحمد بن خابط** المتوفى سنة ٢٣٢، وصاحبه الفضل الحدثي، زعما أن للخلق ربين وخالقين : أحدهماقديم هو الله ، والآخر مخلوق وهو عيسى عليه السلام وزعم في قوله تعالى ﴿وجاء ربك﴾(٤) أى أن الذي ياتي هو عيسى إبن مريم وهو

١- فرق وطبقات المعتزلة ص ٥٤-٥٨، فضل الاعتزال ص ٦٧-٧٣، ١١٣، ١٤٠، الملل والنحل ، للشهرستاني (١:٥٢)، الفرق بين الفرق: للبغدادي (١٠٢-١١٣)

٢- الأعلام : الزكلي: ٤٣/١، تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي: ٩٧/٦.

٣- فرق وطبقات المعتزلة ص ٥٩-٦٢، فضل الاعتزال ص ٦٣-٧٣، الملل والنحل، لشهرستاني (٥٣)

٤- سورة الفجر آية ٢٢

المراد أيضا بقوله ﴿إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن﴾ وبقوله "يضع الجبار قدمه أى قدم عيسى إبن مريم، وزعم القول بالتناسخ، ونفى رؤية الله تعالى وأول جميع النصوص في الرؤية وقال إن المراد منها رؤية العقل الأول الذي هو أول مبدع وهو العقل الفعال منه تفيض الصور وهو ماعناه الرسول ﷺ بقوله (أول ماخلق الله تعالى العقل ...)(١).

٥ - **معمر بن عباد السلمي** المتوفى سنة ٢٢٠هـ. وهو أعظم القدرية فرية في تدقيق القول بنفي الصفات ونفي القدر خيره وشره، إنفرد عن أصحابه بمسائل منها:

أنه قال/ إن الله تعالى لم يخلق شيئا غير الأجسام ، فأما الأعراض فإنها من إختراعات الأجسام.

ومنها أنه قال/ إن الأعراض لاتتناهى في كل نوع، وكل عرض قام بمحل فإنما يقوم به لمعنى أوجب القيام، ولذلك سمي.

ومنها أنه قال/ إن الإرادة من الله تعالى للشيء غير الله، وغير خلقه للشيء وليس للإنسان فعل سوى الإرادة وأفعاله التكليفية من القيام والقعود والحركة والسكون كلها مستندة إلى إرادته وعنده أن الإنسان معنى أوجوهر غير الجسد، وهو عالم قادر، مختار حكيم ليس بمتحرك ولاساكن ولامتكون ولامتمكن ولايرى ولايمس ولا يحس ولايجس ولايحويه مكان ولايحصره زمان......

ومنها أنه / كان ينكر القول بأن الله تعالى قديم، لأن قديم أخذ من قدم يقدم فهو قديم، وهو فعل وهو يشعر بالتقادم الزماني، ووجود الباري تعالى ليس بزماني(٢).

١- الفرق بين الفرق، للبغدادي (٢٦٠-٢٦١)، الملل والنحل، للشهرستاني (٦٠)

٢- المعتزلة زهدي جار الله ص ١٣٠ ، طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٥٤-٥٨ ، فرق وطبقات المعتزلة للنشار ص ٦٣ ، فضل الاعتزال للقاضي عبدالجبار ص ٦٧-٧١ ، المقالات للأشعري (٥٤٨/٢)، الملل للشهرستاني (٦٥/١-٦٨).

قال عنه أبو الحسن الأشعري : (قال معمر بالتعجيز لله، وأنه ماخلق حياةً ولاموتاً، ولاصحةً ولاسقماً، ولاقوةً ولاعجزاً، ولايوصف الله بالقدرة على أن يخلق قدرةً لأحد، ومما زعمه أصحابه أن القرآن الكريم عرض وأنه فعل للمكان الذي يسمع من شجرة فهو فعل لها، وحيثما سمع فهو فعل للمحل الذي حل فيه..) (١).

٦ - **بشر بن المعتمر** ومن ذهب مذهبه المتوفى سنة ٢٢٦هـ آمن بنفي الصفات والأفعال الإلهية وبجميع آراء المعتزلة ثم انفرد عنهم بمسائل منها مايتعلق بالأفعال الإلهية ومن عنده بدأ دور الإعتزال المشيع في مدرسة بغداد ومما قال:-

١ - أن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل، ولو فعل ذلك كان ظالماً إياه.

٢ - أن إرادة الله فعل من أفعاله، وهي على وجهين: صفة ذات، وصفة فعل، فأما صفة الذات فهي: أن الله تعالى لم يزل مريداً لجميع أفعاله، ولجميع الطاعات من عباده فإنه حكيم ولايجوز أن يعلم الحكيم صلاحاً وخيراً ولا يريده.

وأما صفة الفعل فإن أراد بها فعل نفسه في حال إحداثه فهي خلقه له، وهي قبل الخلق لأن مابه يكون الشيء لايجوز أن يكون معه، وإن أراد بها فعل عبادة فهي الأمر به (٢).

٧ - **عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى**، الملقب بالمردار، ويسمى راهب المعتزلة ومما انفرد عن أصحابه أنه قال:-

١ - أن الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم، ولوكذب وظلم كان إلهاً كاذبا ظالما

١- المقالات للأشعري (١/١٩٢، ٢/٥٦٤، ٥٤٨)

٢- فضل الاعتزال للقاضي عبدالجبار ص ٧٢-٧٤، فرق وطبقات المعتزلة للنشار ص ٦١-٦٣، طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٥٢-٥٣، الملل والنحل للشهرستاني (١/٦٤) المقالات لأبي الحسن الأشعري جـ١ ص ٣١٥.

تعالى الله عن قوله.

٢ - أن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة، ونظاما، وبلاغة، وبالغ في القول بخلق القرآن وكفر من قال بقدمه.

٣ - كفر كل من قال بأن الله تعالى يرى بالأبصار، وكفر كل من قال بأن أعمال العباد مخلوقة لله وبالغ في التكفير فقال إنهم كافرون في قولهم لاإله إلا الله، بل كفر أهل الأرض جميعهم إلا هو وأصحابه. (١)

٨ - **ثمامة بن أشرس النميري** من أقرانه وتلاميذه / أحمد بن أبي دوآد الإسكافي والبلخي والجعفراني وممن سبقه المردار. زعيم القدرية في زمن المأمون والمعتصم والواثق وقيل هو الذي أغوى المأمون بأن دعاه للإعتزال، ومم انفرد عن أصحابه المعتزلة قوله :-

١ - أن من لم يضطره الله تعالى إلى معرفته لم يكن مأموراً بالمعرفة وليس عليه تكاليف بل هو كسائر الحيوانات، ولهذا عوام الدهرية والنصارى والزنادقة يصيرون في الآخرة ترابا.

٢ - أن الأفعال المتولدة أفعال لافاعل لها، وهذه الضلالة تؤدي إلى إنكار صانع العالم، لأنه لوصح وجود فعل بلافاعل، لصح وجود كل فعل بلا فاعل ولم يكن حينئذ في الأفعال دلالة على فاعلها، ولاكان في حدوث العالم دلالة على صانعه.

١- طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٧٠-٧٥، فضل الاعتزال للقاضي عبدالجبار ص٧٤-٧٧، فرق وطبقات المعتزلة للنشار ص ٢١٠-٢١١، الملل ، للشهرستاني (٦٩)

٣ - إن الإنسان لافعل له إلا الإرادة ، وماعداها فهو حدث لامحدث له (١).

٩ - **هشام بن عمرو الفوطي** المتوفى سنة ٢٢٦هـ الذي بالغ في القدر، وبالغ في نفي أفعال الله تعالى، وامتنع من إطلاق إضافات أفعال إلى الله تعالى حتى وان ثبت ذلك في القرآن والسنة فمن أقواله في الأفعال القرآنية أنه قال:

١) إن الله لايؤلف بين قلوب المؤمنين، بل هم المؤتلفون باختيارهم، والله تعالى قد أثبت في كتابه بأنه هو الذي الف بينهم وليس أحد من خلقه ولارسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾(٢) فرد النص القرآني.

٢) إن الله لايحبب الايمان إلى المؤمنين ولايزينه في قلوبهم ولم يختم الله على قلوب الكفار ولم يطبع على قلوبهم ولم يجعل بين أيدي الكفار سدا وهكذا بالغ في نفي إضافات الأفعال إلى الله تعالى، مع أن الله تعالى قال في كتابه ﴿حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم﴾(٣) وقال سبحانه ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ (٤) وقال تعالى ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ (٥)وقال تعالى ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا﴾ (٦).

٣) إن الأعراض لاتدل على كونه خالقا، ولاتصلح الأعراض دلالات ، بل

١- طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٦٣-٦٧، فرق وطبقات المعتزلة للنشار ص ٢١٢، فضل الاعتزال للقاضي عبدالجبار ص ٢٥٧-٢٦١، الفرق بين الفرق للبغدادي (١٥٧)، الملل للشهرستاني (٧١)

٢- سورة الأنفال آية ٦٣

٣- سورة الحجرات آية (٧)

٤- سورة البقرة آية (٧)

٥- سورة النساء (١٥٥)

٦- سورة يس (٩)

٤) أنكر ونفى في أن الله تعالى خلق الكافر، لأن الكافر كفر، وزعم أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن، إذ لافائدة في وجودهما، وهما خاليتان لاينتفع بها(١)

٥) حرم على الناس أن يقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، لأن وكيلا يقتضي موكلا فوقه ولكنه كان يقول حسبنا الله ونعم المتوكل، وهو بهذا رد نصوص القرآن والسنة المتواترة بهذا الدعاء المأثور.

١٠ - **أبوعلي محمد بن عبدالوهاب الجبائي** وإبنه أبوهاشم عبدالسلام بن محمد بن عبدالوهاب الجبائي، توفي الجبائي سنة ٢٩٥هـ وتوفي ابنه سنة ٣٢١هـ ومما انفرد أبوعلي عن أصحابه أنه قال:

١ / أنه سمى الله عزوجل مطيعا لعبده إذا فعل مراد العبد.

٢ / وزعم أن أسماء الله تعالى جارية على القياس، وأجاز إشتقاق إسم له من كل فعل فعله فسمى الله بأنه محبل النساء، لأنه لامحبل للنساء في الحقيقة سواه.

٣ / وزعم أن الباري لايوصف بالكامل لأن الكامل هو من تمت خصاله وأبعاضه، ولما كان الله عزوجل لايوصف بالأبعاض لم يجز أن يوصف بالكمال في ذاته من جهة الأفعال.

٤ / أتفق هو وابنه على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة وإثبات الفعل للعبد خلقا وإبداعا، وإضافة الخير والشر والطاعة والمعصية إليه إستقلالا واستبدادا -أى نفي قدرة الله-.

٥ / حكما بأن الله تعالى متكلم بكلام يخلقه في محل، وحقيقة الكلام عندهما أصوات مقطعة وحروف منظومة والمتكلم من فعل الكلام لامن قام به الكلام.

٦ / وزعم الجبائي أن الله تعالى عالم لذاته، قادر حي لذاته ومعنى لذاته أى

١- طبقات المعتزله لابن المرتضى ص٦١،فضل الاعتزال للقاضي عبد الجبار ص٧١، الملل للشهرستاني (٧٣) ، الفرق بين الفرق (١٤٥)، المقالات للأشعري (١٦٨).

لايقتضي كونه عالما صفة هي علم أوحال توجب كونه عالما، ومعنى كونه سميعا وبصيرا أى أنه حي لا آفة به، وخالفه إبنه فقال هو عالم لذاته، بمعنى أنه ذوحالة هي صفة معلومة وراء كونه ذاتاً موجوداً (١).

وقبل الختام من هذه الفترة يجدر بنا أن نذكر خبر آخر رجل منهم حيث جمع معتقدات المعتزلة وآرائهم في كتبه التي ألفها ودافع عنها وهي التي بقيت حتى وقتنا هذا.

١١ - **إنه القاضي عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمذاني**، الأسد آبادي، كان أشعريا في الأصول، شافعيا في الفروع حتى سن الأربع والعشرين، ثم اعتنق عقيدة المعتزلة بعد تتلمذه على شيخه أبي اسحاق بن عياش تلميذ أبي هاشم الجبائي، ومكث على الدراسة حتى فاق الأقران، وفتق علم الكلام ، ونشر بروده، ووضع الكتب الكثيرة التي بلغت المشرق والمغرب، وضمنها من دقيق الكلام وجليله مالم يتفق لأحد مثله، وإليه أنتهت الرياسة في المعتزلة في زمنه، حتى صار شيخها وعالمها وصار الإعتماد على كتبه ورسائله مما جعل مسائله وكتبه تنسخ كتب السابقين من المعتزلة، ثم عينه وزير مؤيد الدولة / الصاحب بن عباد قاضيا للقضاة، حتى عام ٣٦٧هـ ثم عزل عنها فتوجه للتدريس وله تلاميذ منهم الحسين بن المرتضى وغيره، وسنعتمد على كتبه عند نقلنا لآراء المعتزلة عامة في مبحث المناقشات مع المعتزلة.

وأما عن آرائه هو شخصيا في أفعال الله تعالى فهو يمثل فيها دور من سبقه من المعتزلة في إنكار أفعال الله تعالى وأنها غير داخلة في أفعال العباد رداً

١- فرق وطبقات المعتزله للنشار ص ٢٢٠، المعتزله لزهدي جارالله ص١٤٨،فضل الاعتزال للقاضي عبدالجبارص٣٣٠،طبقات المعتزله لابن المرتضى ص٩٤،تاريخ الفرق الاسلاميه لعلي الغرابي ص٣١٨ ،الملل للشهرستاني (٨٢)، الفرق بين الفرق للبغدادي (١٦٧)

على الجبرية وهي آراء الجهم بن صفوان. وانكار الصفات الإلهية لأنها تؤدي إلى تعدد القدماء، وأنها من صفات الحوادث والله لاتقوم به الحوادث، ولانريد أن نستبق الأحداث حيث سنتطرق لهذه الأراء بالتفصيل، وليس معنى دور النهاية أن القاضي عبدالجبار كان آخرهم وإنما أقصد أنه لم يكن للمعتزلة دوراً قيادياً أوسياسياً أو فكرياً سوآءاً في البحث والتصنيف أو في المجادلة والمناظرة والإتصال بالسلاطين والأمراء، إلا ماظهر على فترات بسيطة في خراسان مثل نبوغ الزمخشري المعتزلي الأديب اللغوي، وكان آخر أمره أن كتب في تفسير القرآن الكريم وفيه من كل شيء إلا التفسير، أى أنه حشد اعتزالياته في آيات الصفات وغيرها، وقد حصلت لهم من انتصارات على يد الوزير منصور الكندري المتعزلي، وعلى يد الشيعة والباطنية وغيرهم في عدة أماكن وكانوا قد اعتقدوا بمعتقدات المعتزلة، في أيام دولة السلاجقة في حكم الأمير طغرلبك السلجوقي سنة ٤٥٠هـ. (١).

المسألة الخامسة : من أهم ما تتميز به هذه الفترة : -

١ - انتشار الفرق الباطلة من الشيعة والزيدية والباطنية وغيرها ومتابعتها لمعتقدات المعتزلة في إنكار الأفعال الإلهية، والاستهلاك في تحكيم العقل وتأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تعترض منهجهم .

٢ - استمرار البحث في موضوع الأفعال الإلهية على ضوء المنهج الكلامي.

٣ - دخول الشيعة والزيدية والفرق الباطنية وغيرهم في التصنيف في العقيدة باسم التوحيد ومن ثم الخوض في الصفات والاسماء والافعال الالهية وغيرها من الموضوعات بالتساؤل تارة وبالتحريف تارة وبالتعطيل تارة، ومتابعة أغلب آراء المعتزلة، ومن هؤلاء :-

---

١- انظر: فرق وطبقات المعتزلة للنشار ص ١١٨-١٢٠، البغدادي «الفرق بين القرق ص ٩٤، وابن حزم في الفصل (٣/٣٣)، والغزالي في الاقتصاد ص ٣٧، والجويني في الإرشاد ص ١٠٦، والشهرستاني في نهاية الإقدام ص ٧٩، والخياط المعتزلي في الإنتصار ص ١١٧، ود/ عرفان عبدالحميد في دراسات في الفرق ص ٢٦٩ وغيرها

من الشيعة/ أبوسهل النوبختي والحسن بن النوبختي.
ومن الزيدية/ محمد بن الحسن بن القاسم الداعي بأبي عبدالله، وأبو العباس الحسيني والإمام المؤيد بالله وأخوه الإمام أبوطالب، ومحي الدين العلوي، وأبورشيد النيسابوري، والشريف المرتضى وغيرهم من الفرق الأخرى لايتسع المجال لذكرهم.
٤ - انتشار مذهب المتكلمين بين أهل السنة والجماعة وكان من نتائج ذلك انقسام أهل السنة والجماعة إلى قسمين :-

أ - أهل السنة والجماعة (السلف) وهم أتباع الإمام أحمد بن حنبل ومن سبقهم الذين تمسكوا بالنقل ولم يهملوا العقل، لأن النقل والعقل مصدرهما واحد فلا تعارض بين العقل والنقل أبداً، لكنهم في الوقت نفسه رفضوا قبول المنهج الكلامي حيث ذموا علم الكلام ومن أخذ به، وقد استمرت المناظرات بينهم وبين رؤس الأشاعرة والصفاتية الذين كانوا اسلاف الأشاعرة مثل عبدالله بن كلاب واتباعه ومناظرته مع الإمام أحمد بن حنبل، ومثل مناظرة الأشعري مع البربهاري شيخ حنابلة بغداد .

ب - أهل السنة والجماعة (الخلف) وهم جمهور الأشاعرة -الذين أخذوا بالمنهج العقلاني في البحث والإستدلال، على ذات الله وأفعاله تعالى والرد على باطل المعتزلة وغيرهم من أهل الحلول والاتحاد والفلاسفة الاسلاميين - المنتشرين في العالم الإسلامي في الشام ومصر والشمال الأفريقي والأندلس وبلاد ماوراء النهرين.
وفيما يلي نذكر أهم الشخصيات التي كان لها الدور الأكبر في تنظيم وتأسيس وترتيب المذهب الأشعري

ظهور فرقة الأشاعرة وأهم رجالاتها: -

أبوالحسن الأشعري : على بن إسماعيل بن إسحاق الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبوموسى الأشعري، ولد / سنة سبعين ومائتين -٢٧٠هـ (١) قدم بغداد، وأخذ الحديث عن زكريا بن يحي الساجي، وكان يجلس في حلقة أبي إسحاق المروزي.

وأخذ علم الكلام عن شيخه أبي علي الجبائي شيخ الإعتزال في زمانه ومن رؤسائهم وأصبح من كبار متكلميهم ومن خطبائهم ومن المناظرين والمجادلين لهم . وبقي في الإعتزال حتى بلغ الأربعين سنة، ثم بدأ يفكر في صحة مذهب المعتزلة ولماذا تحارب المعتزلة ؟ وبدأت الأسئلة الكثيرة تنهال عليه ولايجد لها جوابا ومن تلك الأسئلة التي طلب لها جوابا من شيخه الجبائي فلم يستطع أن يجيبه : ماقولك في ثلاثة: مؤمن وكافر وصبي ؟ فقال الجبائي: المؤمن من أهل الدرجات، والكافر من أهل الهلكات، والصبي من أهل النجاة.

فقال الأشعري : فإن أراد الصبي أن يرقى إلى أهل الدرجات هل يمكن ؟ قال الجبائي: لا، يقال له: إن المؤمن قد نال هذه الدرجة بالطاعة وليس لك مثلها، قال الأشعري: فإن قال : التقصير ليس مني، فلو أحييتني كنت عملت من الطاعات كعمل المؤمن، قال الجبائي:يقول الله له، كنت أعلم أنك لوبقيت لعصيت ولعوقبت، فراعيت مصلحتك، وأمتك قبل أن تنتهي إلى سن التكليف، قال الأشعري فلو قال الكافر: يارب علمت حاله كما علمت حالي فهلا راعيت مصلحتي مثله فأمتنى صغيرا ؟ فانقطع الجبائي(٢) .

١- قال ابن الأثير ولد سنة ٢٦٠هـ للهجرة أنظر في الكامل جـ٨/٤٩١، أنظر في ترجمة الأشعري تاريخ بغدادي للبغدادي جـ١١، ص٣٤٧، وطبقات الشافعية للسبكي جـ٢ص ٢٤٨، وفيات الأعيان جـ٣ ص٣٩٨، البداية والنهاية (١٩٩/٦)

٢- السبكي ، طبقات الشافعية جـ٢ ص٢٥١

فاحتار الأشعري ولما كثرت عليه مثل هذه الأسئلة والشبهات قام فصلى ركعتين واستهدى الله الطريق المستقيم، فرأى النبي ﷺ في المنام فشكا إليه فقال له الرسول ﷺ عليك بسنتي (١)فانكب على القرآن والسنة، وغاب عن الناس خمسة عشر يوما وخرج بعدها إلى الجامع بالبصرة وأعلن براءته من الإعتزال وانخلع من ثوبه وكان ذلك دليلاً لانخلاعه من عقيدة المعتزلة، ودفع بكتبه الجديدة التي ألفها على مذهب السلف إلى الناس.

وقد استمر الأشعري في حياته الفكرية على ثلاث مراحل:-

١ - مرحلة الإعتزال.

٢ - مرحلة المنهج الكلامي حيث جمع بين العقل والنقل -أي أفكار المعتزلة والقرآن والسنة .

٣ - مرحلة الرجوع إلى عقائد السلف بالكلية وإثبات جميع أفعال الله في القرآن والسنة.

أما أتباعه فلم يتركوا آراؤه: الذي كان عليه سابقا حيث أخذوا بالمنهج العقلي وطوروه، وأصلوا له أصولا وفروعا.

أما آراء الإمام الأشعري في الأفعال الإلهية قبل التحول فهي كالتالي ولكن هنا إعتراض وهو :

قد يسأل سائل فيقول، مالداعي لذكر آرائه بعد رجوع الأشعري إلى مذهب السلف ؟ نعم إن الداعي هو أن هذه الآراء التي كان عليها قد أخذها أتباعه وانتشرت بين الناس وجاء من طور تلك الآراء وخاض فيها وتمسك ببعضها وزود في بعضها ولهذا لابد أن نذكر تلك الآراء :

أولا: الوجود : يستدل الإمام الأشعري على وجود الله بأحكام الصنع والتدبير في العالم والمخلوقات ويجعل ذلك واجبا على جميع المكلفين.

١- ابن عساكر تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري ص ٤٠

ثانيا: ذات الله تعالى : يقول في ذلك بأن الله تبارك وتعالى واحد ﴿ليس كمثله شيء﴾(١) عالم قادر حي ليس بجسم لأن الجسم هو الطويل العريض ولم يطلق الله على نفسه ولم يسمه به رسوله.

ثالثا: الصفات : الله سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام نفسي ولفظي، وعالم، قادر، حي، مريد. ويستحيل أن يتصف بضد هذه الصفات.

رابعا: صفات الله تعالى ليست عين ذاته ولاغير ذاته.

فصفات الله قائمة بذاته أي انها ليست هي ذاته ولاهي غيره، فهو بهذا يخالف المعتزلة لأنه يرى في موقفهم تعطيلا للصفات فضلا عن ترادف مفاهيمها، لأنهم قالوا عالم وعلمه ذاته وقادر وقدرته ذاته وذلك خوفا من الاعتقاد المسيحي بالأقانيم الثلاثة، غافلين من أن معنى الصفة ليست عين ذات الموصوف فالعلم غير العالم هي المشكلة التي ظلت تواجه المعتزلة إلى أن قال أبوهاشم بنظريته في الأحوال.

خامسا - صلة علم الله الأزلي بالمعلومات المحدثة:-

يستوي العلم الإلهي بماكان وماهو كائن وماسيكون فلا يتباين علم الله بالماضي. عن علمه بالمستقبل فمعلومات الله بالنسبة لعلمه على وتيرة واحدة لافرق فيها بين ماض ومستقبل منجز ومتوقع ومن ثم لايتبدل العلم الإلهي ولا يتغير ازاء انتقال من عدم إلى وجود، وليس كذلك الانسان إذ المستقبل غيب وإن علم بشيء فعلمه ظني، ومن ثم كان التغيير في العلم الانساني من جهل إلى علم فتغيير المعلوم أدى إلى تغيير العلم وهذا أدى إلى تغيير العالم. وبهذا حل مشكلة صلة العالم الأزلي بالمعلومات الحادثة.

سادسا: الصفات الخبرية: صفات الله جميعها على ظاهرها وحقيقتها ولايجوز اخراجها إلى المجاز إلا بحجة. فأثبت اليدين وبقية الصفات دون تأويل بلاكيف ولاتشبيه وأثبت الرؤية والكلام.

١- سورة الشورى آية ١١

﴿والله خلقكم وماتعملون﴾(١) وأغفل معه خلق الانسان لفعله بمعنى أن الفعل يضاف إلى الانسان لأنه هو الذي قام بالفعل والله تعالى أثبت الكسب لعباده «ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه»(٢) وهناك آيات تؤكد جانب نسبة الفعل للانسان وهذا مقابل لمعتقدات المعتزلة فانهم قالوا بأن العبد يخلق فعله. فرد عليهم بأن الله يخلق فعل العباد، وأيضاً ذهب الأشعري إلى أنه يجوز على الله أن يكلف العباد مايطيقون فجائز منه أن يعاقب على الذنب الصغير ويعذب المؤمنين وأن يؤلم الأطفال في الآخرة وهو بهذا يريد ان يهدم مبدأ المعتزلة في الوجوب على الله إذ لايستحيل على الله شيء ولايجب عليه شيء.

ثامنا: إثابة المطيع ومعاقبة العاصي ومعرفة الحسن والقبح يجب بالسمع دون العقل ولايجب على الله شيء بالعقل لاالصلاح، ولا الأصلح، ولا اللطف وأصل التكليف لم يكن واجبا على الله إذ لم يرجع إليه نفع، ولا اندفع به عنه ضر، وهو قادر على مجازاة العبد ثوابا وقادر على الإفضال عليهم ابتداءاً وتكرماً وتفضلاً (٣).

تاسعا: أن الإيمان هو التصديق بالجنان وأما القول باللسان والعمل بالأركان فهو من فروعه(٤).

وبهذا ننتهي من آراء الإمام الأشعري في الأفعال الإلهية ونأتي إلى تلميذ تلميذه ألا وهو الامام الباقلاني لنرى رأيه في الأفعال الإلهية.

أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني : ظهر في الساحة بعد الإمام أبي الحسن الأشعري الإمام أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ وهو

١- سورة الصافات آية ٦٩

٢- سورة النساء آية ١١١

٣- الملل والنحل : للشهرستاني . ص ١٠٢

٤- نفس المرجع ص ١٠١

الكلامي بناءاً منظماً فوضع المقدمات التي تبنى عليها الأدلة ورتبها وهذا ماجعل شيخ الإسلام ابن تيمية يعده أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري بقوله «ليس فيهم مثله قبله ولابعده». وأما عن حياته العلمية والعملية وكتبه ومصنفاته فالوقت لايتسع لبيانه هنا (١) قال عنه إبن كثير : «القاضي أبوبكر الباقلاني، رأس المتكلمين على مذهب الشافعية من أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام، كان في غاية الذكاء والفطنة....»(٢).

مذهبـــه:

- في العلم : العلم هو معرفة المعلوم على ماهو به : ولم يقل معرفة الشيء، لأن العلم يشمل الشيء «أي الموجود من وجهة النظر الأشعرية» وماليس بشيء «أي المعدوم» فالعلم يشمل الموجود والمعدوم.

والعلم نوعان : علم قديم هو علم الله تعالى، وعلم محدث وهو علم المخلوقين وينقسم إلى قسمين.

١) علم ضروري : كاستحالة الجمع بين النقيضين .

٢) علم نظري مثل الاستدلال بقياس التمثيل أو قياس الغائب على الشاهد (٣).

- في المعلوم: يتفق مع العلم كما سبقت الإشارة بالموجود والمعدوم.

الموجود: هي الشيء الثابت الكائن.

أما المعدوم: فهو ماليس بشيء وينقسم إلى خمسة أقسام:-

١ - المستحيل الممتنع وقوعه كاجتماع النقيضين.

٢ - غير الموجود حاليا ولكن سيوجد فيما بعد كقيام الساعة والجزاء من ثواب أو عقاب مما أخبر الله أنه سيفعله.

١- أنظر مقدمة ابن خلدون ص ٣٢٦، مقدمة كتاب التمهيد للمؤلف نفسه ص١٥، ابن خلكان في فيات الأعيان جـ٣ ص ٤٠٠، البداية والنهاية (٣٦٣/٦)

٢- البداية والنهاية (٣٧٤/٦)

٣- مذاهب الإسلاميين ، د/ عبدالرحمن بدوي (٥٩٨/١)، الإنصاف، للباقلاني (١٤-١٨).

٣ - غير الموجود حاليا ولكنه موجود في الماضي كأفعالنا الماضية مما وقعت في أمسنا ثم مضت و أنقضت.

٤ - معدوم في الماضي وفي المستقبل : إذ أخبر الله أنه لايكون وإن كان في مقدوره أن يكون كرد أهل المعاد إلى الدنيا.

٥ - الممكن وهو مايمكن أن يكون ويمكن أن لايكون فذلك في علم الله المغيب على الانسان.

الموجودات : فعلى قسمين :

١) قديم لم يزل و القديم هو المتقدم في الوجود على غيره ومن ثم فهو يشمل ماهو أزلي وماله لاحق في الوجود و المعنى الأول يشير إلى الله.

٢) ومحدث لوجوده أول .

و المحدثات ثلاثة أقسام : جسم وجوهر وعرض.

فالجسم / هو المؤلف.

الجوهر/ هو الذي يقبل الأعراض .

و العرض/ هو مايصح بقاؤه وهو يعرض في الجسم و الجوهر

و الأعراض: مثل الألوان و الطعوم و الروائح و الحياة و الحدوث و العلم.

ثانيا: الاستدلال على وجود الله:-

أ / بالموجودات المحدثة من الأجسام والجواهر والأعراض وأنها تحتاج إلى محدث لها وهو الله.

ودليل حدوث الموجودات في العالمين العلوي و السفلي هو :

أن الأعراض حادثة طارئة إذْحين تتحرك ينقطع السكون، وحين تسكن تتوقف الحركة، والأجسام لاتنفك عن الأعراض، إذْ لا أجسام ولاجواهر بدون أعراض، ومالاينفك عن الحوادث فهو حادث، فالعالم بأسره حادث.

ب) لكل مُحدَث مُحدِث بالضرورة: كما أنه لاكتابة بدون كاتب ولاصورة بدون مصور، ولابناء إلا وله بان، وهكذا ... فوجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها.

جـ) صانع المحدثات لايكون شبيهاً لافي الجنس ولا في الصورة ، فلايجوز أن يكون محدثا. وإلا احتاج إلى محدث، ولتسلسل الأمر إلى غير نهاية ولاستحال

وجود شيء من المحدثات.

د) الصفات الإلهية تنقسم إلى قسمين:-

أ / صفات الذات: الله عالم قادر حي مريد سميع بصير عالم إذ لايصح أن يتصف الله باضادها، وهو لم يزل عالما قادراً حياً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً له الوجه والعينين واليدين وهو الباقي.

ب / أما صفات الفعل:- فهي الدالة على أفعاله تعالى وهي: الخلق، والرزق، والعدل، والاحسان، والتفضل، والإنعام، والثواب، والعقاب، والحشر، والنشر، وكل صفة كان سبحانه موجوداً ومتصفا بها قبل فعله لها.

هـ) صلة الذات بالصفات:- يهدف الباقلاني بهذا الأمر نقض رأي المعتزلة حين وحدوا بين الذات والصفات وجعلوا الصفات عين الذات. أما هو فيفرق بين الصفة والموصوف (١).

فالصفة / هي الشيء الذي بالموصوف أو يكون له ويكسبه الوصف أو النعت، وقد تكون طارئة له كالسواد والبياض والإرادة (٢).

أما الموصوف / كقولنا عن الله أنه عالم حي قادر منعم متفضل، فهو غير الصفة، لأن الوصف قضية يحكم عليها صدقا أوكذبا، بينما الصفة إسم مفرد لايحتمل الصدق والكذب. وهو يقصد بهذا إثبات رأي الأشاعرة. أن صفات الله لاهي ذاته ولاهي غيره، إذ الصفة ليست هي الموصوف، ولاهي غيره، إذ الإسم هو المسمى، ولايكون الإسم غير المسمى.

و) الله مريد لكل مافي العالم من شرور وفساد وظلم دون أن يلزم عن ذلك وصفه سبحانه بالسفه. لأن في ذلك قياسا للغائب على الشاهد، أو إطلاق أحكام تجري على الأفعال الإنسانية لايصح إطلاقها على الأفعال الإلهية.(٣).

وجائز من الله تكليف مالا يطاق أو إيلام الأطفال يوم القيامة دون أن يفيد ذلك الجورمن الله (٤).

١- نهاية الاقدام للشهرستاني ص ٧٦.

٢- التمهيد، للباقلاني ص ١١٣-٢١٤.

٣- التمهيد للباقلاني : ص ٣٤١

٤- المرجع السابق ص ٣٤٢

- رؤية الله ممكنة يوم القيامة دون افادة الجسمية.

- الأفعال تحسن وتقبح لأمر الله بها أو نهيه عنها. ولايوصف الأمر ولاالنهي بالحسن أو القبح.

إذا خلق الله أفعال العباد فإن تلك الأفعال تنسب إلى العباد لا إلى خالقها وقدرة الله مطلقة ومشيئته شاملة.

- قضية إثبات الصفات الخبرية لله تعالى والتي لايمكن إثباتها إلا بنص من كتاب أو سنة ولهذه القضية جانبان:-

١/ جانب إثبات الصفات الخبرية لله : كإثبات الوجه واليدين والعينين والجنب والساق من غير تأويلات المعتزلة، كذلك إثبات الإستواء لابمعنى الاستيلاء ولكن دون تجسيم المجسمة في إفادة الحاسة بين الله والعرش.

كذلك يوصف الله بأنه يغضب ويرضى ويحب ويبغض ويوالي ويعادي دون إفادة التغير في ذات الله.

٢/ جانب إنكار إطلاق أية تسمية لم ترد في القرآن الكريم أو الحديث الشريف فلايوصف الله بالعقل، كما لايوصف بالشهوة، حتى إن قصد بذلك إرادته لأفعاله (١).

الأرزاق : ذهبت المعتزلة إلى أن الله يرزق الحلال دون الحرام الذي يكتسبه العاصي وقد خالفهم الأشاعرة بتول الله الأرزاق حلالها وحرامها.

الأسعار: كذلك نفت المعتزلة أن يكون الله مسعر السلع لكن الباقلاني قد أرجع الغلاء إلى فعل الله الذي يخلق الرغبة لدى المشتري....

الآجال: يؤكد الباقلاني أن المقتول يموت بأجله المقدور ولايصح أن يقال إنه لولم يقتل لكان حيا لأن ذلك يخالف الآية.

الايمان : يرى الباقلاني أن الإيمان هو ماوقر في القلب أو التصديق.

١- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به ص ٣٩.

أبومنصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد التميمي تتلمذ على أبي اسحاق الإسفرائيني وقد تخرج الإسفرائيني، على يد أبي الحسن الباهلي، الذي أخذ الكلام على المذهب الأشعري من أبي الحسن الأشعري (١). فقيه شافعي، إمام في الأصول والفروع كان ماهراً في فنون كثيرة من العلوم. ومع ما أعتقده من مذهب الأشاعرة إلا أنه كانت له آراء إنفرد بها عن المذهب الأشعري. وكان له دورين أحدهما : سلبي والآخر إيجابي.

أما السلبي / فإنه نقل صورة مشوهة تماماً عن المعتزلة وعن أهل السنة منذ القرن الخامس الهجري فلم يتذكر دور المعتزلة في الدفاع عن الإسلام ومحاربتهم الزنادقة والدهريين وقد قال البغدادي / إن المتكلمين من أصحابنا قالوا بانقطاع التوارث بينهم وبين أهل السنة والجماعة.(٢).

أما الايجابي / فيتمثل في صياغة آراء الأشاعرة لاعلى أنها مجرد فكر لفرقة من فرق المتكلمين وإنما على أنها عقيدة لجمهور أهل السنة من المسلمين. وكان يستقر في أذهان الناس هذا لولا ظهور إمام مذهب السلف ابن تيمية الذي كشف عن أن عقائد الأشاعرة لايمكن أن ترد كلها إلى رسول الله ﷺ أو إلى أئمة السلف .....

وسيأتي مزيد توضيح لهذا الأمر. والحق أن أكثر آراء الأشاعرة قبل البغدادي تعبر عن روح الإسلام.لكن ابتداءاً من البغدادي ومن أتى من بعده لم يفرقوا بين ماهو أصل من صميم العقيدة يجب التمسك به أو ما هو من فروع مسائل الدين لايتعدى أصول الدين. ونحن من هنا نمر مروراً موجزاً وسريعاً على رجال المتكلمين من الأشاعرة الذين تكلموا في الأفعال الإلهية وأما التفصيلات

١- البداية والنهاية لابن كثير (٤٨/٦)

٢- وقد كفر بعضهم بعضا ومن خرج منهم عن الإعتراض فقد حرم على نفسه أن يأكل من مال أبيه لأنه مازال على الاعتراض وفي هذا المنوال قصص كثيرة ذكرها البغدادي

والمناقشات فإنها في المباحث القادمة إن شاء الله.

آراء البغدادي في الأفعال الإلهية :

١ - القدرة والعلم والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام صفات أزلية لله تعالى قائمة به .

٢ - تأويل الوجه واليدين والإستواء والعرش مع التنزيه من أن تكون أعضاءً كأعضاء المخلوقات.

٣ - الهداية والضلال من الله تعالى فهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٤ - العلم قسمان:

أ / علم أزلي إلهي. ب/علم إنساني وهو إما ضروري أوكسبي.

٥ - العالم هو كل شيء غير الله عزوجل ويتألف من الأجسام والجواهر والأعراض. والأعراض صفات قائمة بالجواهر من حركة وسكون وطعم ولون ورائحة وحرارة وبرودة... وإذا كانت الأجسام حادثة كان العالم كله حادث، وكل ماهو حادث جائز الفناء عليه وإذا أراد الله فناء جسم لم يخلق البقاء فيه على حد تعبير الأشعري، أو قطع عنه الأكوان والألوان على حد تعبير الباقلاني، وكل من قال بحدوث العالم أجاز الفناء عليه.

أبوالمعالي الجويني:- هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري ولد عام ٤١٩هـ، درس على والده عبدالله بن يوسف وكان فقيها أصوليا لغويا، من أئمة الأشاعرة، خرج في زمن محنة الأشاعرة حيث وشى بينهم وبين الحاكم طغرلبك وزيره منصور الكندري وكان معتزليا فصدر الأمر بقبض الجويني وأصحابه ففر الجويني إلى الحرم وبقي فيها أربع سنوات حتى

هدأت الحرب عليه ثم عاد إلى نيسابور عام ٤٥٥هـ فقربه الوزير نظام الملك ودرس بالمدرسة النظامية إلى آخر حياته وتوفي سنة ٤٧٨هـ وانتشرت في المدارس النظامية عقيدة الأشاعرة بواسطته (١).

آراؤه : نجد الجويني قد استفاد من فلسفة اليونان التي أكسبته كما أكسبت غيره من الأشاعرة على المقدرة على الجدل وقوة الإستدلال، مع بقاءه متكلما أشعريا في الصميم وكذلك نجده في تحديد المصطلحات الكلامية والفلسفية بأسلوب دقيق وهو بهذا لم يخرج عن آراء مؤسس المذهب بل اتفق معه وخاصة في مسألة الصفات التي من أجلها فارق شيخه مذهب الإعتزال. وأما طريقته في عرض الموضوعات هي التي استقرت لدى الباقلاني، والبغدادي ومعظم المتكلمين من بعده وهي على النحو التالي:-

١) الإستهلاك بالحديث عن العلم وطرقه وتعريف المصطلحات مثل الجوهر والجسم والعرض.

٢) في الإلهيات

١ - إثبات حدوث العالم وحاجته إلى الصانع والرد على المخالفين كالدهريه وغيرهم.

٢ - الرد على اليهود والنصارى

٣ - الكلام في الأسماء والصفات.

٤ - جواز رؤية الله.

١- البداية والنهاية لابن كثير (١٣٦/٦)، وفيات الأعيان: لابن خلكان ٣٤١/٢، طبقات الشافعية: السبكي ١٦٥/٥، سير أعلام النبلاء: الذهبي ٥٠٦/١٨، شذرات الذهب: ابن عماد الحنبلي ٣٥٨/٣، الجويني إمام الحرمين: د/فوقية حسين ص ١٣، تبين كذب المفتري ص ٣١٢، الإمام الجويني لمحمد الزحيلي ص ٢٥.

٥ - خلق أفعال العباد.

٦ - التعديل والتجويز.

٧ - الصلاح والأصلح...

٨ - الثواب والعقاب في الآخرة....

٩ - في الآجال والأرزاق والأسعار.

٣) هجومه على المشبهة والحشوية ووصفهم بالجهل ويقصد بذلك الكرامية وغلاة المجسمة أمثال مقاتل بن سليمان وداود الخوارزمي وهشام بن الحكم وأهل الحلول والاتحاد.

٤) رده على الفلاسفة كان أكثر من أئمته السابقين حيث اختصوا بالرد على المعتزلة فقط (١)

أبوحامد الغزالي : هو / محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، ولد بطوس عام ٤٥٠هـ من أعمال خراسان تلقى العلم على يدى إمام الحرمين الجويني وغيره، عاش الغزالي في فترة الانقسامات وعهد الدويلات الصغيرة حيث السلاجقة والفاطمية، والمرابطين والصليبيين ، وعاش أيضا الصراع الفكري بين المذاهب، وأشدها خطرا الإسماعيلية الباطنية، فرد عليهم بطلب من الخليفة المستظفر بالله. وقد أورثت الغزالي الصراعات الفكرية أزمة روحية بعد أن

١- انظر : آراؤه مفصلة في كتبه منها: الإرشاد ص ١٤، ٣٣، ٤٠، ١٦١، ٢٢٦، ٣٣٣، ٤٠٧، ١٥٥، ١٥٩، الشامل ص ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٥٦، ٥٥٣، ١٠٠، ٥٥٠، والنظامية : ص ٢١. أما عن رجوع الإمام الجويني عن الكلام فقد ذكر صاحب سير أعلام النبلاء عن أبي الفتح الطبري الفقيه أنه قال : دخلت على أبي المعالي في مرضه فقال: (اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نسيابور)، وقوله أيضا : (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام) سير أعلام النبلاء جـ١٨/ ٤٧٤.

درس جميع المذاهب الدينية فيها فأقعدته عن التدريس عام٤٨٨هـ فسافر إلى الحجاز واختفى مدة سنتين في العزلة والرياضة وتزكية النفس وتصفية القلب وبعد عشر سنين انتهى إلى الايمان أن الصوفية هم السالكون وأن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق.. توفي الغزالي عام ٥٠٥ هـ (١).

منهجه :- ينقسم الى قسمين :

الأول : حدد الغزالي تحديدا جديدا لقواعد العقائد لمذهب الخلف من أهل السنة. ويعد المصنفون في الفرق أن في عهد الغزالي وصل الفكر الأشعري دور الإكتمال والإستقرار. وهذه القواعد هي:

التقديس ثم التصديق، ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الإمساك ثم الكف ثم التسليم لأهل المعرفة . وأنه يحتم النظر في حقيقة الذات الإلهية على العامة وقد أدرج ضمن العوام الأدباء والعلماء والمحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين وأجاز التأويل للراسخين في العلم وهم الأولياء الغارقون في بحار المعرفة المجردون عن دنيا الشهوات. (٢).

الثاني : تصنيفه في الإلهيات :-

١ - في ذات الله تعالى :- بأنه واحد لاشريك له، فرد لامثيل له، صمد لاضد له متوحد لاند له، قديم لا أول له، أبدي لانهاية له، لم يزل ولايزال موصوفا بنعوت الجلال، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، ليس بجسم مصور، ولاجوهر محدود مقدر، لايماثل الأجسام، لايحده المقدار ولاتحويه

١- البداية والنهاية لابن كثير (٦/١٨٥).

٢- إلجام العوام عن علم الكلام ، للغزالي ص ٢٥٢

الأقطار، ولاتحيط به الجهات، مستوي على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، إستواءا منزها عن المماسة والإستقرار والتمكن والتحول والإنتقال، وهو فوق العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات على العرش وهو الآن على ماعليه كان مباين بصفاته عن خلقه...) (١).

٢) الصفات القديمة الأزلية عنده هي السبع الصفات. الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. حكم عليها بأنها قائمة بذاته لايجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته.

- وأنها قديمة لأنها لوكانت حادثة كان القديم سبحانه محلا للحوادث وهو محال.

- وأن الأسامي المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبع صادقة عليه أزلاً وأبداً فهو في القدم كان حياً قادراً عالماً سميعاً وبصيراً متكلمًا مريداً.

- وأما مايشتق له من الأفعال كالرازق والخالق والمعز والمذل فقد اختلف في أنه فعال في الأزل أم لا؟ (٢).

٣) في أفعال الله تعالى فيجوز أن يكلف عباده، بما يطيقون وما لايطيقون.

- وأنه قادر على إيلام الحيوان البريء عن الجنايات.

- وأنه لايجب عليه رعاية الأصلح لعباده.

- وأنه لايجب عليه الثواب لعباده إن هم أطاعوه.

- وأنه لايجب على العباد معرفة الله إن لم يرد الشرع بذلك. (٣).

١- كتاب الأربعين في أصول الدين، للغزالي ص ٣

٢- الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي ص ١١٩-١٦٧

٣- المرجع السابق ص ١٦٨-١٨٤.

محمد بن تومرت : (٤٨٥-٥٢٤ هـ) أبوعبد الله محمد بن عبد الرحمن بن تومرت المنعوت بالمهدي الهرغي، ينسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب و الله أعلم (١) وهو من جبال السوس في أقصى بلاد المغرب، ونشأ هناك وتلقى ثقافته الأولى ثم أرتحل إلى الأندلس ثم إلى المشرق طلبا للعلم فانتهى إلى العراق، ولازم الإمام الغزالي ثلاث سنوات، وبشره بأنه سيكون له شأن عظيم، ثم ارتحل إلى المغرب بعد عشر سنوات وأسس دولة الموحدين دعا إلى التوحيد الخالص وتأويل الآيات التي تتعلق باستوائه تعالى على العرش ودعا إلى إتباع مذهب الأشعرية في الإعتقاد وأخذ عن المعتزلة بعض آرائهم، وأخذ عن الشيعة فكرة عصمة الإمام، وسمى أتباعه بالموحدين. وكان أول حاكم للدولة تلميذه عبد المؤمن.

أهم آرائه الكلامية:-

١) الإفتتاح بالعلم وطرق العلم تنحصر في ثلاثة : الحس و العقل و السمع.

الحس على ثلاثة أقسام: متصل ومنفصل ومايجده الإنسان في نفسه.

والعقل على ثلاثة أقسام: واجب وجائز ومستحيل.

والسمع على ثلاثة أقسام: الكتاب والسنة والاجماع.

٢) في العلم:

والعلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام : العلم بالدين، والعلم بالدنيا والعلم بما يتصل إليهما

والعلم بالدين على ثلاثة أقسام: العلم بالله، العلم بالرسل، والعلم بما جاءت به الرسل. والعلم بالله ينقسم على ثلاثة أقسمام:-

---

١- وفيات الأعيان : لابن خلكان (٤٦/٥)، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب لروني إيلي ألفا جـ١ / ١٣، ط ١٤١٢/١هـ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت.

١) العلم بمايجب له. ٢) العلم بمايجوز عليه. ٣)العلم بمايستحيل عليه.

فالعلم بما يجب له مفهومه على ثلاثة : الوجود و الوحدانية و الكمال.

و العلم بما يجوز عليه ثلاثة، إيجاد العلم، و اعدامه بعد وجوده، وإعادته بعد إعدامه و العلم الذي يستحيل عليه ثلاثة: التشبيه، و التشريك، و النقائص.

أما العلم بوجوده فينبني على نفي التشبيه، و التشبيه على ثلاثة أنواع:-

التقييد بالزمان و التقييد بالجنس. و الأول : هو التغير، و الثاني : هو التحيز ، و الثالث: هو التأليف.

و العلم بالوحدانية ينبي على نفي الشريك و الشريك على ثلاثة أنواع:-

١) الإتصال / وهو القول بتعدد الصفات لله فإنها غير ذاته ويفضي ذلك إلى شرك الإتصال .

٢) الإنفصال / وهو القول بتعدد الآلهة ويؤدي إلى شرك الانفصال.

٣) الحلول / وهو القول بتجسد الألوهية أو حلول اللاهوت في الناسوت وهو شرك الحلول.

٢) يجب التصديق برؤية الله من غير تشبيه ولاتكييف .

٣) أن كل ماوجد من الخلائق سبق به قضاء الباري وقدره، الأرزاق مكتوبة و الآثار مكتوبة و الأنفاس معدودة و الآجال محدودة. وكل ماسبق به قضاؤه وقدره واجب لامحالة من ظهورها كما سبق قضاء الباري سبحانه وقدرها في أزليته من غير زيادة ولانقصان.

٤) مع أن مذهب ابن تومرت هو الجبر الذي يقتضي القول بجواز تكليف مالايطاق في نطاق إطلاق مشيئة الله فقد خالف مشايخه من الأشاعرة فقال بعدم جواز تكليف مالايطاق وإنما التكليف في نطاق مايحتمله المكلف.

٥) الثواب والعقاب مرتبطان بالتكليف.

وظاهر مذهب ابن تومرت يتبنى موقف الأشاعرة تماما بصدد أفعال الله كما يتفق معهم بصدد مسائل أخرى. وقد كان الفضل لابن تومرت في نشر عقائد الأشاعرة في المغرب الأقصى والأندلس مع أنهم مالكية في الفقه (١).

الإمام الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ - ١١٥٣م) : هو أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ولد ببلدة شهرستان بين نيسابور وخوارزم عام ٤٧٩هـ (٢) تنقل بين مراكز العلم في فارس وما حولها دارسا للعلوم الدينية ثم مدرسا لها ثم رحل إلى بغداد مدرسا في المدرسة النظامية عام (٥١٠ هـ/١١٦م) وشهرته كمؤرخ للفرق والديانات أكثر من شهرته كمتكلم، أما عن مصنفاته فانظرفي الهامش(٣).

منهجه وآراؤه :

١) في ذات الله تعالى أسمائه وصفاته: يرى الشهرستاني بأن الباري تعالى واحد في ذاته لاقسم له، وواحد في صفاته لاشبيه له وواحد في أفعاله لاشريك

١- انظر: في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية فى أصول الدين، للأشاعرة، د/أحمد صبحي . ط ٨٢. مم مؤسسة الثقافة الجامعية - الإسكندرية، الفرق الإسلاميين، عبدالرحمن بدوي ص ٢٥٠ - ٢٧٨.

٢- انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٤٨٢/١، معجم البلدان لياقوت الحموي مادة شهرستان، لسان الميزان لابن حجر جـ٥ / ٢٦٣، طبقات الشافعية للسبكي جـ٤ / ٧٨، الوافي بالوفيات للسفدي جـ٣ / ٢٧٨، مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده جـ١/ ٢٦٤، الاعلام للزركلي جـ ٦ / ٢١٥.

٣- أهم مؤلفاته / الملل والنحل، ونهاية الأقدام في علم الكلام، مصارعة الفلاسفة، وغيرها من الرسائل والمناظرات، انظر ثبت مؤلفاته في كتاب مصارعة الفلاسفة ص ١٨-٢٢

له، لايشبه شيء من المخلوقات بوجه من وجوه المشابهة والمماثلة فليس الباري بجوهر ولاجسم ولاعرض ولا في مكان ولا في زمان ولاهو قابل للأعراض ولا بمحل للحوادث وبهذا يبطل الشهرستاني وجوه التشبيه بينه وبين المخلوقات والحوادث والله مستغن عن المحل والحيز جميعا لاحد له ولا إجتماع ولاإفتراق وليس بداخل في العالم ولاخارجه أما التعطيل فإنه يرد على جميع الوجوه الذي يؤدي إلى تعطيل الباري أو تعطيل صفاته وأسمائه:-

مثل تعطيل الصنع عن الصانع وهو قول الدهرية أو تعطيل الصانع عن الصنع وهو قول الفلاسفة أو تعطيل الباري عن الصفات والأسماء أزلاً وهو مذهب الغالية من الشيعة والباطنية ويرد عليهم قائلاً: إن من أثبت صانعا وذكر إسما له فإن الاشتراك في الأسامي لايوجب إشتراكا في المعاني وأن أسماء الباري تتلقى من السمع وقدورد السمع بأنه سبحانه علم قدير حي قيوم سميع بصير.

وهو بهذا يثبت لله تعالى الأسماء والصفات السبعة فقط. ويرد على المنكرين بتلك الصفات من المعتزلة والشيعة وغيرهم ويؤكد بأن تلك الصفات قديمة أزلية وأن كلامه أزلي أيضاً (١).

٣) وأن الحسن والقبح واجب شرعا وليس عقلا.

٤) وأنه يبطل القول في أفعال الله تعالى بالعلة أو بالصلاح والأصلح.

٥) ثم تكلم عن الجوهر والفرد وأثبت إلى أن الجسم ينتهي بالتجزئة إلى حد لايقبل الوصف بالتجزي وهو مايسمى بنظرية الذرة. (٢).

١- انظر نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني (٩٠ - ٣٥٥).

٢- أنظر الموضوع في ملحق نهاية الإقدام ص ٥٠٥-٥١٧. وكذلك في دراسات في الفرق الإسلامية د / عرفان عبدالحميد ص ١٥٢.

- **فخر الدين الرازي** :-هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي تيمي القبيلة، ولد في مدينة هراة إحدى مدن الري في طبرستان عام ٥٤٣هـ، لقب بفخر الدين بعد شهرته بين الناس، تلقى علوم الفقه والأصول على والده ضياء الدين، شافعيا في الفروع، أشعريا في الأصول، تتلمذ في الكلام والحكمة وأصول الفقه على مجد الدين الجيلي الذي تتلمذ عليه السهروردي المقتول صاحب الفلسفة الاشراقيه، ولازم الجيلي وعرف منه فلسفة الفارابي وابن سينا وانعكس ذلك على مؤلفاته وعلى مذهبه الأشعري، فهو مفسر متكلم فقيه فيلسوف طبيب واعظ أصولي كيميائي، ولكن شهرته كمفسر ثم متكلم، أول من استحدث التفسير الكوني للايات مستعينا بالفلسفة والمنطق والعلم، ينتصر للمذهب الشافعي في آيات التشريع ليرد على المعتزلة والشيعة وخصوم الأشاعرة في آيات الإعتقاد جاب البلاد وناظر العلماء، واتصل بالأمراء والسلاطين وانتقاداته لمذهب الكرامية أثارت الناس فخرج من بلاد ماوراء النهر إلى بلدة الري وبعد إتصالاته بالسلاطين وأسفاره رجع إلى بلدة هراة واشتغل بالتدريس والوعظ يقصده جميع طبقات الناس قال ابن خلكان «فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلوم الأوائل وكان يلحقه الوجد حال الوعظ فيبكي ويندم على حياته وينشد تلك الأبيات .

نهاية إقدام العقول عقال — وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنافي وحشة من أجسامنا — وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا — سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فتاب من أيام شبابه وتمنى أن يكون قنع الايمان كإيمان عجائز نيسابور ثم تاب واستغفر ومات أول عيد الفطر من عام ٦٠٦ هـ(١) .

١- انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٣ / ٣٨١، شذارات الذهب لابن العماد جـ٥/٢١، الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ١٢/١٢٠، طبقات الشافعية للسبكي جـ ٥ / ٣٣، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي جـ ٦ / ١٩٧، كشف الظنون حاجي خليفة جـ ٤٥٢/٢.

آراؤه :-

١ - التوسع في المقدمات والمصطلحات المقتبسة من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والإلهيات كالإشارة إلى تعريف الواجب والممكن والإستدلال على وجود الله بدليل الإمكان ....

٢ - لم ير الرازي أن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول كما كان يرى الباقلاني.

ويقدم إثنى عشر إعتراضا على أدلة الأشعري على إمكان رؤية الله ومع ذلك فهو يؤكد الرؤية ويؤكد ابن خلدون أن هذه طريقة المتأخرين المباينة لطريقة المتقدمين.

٣ / يرى أن الإقتباس من كلام الفلاسفة لايحول دون نقدهم فيما خالفوا فيه العقائد الايمانية فهو أشعري المذهب مضمونا، فلسفي المنهج قالبا.

ومن عنده إبتدأ الخلط بين مسائل الكلام والفلسفة.

٤ / يرى أن العقل مرجح على النقل لأن ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل، إذ النقل مستند العقل مفتقر إليه، فالنقل مثلاً يستند إلى صدق الرسول، ولا يعرف صدق الرسول إلا بالعقل ولهذا لايمكن إثبات صدق الرسول بالنقل.

وإذا عارضت الظواهر النقلية براهين العقل، أوقامت الدلائل العقلية القاطعة على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة النقل يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فانه باطل أن تصدق الظواهر النقلية وتكذب الظواهر العقلية، لأنه لايمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فالقدح في العقل لتصحيح النقل يفضي

إلى القدح والنقل معا (١).

٥/ معرفة الله واجبة بالنظر ويستدل على النظر بأدلة الوجود والإمكان والحدوث (٢).

٦ / صفات الله :الألفاظ الدالة على صفات الله ثلاثة أقسام:-

١ -ما يدل على صفة ثابتة في حق الله تعالى قطعا، وهي على ثلاثة أقسام:-

أ / مايجوز ذكرها مفردا أو مضافا كقوله أنه موجود وشيء وأزلي وقديم .

ب / مايجوز ذكرها مفردا ولايجوز ذكره مضافا فيقال ياخالق، ولايقال ياخالق الخنازير.

جـ / مايجوز ذكرها مضافا ولايجوز ذكرها مفردا فلايقال يامشيء يامنزل يامحرك.

٢ - مايمنع ثبوتها في حق الله تعالى ولايجوز إطلاقها عليه وإن وردبها السمع وجب تأويلها كلفظ النزول والصورة والمجيء.

٣ - أمور ثابتة في حق الله تعالى ولكنها مقرونة بكيفيات يمنع ثبوتها حيث المسمى مركب من أمور ثابتة في حق الله تعالى ومن كيفية يمتنع ثبوتها لله تعالى كالمكر والخداع والإستهزاء فلا يصح إطلاقها لله تعالى وإن ورد التوقف به أطلقناه في حق الله تعالى بعين ذلك اللفظ (٣).

وتنقسم الصفات إلى صفات ذاتية ومعنوية وفعلية :-

فالذاتية : هي الدالة على الذات كالوجود والشيء القديم.

١- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للرازي ص ٣٢ طبعة الحسينية.

٢- المرجع السابق ص ٨٤.

٣- لوامع البينات شرح اسماء الله والصفات للرازي ص ١٧ - ١٨.

وأما الجوهر فلا يجوز إطلاقه لفظا إن قصد بالجوهر ماهو متحيز أوله مقدار وكمية، أما إن قصد به القائم بذاته فنحن نسميه بهذا المعنى جوهرا فالمعنى صواب ولكن اللفظ خطأ، ومرد أسماء الله إلى السمع، والله تعالى منزه عن المكان والجهة والحيز غير حال في العالم ولا مباين عنه في شيء ومعرفة كنه الذات أعلى وأجل وأغمض من معرفة كنه الصفات فإذا عزلنا الوهم والخيال عن معرفة الصفات والأفعال فلأن نعزلهما في معرفة الذات أولى وأحرى (١).

فالمعنوية : هي الدالة على معان قائمة بذات الله تعالى كقولنا عالم قادر حي مريد سمع بصير متكلم ولايصح صرف هذه الألفاظ إلى المجاز كما هو رأي المعتزلة حيث قالت أن السمع والبصر صفتان زائدتان على العلم فصرفها إلى العلم مجاز ولايصح ذلك إلا عند العارض وعلى الخصم أن يقيم الحجة على إمتناع إتصافه سبحانه بالسمع والبصر.

أما الفعلية : هي الألفاظ الدالة على صدور أثر من آثار قدرته تعالى ثم ناقش رأي المعتزلة في صفات الفعل هل هي قديمة أم حادثة ؟.

٧ / أفعال الله تعالى لاتكون لأجل أغراض فهي توقيفية وليست توفيقية فلاتعليل لأفعال الله ولايجب أن تكون أفعاله معللة، وإلا لكانت علية، وتلك العلة معللة بعلة أخرى وللزم التسلسل وإنما لا بد من الإنتهاء إلى مالايكون معللا (٢) ونحن نكتفي بهذا وسنتعرض لآرائه في الأفعال الإلهية بشيء من التفصيل في الفصول القادمة.

١- أساس التقديس في علم الكلام للرازي ص ٢٦

٢- معالم أصول الدين للرازي ص ٨٣ - ٨٥، ونهاية العقول، للرازي أيضا جـ٢ ص ٦٠.

عضد الدين الإيجي : هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الايجي الشيرازي(١) ولد عام ٧٩٨هـ في شيراز، لازم الشيخ زين الدين الهنكي تلميذ البيضاوي، غضب عليه صاحب كرمان لنزاع بينه وبين الأبهري فحبس وبقي في الحبس إلى أن مات عام ٧٥٦هـ من أشهر تلاميذه (سعد الدين التفتازاني (٢))

من أهم مؤلفاته كتابه المواقف ومع الايجي يصل علم الكلام عند الأشاعرة ذروته وتمامه وكماله فكتابه المواقف هذا مع شرح الجرجاني عليه يتميز بنسق متكامل في عرض الموضوعات وترتيب محكم لم يتمكن متكلم أشعري من بعده أن يزيد عليه فضلا عن أن يجاريه، فهو يوازي القاضي عبد الجبار لدى المعتزلة عند الأشاعرة.

ثم بدأ من بعد الايجي فترة التدهور والإنحطاط وبدأ عصر الشروح والحواشيء والمتون والأراجيز، وهو ماحصل فعلا حتى وقتنا الحاضر في القرن العشرين الميلادي.

آراؤه : -

١ / وجوب النظر في معرفة الله تعالى ومالايتم الواجب إلآ به فهو واجب.

٢ / إفادة الأدلة النقلية اليقين متوقف على عدم معارضتها للأدلة العقلية.

٣ / إثبات الصانع بأدلة الحدوث والإمكان وواجب الوجود.

فإذا ثبت أنه تعالى واجب فقد ثبت أنه أزلي أبدي وأن ذاته مخالفة لسائر الذوات.

١- أنظر: طبقات الشافعية للسبكي جـ١٠٨/٦، بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه للجلال الدين السيوطي ص ٢٩٦، مفتاح السعادة جـ١، ١٦٩، الأعلام للزركلي جـ ٢٩٥/٣.

٢- أنظر ترجمته : الدرر الكامنة لابن حجر جـ٣٥٠/٤، مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده جـ١٦٥/١، بغية الوعاه لجلال الدين السيوطي ص ٣٩١، الأعلام للزركلي جـ٧/ ٢١٩، وسنذكر آراءه في مبحث المناقشات .

٤ / في أفعال الله تعالى له مقاصد:-

منها: / أن أفعال العباد الإختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها وليس للعبد قدرة فيها.

ومنها/ إبطال التوليد لأن جميع الممكنات إلى الله تعالى إبتداء .

ومنها/ أنه تعالى مريد لجميع الكائنات غير مريد لما لايكون.

ومنها/ أن الحسن ماحسنه الشرع والقبيح مانهى عنه الشرع ولاحكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها.

ومنها / أن الله تعالى لايفعل القبح وأنه يجوز تكليف مالايطاق فهو يفعل مايشاء ويحكم مايريد لامعقب لحكمه.

ومنها/ أن أفعاله تعالى ليست معللة بالأعراض لأنه لوكان فعله تعالى لغرض لكان ناقصا لذاته مستكملا بتحصيل ذلك الغرض... (١).

وأما مابعد مرحلة الإيجي فهو عصر الشروح، والحواشي، والمختصرات والأراجيز، والمتون (٢).

هذه بعض الوقفات على مبحث أصل الإفتراق في هذا الباب وقد تكلمنا فيها عن أهم فرقتين كلاميتين كان لها ثقلها ووزنها في الخوض في الأفعال الإلهية، وسيتضح لنا الأمر بشكل مفصل مع بيان موقف أهل السنة والجماعة من تلك الآراء في المباحث القادمة، وهناك فرق أخرى كانت لها آراؤها آثرنا عدم ذكرها للإطالة، ولأنها لاتخرج في مجملها عن آراء الفرقتين السابقتين، وأما ما اختلفت فيها هذه الفرق من آراء فسنذكرها في أماكنها في مباحث المناقشات بإذن الله تعالى .

١- المواقف في علم الكلام للإيجي (٣١١ - ٣٣٢)

٢- أنظر : متن السنوسية، للسنوسي المتوفى سنة ٨٩٥هـ، واسم كتابه عقيدة أهل التوحيد الصغرى، وجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني، المتوفى سنة ١٠٤١هـ، وأُرجوزة الدرديري المسمى بـ (الخريدة البهية)، وحشو الإعتقاد في كتاب تحفة المريد حاشية جوهر التوحيد للباجوري، المتوفى سنة ١٢٧٧هـ، وغيرها من الحواشي.

المسألة السادسة: الأسباب التي أدت لنشر مذهب الأشاعرة :-

نعلم يقينا أن عقائد الأشاعرة لاتسمح بأن تكون عقيدة راسخةً لجمهور المسلمين على مدى السنين والقرون مع مافيها من إحالات وتأويلات عقلانية بعيدة كل البعد عن منهج السلف وسنرى ذلك عند مناقشاتنالهم، ولكن مع ذلك، ما هو السبب الذي أدي إلى إنتشار مذهبهم دون المذاهب الأخرى ؟

إن سبب إنتشار مذهب الأشعرية يعود للأمور التالية:-

١) نشأة المذهب في بغداد-حيث موطن الثقافات والأفكار والعقائد المختلفة - أدىإلىتفوق هذا المذهب على المذاهب الأخرى وخاصة بعد إنتصاراته على المعتزلة والرد على آرائهم الباطلة بالمنهج الكلامي العقلاني الذي أنشأه الكلابي وجماعته والتي سميت فيما بعد بالصفاتية أو الكلابية.

٢) دعم الملوك والأمراء وأصحاب السلطة لهم، باعتبار أنهم يمثلون مذهب أهل السنة والجماعة كعمل الدولة الأيوبية على سائر مملكتها، وكذلك نظام الملك وزير الحاكم السلجوقي في بلاد ماوراء النهرين، وعمل محمد بن تومرت في المغرب والأندلس، وكذلك عمل السلطان طغرلبك في خراسان.

٣) كسب قلوب ومودة جمهور المسلمين وعاطفتهم حيث ردوا هؤلاء على المعتزلة الذين فتنوا الناس وقتلوهم وامتحنوهم في دينهم وخاصة حادثة محنة الإمام أحمد بن حنبل وأنهم دائما في مناظراتهم ومواعظهم يؤكدون بقولهم هذا رأي وقول أئمة السلف...)

٤) ساعد في إنتشار المذهب ظهور بعض العلماء والمفكرين الأفذاذ بالدفاع عن عقيدة الأشاعرة كالإمام الباقلاني والجويني والغزالي والرازي وغيرهم.

٥) إلتماس الحلول الوسطى والتوفيق بين عقلانية المعتزلة وآراء السلف في أمور العقيدة، وبين أهل الحديث وأهل الرأي في الفقه، وبين الفقهاء

والصوفية في الشريعة وبين الدين والفلسفة في الحكمة، والتي عرفت فيما بعد بالمدارس التوفيقية.

وبعد سرد التسلسل التاريخي لظهور فتنة الخوض في أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته لدى الفرق الكلامية، وبعد بيان مراحل تطور ونشأة المذاهب والفرق الكلامية (المعتزلة والأشاعرة) وبعد بيان آراء بعض رجالاتها في هذه القضايا عامة، وبعد بيان الأسباب التي أدت إلى إنتشار بعض المذاهب بين أهل السنة والجماعة نأتي الآن فنسأل ونقول : لماذا إختلفت آراء المعتزلة وآراء الأشاعرة أمام آراء أهل السنة والجماعة في قضايا التوحيد وأصول الدين ؟

ولماذا إختلفت آراء كل شخصية عن الشخصية الأخرى في الفرقة الواحدة ؟

ومن أين استمد هؤلاء آراءهم ؟ ومن كانوا يقصدون بهذه الآراء ؟ هل كانوا يقصدون الفلاسفة والرد عليهم أم غيرهم ؟ وكذلك من أين استقت كل فرقة قواعدها الكلامية في تأسيس مناهجها في القضايا الآلهية ؟

ثم السؤال المهم أيضا :

ما هو المدخل الرئيسي لدى الفلاسفة والفرق الكلامية في قضية أزلية وأبدية أفعال الله تعالى بالذات ؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة نقول :

إن الإجابات المفصلة لجوهر الإختلاف بين الآراء لدى الفرق الكلامية والفلاسفة وبين آراء الشخصيات المتعددة في الفرقة الواحدة تجاه هذه القضايا بالتفصيل سيكون في المباحث القادمة.

ولهذا عرضنا في الصفحات السابقة - باختصار - عن بعض آراء الشخصيات في فرقتى المعتزلة والأشاعرة ومررنا عليها مروراً عاما من غير تحليل ومناقشة

لأننا أردنا هنا العرض التاريخي التحليلي بالتسلسل الفكري للخوض في أفعال الله تعالى و أسمائه وصفاته وبقية أبو اب ومسائل التوحيد عامة.

وسوف نخصص لكل فرقة مبحثاً نعرض فيه أهم الآر اء بالنسبة لأزلية و أبدية أفعال الله تعالى ثم نقوم بالمناقشة و التحليل .

و الذي نود ذكره هنا هو أن الخوض في أزلية و أبدية أفعال الله تعالى بشكل منظم ومقعد لم يظهر إبتداءاً إلا من عند الفلاسفة. فالحديث في هذه القضايا بالتفصيل مرتبط بكلام الفلاسفة و أرائهم في إثبات و اجب الوجود وتصورهم له، ثم قضية متابعة الفلاسفة الإسلاميين لهم. وهل إتفقوا على أزلية و أبدية العالم ؟ وهل هو متقدم مع الله تعالى تقدم ذات وفعل ؟ أم أنّ العالم قديم، و أفعاله قديمة ؟ وماذا كان موقف المتكلمين من نظرية الفلاسفة هذه ؟

هل اتبعوهم ؟ أم خالفوهم ؟ فإن خالفوهم فماذا كان رد الفلاسفة عليهم ؟

وهل اتفقت المعتزلة و الأشاعرة في الرد على الفلاسفة ؟ أم أن كل فرقة اتخذت لها طريقا ومسلكا في الرد يختلف عن الأخرى ثم ما موقف أهل السنة و الجماعة من هذه الردود ؟ وما موقف كل من الفلاسفة و المعتزلة و الأشاعرة من الأفعال الإلهية من ناحية أزليتها و أبديتها ومن ناحية تجددها بين وقت وآخر؟ وهل هناك علاقة للإر ادة و القدرة و الخلق و الإيجاد لهذه القضية ؟

وحتى تتضح هذه الأمور، ومناقشة أهل السنة و الجماعة لهذه الآراء فإننا نخصص المبحث القادم لعرض ر أي الفلاسفة ومناقشته، و المبحث الذي يليه في بيان ر أي المعتزلة ومناقشته، و المبحث الذي يليه في بيان ر أي الأشاعرة ومناقشة ر أيهم. وننتقل الآن إلى المبحث الثاني.

المبحث الثاني : رأي الفلاسفة في أفعال الله تعالى:

ويشتمل على تمهيد ومطلبين : -

تمهيد : أفعال الله تعالى عند فلاسفة الإغريق .

المطلب الأول : أفعال الله تعالى عند فلاسفة الإسلاميين .

المطلب الثاني: مناقشة الفلاسفة في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى.

تمهيد: أفعال الله تعالى عند فلاسفة الإغريق :-

دلت الأخبار والنصوص والمصنفات العديدة على أن فلاسفة الإغريق، هم أول من تكلم في أزلية أفعال لله تعالى، بناءاً على تصورهم فى قدم العالم، أو قدم المادة الأولى التى تكونت منها أجزاء العالم (١).

فهذا (هرقليطس) (٥٤٠-٤٧٥) يقول بالدور العام المتكرر الذي لابداية له ولانهاية ، ومن قبله قال به تلميذ طاليس أنكسيمندريس (١١٠ - ٤٥٧) (٢) كما كان أفلاطون يرى أن المادة قديمة، كانت فى حال من الفوضى، وأن الله نظمها(٣) وجاء في نظرية أفلوطين(٤) : في الفيض التى تقول (إن الله تعالى هو الواحد الأوحد المطلق اللامتناهي وهو لايتصف بأية صفة إيجابية، لأنه يخالف كل شيء، ويسمو على كل شيء ،... وهو حضور دائم بذاته أمام ذاته، وهو لايخضع للوجود، لأنه مصدر كل وجود، ... وهذا الواحد لايمكن أن يظل غارقا في وحدته إلى الأبد، لكن يشع منه نور ينتشر فيفيض على ما حوله دون أن ينقص منه شيء... وينتج عنه إنبثاق شبيه له هو الأقنوم الثاني أو العقل، ألا ترى إلى الحرارة التى تشع من اللهب، إنها شبيهة باللهب لكنها أقل كمالاً منه... وهذا الأقنوم يشبه الواحد في وحدته، ولكنه يقبل الكثرة ، فيتأمل ذاته فيصدر عنه، أقنوم ثالث وهو النفس الكلية ، أو نفس العالم التى ينشأ عنها المكان

١- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٧٨، الطبعة الخامسة، النهضة المصرية٦٦٩١

٢- المرجع السابق ص ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، وانظر: مسوعة أعلام الفلسفة لروني إيلي ألفاجـ١/ ٢٥٨-١٠٦ ط ١٤١٢/١هـ نشر دار الكتب العلمية ببيروت، تاريخ الفلسفة الأروبية في العصر الوسيط ليوسف كرم ص ٤٠، ١٨٢ ط / دار القلم ببيروت، الفلسفة الإغريقية د / محمد غلاب جـ ١/ص ٧١ - ٧٣.

٣- د/أحمد فؤاد الأهواني: أفلاطون، ص١٣٠، طبعة دار المعارف بمصر، يوسف كرم ص ٨٤.

٤- أنظر ترجمته : في موسوعة أعلام الفلسفة جـ١/١٠٦-١٠٨

والزمان ، وبذلك تكون قابلة للكثرة الحسية... الخ)(١) والناظر فى كتب فلاسفة الإغريق في الإلهيات عامة يجدهم يقولون بأزلية أفعال الله تعالى بناءاً على تصورهم أن الله تعالى علة تامة، وأن أفعاله لا زمة له، فالعالم كله قديم عندهم، وقدموا البراهين والحجج على ذلك.

فواجب الوجود عندهم: أنه حي بذاته باق بذاته، عالم بذاته، لايعتريه تغيير، وتأثر من غيره ، فهو تعالى غير محتاج إلى غيره، ولا متغير بسبب من غيره، سواء كان التغير زمانيا، أو مكانيا، ولهذا فأفعاله أزلية ، وحركات العالم أزلية.

وممن اشتهر بإثبات قدم العالم وقدم الحجج والبراهين على ذلك بعد أرسطو(٢) أبر قلس (٣) ، وقدم ذكر هذه الحجج الشهرستاني فى كتابه الملل والنحل وقام بالرد عليها، وذكرها د/عبد الرحمن بدوى في كتابه الأفلاطونية المحدثة عند العرب، وقد ترجمت هذه الحجج من اليونانية إلى العربية، على يد إسحاق بن حنين ، وأول من رد على أبرقلس يحيى النحوي فى كتابه: (الرد على أبرقلس) وقد تأثر بكتاب يحي النحوي الإمام الغزالي فى كتابه تهافت الفلاسفة في رده على الفلاسفة القائلين بقدم العالم ، وتأثر كذلك به أبو البركات البغدادى فى كتابه المعتبر (٤)والذي يهمنا هنا أن فلاسفة الإغريق كانوا

١- د/ يحي هو يدي: دراسات فى علم الكلام ص ٢٠٤، نقلا عن كتاب (الإيضاح فى الخير المحض) لأرسطو والذي نشره د/عبدالرحمن بدوي فى كتابه (الأفلاطونية المحدثة عند العرب).

٢- أنظر ترجمته: في موسوعة أعلام الفلسفة جـ١/٧٢

٣- أنظر ترجمته: في أعلام الفلسفة جـ١/٨

٤- أنظر: د/ عبدالرحمن بدوى الأفلاطونية المحدثة عند العرب ص٧٩ والشهرستانى فى الملل والنحل ص ٣٧٦، ٤٠٤ ، ود/ يحيى هو يدي، دراسات، فى علم الكلام والفلسفة ص ١٦٣، ٢٠٢، المعتبر لأبى البركات البغدادى ص١٩٨، الطبيعة: أرسطوطاليس ج١/ص ٥، ترجمة اسحاق حنين، تحقيق د/عبدالرحمن بدوي ط ١٣٨٤، الدار القومية - القاهرة، مكتبة البحث العلمي، رقم ٥٠٥٩.

يصرحون بقدم العالم وأن العالم أزلي وأن الجسم المستدير المتحرك حركة دائرية هو أزلي ولاوقوف لحركته، كما ثبت هذا عن أرسطو وغيره (١)ولكن هل كان هذا هو رأي جميع فلاسفة الإغريق؟ والجواب لا . فقد كان من أوائل فلاسفة الإغريق من يرى بحدوث موجودات العالم بمبادئها، وبسائطها ومركباتها. (٢).

وإذا كنا قد عرضنا آراء فلاسفة الإغريق في أزلية أفعال الله تعالى القائلين بالأزلية ,والقدم، والنافين لحدوث أفعال الله تعالى، والنافين كذلك لقيام الحوادث بذات الله تعالى ، كل ذلك من أجل صفات واجب الوجود التام من كل وجه، الذى لايعتريه أى تغيير، أقول إذا كانوا كذلك فما هو رأي الفلاسفة الإسلاميين الذين حاولوا الجمع بين الفلسفة والدين؟هذا ما سنعرفه في الصفحات القادمة.

المطلب الأول :أفعال الله تعالى عند الفلاسفة الإسلاميين:-

لقد إقتفى الفلاسفة الإسلاميون ، أثر أرسطوا و أشياعه في القول بقدم العالم وبالتالى القول بقدم أفعال الله تعالى ، وأنها أزلية بأزلية الله تعالى، مقارنة المفعول لفاعله، والعلة لمعلولها (٣)وتبنوا نظرية الصدور الأفلاطونية أو نظرية الفيض الأفلاطونية في تدعيم رأيهم ، ويعتبر الفارابي : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان (٢٥٩، ٣٣٩) هـ أول فيلسوف إسلامي تأثر في فلسفته بنظرية

١- الشهرستاني: الملل والنحل ص ٣٧٩ - ٣٨٥، د/عبدالرحمن بدوي: أرسطو عندالعرب ص ٨ الطبعة الثانية ١٩٧٨م

٢- الشهرستاني: مصارع الفلاسفة ص ٩٧، تحقيق سهير محمد مختار

٣- لأن الأزلى يستحيل أن يكون فعلا لفاعل مختار، ولما كان المبدأ الأول عندهم أزليا حكموا بكون العالم الذي هو فعله أزليا .

الفيض الأفلاطونية (١)وأثبت القول بقدم أفعال الله تعالى ، وتابعه الفلاسفة من بعده في ما ذهب إليه مع توضيح وتوسيع للفكرة.

وإذا تأملنا منهج الفلاسفة الإسلاميين فيما ذهبوا إليه من آراء نجد أنهم قد بدؤا فكرتهم بنظرتهم إلى الوجود، حيث قسموه إلى وجود ممكن وهو واجب الوجود بالغير،وإلى وجود واجب وهو واجب الوجود بالذات.يصور الفارابى ذلك فيقول : (إن الوجود على ضربين: أحدهما: إذا اعتبر ذاته لم يجب وجوده ويسمى ممكن الوجود.

الثاني: إذا اعتبر ذاته وجب وجوده، ويسمى واجب الوجود،وإذا كان ممكن الوجود إذا فرضناه غير موجود لم يلزم منه المحال، ولا غنى بوجوده عن علة ، فإذا وجب صار واجب الوجود بغيره.. ثم يقول: فيلزم من هذا أنه كان مما لم يزل ممكن الوجود بذاته، واجب الوجود بغيره (٢).

وخلاصة هذا النص أن / الممكن متأرجح بين الوجوب بالغير والاستحالة بالغير فإن وجد فبعلة أوجدته ويكون في تلك الحالة واجب الوجود، وإن عدم فبعلة : هي عدم علة الوجود. مع العلم بأنهم يجعلون المراد بالممكن هو المحكوم عليه بدوام الوجود بدوام علته وهو المادة الأولى الأزلية (أصل العالم) وهذا يعنى أن الفلاسفة لايمنعون تعاقب الكون والفساد على الحوادث الزمانية، ويفهم من ذلك من تقسيمهم للقديم إلى :-

- قديم بالذات : وهو الذي ليس لذاته مبدأ
- قديم بالزمان: وهو الذي لا أول لوجوده.

وتقسيميهم للحادث إلى :

- حادث بالذات : وهو الذى لذاته مبدأ.

١- أنظر : موسوعة أعلام الفلسفة جـ٢/١٢٦، ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ، ص ٧٦، الأعلام ج٧ ص٢٠

٢- الفارابى: عيون المسائل، ص ٤ مطبعة المؤيد، نشر المكتبة السلفية ١٩١٠م

- حادث بالزمان:وهو الذي لزمانه إبتداء(١).

فالقديم بالزمان: هو بعينه الحادث الذاتى وهو المادة الأولى الأزلية (أصل العالم) وهو المقصود دائما بوصف الأزلية ودوام الوجود لدوام علته التامة المباشرة وهو الله تعالى واجب الوجود بذاته.

أما الحادث الزماني وهو موضوع الفساد فليس معلولا مباشرا لواجب الوجود بذاته بل هو صادر عن الله بتوسط موجود آخر وهي العقول التى صدرت عن الله من الأول إلى العاشر.

ويفهم مما سبق أن الفارابى وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة الإسلاميين يرون بضرورة وجود الممكن وأزليته ، وأن ممكن الوجود يجب وجوده مع وجود السبب ولا يمكن أن يتصور عدمه وعلته التامة.

وهذا مايؤكده الفارابى فى فصوص الحكم فيقول: (الماهية المعلومة لايمتنع وجودها من ذاتها وإلا لم توجد، ولايجب وجودها بذاتها وإلا لم تكن معلولة، فهى في حد ذاتها ممكنة الوجود ويجب بشرط مبدئها وتمتنع بشرط لا مبدئها...) (٢) ومن ثم ذهبوا إلى إصدار واعتناق آراء محدثة في أفعال الله تعالى نذكر منها ما يخص موضوعنا:-

منها أنهم لما تناولوا أفعاله تعالى هل هي أزلية أبدية ، أكدوا القول على أنه تعالى متصف بعدة صفات كلها تؤكد وتقرر كونه تعالى علة تامة أزلية لايجوز قيام أمر حادث بذاته تعالى وأنه واجب الوجود من جميع جهاته، ولايتأخر عن وجوده وجود منتظر ولا إرادة منتظرة ، ولا علم منتظر، ولاصفة من الصفات التى تكون لذاته منتظرة (٣).

ومنها أنهم يجعلون واجب الوجود ثابت لايتغير، لأن معنى التغير: حدوث صفة

١- ابن سينا : النجاة ، ص ٣٥٥، مطبعة السعادة مصر - ١٣٣١هـ

٢- الفارابى : فصوص الحكم ص ١٢٦ - ١٢٨ ضمن كتاب المجموع مطبعة الخانجي ١٩٠٧م.

٣- انظر ابن سينا : النجاة ص ٣٧٢، الفارابي: أراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٨

لم تكن أو زوال صفة وحدوث أخرى (١).

ومنها أنهم ينفون التركيب والانقسام عن واجب الوجود أياً كان نوعه(٢).

وإذا كان القديم بالزمان هو الحادث بالذات ، وهو المادة الأولى الأزلية ، لايقوم بذاته حادث فهو تام من جميع الوجوه. فلا يجوز أن يتأخر عنه شيء من أوصاف كماله وجلاله ذاتيا أوفعليا فأفعاله أزلية لأن القول بحدوث أفعاله يقتضي التركيب والتغير ولهذا نفوا عن الله تعالى الصدور لأكثر من واحد متابعة للنظرية الإفلاطونية ولشبهة التركيب والتغير والتكثر، فقالوا لايصدر عن الواحد إلا واحد، ولو صدر عنه إثنان لاقتضى إثنينية فى ذات الواحد فمادام الأول واحداً يجب أن يكون الصادر عنه واحداً.

يقول ابن سينا(٣) : (.... أول الموجودات عن العلة الأولى واحد بالعدد، وذاته وماهيته موجودة لافي مادة ... بل المعلول الأول عقل محض ..) (٤)

ويقول أيضا: (تكثر الاعتبارات والجهات ممتنع في المبدأ الأول، لأنه واحد من كل جهة، متعال عن أن يشمل على حيثيات مختلفة، واعتبارات متكثرة، فإذن لم يمكن أن يصدر عنه أكثر من واحد)(٥).

يقول الإمام الغزالي : (قال الفلاسفة: إن الله متقدم على العالم بالإتفاق، فإن أريد أنه متقدم عليه بالذات، بالزمان، لزم أن يكون الله والعالم قديمين أو

١- أنظر آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٩ للفارابى

٢- ابن سينا: النجاةص ٣٧١، الإشارات والتنبيهات ص ٤٤، شرح الطوسى على الاشارات ص٤٤ القسم الثالث

٣- انظر: موسوعة أعلام الفلسفة جـ٢٨/١

٤- النجاة : ص ٣١٢- ٣١٣ الشفاء ، ص ٤٠٤، الرسالة العرشية ص ١٥، مقاصد الفلاسفة للغزالي ص ٢١٦طبعة دار العارف ١٩٦١، الآمدي : غاية المرام تحقيق حسن محمد عبد اللطيف ، ص ٢٠٤، أبكار الأفكار ج١ ص ٢١٨، الملل والنحل ص ٥١٤،

٥- الإشارات القسم الثالث والرابع ص ٦٤٦، ٦٤٧.

حادثين، وكونهما حادثين محال، فثبت أن الله والعالم قديمان الخ)(١). ويتعلل الفلاسفة على مبادئهم هذه في صدور العالم، بأنه : لو فرض أن الباري تعالى لم يصدر عنه العالم في الأزل ، بل صدر عنه فيما لايزال، فمعنى ذلك : عدم وجود مرجح للوجود أزلا ، بل إن هذا الوجود مجرد إمكان صرف، فإذا حدث العالم مثلا على رأى المتكلمين - بعد ذلك لم يخل أحد أمرين:-

إما أن يتجدد مرجح يقتضي الوجود بعد أن لم يكن وإما لم يتجدد مرجح -

فإن لم يتجدد مرجح، ولم يتميز حالة الترك على حالة الفعل في الفاعل فإن العالم سيبقى على الإمكان الصرف ، أو يلزم الترجيح بلا مرجح، وعدم الترجيح بلا مرجح أصل هام في دليل إثبات الواجب .

وأما إن تجدد مرجح وتميزت حالة الفعل على حالة الترك في الفاعل، فالفلاسفة يوجهون أسئلة لهذا الحدوث فيقولون:-

لِمَ لَمْ يحدث العالم قبل حدوثه؟ ويقولون يستحيل أن يكون ذلك لعجز القديم عن الإيجاد أزلاً، أو يكون لاستحالة وجود العالم أزلاً.

فإن الأول يؤدى إلى أن ينقلب القديم الواجب من العجز إلى القدرة.

والثاني يؤدي إلى أن ينقلب العالم من الإستحالة إلى الإمكان وكلاهما محال.

ويستحيل كذلك أن يحال عدم الإيجاد أزلا إلى نفي الغرض أزلا ، ثم تجدد غرض ، أو يحال على فقدان آلة ثم وجودها، لأن الباري تعالى لايفعل لغرض ولا بواسطة آلة.

والأقرب أن يحال عدم الإيجاد أزلاً إلى الإرادة بمعنى أن الواجب لم يرد وجوده أزلا إلا أنه لو كان الأمر كذلك ، للزم من ذلك أنه تعالى صار مريداً لوجوده، بعد أن لم يكن مريدا ، فتكون الإرادة قد حدثت في ذاته بعد أن لم تكن، وحدوث الإرادة فى ذاته محال لأنه واجب الوجود من كل وجه، وحدوث

١- تهافت الفلاسفة: الغزالي ص ١١٠

الإرادة لافي ذاته لايجعله مريدا، لأنه حدث من غير جهة الله تعالى وبدون سببه فليكن العالم حادثا لامحدث له على أساس عدم الفرق بين الحادث والمحدث (أى أن العالم قديم)(١) وأما أن نفرض أن العالم حدث بإحداث الله فلم حدث الآن ولم يحدث قبل؟

إن كان الحدوث لعلة أو غرض أو قدرة أو طبيعة عاد الكلام إلى علة حدوثها ولزم التسلسل، إذاً العالم قديم لأن الله تعالى واجب الوجود لجميع صفاته، فهو تعالى تام الفاعلية منذ الأزل، فوجب أن يكون فاعلا دائما وأن يكون مفعوله أزليا(٢)وصدور العالم عن الله أزلا هو من تمام كماله وفاعليته، والقول بحدوث العالم هو وصف له بالعجز وهذا محال. وإثبات الإرادة الحادثة التى من شأنها التخصيص والترجيح هو أيضا محال لأنه ترجيح بلا مرجح يلزم منه التسلسل.وخلاصة القول أن الفلاسفة يتخذون من إعتناقهم نظرية العلة التامة وفكرة الترجيح بلا مرجح وغيرها من نظريات الفيض والصدور أساساً قوياً في تدعيم رأيهم في الأمور التالية:

١ - القول بقدم وأزلية أفعال الله تعالى، وأوضح دليل يثبت لنا ذلك تبنيهم فكرة القول بقدم العالم، وقدم أجزاء ومركبات وموجودات العالم لأنه لايجوز عندهم تأخر المفعولات الإلهية عن فاعلها ومبدعها وهو الله تعالى.

يقول ابن سينا: (جميع ما سوى الله فعله، وصدر عنه لذاته، ولايشترط أن يسبقه عدم ولازمان، لأن الزمان تابع للحركات وهو من فعلها..)(٣).

١- أنظر: تهافت الفلاسفة: الغزالي ص ٨٨-٩١، بتصرف، تحقيق. د/سليمان دنيا جـ٤/١٣٨٥. دار المعارف . القاهرة.

٢- الإشارات والتنبيهات ص ١٠٨ - ١١٠ لابن سينا، وكذلك تهافت الفلاسفة للغزالى ص ٩٠ - ٩٢، النجاة لابن ص ٤١٥ - ٤١٦

٣- ابن سينا: الرسالة العرشية ص ٣١، وانظر تهافت التهافت لابن رشد ص ١٣٩ والشفاء ص ٣٧٩، النجاة ص ٢٩٢.

٢ - القول بنفي قيام الحوادث بذات الله تعالى، بناء على أنه سبحانه وتعالى فاعل بالإيجاب ، وأن أفعاله أزلية قديمة، وأما وجواز قيام الحوادث معناه جواز تجدد الأفعال في ذاته وهذا يؤدي إلى تغيير معلومات الله، وواجب الوجود ثابت لايتغير، لأن معنى التغير حدوث صفة لم تكن ، أو زوال صفة وحدوث أخرى، وليس أوضح لهذا الأمر مما صرح به الفارابي من أن: وجوده تعالى بما يفيض عنه وجود غيره، ليس بأكمل من وجوده الذي هو بجوهره، ولا وجوده الذي هو بجوهره أكمل من الذي يفيض عنه وجود غيره بل هما جميعا ذاتا واحدة) (١).

وهذا يعني استحالة تصور قيام امر حادث بالذات، ناشيء عن الإيجاد والإبداع فلا يحتاج الباري إلى أى معنى يقوم به ، ولا آلة قائمة بذاته ولاخارجة عن ذاته فأى معنى من معاني الاحتياج ينافي وجوب وجوده، وهذا هو تحقيق كونه تعالى علة تامة أزلية فهو واحد وفعله الأول واحد لأنه لو صدر عنه إثنان لكان ذلك الصدور على جهتين مختلفتين، والإثنينية في الفعل تقتضي الإثنينية في الفاعل فيكون مركبا والخلاصة أنه ليس له صفات ثبوتية وليس له أفعال متجددة ولايعقل فيه معان متعددة لأنها تؤدي جميعا إلى التركيب (٢).

وبنفس هذه الشبه وغيرها من التغير نفوا علم الله تعالى بالجزئيات (٣)

١- أنظر الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٩، ٢٤.

٢- ابن سينا: الرسالة العرشية ص ١٥، الإشارات والتنبيهات، تحقيق د/سليمان دنيا ص ٢١٦ ، أحمد بن تيمية ، الفتاوى ج ١٧، ص ٢٢٧، الرد على المنطقيين ص ٣١٤، إبن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال ، تحقيق محمد عمارة ص ٧٦. طبقة دار المعارف ، الطبعة الثامنة ١٩٨٣م

٣- انظر تهافت التهافت لابن رشد ج٢/ص٦٧٥،د.سليمان دنيا ط/دار المعارف مصر ١٣١٩،تهافت الفلاسفة للغزالي ص٢٠٧،تحقيق/د.سليمان دنيا ،الاشارات ج/٣ص٢٢٦،النجاة ص٢٤٦،ط٢/١٣٥٧،مطبعة السعادة-مصر

المطلب الثاني : مناقشة الفلاسفة في أزلية أفعال الله تعالى وأبديتها:-

رأينا فيما سبق أن قول الفلاسفة بأزلية أفعال الله تعالى كان معتمداً على القول بقدم العالم بناءاً على تصورهم لأدلة وقواعد عقلية ظنوا صحتها وصدقها وهي في أساسها باطلة.

ويهمنا الآن مناقشة هذه القضية:-

١ - قولهم : بأن المبدع علة تامة موجب بذاته، وأن العالم معلول له ، موجب له، مفيض له متقدم عليه بالشرف والعلية والطبع، فإنه يقال لهم: لو كان علة تامة موجبة يقترن بها معلولها، لم يكن في العالم شيء محدث، فكل قول يقتضي أن يكون شيء من العالم أو من أفعال الله تعالى قديما لازماً لذات الله فهو قول باطل. لأنه يؤدي إلى أن الله تعالى علة تامة لايتأخر عنها شيء من معلولها. وحدوث الحوادث دليل على أن فاعل الحوادث ليس بعلة تامة في الأزل، وإذا انتفت العلة التامة في الأزل. بطل القول بقدم شيء من العالم(١).

٢ - قولهم :إن حدوث الحوادث بلاسبب حادث ممتنع لأنه يؤدي إلى تقدير ذات معطلة عن الفعل ثم فعلت من غير حدوث سبب.

ويقال لهم :إن هذا الاعتقاد، باطل، لأنه لايدل على قدم شيء بعينه من أفعال الله تعالى سواء العالم ، أو الأفلاك، أو أجزاء العالم، أو غيرها من أفعال الله تعالى. وإنما يدل على أنه سبحانه وتعالى لم يزل فعالا.

وإذا قدر أنه فعال لأفعال تقوم بنفسه، أو لمفعولات حادثة شيئا بعد شيء كان ذلك وفاءاً بموجب هذه الحجة (أي أنه سبحانه لم يزل فعالا) مع القول بأن كل ماسوى الله محدث بعد أن لم يكن ، فنوع الحوادث لاتزال تحدث شيئا بعد شئ

١- أنظر منهاج السنة : جـ ١ ص ١٤١، ٣٢٣، ١٥٠.

من أعظم البراهين على بطلان ماذهبوا إليه(١).

٣ - قولهم: إن الواحد لايصدر عنه إلا واحد، لأنه لو صدر عنه إثنان أو أكثر لاقتضى ذلك إثنينية في ذات الواحد، ولكنه واحد من كل جهة، ولايمكن أن يصدر عنه أكثر من واحد... إلى آخر كلامهم.

فيقال لهم :

أولاً: من قال لكم إن الواحد لايصدر عنه إلا واحد، وأين الدليل على ذلك؟ ومعلوم بديهة أن الواحد لايصدر عنه واحد أبدا في العالم المشهود، بل لابد من توفر الزوجين في كل شيء حتى يصدر عنه واحد أو أكثر من واحد.

ثانيا: إذا أردتم بقولكم إن الواحد هو الله تعالى وأنه لايصدر عنه إلا واحد فهذا أيضا باطل بالعقل والنقل، فكيف يكون المدلول عليه هو الدليل مع أنكم لاتعلمون حقيقة ذلك الواحد، ولاتعلمون كذلك كيفية الصدور منه وعنه فالواحد الذي تثبتونه هو وجود مجرد عن الصفات الثبوتية والسلبية ولاحقيقة له في الخارج ويمتنع تحققه، وإنما هو أمر يقدر في الأذهان كما تقدر الممتنعات(٢).

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :(ولهذا من قال : إن الله لايصدر عنه إلا واحد، لأن الواحد لايصدر عنه إلا واحد كان جاهلا، فإنه ليس في الوجود واحد صدر عنه وحده شيء لا واحد ولا إثنان، إلا الله الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون) (٣)

ثالثا : مما يدل على بطلان ما ذهبتم إليه أن بعض أئمتكم لم يقتنعوا بهذا القول بل رفضوه بالكلية كابن رشد، وأبي البركات البغدادي

١- أنظر منهاج السنة جـ١، ص ١٤٩

٢- المرجع السابق جـ ١ ص ٤٠٢.

٣- التدمرية : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص ٢٣١ - ٢١٢. تحقيق محمد السعوي

وغيرهما(١).

رابعا: ولو قدر تعدد المصدر: فهو تعدد أُمور إضافية، وتعدد الإضافات والسلوب ثابتة له بالإتفاق، ولو فرض أنه تعدد صفات فهذا يستلزم القول بثبوت الصفات وهذا حق (٢).

خامسا: على فرض صحة قولهم أن الصادر الأول لا يصدر عنه إلا واحد ، وهذا الواحدُ إن كان واحداً من كل وجه، لزم أن لايصدر عنه إلا واحداً وهلم جرا. لكن لم يصدر عنه واحد فقط بل صدر عنه أكثر من واحد. وهذا خلاف ما ذهبتم إليه. والحق: إن الصدور عن الله تعالى ليس كصدور الحرارة عن النار أوعن الشمس، بل هو سبحانه فاعل بالمشيئة والإرادة والإختيار وكلامهم يبطل المشيئة والإرادة والإختيار لله تعالى وحاشا لله أن يكون كذلك...(٣).

٤ - أما قولهم : أن أفعال الله قديمة بناءً على إعتقادهم بقدم العالم واتفاقهم على ذلك ، ومعنى ذلك أنه يمتنع عدم العالم .

فقد علم : أن ما ثبت قدمه من العالم أوشيء منه، إمتنع عدمه فإما أن يكون قديماً بنفسه، أو قديماً بغيره، والقديم بنفسه واجب بنفسه، والقديم بغيره واجب بغيره، وكل من قال إن العالم قديم أو شيء منه ، فلا بد أن يقول: هو واجب بنفسه أو بغيره، ولو لم يكن واجباً بنفسه لكان ممكناً مفتقراً إلى غيره (أى أنه محدث).

١- أنظر: في تهافت التهافت لابن رشد جـ١ / ص ٢٩٢، ٣٥٠

٢- منهاج السنة جـ١ ، ص ٤٠٢

٣- منهاج السنة : جـ١، ص ٤٠٢

وقد ثبت أن ما كان محدثا يستحيل أن يكون قديما، وما كان قديما بنفسه يستحيل أن يكون قديماً بغيره، وقد فرضتم أنه قديم بنفسه ، فثبت أن ماهو قديم بنفسه فهو واجب بنفسه. أما القديم بغيره : فأكثر العقلاء يمنع أن يكون شيء قديما بفاعل.

ومن جوز ذلك فإنه يقول : قديم بقدم موجبه الواجب بنفسه ففاعله لابد أن يوجبه، فيكون علة وجوبه أزلية.

أما إذا لم يوجبه، فقد جاز وجوده وعدمه، ومع وجوب عدمه يمتنع وجوده.

فيقال بعد هذا : فمالم يكن موجوداً بنفسه، ولاقديماً بنفسه، وليس هناك في الأزل شيء يوجب وجوده، لزم عدمه، فصح بذلك تلك القاعدة التى تقول:« إن ما ثبت قدمه إمتنع عدمه، وما جاز عدمه إمتنع قدمه» وتقدير الكلام: أن العالم جائز العدم ، فامتنع أن يكون قديما. وكل من يقول بقدم العالم أو قدم أفعاله فقوله باطل لأنه قد ثبت عدمه.(١).

هذه هي أهم الردود على أدلة الفلاسفة فيما ذهبوا إليه من أن العالم قديم وأن أفعاله مقارنة لوجوده مقارنة العلة لمعلولها وهناك الكثير من الأدلة على بطلان القول بأزلية أفعال الله تعالى التى قال بها الفلاسفة (٢) وننتقل إلى ذكر نوع آخر من الأدلة طالما لم تهتم بها الفلاسفة مع أنها من أهم وأعظم الأدلة وهي مقدمة على كل دليل عقلي ألا وهي الأدلة النقلية.

- **الأدلة النقلية على بطلان القول بأزلية أفعال الله تعالى بناءاً على قولهم بقدم العالم :-**

لقد أثبتت الآيات القرآنية في كتاب الله تعالى قضية خلق وإيجاد العالم ، والذي

١- أنظر منهاج السنة جـ١ ، ص ١٩٨.

٢- أنظر : في الرسالة الصفدية لابن تيمية جـ١ ص ١٣١ ، ١٣٥ ، مجموعة الرسائل الكبرى جـ١ ص ٣٣٠-٣٣٢ الفتاوي جـ ٨، ص ٨٦ - ٨٨، درء تعارض العقل والنقل جـ١ ص٣٣٠- ٤٠٦، جـ٢، ٢٨٢ ، ٢٨٨، جـ٣، ٢٦٩ ، ١٦٣ تهافت الفلاسفة للغزالي ص ٢٨٨

يعتبر من بعض أفعال الله . وتشير هذه الآيات إلى أن الله تعالى أحدث هذا الفعل في مدة معلومة مقدرة ونحن نشير إلى مجموعة من هذه الآيات الكريمة:-

١ - قال الله تعالى: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون. الآية﴾(١)

٢ - قال الله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾(٢).

٣ - وقال الله تعالى: ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾(٣) أما الآيات الدالة على أن أفعاله تعالى ليست قديمة، ولا أزلية - كما ادعت ذلك الفلاسفة - وأنها تتجدد من وقت لآخر، ومن زمن إلى زمن فهي كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وربُّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ (٤)، ﴿يسئله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ (٥).

﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ (٦).

﴿إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد﴾ (٧).

﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾(٨).

﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾(٩).

أما كيفية تجديد الفعل والخلقفمرد ذلك إلى الله تعالى، وإذا نظرنا وتأملنا

١- سورة : السجدة آية (٤)

٢- سورة:الروم آية (٤٠)

٣- سورة الزمر آية (٦٢)

٤- سورة القصص : آية (٦٨)

٥- سورة الرحمن: آية (٢٩)

٦- سورة البقرة: آية (٢٥٣).

٧- سورة البروج: آية (١٣-١٦)

٨- سورة: يس آية (٨٢).

٩- سورة النحل:آية (٤٠).

وتدبرنا نصوص القرآن الكريم، فإننا نجد الإجابة عن قضية تجديد الخلق والفعل، والإيجاد على ما يلي :
قال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر * وما أمرُنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾(١)، وقال تعالى :﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾(٢).

وفي حديث إبراهيم مع ربه حينما سأله عن كيفية إحيائه تعالى للموتى، أجابه سبحانه وتعالى بأن هذا يتم في تلك اللحظة الخاطفة على النحو التالي: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى * قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا﴾ (٣).
يقول الدكتور يحي هويدي : (إن الإسلام قددلنا فيما يتعلق بمشكلة خلق الله للعالم نظرية متكاملة تقوم على فكرة رئيسية وهي الخلق في اللحظة الخاطفة، وكل أمر صدر عن الله أو يصدر عنه في هذا العالم، وكل أمر سيصدر عنه أيضاً في العالم الآخر مرهون باللحظة الخاطفة يقولتعالى ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدره * وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ (٤) وينبهنا إلى أنه إذا أراد أن يعلي الحق على الباطل فإن هذا لايحتاج منه إلا أن يقذف بالحق على الباطل، فإذا هو زاهق، والقذف يدل على سرعة الأداء و الفعل ...) (٥)

ووجه الدلالة من الآيات السابقة مايلي :
أن الله تبارك وتعالى أحدث هذا العالم المشهود وما فيه من مخلوقات علوية

١- سورة : القمر آية (٥٠، ٥١)
٢- سورة النحل : آية (٧٧)
٣- سورة البقرة: آية (٢٦٠).
٤- سورة القمر آية (٥٠-٥١)
٥- دراسات في علم الكلام : د/ يحيى هويدي ص ٢٣٥

وسفلية وهذه الحوادث من أفعال الله.

وهذا الإحداث والإيجاد هو فعل من أفعال الله تعالى الذي يدل على عدم أزلية هذا الفعل وأن هذا الخلق والإيجاد تم في مدة معلومة مقدرة بستة أيام، كما قال تعالى، في كتابه الكريم فى الآيات السابقة.

فهل من شركاء المشركين من يفعل من ذلك من شيء؟ سبحانه وتعالى عما يشركون أين هذه الآلهة المزعومة من الخلق والإيجاد وتوفير الرزق والإماتة والإحياء؟ .

والخلاصة: أن في الآيات دلالة ظاهرة على حدوث خلق السموات والأرض والكون وما فيه. وأنها ليست قديمة. كما أن العالم ليس بقديم.

أما الأحاديث النبوية فقد أثبتت أن الله تبارك وتعالى هو الأول الذي ليس قبله شيء وأنه سبحانه كان ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض ونشير إلى بعض هذه الأحاديث:-

١ - فعن عمران بن الحصين ، رضي الله عنه عن النبى ﷺ : أنه قال : (كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض(١) ٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء أقضي عنى الدين وأغنني من الفقر (٢).

٣ - وعن عبادة بن الصامت، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له : أُكتب، قال : يارب، وماذا أكتب؟ قال: أُكتب مقادير كل شيء

١- أخرجه البخاري :١٢٤/٩ (كتاب التوحيد) باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم)

٢- أخرجه مسلم جـ٨، ص ٧٨، (كتاب الذكر والدعاء و باب مايقول عند النوم)

حتى تقوم الساعة.(١).

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث: إخبار النبي ﷺ عن الله تعالى الذي كان وحده ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، وخلق القلم، وكتب في اللوح مقادير الخلائق حتى تقوم الساعة، وخلق السموات والأرض ، فدل ذلك أن خلقه سبحانه للسموات والأرض والعالم بما فيه لم يكن أزليا بل هو حادث وجد بعد أن لم يكن موجوداً .

والآن يمكننا أن نرد على الفلاسفة القائلين بأزلية أفعال الله تعالى بناءاً على قولهم بقدم العالم فنقول لهم : إن آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ذهبت إلى خلاف ما ذهبتم إليه من قدم العالم، وإنما أثبتت الآيات والآحاديث حدوث العالم الذي يمكننا أن نستنتج منه أن هذا الإيجاد والخلق فعل متجدد من أفعال الله تعالى الحادثة، والتيتتجدد في كل وقت حسب ما يحدثه الله تعالى بإرادته ومشيئته وقدرته.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (الذي نطقت به الكتب والرسل أن الله خالق كل شيء مما سوى الله من الأفلاك والملائكة ، وغير ذلك مخلوق ومحدث ، كائن بعد أن لم يكن، مسبوق بعدم نفسه، وليس مع الله شيء قديم بقدمه في العالم: لا الأفلاك ، ولا الملائكة سواء سميت عقولا أو نفوسا أو لم تسم) (٢).

أما قضية نفي قيام الحوادث بذات الله تعالى فنرجئه إلى ما بعد مناقشتنالرأي المعتزلة والأشاعرة لأنهم قد اتفقوا جمعياً على رأي واحد في هذه القضية.

وبعد هذه المناقشة، يمكن لنا أن نذكر خلاصة هذا المبحث، قبل أن ننتقل إلى مبحث آخر. .

١- أخرجه أبوداود (٤٧٠٠) فى السنة باب القدر، والترمذي (٢١٥٦) في القدر، واحمد ٣١٧/٥ والآجري فى الشريعة ص ١٧٧

٢- الصفدية جـ١ ص ٣١-٤١، وانظر منهاج السنة جـ ١ ص ٣٥٩

الخـــلاصـــة :-

مما سبق يتضح لنا أن الفلاسفة يعتقدون بأزلية أفعال الله تعالى ، حيث قالوا إن العالم قديم وإن مفعولات الله أزلية واجبة الوجود، والذي قادهم إلى ذلك إعتمادهم على نظرية العلة التامة الذي يلزمه مفعوله، والذي هو معلوله وموجبه ومقتضاه فلا يتأخر عنه. وليس معهم دليل على قدم شيء من العالم ، ولا أن الله قارنه شيء من مفعولاته، ولكن غاية مامعهم أنه لم يزل فاعلا، وإثبات نوع الفعل لايستلزم إثبات فعل معين ولامفعول معين، فقولهم بأزلية الفعل بناءاً على قدم العالم من الأفلاك ، أو العقول ، أو النفوس أو غيرها ليس لهم عليه حجة. بل هذا مما يلزمهم القول بحوادث تحدث بلا فاعل أصلا، أو قولهم هذا يتضمن أن الحوادث لا محدث لها وكل ما يذكرونه من الشبه على نفي حدوث العالم يلزمهم مثله في حدوث كل حادث مثل قولهم إن الفاعل لابد له من غرض، وقولهم إن التأثير إن كان قديما لزم قدم الأثر... إلى غير ذلك.

وإنما وقع التلبيس عليهم، لما أخذوا يحتجون على قدم العالم أو قدم الأفلاك بحجج ليس فيها مايقتضي ذلك، بل إما أن تقتضي الحجة نفي الفعل والإحداث بالكلية فيلزم فسادها بالضرورة، وإما أن تقتضي أن كل حادث مسبوق بحادث، وهذا لايدل على قدم هذا العالم، بل على أن الرب لم يزل فاعلا، إما أفعالا تقوم بنفسه، وإما مفعولات منفصلة تحدث شيئا بعد شيء ، وليس في هذا ما يقتضي صحة كلام الفلاسفة (١)

١- أنظر الرسالة الصفدية جـ١، ص ٥٩، ٦٠، ١٣١-١٣٤

المبحث الثالث: رأي المعتزلة في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى.

ويشتمل على : -

تمهيد : المعتزلة بين أزلية وأبدية أفعال الله تعالى وبين حدوثها.

المطلب الأول : رأي القائلين بشيئية المعدوم.

المطلب الثاني: مناقشة هذا الرأي.

المطلب الثالث: رأي القائلين بحدوث أفعال الله تعالى.

المطلب الرابع: مناقشة هذا الرأي.

تمهيد : المعتزلة بين أزلية وأبدية أفعال الله تعالى وبين حدوثها:-

تختلف المعتزلة في أفعال الله تعالى إختلافا بينا، فمنهم من يقول بأن أفعال الله تعالى أزلية قديمة بناءاً على أن المعدوم شيء ثابت في الأزل، وما ظهوره إلى الوجود العيني من اللاوجود إلا عملية إنتقال، ولايكسبه صفة جديدة، لأن كل وصف يجوز ثبوته في حال الحدوث فهو ثابت له بإعتباره معدوما (١)، وقد دافع بعض الباحثين المعاصرين عن هذا الرأى وقرره عند أكثر المعتزلة(٢).

ومنهم من يقول بأن أفعال الله تعالى غير أزلية ويرون أنها حادثة مسبوقة بالعدم ، كانت بعد أن لم تكن، وأنه سبحانه وتعالى صار فاعلاً قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه، ولأجل ذلك صار الفعل والكلام ممكنناً منه بعد أن كان ممتنعاً وأنه أنقلب من الإمتناع الذاتى إلى الإمكان الذاتى (٣).

ومهما يكن من أمر فإن جمهور المعتزلة قد مهدوا لأنفسهم طريق الوصول إلى العلم بالله عن طريق أفعاله سبحانه وتعالى.

يقول القاضي عبدالجبار: (إن الأصل في الوصول إلى العلم بالله تعالى لايعد أحد أمرين ، إما أن يكون حكماً صادراً عنه، أو فعلا واقعاً من قبله.

والأحكام إنما تصدر عن العلل، والله تعالى ليس بعلة، لأنه لو كان كذلك لأدى إلى وجوب ثان معه فيما لم يزل، فبقي أن الطريق إليه إنما هو الأفعال...)(٤).

وموضوعنا الذي يعنينا هنا هو أفعال الله تعالى أزليتها، وأبديتها وأعتقد أن

١- أنظرفي : الفرق بين الفرق ، للبغدادي ص ١٦٣، مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري جـ١، ص ٢٣٨، ٢٤٩، والملل والنحل للشهرستاني ص ٧٧،

٢- وانظر: دراسات في علم الكلام والفلسفة للدكتور يحي هو يدي.

٣- أنظر الفتاوي، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ١٨، ص ٢١٢، وانظر في شرح الأصول الخمسة ص ١٨٢-١٩٠

٤- القاضي عبدالجبار : شرح الأصول الخمسة ص ٨٩-٩١

مبحث أفعال الله تعالى عندهم له علاقة وثيقة بشيئية المعدوم، الذي يثبته المعتزلة.

وإذا أردنا أن نوضح موقف المعتزلة من أفعال الله تعالى فإننا نجدهم ينقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول:

ذهب هذا الفريق إلى إثبات شيئية المعدوم، وأنه شيء ثابت موجود، ولافرق بينه وبين الوجود العيني، وتصريحهم بأزلية الأفعال والمفعولات من حيث أنها أفعال ومفعولات قبل كونها. مماجعل بعض من صنف عنهم من المخالفين لهم، أن يلحق المعتزلة بالفلاسفة في القول بقدم العالم (الذي هو فعل من أفعال الله تعالى الأزلية) وفي الحقيقة، هناك بعض النصوص التي يشم منها هذا الرأي وهو متابعتهم وتأييدهم لفكرة القول بقدم العالم وقدم المادة الأزلية التى صنع منها العالم، ومع صحة تلك النصوص وصحة هذا القول، فليس القول بقدم أفعال الله تعالى هو مذهب جمهور المعتزلة أو غالبيتهم وسنتطرق لهذه النقطة بشيء من التفصيل بعد ذكر النقطة الثانية.

الفريق الثاني:

خالف الفريق الأول ولم يذهب إلى القول بشيئية المعدوم، لكنه خالف الفلاسفة في قدم العالم وأثبت حدوثه، وأقر بعد ذلك أن أفعال الله حادثة ، مسبوقة بالعدم، وتكاد النصوص والمصنفات تجمع على هذا الرأي من خلال إثباتهم أن الحوادث لها إبتداء، ومن خلال ردودهم على القائلين بأزلية أفعال الله تعالى وهذه النقطة تثبت على المعتزلة أكثر من النقطة الأولى، وهو أمر ظاهر في عامة المعتزلة من خلال كتبهم ومصنفاتهم وسنتناول هذه القضية بالتحليل والنقد بعد عرض القضية الأولى إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول : رأي القائلين بشيئية المعدوم:-

وهم المبالغون في إثبات المعدوم ، وأنه شيء ثابت في العدم، وهم الذين تأثروا بنظريات أرسطوا وأبرقلس وأتباعهم المثبتين لقدم المادة والصورة والهيولا، وتأثروا بنظريات الفيض والصدور الأفلاطونية في القول بأزلية المعلومات والأجسام وأزلية الأفلاك وحركاتها الدائمة الأبدية السرمدية(١).

وأول من أبتدع أزلية الشيئية في حال عدمها ، هو أبوعثمان الشحام شيخ أبوعلي الجبائي، وتبعه عليها طوائف من القدرية المبتدعة من المعتزلة والرافضة (٢)

وخلاصة قولهم: أن كل معدوم يمكن وجوده فإن حقيقته وماهيته وعينه ثابتة في العدم، لأنه لولا ثبوتها لما تميز المعلوم المخبر عنه من غير المعلوم، ولما صح قصد ما يراد إيجاده، لأن القصد يستدعي التميز، والتمييز لايكون إلا في شيء ثابت...(٣)

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (وهذا القول ... ، فيه شبه بقول القائلين بقدم العالم، أو القائلين بقدم مادة العالم وهيولاه المتميزة عن صورته...) (٤)

وقد ذهب الدكتور يحي هويدي إلى تعميم القول بقدم العالم على المعتزلة قائلاً: (أول من قال بقدم العالم هم المعتزلة، وهم من المتكلمين، ونستطيع أن نرجع الصورة التي قدمها المعتزلة لقدم العالم إلى ما كانوا قد عرفوه من أراء أفلاطون وأرسطو في المادة أو الهيولا الأولى التى تصورها أفلاطون (محاورة طيماوس) تصوراً غامضاً كما لو كانت في حالة من الفوضى، وعدم التحديد أو اللاتعين المطلق، وتصورها أرسطو على أنها متحركة حركة دائمة ، ولكنهما قد اشتركا أو اتفقا في تصورها على أنها موجودة مع الإله

١- أنظر : د/يحي هويدي، دراسات في علم الكلام والفلسفة ص ١٤٧ .

٢- المرجع السابق ص ١٤٨

٣- أحمد بن تيمية ، مجموعة الرسائل جـ٤، ص ٨.

٤- نفس المرجع . ص ٨

منذ القدم...) (١).

وقبل مناقشة هذا الفريق نود أن نأتي ببعض النصوص والشواهد التي أوردوها لإثباتهم لشيئية المعدوم.

ذهب أبو الحسين عبد الرحيم الخياط إلى القول بأن : الجوهر جوهر في القدم وأن العرض عرض في القدم وأن السواد سواد في القدم. وأطلق على المعدوم لفظ الثبوت.(٢)

وذهب أبوعلي الجبائي ، وابنه أبوهاشم أيضا إلى أن: كل وصف يستحقه الحادث لنفسه، أو لجنسه فإن الوصف ثابت له في حال عدمه.

وزعم أن الجوهر كان فى حال عدمه جوهراً، وكان العرض في حال عدمه عرضا وكان السواد سواداً والبياض بياضاً في حال عدمه(٣).

وقال عباد بن سليمان المعتزلي: (لم يزل الله عالماً بالمعلومات ، ولم يزل عالماً بالأشياء ولم يزل عالماً بالجواهر والأعراض، ولم يزل عالماً بالأفعال، ولم يزل عالماً بالخلق.....

وكان يقول : (المعلومات معلومات لله قبل كونها، والمقدورات مقدورات قبل كونها والأشياء أشياء قبل أن تكون ... والأفعال أفعال قبل أن تكون... والمخلوقات مخلوقات قبل أن تكون، والمفعولات مفعولات قبل أن تكون ...)(٤).

ومن كلامهم أيضا .

(أن الخلق كان خلقاً من المعدوم، وليس من العدم ، وفرق عند المعتزلة بين العدم والمعدوم، فالعدم هو الممتنع، والمعدوم هو الممكن الثابت الذي يجوز أن يوجد، فليس الخلق من العدم كالخلق من المعدوم، لأن الخلق من العدم معناه أن ما لم يكن أصبح كائناً، أو موجوداً .

١- د/يحي هيويدي، دراسات في علم الكلام ص ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩.

٢- الشهرستاني : الملل والنحل ص ٩٧، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٦٤.

٣- نفس المرجع ص ٦٤، وقد سبقت الترجمة عن الجبائي وابنه.

٤- على بن اسماعيل الأشعري : المقالات جـ٢ ص ٢٣٩-٢٤٠

أما الخلق من المعدوم فمعناه: أن ماكان على نحوما (أى ما كان له صفة الثبوت منذ القدم) أصبح كائنا على نحو آخر (أى إنتقل إلى الوجود العيني).

وأكثر المعتزلة إثباتا لهذا هو الخياط وأتباعه ولذلك سموا بالمعدومية لإفراطهم بوصفهم المعدوم بأكثر أوصاف الموجودات (١).

فإذا كان المعدوم شيئاً ثابتاً موجوداً قبل وجود الحوادث ، وكذلك الجسم إذا كان شيئاً ثابتاً موجوداً باعتباره معدوماً وجوداً سابقاً على الحوادث دل ذلك على قدم الجسم ، كما ذهب إلى ذلك الخياط.

وإذا كانت الجواهر والأعراض في حالة العدم جواهر وأعراضاً فليس معنى ذلك إلا قدم الجواهر والأعراض.

وإذا قالوا بأنها لم تزل أعياناً وجواهر وأعراضاً، ولم يكن حدوثها لمعنى سوى أعيانها فقد لزمهم القول بوجودها في الأزل.

وصاروا بذلك القول في التحقيق إلى معنى قول الذين قالوا بقدم العالم الذي هو مفعول ومصنوع لله تعالى.

ولهذا نجدهم يصرحون بأزلية أفعال الله تعالى كما قالوا إن الأفعال أفعال قبل أن تكون. والمفعولات مفعولات قبل أن تكون. (٢).

المطلب الثاني :مناقشة المعتزلة القائلين بأزلية المعدوم:-

إذا كانت المعتزلة تقول بأن المعدوم شيء ثابت في العدم وبالغوا في إثبات الشيء المعدوم ومنه أخذ بعض الباحثين على المعتزلة القول بقدم العالم فهل صحيح أن كل المعتزلة تقول بقدم العالم ؟ وقدم أفعال الله ومفعولاته؟ .

الحقيقة : ليس كل المعتزلة يذهبون إلى هذا والدليل على ذلك ما سنثبته عن جمهور المعتزلة فى خلق العالم ولكن مع هذا فإن هذه المبالغة من هؤلاء

١- أنظر: البغدادي : في الفرق بين الفرق ص ١٢٣، ١٦٣و ١٦٤، ١٢٧، الشهرستاني: في الملل ص ٧٧.

٢- أنظر: الأشعري في المقالات جـ١، ص ٢٣٩ - ٢٤٤، الشهرستاني: في الملل ص ٧٦

المعتزلة في إثبات المعدوم وشيئيته. فيه شبه بقول القائلين بقدم العالم، أو بقدم مادة العالم كما قال بذلك شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : وفيما يلي نناقش هذا القول :

أولا : إن سبب قولهم بشيئية المعدوم -والله أعلم - ظنهم أن المعدوم الذي يخلقه الله المتميز في علمه وقدرته أنه ثابت موجود في الخارج له شيء من صفات الوجود والوجوب. وليس الأمر كذلك، وإنما هو متميز في علم الله وكتابه وهؤلاء دخل عليهم الإشتباه من طريق علم الله تعالى بما يكون وما هو كائن وما كان ، فرأو أن الله سبحانه يعلم ما لم يكن قبل كونه وهذا العلم بالشيء الذي قبل أن يكون هو موجود ثابت. وهذا باطل فمن أين لهم ذلك العلم مع أن الواقع خلاف ذلك.

فالواحد منا يعلم الموجود، والمعدوم الممكن، والمعدوم المستحيل، ولكن ليس بمجرد العلم والتصور تكون تلك المعلومات والأشياء والأعيان ثابتة في الوجود فمثلا: يعلم الإنسان ما كان كقوم فرعون وأصحاب الأيكة وقوم ثمود وغيرهم، ويعلم ما يكون كالموت والحشر والجنة والنار وغير ذلك، ويعلم مالايكون من المستحيلات كأن يتصور الأنسان نفسه أنه أصبح ملك الدنيا، أو أنه يطير في طبقات الجو العليا من غير جناح، أو أنه إنقلب إلى إنسان صغير طوله نصف السنتميتر لكن هل هذه العلوم والتصورات ثابتة موجودة حاضرة؟ والجواب طبعا لا. لأنه ليس من الشرط كل من تصور شيئاً وجب ثبوته وحضوره في الوجود العيني (١)

ثانيا: ثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت العين في الواقع والخارج وإنما هو تقدير سابق، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبدالله بن

١- أنظر الفتاوى لابن تيمية جـ ج ص ٨-٣٠

عمرو عن النبي ﷺ قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »(١)وليس معنى ذلك أن الخلائق كلها موجودة ثابتة بعينها وأجسامها. بل بخلقها سبحانه حسب الأزمنة والحوادث كما يشاء سبحانه وتعالى.

ثالثا:- الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع الأصناف، أن المعدوم ليس في نفسه شيء، وأن ثبوته ووجوده وحصوله شيء واحد، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع .

قال الله تعالى لزكريا:﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾(٢)فأخبر أنه لم يك شيئا

وقال الله تعالى ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾(٣) وقال تعالى : ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾(٤)فأنكر عليهم إعتقاد أن يكونوا خلقوا من غير شيء خلقهم، أم خلقوا هم أنفسهم. ولهذا قال جبير بن مطعم: لما سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة أحسست بفؤادي قد انصدع وفي رواية كاد قلبي أن يطير...(٥)ولو كان المعدوم شيئًا لم يتم الإنكار، إذ جاز أن يقال ما خلقوا إلا من شيء، لكن هو معدوم فيكون الخالق لهم شيئا معدوما.

وقال الله تعالى: ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيئا﴾(٦)ولو كان المعدوم شيئا لكان التقدير لايظلمون موجوداً ولامعدوماً، والمعدوم لايتصور أن يظلموه.

أما قوله ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾(٧)فهو إخبار عن الزلزلة الواقعة أنها

١- أخرجه مسلم(١٦٥٣)فى القدر :باب حجاج آدم وموسى، والبيهقي في الصفات ص٣٧٤.
٢- سورة مريم آية ٩
٣- سورة مريم آية ٦٧
٤- سورة الطور آية ٣٥.
٥- أنظر : تفسير ابن كثير جـ٤، ص ٢٤٥
٦- سورة مريم آية ٦٠
٧- سورة الحج آية ١

شيء عظيم وليس إخبار عن الزلزلة في نفس الحال والوقت، ولو أريد به نفس الوقت والساعة لكان المرادبها شيئاً عظيماً في العلم والتقدير.

رابعاً: قولهم: بأن الماهيات والأعيان غير مجعولة ولامخلوقة ، وأن وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته قول مردود.

فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة :أن الماهيات مجعولة وأن ماهية كل شيء عين وجوده، وأنه ليس وجود الشيء قدراً زائداً على ماهيته، بل ليس في الخارج إلا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهيته وحقيقته، وليس وجوده وثبوته في الخارج زائد على ذلك.

وشبهة هؤلاء المعتزلة أن الإنسان عندهم يعلم ماهية الشيء ولايعلم وجوده ومن تدبر تبين له حقيقة الأمر في الفرق بين الوجود العلمي والعيني، وهذا الفرق ثابت في الوجود، والعين والثبوت، والماهية.

فثبوت هذه الأمور في العلم والكتاب والكلام ليس هو ثبوتها في الخارج والإنسان إذا تصور ما هية فقد علم وجودها الذهني، ولايلزم من ذلك الوجود الحقيقي الخارجي، فكان الفرق من جهة المحل لامن جهة الماهية والوجود.

ولهذا كان أول ما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ سورة ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ وذكر فيها النوعين فقال: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق﴾ فذكر جميع المخلوقات بوجودها العيني عموما ثم خصوصا، فخص الإنسان بالخلق بعد ماعم غيره، ثم قال ﴿إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (١) فخص التعليم للإنسان بعد تعميم التعليم بالقلم، وذكر القلم لأن التعليم بالقلم هو الخط وهو مستلزم لتعليم العلم، لأن العبارة تطابق المعنى ، فصار تعليمه بالقلم مستلزماً للمراتب الثلاث: اللفظي والعلمي

١- سورة العلق: آية (١ - ٥)

والرسمي ، بخلاف ما لو اطلق التعليم، أو ذكر تعليم العلم فقط لم يكن ذلك مستوعبا للمراتب.

فذكر في السورة الوجود العيني والعلمي، أما إثبات وجود الشيء في الخارج قبل وجوده فهو امر معلوم الفساد بالعقل والسمع وهو مخالف للكتاب والسنة والإجماع(١).

وبهذا يظهر لنا أن القول بشيئية المعدوم في الخارج قول باطل لمخالفته صريح الكتاب والسنة والإجماع، كما أن العقل يرده ولا يقول به لأنه يؤدي إلى القول بقدم مادة العالم كما يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وغيره من أرباب العقول والنهى واتباع الرسول ﷺ.

١- انظر مجموعة الرسائل والمسائل جـ٤ ص ٨-٢١

المطلب الثالث : رأي القائلين بحدوث أفعال الله تعالى:-

يضم هذا الفريق جمهور المعتزلة عامة والذين يتفقون، على أن أفعال الله تعالى ليست أزلية -خلافا للفلاسفة- بناءا على قولهم بحدوث العالم، فلايصح عندهم أن تكون أفعاله تعالى موجبة، سابقة على الوجود بالعلية والطبع، لأنها لو كانت موجودة في القدم، لما أمكن تصور إحداثها، لأن الموجودات لايمكن إيجادها، وبالتالي لايمكن أن يكون العالم مثلا فعلا لله تعالى.

ومن أجل هذا حاول المعتزلة إثبات حدوث العالم، كي يصلوا منه إلى أمور منها:-

١) الرد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم.

٢) إثبات محدث العالم وموجده الذي يتوقف عندهم العلم به إلا عن هذا الطريق العقلي المنطقي.

لذا فقد إعتمد المعتزلة القول بحدوث أفعال الله تعالى بناءا على نظرية الجوهر الفرد ويعتبر أبو الهذيل العلاف هو أول من استخدم هذه النظرية لإثبات حدوث أفعال الله تعالى ، وتابعه بقية المعتزلة سواء من البصرة أو غيرها، وقد اقتبس هذه النظرية من أصحاب مذهب الذرة اليونانية.

قال أبو رشيد النيسابوري:

(إن اول من أثبت الدلالة المبنية على الدعاوى الأربع(١)، فى حدوث الجسم هو أبو الهذيل العلاف ثم تبعه على ذلك سائر شيوخنا..)(٢) وطريقة المعتزلة في إثباتهم حدوث أفعال الله تعالى تتلخص في الأمور التالية:.

١ - إثبات الجوهر وهو : ماله حجم ، وقيل: ماله حيز يشغله، والحيز هو المكان، أو مايقدر تقدير المكان عن أنه يوجد فيه غيره.

١- انظر بيانها ص ٢٨٨، أ،ب،ج،د

٢- أبورشيد سعيد بن محمد النيسابوري: في التوحيد ديوان الأصول، تحقيق د/محمد عبدالهادي أبوريدة. نشر المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ص ١٠١

وينقسم الجوهر إلى قسمين:-

- الجسم: وهو الذي يتألف من جوهرين فأكثر.

- الجوهر الفرد: وهو الموجود المتحيز الذي له مكان يشغله، وليس له إئتلاف ولا تركيب بحال من الأحوال، فهو لايقبل القسمة لافعلا ولافرضا ولاوهما.

وهذا الجوهر الفرد: هو الذي أثبتته المعتزلة واتخذت منه قاعدة للقول بحدوث أفعال الله .

٢ - إثبات الأعراض التى تظهر على الأجسام كالألوان والطعوم والروائح والحرارة والبرودة والآلام والأصوات وهذه مدركة، أما غير المدركة كالحياة والموت والقدرة وغيرها من الإرادة الحادثة وأضدادها. والعرض هو / ما يستحيل عليه البقاء، وقيل هو المعنى القائم بالجوهر.

٣ - إثبات حدوث هذه الأعراض من خلال أنه يجوز عليها العدم والبطلان، ودليل عدمها وبطلانها أن الجسم المجتمع إذا تفرق بطل إجتماعه، وأن الجسم المتحرك إذا سكن بطلت حركته.

٤ - إثبات حدوث الأجسام والجواهر، وطريقة معرفة حدوثها أنها لم تنفك من الحوادث، ولم تتقدمها، وما لم يخل من المحدث يجب أن يكون مثله محدثا(١)

ودلالة حدوث الأجسام والجواهر مبنية على دعاوى منها:

أ / أن في الأجسام معاني هي الإجتماع والإفتراق والحركة والسكون.

ب / أن هذه المعاني محدثة.

ج / أن الجسم لم ينفك عنها ولم يتقدمها.

د / أنها إذا لم تنفك عنها ولم تتقدمها وجب حدوثها مثلها.(٢)

وهذه الطريقة لم ينفرد بها المعتزلة فقط، وإنما أخذ بها بقية الفرق الكلامية

١- أنظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٩٤-٩٥

٢- المرجع السابق ص ٥٩-٦٩ بتصرف، وانظر التعريفات لعلي بن الجرجاني باب الجيم في تعريف الجسم والجوهر والجزء ص ٧٨، ٧٩، ٨٣

من الأشاعرة والماتريدية وغيرها. . . (١)...

وسميت هذه الطريقة [دليل الحدوث] ومؤداه : أن العالم ينقسم إلى جواهر وأعراض، وأنه منحصر في هذين القسمين فلا يخرج عنهما ولا بد من إثبات حدوث كل من الجواهر والأعراض لإثبات حدوث العالم.

وجمهور المتكلمين يذهبون إلى هذا القول أيضاً، كما سيتضح لنا فيما بعد.

أما أدلة العلاف في إثبات حدوث أفعال الله تعالى- والتى تمسك بها المعتزلة من بعده- فهي كالتالي:

١) منها قوله : (أن للأشياء المحدثات كلاً وجميعاً وغاية، ينتهي إليه في العلم بها والقدرة عليها وذلك لمخالفة القديم للمحدث، فلما كان القديم ليس بذي غاية ولانهاية ولايجري عليه بعض ولاكل فوجب أن يكون المحدث ذا غاية ونهاية وأن له كلا وجميعا..)

وقال: (وجدت المحدثات ذات أبعاض، وماكان كذلك فواجب أن يكون له كلٌ وجميع، ولوجاز أن تكون أبعاض لا كل لها جاز أن يكون كل وجميع ليس بذي أبعاض فلما كان هذا محالا كان الأول مثله)..

٢) ومن أدلته أيضا: إستدلاله بقوله تعالى: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ (٢)و ﴿بكل شيء محيط﴾ (٣) وبقوله﴿وأحصى كل شيء عددا﴾ (٤) قال : (فقد ثبت بقول الله عزوجل أن للأشياء كلا، وأثبت نفسه عالما به محيطا له والإحصاء والإحاطة لاتكون إلا لمتناه ذى غاية...)(٥).

١- أنظر : الإنصاف للباقلاني: ص ٦ تحقيق زاهد الكوثري ط. الثانية، لمع الأدلة للجويني ص ٧٦، تحقيق د/فوقية حسين ط. الأولى، التوحيد لأبي منصور الماتريدي، تحقيق فتح الله خليف. دار المشرق- بيروت. ص ١١-٩١، ١٤١-١٤٢، ٢٣١-٢٣٣

٢- سورة البقرة آية (١٠٩)

٣- سورة فصلت آية (٥٤)

٤- سورة الجن آية (٢٨)

٥- عبدالرحيم الخياط المعتزلي : الإنتصار ص ٦١-٧١، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ٧٥٩١م.

ومعنى كلامه:

« أن هناك فرقا بين القديم والمحدث، فالمحدث له كل وجميع وغاية ، فهو محدود الذرع والمساحة، وكل شيء محدود لابد أن يكون ذا أبعاض، إذن المحدثات لها أجزاء.

ومادام كل محدث محدود المساحة أي له نهاية ، فلابد أن تكون الأجزاء التي يتألف منها الحوادث لها نهاية أيضا، أي أنها أجزاء لاتتجزأ، ومما يؤكد هذا أن الله تعالى قال في كتابه بأنه عليم ومحيط بكل شيء وأنه أحصى كل شيء عددا، ولايكون العلم والإحاطة والإحصاء إلاّ لذي نهاية القول وكل ماله نهاية له أول . إذاً الأشياء محدثة ولها أول» (١).

ومن هنا أطلقوا القول بأن جميع الحوادث لها إبتداء ولها أول مادام أن آحادها لها أول.

فيمتنع عندهم أن تكون هناك حوادث لا أول لها (٢) وإذا كان المعتزلة قد أثبتوا حدوث العالم باستخدام الجواهر الفردة فإن الفلاسفة يثيرون بعض الأسئلة وهي عن سبب حدوث العالم، ولماذا تأخر حدوثه إلى هذا الوقت ؟ ويستحيل تأخر حدوثه لعجز القديم عن الإيجاد أزلاً ؟ مع توفر العلة ويجيب المعتزلة عن سبب حدوث العالم من أنه راجع للإرادة الإلهية الحادثة التى لامحل لها، وهذا ما يوضحه أبو الهذيل العلاف، فيقرر: « أن خلق الشيء الذي هو تكوينه بعد أن لم يكن هو غيره. فالخلق عنده غير المخلوق ويفسر الخلق الذي هو غير المخلوق بأمرين هما:-

١) إرادته تعالى.

٢) قوله للشيء (كن).

وقد يستدل بظاهر قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن

١- أنظر دراسات في علم الكلام د/يحيى هويدي ص ١٨٤-١٨٥

٢- انظر : المحيط بالتكليف، ص ٦٦-٦٧ القاضي عبد الجبار .

فيكون﴾ (١)ولكن ماهي العلاقة بين الإرادة ، وقوله تعالى كن؟ هل هما قديمان فيقتضي ذلك عموم تعلق الإرادة بقوله كن؟ أم هما حادثان قائمان بذاته تعالى ، فيستدعي ذلك قيام الأفعال بذاته تعالى ؟

يجيب أبو الهذيل العلاف عن هذه العلاقه قائلا: (إن الخلق الذي هو القول والإرادة مع المخلوق في حاله، وليس بجائز أن يخلق الله شيئا لايريده، ولايقول كن فهما حادثان لافي محل) (٢)وخلاصة قوله:

أن الخلق عبارة عن إرادة وقول حادثان لا في محل بهما يكون الإيجاد ويتحقق الموجود من أفعاله سبحانه وتعالى.

ويعلل المعتزلة إثباتهم للإرادة الحادثة «والتي هي عندهم فعل من أفعال الله تعالى» (٣). بقولهم: «لو كان القديم تعالى مريداً بإرادة قديمة لوجب أن تكون هذه الإرادة مثلا لله تعالى»(٤) (ولو كان مريداً لذاته لوجب أن يكون مريداً لجميع المرادات) ثم إن تلك الإراداة لاتخلو، إمّا أن تكون حالّة في ذات القديم تعالى، أو في غيره، أولا في محل، فلايجوز أن تكون حالة في ذاته تعالى وإلا كان يجب أن يكون محلا للحوادث ، وذلك يقتضي تحيزه، وكونه محدثا، وقد ثبت قدمه، وإذا كان حالا في غيره فذلك لايخلو: إما أن يكون حياً، أو جماداً، ولايجوز أن يكون حالا في الحي، وإلا كان بإيجاب الحكم له أولى، ولايجوز أن يكون حالا في الجماد، إذ لو صح حلولها في الجماد لصح حلولها في بدن الحي أيضا، لأنه ما من عرض من الأعراض يصح حلوله في الجماد إلا ويصح حلوله

١- سورة النحل آية (٤٠).

٢- أنظر المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبدالجبار جـ٦، ص ١٣٧-١٤٢، المقالات للأشعري جـ٢ ،ص٥١.

٣- شرح الأصول الخمسةو ص ٤٣١

٤- المرجع السابق ، ص ٤٤٧.

في الحي، والمعلوم خلافه فليس إلا أن الإرادة موجودة لافي محل)(١).

ونلاحظ مما سبق إعتناق المعتزلة لنظرية الجوهر الفرد الأمر الذي أدى بهم إلى إثبات إرادة حادثة لايجوز بحال من الأحوال أن تكون إرادة قديمة لله تعالى ولايجوز أن يكون الله تعالى مريدا لذاته لأن ذلك يقتضي المثل والتحيز والحدوث، ولهذا نجدهم يصرحون بذلك، فعندهم لايجوز أن يكون القديم قديما بالفاعل، لأن من حق الفاعل أن يكون متقدما على فعله، وما تقدمه غيره لايجوز أن يكون قديما، لأن القديم هو مالا أول لوجوده.

ولايجوز أيضا أن يكون القديم قديما لمعنى لأن ذلك المعنى لايخلو إما أن يكون موجودا أو معدوماً، ولايجوز أن يكون معدوما لأن العدم مقطعة الإختصاص، ولأن الايجاب إما أن يصدر عن الصفة المقتضاة عن صفة الذات وهي مشروطة بالوجود فلا يجوز أن يكون معدوما، وإذا كان موجوداً فلا يخلو إما أن يكون قديماً أو محدثا ، ولايجوز أن يكون محدثا لأن العلة لاتتراخى عن المعلول، ولا يجوز أن يكون قديما لأنه ليس بأن يكون القديم قديماً لهذا المعنى أولى من أن يكون هذا المعنى قديماً للقديم، وهذا يؤدي إلى أن لاتتميز العلة من المعلول، وكذلك فإن المعنى إذا شارك القديم للزم منه الإحيتاج إلى معنى آخر وأدى ذلك إلى التسلسل (٢). وكذلك هذه المعاني تحتاج إلى محال محدثة، وما يحتاج في الوجود إلى المحدث حتى لايوجد من دونه يجب حدوثه.

وقالوا أيضا: (إن هذه الصفات الصادرة عن هذه المعاني متجددة فيجب في المؤثر فيها الموجب لها أن يكون متجدداً، فإذا ثبت تجددها ثبت حدوثها...) (٣).

١- المرجع السابق ص ٤٤٩. ولم يكتف المعتزلة بجعل الإرادة الحادثة سببا في حدوث أفعال الله تعالى، بل إنهم تعدوا ذلك، حيث جعلوا بعض الصفات الإلهية حادثة وقد تبعهم على هذا المسلك رجال آخرون من غير المعتزلة.

٢- شرح الأصول الخمسة ص ١٠٨.

٣- المرجع السابق ص ١١٠

وإذا كانت المعتزلة قد ذهبت إلى القول بحدوث إرادة لافي محل لإثبات نفي قيام المعاني والحوادث بذات الله تعالى فإنهم أيضا يذهبون إلى القول بحدوث الأكوان فيقولون: (وأحد ما يدل على حدوث الأكوان، هو أنها لوكانت قديمة لوجب في الصفات الصادرة عنها أن تكون واجبة فيما لم يزل، والصفة متى وجبت إستغنت بوجوبها عن العلة...) (١) .

ومن هنا قرر المعتزلة أن القديم تعالى واحد بذاته مخالف للحوادث، وأفعاله تعالى ليست قديمة لأنها لوكانت قديمة لشاركته في صفة القدم، وبالتالي فهي ليست أزلية والعالم ليس بأزلي بل هو حادث بحدوث الجواهر والأعراض القائمة به الدالة على أن لها محدثا مباينا عنها أحدثها وهو الله تعالى . الذي يستحيل أن يكون مثلها بل يتنزه عنها، لأنه لو كان مثلها لأدى ذلك إلى التسلسل فيجب أن يكون محدثها غير متصف بنفس صفاتها، من الإجتماع والإفتراق والحركة والسكون والجهة والتحيز والفرح والحزن واللذة والألم والمنفعة والمضرة، والغضب والرضا وغيرها من المعاني والصفات.

ومن هنا نستطيع أن نتكلم عن الأسس التى اعتمد عليها المعتزلة في نفي قيام المعاني القديمة والحادثة بذات الله تعالى فيمكن تلخيصها في النقاط التالية

١ـ إثبات المعتزلة حدوث الأجسام لإثبات حدوث ما يقوم بها من المعاني الحادثة، لأن هذه المعاني، إنما هي من خصائص الأجسام ولايجوز خلوها عنها فهي الدليل على حدوث ما تقوم به من الجواهر والأجسام لأن الجسم لايخلو من

١- المرجع السابق ص ١١١

الأكوان الأربعة من الحركة والسكون والإجتماع والإفتراق(١) أما أحكام هذه المعاني:-

١ / فعن طريق حلولها في ذات المتحرك.

ب / وأنها حادثة بعد أن لم تكن لأنه قد ثبت أنه ما من معنى من هذه المعاني إلا وينتفى بالضد.

٢- الأمر الثاني في نفي الحوادث القائمة بذات الله تعالى قائم على نفي الجسمية وأحكامها عنه تعالى، فالله تعالى ليس بجسم ومن ثم لايجوز أن يكون محلا للمعاني والصفات لأن القول بأنه محل للمعاني والصفات هو حكم له بأنه جسم متميز وإذا نفوا عنه كونه محل للمعاني إنتفى عنه الجسمية والتحيز، أما الشبه التي إستدل بها المعتزلة على أنه تعالى ليس بجسم لكي ينفوا بها المعاني القديمة والحادثة فهي كالتالي:

زعمهم أنه سبحانه وتعالى لوكان جسما لم يكن بد من تحيزه، فإنه إذا لم يكن كذلك لم ينفصل عن غيره، أما إذا كان متميزاً وجب أن لاينفصل عن كونه كائناً في جهة والكائن في جهة لايكون كائناً فيها إلاَّ لمعنى محدث ، فالقول فيه بأنه جسم يعيده إلى أنه محدث مع ثبوت الدلالة على قدمه....)(٢)

ويمكن لنا تلخيص مذهب المعتزلة ودليلهم على نفي قيام الحوادث بذاته تعالى على مايلي:-

أولا : لما ثبت عند المعتزلة أن المعاني لاتقوم بالأجسام إلا لكونها متحيزة فدل

١- القاضي عبدالجبار: المحيط بالتكليف ص ٤١، ديوان الأصول لأبي رشيد النيسابوري. تحقيق د/محمد عبدالهادي ص٢٥.

٢- المحيط بالتكليف ص ١٩٨

ذلك عندهم إستحالة قيام الصفة بالموصوف إلا إذا كان الموصوف متحيزاً ولما كان الله سبحانه وتعالى منزها عن التحيز والجسمية وجب عندهم عدم حلول الحوادث به تعالى، لأنها تقتضي الجسمية والتحيز.

ثانيا: إستخدام المعتزلة نفس الإستدلال وهو نفي الجسمية والتحيز عن الله تعالى إلى نفي المعاني القديمة القائمة بذاته تعالى كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والحياة لأن قيام الصفات مطلقا بذات الله يستلزم التركيب والتجسيم، فقالوا: ((لو كان الباري حيا بحياة، والحياة لايصح الإدراك بها إلا بعد إستعمال محلها في الإدراك ضربا من الإستعمال، لوجب أن يكون القديم تعالى جسما وذلك محال وكذلك الكلام في القدرة فلا يصح الفعل بها إلا بعد إستعمال محلها في الفعل ضربا من الإستعمال فيجب أن يكون الله جسما محلا للأعراض))(١).

ويصرح أبورشيد النيسابوري : بأن القادر بقدرة لايكون إلا جسما(٢)لأن الله تعالى لو كان عالماً بعلم قديم، وقادراً بقدرة قديمة وحياً بحياة قديمة لشاركته تلك الصفات في القدم ولو شاركته في القدم لشاركته في الألوهية(٣).

واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته، ولكن اختلفوا في وجوه وجودها، واتفقوا على أن كلامه تعالى محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف. ونفوا عن الله تعالى الجهة

١- القاضي عبدالجبار : شرح الأصول الخمسة ص ١٦٢.

٢- أبورشيد النيسابوري: ديوان الأصول ص ٥٣٥.

٣- الشهرستاني : الملل والنحل ص ٤٤

والمكان والتحيز والتغير والتأثر والإنتقال وما ثبت في النقل شيء من ذلك وجب عندهم تأويله(١).

ولما كان هذا النفي للمعاني القديمة يؤدي إلى تجريد الله تعالى عن صفاته وأنه أمر غير معقول جاء منهم من أثبت الصفات والمعاني القديمة ولكنهم لم يفرقوا بين الذات والصفة فجعلوا الصفة هي الذات والذات هي الصفة ومن الذين ذهبوا إلى هذا أبو الهذيل العلاف: فقال:(إن الباري تعالى عالم بعلم، وعلمه ذاته، قادر بقدرة، وقدرته ذاته حي بحياة وحياته ذاته...)(٢)، ويعني أن الذات تسمى باعتبار تعلقها بالمعلوم علما وبالمقدور قدرة ونحو ذلك.

وجاء غيره كالنظام والجاحظ فأثبتا بعض الصفات ولكن جعلها تعود إلى معنى السلب فمعنى كونه تعالى عالما عندهما أنه ليس بجاهل ومعنى كونه قادراً أنه ليس بعاجز وهكذا..

وجاء آخرون كأبي هاشم الجبائي وأتباعه فأثبتوا أحوالا وراء الذات وقالوا لله تعالى عالمية وقادرية لا علما ولاقدرة وقالوا بأن هذه الأحوال ليست بموجودة ولامعدومة.

واختلفوا أيضا في صفات الأفعال: فهل يقال أن الباري لم يزل غير خالق ولا رازق ولا جواد أم لا ؟ على ثلاثة أقوال :-

١) فذهب عباد بن سليمان وأتباعه، إلى القول بأنه: لايقال إن الباري لم يزل خالقا، ولايقال لم يزل غير خالق وكذلك ... قولهم في سائر الصفات والأفعال. (أي السكوت مطلقا لا إثباتا و لا نفيا).

١- الشهرستاني: الملل والنحل ص ٤٥.

٢- المرجع السابق ص ٤٩-٥٠ ، مقالات الإسلاميين للأشعري جـ٢، ص ٤٨٢

٢) وذهب الجبائي و أتباعه:الى أن الباري لم يزل غير خالق ولارازق فإذا قيل لهم: فلم يزل غير عادل؟ قالوا : لم يزل غير عادل ولاجائز؟ ولم يزل غير محسن ولاسيء، ولم يزل غير صادق ولاكاذب، قالوا لأنا إذا قلنا لم يزل غير صادق وسكتنا أو همم أنه كاذب، وكذلك إذا قلنا: لم يزل غير حليم وسكتنا أوهم أنه سفيه ولكن نقيد فيما يقع عند الايهام.. إلى آخر كلامهم.

٣) وذهب معتزلة بغداد والبصرة، إلى أن الباري عزوجل لم يزل غير خالق ولارازق ، ولايقولون لم يزل غير عادل ولامحسن ولاجواد ولاصادق ولاحليم لا على تقييد ولاعلى إطلاق (١).

واختلفوا في صفات الذات على أربعة أقوال:

القول الأول : زعموا أن للباري علم وأرجعت علمه إلى أنه عالم، وله قدرة وأرجعت قدرته إلى أنه قادر ولم يطلقوا هذا في شيء من صفات الذات والقائل بهذا النظّام وأكثر معتزلة البصرة وبغداد.

القول الثاني :

زعموا أن الله تعالى علم بمعنى معلوم، وله قدرة بمعنى مقدور ولم يقولوا ذلك من صفات الذات إلا في العلم والقدرة.

القول الثاني : وزعموا أن الله تعالى علما هو هو ، وقدرة هي هو، وحياة هي هو وسمعا هو هو، وكذلك في سائر الصفات، والقائل بهذا أبو الهذيل وأصحابه.

١- أنظر مقالات للأشعري جـ١، ص ٢٦٣-٢٦٤

القول الرابع :وهم أصحاب عباد بن سليمان السابق ذكرهم، فقالوا : لايقال لله علم، ولايقال لله قدرة، ولاسمع، ولابصر، ولايقال لا علم له ولا لاقدرة له(١).

هذا هو إستدلال المعتزلة لقضية الخلق والإيجاد في إثبات أو نفي أزلية وأبدية أفعال الله تعالى، ونخرج بعد هذا العرض بالأمور التالية:

١ - إستدلال المعتزلة على حدوث أفعال لله تعالى بالإرادة الحادثة التى لامحل لها والدالة على أنه قادر مختار في الأزل (٢).

٢ - الرد على الفلاسفة القائلين بإيجاب أفعال الله تعالى، ويظهر ذلك جليا في مناقشتهم للفلاسفة، في قدم العالم، ثم إثبات حدوث العالم (٣).

٣ - نفي المعتزلة قيام المعاني القديمة والحادثة، بذات الله تعالى وتأويل جميع النصوص النقلية التي تثبت شيئا من تلك المعاني وذلك تبعاً للفلاسفة متعللة بأن إثباتها يؤدي إلى القول بأن الله متحيز، وفي جهة، ومتغير، وشبيه بالحوادث، والأعراض.(٤) ٤ - تمسك المعتزلة بنظرية الجوهر الفرد في الإستدلال على وجود الله وإثبات حدوث العالم ومتابعة بقية المتكلمين لهم في هذا الأمر.

ونكتفي بهذا القدر من تصوير رأى المعتزلة، وأعتقد أنه قد وضح مذهبهم وبانت أدلتهم.

١- أبو الحسن الأشعري : المقالات . جـ ١، ص ٢٦٥.

٢- أنظر شرح الأصول الخمسة ص ٥٥١، المحيط بالتكليف ص ١٥٣.

٣- أنظر شرح الأصول الخمسة ص ١١٥

٤- شرح الأصول الخمسة ص ١٢٣، ٢٤٨، ١٦١، المغني في أبواب العدل والتوحيد، جـ٤، ص ٧ - ١١ - ٨٣ - ٩٩.

المطلب الرابع : مناقشة القائلين بحدوث أفعال الله تعالى:-

لقد تبين لنا فيماسبق أن جمهور المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم يذهبون إلى القول بحدوث أفعال الله تعالى وأن العالم عندهم حادث بالزمان عن طريق إثبات الجواهر والأعراض والأجسام وإثبات أنها متغيرة وكل متغير حادث فالعالم المركب من الجواهر والأعراض إذاً حادث، ثم جعلوا حدوث العالم عمدتهم لإثبات وجود الله تعالى فالعالم حادث وكل حادث لابد له من محدث.
وهذا المُحدث واحد بذاته ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر، حى عالم قادر مختار مريد قديم، ذاته صفاته. وصفاته ذاته، مع إختلاف فيما بينهم في الإرادة التى بها أحدث الله العالم هل هي حالة في ذاته ؟ أم أنها لا في محل ؟ لكن الذي لاخلاف بينهم هو أن العالم حادث بمعنى أن أفعال الله تعالى حادثة وليست قديمة ولا أزلية وجدت بعد عدم وأن بينه وبين وجود الله فاصلا لانهاية له من الزمان فهل هذا القول من المعتزلة والأشاعرة يعتبر صوابا ؟ وهل طريقتهم لإثبات صحة تلك القضية تعتبر صحيحة وهل لهذه الآراء علاقة ورابطة في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى ؟ وهل هذه الإجابات حلت الإشكال في قضية الخلق والإيجاد التي بدأت بين الفلاسفة والمتكلمين ؟

فيمايلي نقوم بالتحليل والنقد للإجابة عن هذه الأسئلة في النقاط التالية :-

١ - مدى صحة الإستدلال على الله تعالى وعلى أفعاله وصفاته بالجواهر والأعراض لدى المعتزلة والأشاعرة

- الحق أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان لم يرد عنهم شيء من هذا الكلام ولم يتواتر عن أحد منهم أنه أستدل على الله أو على صفة من صفاته أو على فعل من أفعاله بالأجسام والأعراض والجواهر

الفردة وغيرها(١) وإنما الذي ورد عنهم أنهم آمنوا بما جاء في القرآن بأنه سبحانه ﴿فعال لما يريد﴾(٢)وأن الفعل صفة كمال والذي يفعل أكمل من الذي لايفعل، لذا فالله تعالى وصف نفسه بأنه فعال ، وفعال صيغة مبالغة، فكل كمال يتصف به المخلوق يجوز أن يتصف به الخالق من غير أن يلحقه ذم أو نقص فالله أولى وأحق بأن يتصف به. وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالله أولى بأن يتنزه عنه ولهذا لم نجد أحداً من السلف تكلم في إرادة الله تعالى هل هي في محل أم لا ؟

ولما جاء هؤلاء ودرسوا علم الكلام وأرادوا إثبات وجود الله تعالى أتو بمنهج في الإستدلال مخالف لطريقة القرآن ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم فاستخدموا دليل الجوهر الفرد لإثبات وجود الله وإثبات حدوث العالم وإثبات حدوث أفعال الله تعالى، ولم يعتد السلف بهذه الطريقة لمخالفتها منهج القرآن وعدوا هذا العمل بدعة في الدين.

٢ - ولهذا استنكر العلماء هذه الطريقة وأبطلوا هذا الدليل لأنه يؤدي إلى تعطيل الله تعالى وتجريده عن صفاته وأفعاله عند المعتزلة ويلقي بظلال التأويل عند الأشاعرة والسبب في ذلك أنهم قاسوا الله تعالى الغائب عن نظرهم بالشاهد من الجواهر والأجسام والأعراض فكل ما ثبت من صفات للجواهر والأعراض من الحركة والسكون والتغيّر والتحيز والمكان والحدوث والإجتماع والإفتراق نفوه عن الله تعالى لأنه يستحيل أن يتصف الله تعالى بشيء من ذلك فهو إله واحد ليس كمثله شيء ولم يكملوا الآية بـأنه ، هو السميع البصير. ومن هنا وجدنا أن نظار المتكلمين لم يتفقوا على هذه

---

١) انظر : درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ١/٣٩ - ٤٨

٢- سورة البروج آية (١٦)

الطريقة ، وهي محل نزاع بينهم وقد لايتقرر بعض بنودها،

ولقد جاء شيخ الإسلام أحمد بن تيمية فأبطل القول بالجوهر الفرد وأبطل استخدام هذه الطريقة في إثبات وجود الله وفي إثبات صفاته وأفعاله يقول رحمه الله : ((فالمتكلمون الذين يثبتون الجوهر الفرد، كجمهور المعتزلة والأشعرية وغيرهم، ويقولون إن العالم لم يخل من الحركة والسكون ومن الإجتماع والإفتراق وهي حادثة، فالعالم مستلزم للحوادث .... ونقول: إثبات الجوهر الفرد باطل، والأجسام ليست مركبة من الجواهر الفردة ولا من الهيولي والصورة، بل الجسم واحد في نفسه ، وإذا ثبت أن الجسم يقبل التفريق فإنه لايقبله إلى غير نهاية، وإنما يقبله إلى غاية ونهاية وبعدها لايقبل التفريق وإنما تتحول إلى جسم آخر كما هو في الماء يقبل التفريق حتى يتحول هواءً.

ولما كان دليل هؤلاء المتكلمين مبنيا على مقدمتين إثبات الجواهر الفردة، وإثبات أن الأجسام مركبة منها أو إثبات أن السكون أمر وجودي والنزاع في ذلك مشهور والبرهان عند التحقيق لايقوم إلا على نقيض ذلك)) (١).

فعلم أن هذا الدليل لايؤدي الغرض المطلوب ، مع ما فيه من نقد وقدح، ومخالفة لمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم. والمسلمون لايحتاجون لإثبات شيء مما جاءت به الرسل لمثل هذه الطرق الباطلة.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :-

فإن إعترض معترض فقال : ما ذكرتموه يدل على أنه يمتنع أن يكون العالم خالياً من الحوادث ، ولكنا نقول (أى المعترض): إنه لم يزل مشتملا على الحوادث، والقديم هو أصل العالم كالأفلاك ونوع الحوادث مثل جنس حركات

١- ابن تيمية: منهاج السنة : جـ١ ص ٢١٢-٢١٣ بتصرف واختصار

الأفلاك فأما أشخاص الحوادث فإنها حادثة بالإتفاق، وحينئذ فالأزلي مستلزم لنوع الحوادث لالحادث معين فلا يلزم قدم جميع الحوادث ولاحدوث جميعها بل يلزم قدم نوعها وحدوث أعيانها كما يقول أهل السنة منكم من أن الرب لم يزل متكلما إذا شاء وكيف شاء ويقولون إن الفعل من لوازم الحياة، والرب لم يزل حياً فلم يزل فعالا كما هو معروف عن أئمتكم كأحمد بن حنبل وجعفر الصادق وغيرهم....).

فرد شيخ الإسلام على هذا الإعتراض قائلا:

(هذا قياس باطل وتشبيه فاسد، وذلك أن هؤلاء -(أى أهل السنة والجماعة) - إذا قالوا هذا، قالوا: الرب نفسه يفعل شيئا بعد شيء أو يتكلم بشيء بعد شيء وهذا ليس بممتنع بل هو جائز في صريح العقل فإن غاية ما يقال: أن يكون وجود الأول وانقضاؤه في الثاني، كما يكون وجود الوالد شرطا في وجود الولد،

وأما قولهم: إن الفاعل لم يزل فاعلا، كان المعقول منه أنه لم يزل يحدث شيئا بعد شيء، لم يعقل منه أنه لم يزل مفعوله المعين مقارنا له لم يتقدم عليه بزمان أصلا، وأيضا فالرب تعالى إذا لم يحدث شيئا إلا بقدرته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (١).

فلا بد أن يريد الفعل قبل أن يفعله، ولابد أن يكون قبل المفعول، والعقلاء يعلمون الفرق بين ما يفعله الفاعل لاسيما ما يفعله باختياره وبين ما هو صفة له من لوازم ذاته، ويعلمون أن لون الإنسان وطوله وعرضه، ليس مراداً له ولا مقدوراً له ولا مفعولاً له لأنه لازم له لايدخل تحت قدرته ومشيئته وأما أفعاله الداخلة تحت قدرته ومشيئته فهي أفعاله مقدورة مرادة، فإذا قدر أن هذه لازمة

١- سورة يسٓ آية (٧٢)

لذاته كاللون والقدر كان هذا غير معقول، بل كان هذا مما يعلم به أن هذه ليست أفعالا له ولامفعولات بل صفات له (١).

٣ - وعلى كل فالإستدلال بحدوث الأجسام لقيام الأعراض بها لإثبات حدوث العالم ومن بعده إثبات الصانع طريقة باطلة والإعتراض منصب على بطلان هذه الطريقة ليس على إثبات واجب الوجود، وكذلك الإستدلال بإمكان الأجسام التى هي طريقة الفلاسفة كابن سينا وغيره مبنية على نفي الصفات وهي طريقة التركيب فالمتصف بالصفات مركب عندهم والمركب مفتقر إلى أجزائه وهذه الطريقة لاتصلح في الإستدلال كما سيتضح لنا ذلك.وكذلك الإستدلال على الله تعالى بإمكان الصفات سواء كانت واجبة أو ممكنة قديمة أو حادثة وهذه الحجة مبنية على تماثل الأجسام وهي طريقة باطلة(٢). أما الإستدلال بحدوث الصفات والأعراض على وجود الصانع فهذا مسلك صحيح أثبته القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿أفرأيتم ما تمنون.أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾.
وكقوله تعالى: ﴿أفرأيتم ما تحرثون.أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾.
وكقوله تعالى : ﴿أفرأيتم النار التى تورون.أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾(٣).

لكن المتكلمين قصروا في هذا الإستدلال من وجهين :-

الأول : أنهم لايستدلون بنفس الحدوث، بل يجعلون الحدوث دليلا على إمكان الحادث ثم يقولون والممكن لابد له من مرجح، وهذا الإمكان هو ما يثبته ابن

١- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : منهاج السنة جـ١، ص ٢١٢ - ٢٢٥ بتصرف.

٢- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول. جـ٢، ص ٢٨٣

٣- سورة الواقعة آية : (٥٨ وما بعدها) ، وانظر تعليق ابن تيمية على الآيات في الدرء جـ٨ ، ص ٧٣.

سينا فيجعلون القديم الأزلي ممكنا يقبل الوجود والعدم وهذا مما خالفوا فيه سلفهم وسائر العقلاء فإنهم متفقون على أن الممكن الذي يقبل الوجود والعدم لايكون إلا حادثا.

الثاني : أنهم جعلوا الإستدلال بحدوث الصفات والأعراض مبنيا على مسألة الجوهر الفرد وأن الأجسام مركبة منها، وأن الحادث إنما هو اجتماع الجواهر وافتراقها، وحركتها وسكونها وهذه الأربعة هي الأكوان عندهم، فهم بهذا لم يسلكوا طريقة القرآن الكريم حيث ذكر سبحانه وتعالى ما خلقه من الجواهر التى هي أعيان قائمة بأنفسها مع ما نشاهده من أحداث الصفات والأعراض والإستدلال بها على الخالق سبحانه، وهؤلاء قد خالفوا طريقة القرآن الكريم من وجهين :-

أ - أنهم جعلوا الحوادث إنما هي أعراض لا أعيان.

ب - أنهم استدلوا بذلك على حدوث محل هذه الصفات والأعراض، بناءاً على أن الحادث صورة وهي عرض ولها محل، فتكون الأجسام التي هي محل هذه الأعراض حادثة، وهذا لايتم إلا ببيان إمتناع حوادث لا أول لها. ثم أرادوا أن يستدلوا بذلك على حدوث سائر الأجسام فاحتاجوا أن يبنوا ذلك على تماثل الأجسام.

وهذه ثلاث مقدمات ينازعهم فيها أكثر العقلاء بل يبينون فسادها بصريح المعقول فهي من جنس طريقة المعتزلة (١)

وخلاصة القول :

أن نقول إن هذه الطرق الكلامية ليست هي الطرق العقلية التى دل القرآن عليها ولا أرشد إليها. فطرق القرآن صحيحة عقلية لايمكن لعاقل أن ينازع فيها،

١- نفس المرجع السابق ص ٢٨٣

فحدوث المحدثات مشهود معلوم بالحس، وافتقار المحدث إلى محدث معلوم بضرورة العقل ، بل العقل يعلم إفتقار كل ما يعلم حدوثه إلى محدث ، كما يعلم إفتقار جنس المحدثات إلى محدث ، فتعلم الأعيان الجزئية الموجودة في الخارج ، كما تعلم القضية الكلية الشاملة لها، إلى سائر ما في هذا الباب من الآيات الدالة على معرفة الصانع سبحانه (١)فالموجود إما غني عن كل ما سواه، وإما مفتقر إلى غيره، والفقير إلى غيره لابد له من غني بنفسه، فعلم ثبوت الغني بنفسه على التقديرين(٢).

فالقول الصواب الذي عليه السلف والأئمة من بعدهم في قضية الخلق والإيجاد هو : أن الأثر يتعقب التأثير التام، فهو سبحانه إذا كوّن شيئا كان عقب تكوينه له كما قال تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾(٣) وهذا هو المعقول كما يكون الطلاق و العتق عقب التطليق والإعتاق، والإنكسار والإنقطاع عقب الكسر والقطع، فهو سبحانه ماشاء كان، ومالم يشأ لم يكن، فما شاء الله وجب بمشيئته وقدرته، وما لم يشأه إمتنع لعدم مشيئته له فهو موجب بمشيئته وقدرته، لابذات خالية عن الصفات ، وهو موجب له إذا شاءه لاموجب له في الأزل بل هو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار فهو الفاعل المختار بالمشيئة والقدرة(٤).

٤ - وأما قول المتكلمين : بأن الأجسام تتناهى في تجزئتها وإنقسامها حتى تصير أفراداً فكل جزء لايتجزأ وليس له طرف واحد حتى جعلوا هذا الكلام

١- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : درء التعارض جـ٧، ص ٢٣٥-٢٤١ بتصرف.

٢- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : موافقة صحيح المنقول جـ٢، ص ٢٨٣

٣- سورة ياسين آية (٨٢)

٤- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : درء التعارض جـ٤ ، ص ٢٩٣-٢٩٥ بتصرف

هو المتفق عليه بين المسلمين كما قال بذلك الجويني فنقول : قولكم هذا غير صحيح ولم يثبت ذلك عن أحد من السلف ولا أئمتهم وإنما ثبت مثل هذا عند طوائف المتكلمين (١).

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : (وأعجب من هذا أنهم (أى المتكلمين) يجعلون إثبات الجوهر الفرد دين المسلمين حتى يعد منكره خارجا عن الدين ، كما قال أبو المعالي وذووه ، بقولهم : إتفق المسلمون على أن الأجسام لاتتناهى في تجزأتها وإنقسامها حتى تصير أفراداً وكل جزء لايتجزأ ولا ينقسم. وإنما نعلم بالإضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين لم يبنوا شيئاً من أمر الدين على ثبوت الجوهر الفرد ولا إنتفائه وليس المراد بذلك أنهم لم ينطقوا بهذا اللفظ فإنه قد تجدد بعدهم ألفاظ إصطلاحية يعبر بها عما دل عليه كلامهم في الجملة، وذلك بمنزلة تنوع اللغات وتركيب الألفاظ والمفردات، وإنما المقصود أن المعنى الذي يقصده المثبتة والنفاة بلفظ الجوهر الفرد لم يبن عليها أحد من سلف الأمة وأئمتها مسألة واحدة من مسائل الدين ولا ربطوا بذلك حكما علميا ولا عمليا... وإنما أطبق أئمة الإسلام على ذم من بنى دينه على الكلام في الجواهر والأعراض ثم هؤلاء الذين ادعو توقف الإيمان بالله واليوم الآخر على ثبوته قد شكوا فيه، وقد نفوه في آخر عمرهم كإمام المتأخرين من المعتزلة أبى الحسين البصري، وإمام المتأخرين من الأشعرية أبى المعالي الجويني ، وإمام المتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين أبى عبدالله الرازي...)(٢).

فما اتخذه المعتزلة والأشاعرة دليلاً لإثبات حدوث أفعال الله تعالى بالإعتماد على الجواهر الفردة لايؤدي إلى غرضهم أولاً مع ما فيه من نزاع وذلك لأن

١- نفس المرجع جـ٥، ص ٣٩١-٣٩٢.

٢- أحمد بن تيمية بيان تلبيس الجهمية جـ١، ص ٢٧٢-٢٨٣ بتصرف.

إثبات الجواهر الفردة يؤدي إلى إثبات خلق العالم، كما أن إنكار الجواهر الفردة يؤدي إلى إثبات خلق العالم. فمن الذين أنكروا الجواهر الفردة إبراهيم النظام فأثبت حدوث العالم (١)وكذلك أنكر ابن سينا الجوهر الفرد مثل النظام لكنه لم يصل إلى حدوث العالم بل وصل إلى القول بقدم العالم. (٢).

ولما كان هذا الدليل يصلح للطرفين ويخدم الفريقين في إثبات حدوث العالم وفي إثبات قدم العالم وجب القول بعدم صلاحية هذا الدليل مع ما في استخدام هذا الدليل من مخالفة لمنهج الأنبياء والمرسلين والكتب السماوية والسلف الصالح كما سبق أن ذكرنا .

٥ - وإذا ذهب المتكلمون بعد هذا إلى القول بأن الله سبحانه وتعالى كان ولا عالم، ثم كان ومعه عالم وأن العالم حادث، بمعنى أنه صار موجوداً بعد أن كان معدوما وأن بينه وبين وجود الله فاصلا لانهاية له من الزمان وأن أفعال الله تعالى حادثة وليست قديمة ولا أزلية فإن قولهم هذا فيه نظر لأنه يستلزم منه أن الباري تعالى لم يزل معطلا عن الفعل أو غير قادر عليه ثم صار فاعلاً وقادراً من غير تجدد سبب أصلا أوجب له القدرة والفعل أو سبب اقتضى إمكانه.

وهذا يستلزم الإنقلاب من الإمتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي مع مافي هذا القول أيضاً من وصف الله بالعجز والتعطيل عن الفعل مدة لاتقاس بها مدة فاعليته وهذا نقص يجب تنزيه الله عنه.(٣).

١- أنظر الإنتصار : للخياط المعتزلي ص ٤٠ - ٤١، وانظر دراسات في علم الكلام د/يحيى هويدي. ص١٩١ – ١٩٥

٢- ابن سينا : النجاة ص ١٦٤ - ١٦٨، والإشارات والتنبيهات ص ٣ -٢٢ القسم الثاني.

٣- ابن تيمية : منهاج السنة جـ١، ص ١٥٦، بتصرف.

ويلزمهم أيضا أن الحادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثا فلا بد أن يكون ممكنا والإمكان ليس له وقت محدد، فمامن وقت يقدر إلا والإمكان ثابت قبله فليس لإمكان الفعل وصحته مبدأ ينتهي إليه فيجب أنه لم يزل الفعل ممكناً جائزاً فيلزم جواز حوادث لا نهاية لها(١). ومعلوم أن الممكن لايترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجح تام يستلزم وجوده وإلا لبقي وجوده جائزاً ممكناً غير لازم فلا يوجد، فما يزعمه المتكلمون من أن القادر المختار يمكنه ترجيح الفعل على الترك بدون أمر مرجح ممتنع عند عامة العقلاء، وكذلك القول بحدوث حادث بلا محدث ممتنع أيضا.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (وترجيح أحد المتماثليين بلا مرجح معلوم الفساد بالضرورة)(٢). ومقصودهم وهدفهم من هذا هو نفي الإرادة لله تعالى على حقيقتها فراراً من لوثة التشبيه بالأجسام والجواهر الفردة، ولذلك أنكرت عليهم الفلاسفة وغيرهم في سبب حدوث أفعال الله تعالى.

وهذا ما جعل المعتزلة أنفسهم يختلفون في نفي الإرادة وإثباتها بمنهج مخالف للسلف الصالح.

٦ - أما ما ذهب إليه بعض المعتزلة:

من أن الفاعل للعالم أحدث العالم بإرادة حادثة و أن إرادته محدثة ولايصح عندهم أن يريد بإرادة قديمة (٣).

١- ابن تيمية : منهاج السنة جـ١، ١٥٨ - ١٦٠ بتصرف.

٢- ابن تيمية الدرء جـ ٨ ، ص ٨١، ٢٩٣، ٢٩٤.

٣- القاضي عبدالجبار: المغني في أبوب العدل والتوحيد: جـ٦ ، ص ٣، شرح الأصول الخمسة ص ٤٤٠.

فيقال لهم: قولكم هذا باطل. لأنه قد ثبت أن إحداث المحدثات موقوف على الإرادة ، فلو كانت الإرادة محدثة لأفتقر إحداثها إلى إرادة أخرى ولزم التسلسل ، والقول بالتسلسل باطل فما يؤدي إليه مثله من القول بحدوث الإرادة باطل (١) ومعلوم أن الإرادة صفة ، والصفة قديمة بقدم موصوفها(٢).

أما قولهم أن الله تعالى أحدث العالم بإرادة حادثة لا في محل فهو أيضا باطل من وجوه:-

الأول : أن وجود عرض لا في محل بعيد عن العقول ، ولو جاز ذلك فلم لايجوز وجود سواد لا في محل وبياض لا في محل ؟ وهكذا القول في سائر الأعراض ويستحيل كون الإرادة لا في محل، فإن الإرادة من جملة الأعراض ، واحتياج الأعراض إلى المحل صفة ذاتية لها، ومن المحال ثبوتها دون الوصف الذاتي (٣)مع أن السلف لم يرد عنهم إطلاق إرادة لا في محل بل ورد عنهم أن الله تعالى متصف بالإرادة على مايليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تعطيل فهو المريد لأفعاله وإذا أراد أن يفعل أو أن يخلق شيئا قال له كن فكان كما قال تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (٤) ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾(٥)وغيرها من الآيات .

١- أنظر الأربعين في أصول الدين للرازي ص ١٥٣، ١٥٤، ونهاية الإقدام للشهرستاني ص ٢٤٥.

٢- ابن تيمية : منهاج السنة جـ٢ ، ص ٩٥.

٣- أنظر : نهاية الإقدام ص ٢٤٣، الأربعين في أصول الدين ، ص ١٥٤

٤- سورة يس آية (٨٢)

٥- سورة البقرة آية (٢٥٣)

الثاني : يلزم من قولكم أن الله تعالى أراد أن يحدث أفعاله لا في محل وأن يكون الله تعالى مريداً بإرادة قائمة لا في ذاته، ولو جاز أن يكون تعالى مريداً بإرادة قائمة لا في ذاته لجاز أن يكون عالما بعلم قائم لا في ذاته، وقادر بقدرة قائمة لافي ذاته إلى غير ذلك من الصفات... وإذا كانت هذه اللوازم باطلة بطل مايؤدي إليها من القول بأن الله مريد بإرادة لا في محل (١).

الثالث : إذا كانت المخلوقات متصفة بصفة المريدية، فلو جوزت إرادة لا في محل لكانت نسبة تلك الإرادة إلى ذات الله تعالى كنسبتها إلى سائر الذوات فوجب أن توجب صفة المريدية لكل من يصلح أن يكون مريداً لعدم الإختصاص ، ويلزم منه أن كل ما يريده الله يريده كل الأحياء، وهذا معلوم فساده وبطلانه ونخرج مما سبق بطلان قول المعتزلة

من أن الله تعالى مريد عندهم بإرادة حادثةلا في محل بل هو سبحانه وتعالى مريد بإرادة أزلية قديمة قائمة في ذاته متصف بها سبحانه على مايليق بجلاله وعظمته.

٧ - وأما ماذهب إليه النظام والكعبي والجاحظ من نفي الإرادة عن الله تعالى على الحقيقة وأنه إن وصف سبحانه وتعالى بها فإنه لايوصف بها إلا مجازا. فإذا ثبت عندهم أن الله تعالى مريد في الأزل فليس معناه إلا أنه عالم قادر غير مكره على فعله، ولا كاره له، وإذا ثبت أيضا أنه مريد لأفعاله فليس معناه إلا أنه خالق لأفعاله على وفق علمه.(٢).

وقال القاضي عبدالجبار: (وقال إبراهيم النظام إن إرادة الله تعالى إنما هي فعله أو أمره وحكمه)(٣). ويقول القاضي أيضا: (والمحكي عن شيخنا أبى الهذيل -رحمه الله- أن إرادة الله غير المراد، فإرادته تعالى لما خلقه هي خلقه

١- أنظر : غاية المرام في الكلام للآمدي ص ٥٩، وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ٦٩

٢- أنظر: الفرق بين الفرق ص ١٨٢، ونهاية الإقدام ص ٢٣٨، وأصول الدين ص ٩٠

٣- المغني في أبواب العدل والتوحيد جـ٦ ص ٤.

له... وإرادته لطاعات العباد هي أمرهم بها) (١).

وقال القاضي: (وقال الجاحظ : إنه تعالى مريد بمعنى أن السهو منه في أفعاله والجهل بها لايجوز عليه)(٢)

والرد على هذا أن نقول لهم :-

إن قولكم في نفي الإرادة باطل لأنه يلزم من قولكم وصف الله تعالى بالعجز وهو صفة نقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا، ويلزم أيضا أن تكون أفعاله غير إختيارية شبيهة بالأفعال الطبيعية عند أهل الطبائع(٣).

ثم نقول لهم : إذا زعمتم أنه قد كان في سلطان الله عزوجل الكفر والعصيان وهو لايريدها، وأراد أن يؤمن الخلق أجمعون فلم يؤمنوا فقد وجب على قولكم أن ما شاء الله أن يكون لم يكن، وأكثر ما شاء الله أن لا يكون كان لأن الكفر الذي كان وهو لايشاؤه تعالى عندكم أكثر من الايمان الذي كان وهو يشاؤه، وعلى هذا ما شاء الله أن يكون لم يكن، وهذا جحد لما أجمع عليه المسلمون من أن ماشاء الله أن يكون كان وما لم يشأ لا يكون(٤).

وإذا كانت المعتزلة قد أثبتت الفاعل لهذا العالم بالإستدلال بالجواهر والأجسام أمام الدهرية وغيرهم وأثبتت كذلك أن مفعولاته سبحانه وتعالى ليست قديمة أو ليست أزلية بمعنى أن مفعولاته ليست موجبة له كمقارنة الفاعل للمفعول أو العلة لمعلولها. وأنه إنما أحدث أفعاله: إما من غير إرادة ومثاله الجائع مع الرغيفين، أو بإرادة حادثة، أو بإرادة قائمة لا في محل.

فيقال لهم: قولكم هذا فيه حق وباطل.

١- المرجع السابق جـ٦، ص ٤

٢- المرجع السابق جـ٧، ص ٤

٣- نهاية الإقدام ص ٢٤٥، والإقتصاد في الإعتقاد ص ١٠٩

٤- الأشعري : الإبانة عن أصول الديانة ص ١٦٣، والإقتصاد في الإعتقاد للغزالي ص١٠٨

فأما الحق :

فهو أنكم أثبتم الفاعل لهذا العالم وهذا القول أحسن من قول الفلاسفة والدهرية ، وأنكم كذلك أثبتم أن الله تعالى قادر عالم مريد مختار وإن كان في هذا نظر(١).

وأما الباطل :

فإنكم قد جانبتم الصواب لما أولتم الإرادة بالإرادة الحادثة التى لامحل لها في تعليلكم سبب حدوث أفعال الله تعالى في الزمن الذي حدث فيه العالم وغيره من المفعولات الإلهية ولأجل ذلك استغل الفلاسفة وغيرهم قولكم هذا فقالوا لكم: يلزم من كلامكم أن الفعل كان ممتنعا في وقت من الأوقات وأنه كانت هناك فترة لايوجد فيها أفعال لله تعالى ويلزم من ذلك أنه سبحانه وتعالى كان معطلا لاقدرة له ولا إرادة ولا إختيار ولا مشيئة وهذا محال على الله تعالى.والحقيقة هذه جرأة منكم وتطاول على الله من غير دليل ولا بصيرة لا من كتاب ولا من سنة، والسبب في كل ما وقعتم فيه هو إعتمادكم الكامل على الأدلة العقلية القائمة على الجواهر الفردة وغيرها وإعراضكم للأدلة النقلية الصحيحة.

٨ - أشغل المعتزلة أنفسهم بالكلام في الجواهر والأعراض وأثبتوا أن الأعراض والمعاني حادثة ولاتقوم إلا بالأجسام المتحيزة وهذا أمر لانزاع فيه .

١- حيث خلطتم بين الذات والقدرة والإرادة والعلم فقلتم بأن علمه هو ذاته وقدرته هي ذاته وإرادته هي ذاته وأنها ليست هي هو ...... إلى آخر إختلافاتكم في هذا الباب وللزيادة لمن أراد فلينظر آراء المعتزلة في هذه المواضيع في: الإنتصار للخياط ص ٨٢-٨٥، رسائل العدل والتوحيد جـ٢ ، ص١٣٧،١٣٨ ، شرح الأصول الخمسة ص ٤٤٠ وما بعدها، المغني في أبواب العدل والتوحيد جـ٦ ، ص وغيره.

وانظر النقد: في بيان تلبيس الجهمية : جـ١ ، ص ٦٠٥ - ٦٠٧، والتدمرية والصفدية والفتاوى جـ٤، ص ٧٢٦، ومنهاج السنة ودرء تعارض العقل والنقل وغيرها من كتب أهل السنة والجماعة كالتوحيد لابن خزيمة ص ٣٣، وصحيح البخاري وشرحه لابن حجر جـ١٣ ص ٣٧٢، وانظر في الرسالة في الفصل الأول والثاني.

ولكنهم أخطأوا لما ماثلوا بين صفات الأجسام في كونها أعراضا حادثة قائمة بمتحيز، وبين صفات الباري في كونها قديمة باقية قائمة بذاته تعالى بمعنى الإختصاص الناعت لابمعنى القيام بمتحيز كما قال ابن قيم الجوزية.

وإذا كانت المجسمة قد أخطأت لما ماثلت بين الباري وبين الجواهر في التحيز والمشابهة في الذات. فإن المعتزلة خالفت المجسمة في ذلك وأثبتت الذات الإلهية الواحدة المخالفة لسائر الذوات والتى هي ليست بجسم ولكنها في الوقت نفسه نفت عنه الصفات القائمة به فراراً من تشبيه الباري بالأعراض والمعاني القائمة بالجسم.

وهنا يأتي سؤال للمعتزلة وهو / أنكم إذا كنتم قد أثبتم ذاتاً لله تعالى مخالفة لسائر الذوات فلم لاتثبتون له الصفات التى وصفها هو سبحانه لنفسه في كتابه ووصفها له نبيه ﷺ بنفس شرط الذات بأن تكون مخالفة لسائر صفات الذوات التى شاهدتموها فلا تكون عرضاً ولاتكون حالة في ذات الباري حلول العرض في الجسم بل هي قائمة به كما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل ولاتحريف ولاتعطيل ولا تشبيه؟ ثم يأتي سؤال آخر وهو/ أنكم لما نفيتم صفات الباري تعالى عنه سبحانه كنتم قد مثلتم صفاته بالأعراض والمعاني الحادثة فهل عندكم من علم أو بينة على أن صفاته أعراضاً ومعاني حادثة؟ ثم كيف أخضعتم الصفات الإلهية القديمة لما شاهدتموه من صفات الجواهر والأجسام ؟ وما الدليل على صحة ما تذهبون إليه غير قياس التمثيل؟

وإذا كنتم قد نزهتم الباري عن الجسمية والتحيز في نفيكم الصفات عنه فقد وقعتم فيما فررتم منه لما أثبتم له الأسماء من أنه عالم قادر مريد. فكما أنكم لم تشاهدوا قدرة ولاعلما ولاإرادة إلا وهي قائمة بمتحيز فكذلك لم تشاهدوا عالماً قادراً مريداً سميعاً إلا قائماً في جسم متحيز.

والحق: أن إستعمالكم دليل قياس الغائب على الشاهد في ماهية الصفات هو الذي أوقعكم في الباطل حيث قستم وطبقتم قوانين العقل على عالم السماء

والأرض. ولهذا إشتد إنكار السلف على أولئك الذين يأخذون بقياس التمثيل ويستعملونه في التوحيد وفي أصول الدين حيث لايصح أن يكون دليلاً لإثبات صفات الله تعالى وتوحيده وأفعاله .

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: ((والله تعالى له المثل الأعلى ، فلايجوز أن يقاس على غيره قياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع، ولايقاس مع غيره قياس شمول تستوي أفراده في حكمه فإن الله سبحانه ليس مثلاً لغيره، ولا مساوياً له أصلا. بل مثل هذا القياس هو ضرب الأمثال لله وهو من الشرك والعدل بالله ... ولهذا ذكر الوزير أبو المظفر بن هبيرة في كتاب الإيضاح في شرح الصحاح : أن أهل السنة يحكون أن النطق بإثبات الصفات وأحاديثها يشتمل على كلمات متداولات بين الخالق وخلقه، وتحرجوا من أن يقولوا : مشتركة لأن الله تعالى لاشريك له بل لله المثل الأعلى، وذلك هو قياس الأولى والأحرى، فكلما ثبت للمخلوق من صفات الكمال فالخالق أحق به وأولى،وأحرى به منه،لأنه أكمل منه ولأنه هو الذي أعطاه ذلك الكمال، فالمعطي لغيره أولى أن يكون هو موصوفاً به... وعلى هذا فجميع الأمور الوجودية المحضة يكون الرب أحق بها، لأن وجوده أكمل، ولأنه هو الواهب لها فهو أحق باتصافه بها، وجميع الأمور المحضة يكون الرب أحق بالتنزيه عنها لأنه عن العدم أبعد من سائر الموجودات فإذا ثبت له صفات الكمال من الحياة والعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر وغير ذلك بهذه الطرق القياسية العقلية التى لله فيها المثل الأعلى كان ذلك إعتباراً صحيحاً وكذلك في النفي. فهذا أصل ينبغي معرفته.)) (١)

يقول الدكتور/ إبراهيم مدكور : (إن نزعة المعتزلة العقلية دفعتهم لأن يطبقوا قوانين العقل على عالم السماء كما طبقوه على عالم الأرض، فقادتهم إلى آراء لاتخلو من جرأة ، وانتهت بهم إلى فلسفة إلهية لاتلتزم دائما بكل ما ينبغي من معاني الجلال والكمال، ومبدؤهم القائل بقياس الغائب على الشاهد لايمكن أن

١- أحمد بن تيمية: بيان تلبيس الجهمية جـ١، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ بتصرف.

يسلم به على إطلاقه) (١)

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (نحن نعلم بالاضطرار من دين الرسول وسلف الأمة بطلان قول هؤلاء ، وأن الرسول ﷺ لم يأمر أحداً بهذه الطرق ولاعلق إيمانه ومعرفته بالله بهذه الطرق ولما ابتدع هذه الطرق من ابتدعها أنكر ذلك سلف الأمة وأئمتها وسمو هؤلاء بالبدعة والضلالة(٢).

ثم يقول : (والكلام على فساد مقالة هؤلاء وبيان تناقضها بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول مذكور في غير هذه الكلمات فجميعهم يفرون من شيء فيقعون في نظيره أو في شر منه، مع ما يلزمهم من التحريفات والتعطيلات، ولو أمعنوا النظر لسووا بين المتماثلات، وفرقوا بين المختلفات كما تقتضيه المعقولات ، ولكانوا من الذين أتوا العلم الذين يرون أن ما أنزل إلى الرسول هو الحق من ربه ويهدي إلى صراط العزيز الحميد، ولكنهم من أهل المجهولات المشبهة بالمعقولات، يسفسطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات)(٣).

فظهر من هذا فساد ما ادعته المعتزلة من نفي قيام المعاني القديمة بذات الله تعالى إستدلالا بالمعاني القائمة بالجواهر. حيث أن هذا القياس قياس مع الفارق مع مافي ذلك من هجر لما جاء في القرآن الكريم ولما جاء في سنة سيد المرسلين من إثبات المعاني القديمة لله تعالى على مايليق بجلال الله وعلى مراد رسوله ﷺ.

٩ - أما دعوى أن الله تعالى ليس بجسم ولامتحيز ولاتقوم به الأعراض الحادثة ولاتقوم به كذلك مطلق الصفات القديمة لأنها تستلزم حدوثه فيقال لهم :-

إن أهل الحق لايستخدمون هذه المصطلحات السلبية في تنزيه الله تعالى

١- د/ إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق جـ٢، ص ٣٧-٣٨.

٢- أحمد بن تيمية: درء التعارض جـ٨، ص ١٢

٣- التدمرية ص ١٩.

أولاً، لأن هذه الطريقة لايحصل بها المراد فلا يجوز أن يستدل على الأظهر الأبين بالأخفى، مع عدم إثبات النقل بشئ منها لافي الإثبات ولا في النفي.

ثم إذا أنتم نفيتم عن الله تعالى الجسمية وأنه ليس بجسم فكيف قلتم بأنه حي عليم قدير ؟ وأنتم لاتعلمون موجوداً حياً عالماً قادراً إلا جسماً فقد أثبتموه على خلاف ما علمتم. وهذا تناقض منكم.

ثم إذا ثبت أن الأجسام تقوم بها المعاني والأعراض فإن أهل السنة والجماعة يفرقون بين ما يقوم بذات الله تعالى من الصفات والمعاني القديمة والحادثة، وبين ما يقوم بالأجسام والأعراض.

وقبل هذا وذاك فإن سلف الأمة لم يشبهوا الله تعالى بالأجسام وإنما أثبتوا ما جاء في كتاب الله وما جاء في سنة رسول الله ﷺ ولم يستعلموا هذه المصطلحات المبتدعة المحدثة لافي الإثبات ولا في النفي ولا في الرد على من وصف الله تعالى بالنقائص كالحزن والبكاء وغير ذلك(١).

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : (ولهذا لما كان الرد على من وصف الله تعالى بالنقائص بهذا الطريق طريقاً فاسداً: لم يسلكه أحد من السلف والأئمة ، فلم ينطق أحد منهم في حق الله بالجسم لانفياً ولا إثباتاً ولا بالجوهر والتحيز ونحو ذلك لأنها عبارات مجملة لاتحق حقا ولاتبطل باطلا)(٢).

وقال أيضا : (فلفظ ((الجسم)) لم يتكلم به أحد من الأئمة والسلف في حق الله تعالى لا نفياً ولا إثباتاً ، ولاذموا أحداً ولا مدحوه بهذا الإسم ، ولاذموا مذهبا ولا مدحوه بهذا الاسم....)(٣).

فعلم بالنقل والعقل أن هذه الألفاظ والمصطلحات مبتدعة في الأمة، يجب التوقف

١- بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية جـ ١ ص ٤٧-٥٦، ١٠٠، ١٠٤

٢- ابن تيمية : الفتاوى جـ٣، ص ٧٩ - ٨١

٣- ابن تيمية : بيان تلبيس الجهمية جـ ١، ص٤٧

فيها ومعرفة مقاصد قائليها ومرادهم منها في تنزيه الله تعالى نفياً أو إثباتاً.

أ ـ فقولهم إن الله تعالى ليس بجسم :-

ظنا منهم أن ذلك تنزيها لله تعالى عن الجسمية ، وأن كل من أثبت لله تعالى صفة تقوم به فهو مجسم لأن الصفات لاتقوم إلاَّ بجسم مركب من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة.

فيقال لهم : لانوافق على ما قلتم ، لأننا لا نعلم مرادكم من قصدكم (ليس بجسم) فماذا تقصدون بالجسم ؟

فإن قالوا : نقصد بالجسم هو المركب الذي كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت ، أو مايقبل التفريق والإنفصال ، أو المركب من المادة والصورة، والله تعالى منزه عن ذلك كله، والله يرى وتقوم به الصفات ويشار إليه.

فيقال لهم : هذا معنى صحيح ، ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول ، وأما اللفظ فبدعة نفياً وإثباتاً، وليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله شيئا من هذا بل ولا في قول أحد من سلف الأمة وأئمتها.

وأما إن قالوا : نقصد بالجسم كل مايشار إليه ويرى وترفع إليه الأيدي وله طول وقصر وعرض وعمق وما كان كذلك فهو مركب من المادة والصورة ومركب من الأجزاء التى لاتقبل القسمة ولهذا لانثبت له شيئا من الصفات ولا تقوم به هذه الصفات سواء كانت حادثة أو قديمة.

فيقال لهم : هذا قول باطل من جهة المعنى ومن جهةاللفظ.

فاللفظ : الذي هو الجسم : لا يعرف في اللغة بهذه المعاني وإنما تعريفه في اللغة

أنه البدن، والغليظ والكثيف (١)ومنه قوله تعالى ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾(٢)وكذلك قوله تعالى: ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾(٣).
أما تعريفكم للجسم بأنه المركب من الجواهر الفردة فهذا محل نزاع لأنه كثرت فيه التعريفات وكل تعريف يختلف عن التعريف الآخر. وكل هذه التعريفات لايجوز أن نصف الله بها ولا أن ننفيها عنه، لأنها لم ترد من جهة الشرع لا إثباتاً ولانفيا، فاللفظ مردود والمعنى مردود(٤).

فإن قالوا : نحن ننفي عنه الجسمية لأنها تقتضي قيام الصفات والأفعال وهي حوادث لأن الجسم حادث والصفات حادثة . وفي هذا نقص لله تعالى وصفة بالحوادث.

يقال لهم: قولكم منقوض بإثبات الأسماء الحسنى ، فإن الله حي عليم قدير، فإن أمكن إثبات حي عليم قدير وليس بجسم، أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم، وإن لم يكن إثبات ذلك، فما كان جوابكم عن إثبات الأسماء كان جوابنا عن إثبات الصفات.

وهذه المعاني التى تعقلونها وتثبتونها هي الصفات سواء سميتموها أحكاما أو أحوالا، أو معاني أو غير ذلك فليس الإعتبار بالألفاظ بل بالمعاني المعقولة(٥).

ب / وأما قولهم : إن إثبات المعاني القديمة والحادثة التي هي من صفات الجواهر والأعراض المتحيزة لله تعالى يستلزم منه أن الله تعالى متحيز بمعنى أنه أحاط به شيء من الموجودات .

١- سورة المنافقون آية (٤).

٢- سورة البقرة آية (٢٤٧).

٣- الصحاح للجوهري جـ٥، ص١٨٨٧، لسان العرب لابن منظور جـ ١٢، ٩٩

٤- منهاج السنة ، جـ٢ ص ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٥٥٤ ، والفتاوى جـ ٤ ، ص ١٥١ -١٥٢

٥- نفس المصدر جـ٢ ص ٢٢٢

فيقال لهم: هذا قول باطل، لأن الله سبحانه وتعالى ليس بداخل في هذا العالم، بل هو بائن من خلقه، وماثم موجود إلا الخالق والمخلوق. وإذا كان الخالق بائنا عن المخلوق إمتنع أن يكون الخالق في المخلوق، وامتنع أن يكون متحيزاً بهذا الإعتبار وإن أراد بالحيز أمراً عدمياً، فالأمر العدمي لاشيء، وهو سبحانه بائن عن خلقه فإذا سموا العدم الذي فوق العالم حيزاً، وقالوا يمتنع أن يكون فوق العالم فراراً من التحيز، فهذا معنى باطل، لأنه ليس هناك موجود غيره حتى يكون فيه وقد علم بالعقل والشرع أنه بائن عن خلقه.

وإذا نظرنا من جهة اللغة : فإن المتحيز في اللغة : إسم لما يتحيز إلى غيره، كما قال تعالى : ﴿وَمن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال، أو متحيزاً إلى فئة﴾(١).

وهذا لابد أن يحيط به حيز وجودي ، ولا بدّ أن ينتقل من حيز إلى حيز، ومعلوم أن الخالق جل جلاله لا يحيط به شيء من مخلوقاته، فلا يكون متحيزاً بهذا المعنى اللغوي.

وأما هؤلاء المتلكمون فالمتحيز في إصطلاحهم : كل جسم متحيز، والجسم ما يشار إليه فتكون السموات والأرض وما بينهما متحيزاً، يريدون به معنى موجوداً تارة،وتارة يريدون به معنى معدوما،ويفرقون بين مسمى الحيز ومسمى المكان ويدعون وجود موجود لايكون مباينا لغيره، ولا مداخلاً له ، وهذا ممتنع في بداية العقول، لكن يدعون أن القول بامتناع ذلك هو من حكم الوهم لا من حكم العقل، ثم إنهم تناقضوا فقالوا: لو كان فوق العرش لكان جسما لأنه لا بد أن يتميز ما يلي هذا الجانب عما يلي هذا الجانب .

فيقال لهم: معلوم بضرورة العقل أن إثبات موجود فوق العالم ليس بجسم أقرب إلى العقل من إثبات موجود قائم بنفسه ليس بمباين للعالم ولا بمداخل له، فإن جاز إثبات الثاني، فإثبات الأول أولى.

١- سورة الأنفال آية (١٦)

وإذا قلتم : نفي هذا الثاني من حكم الوهم الباطل، قيل لكم : فنفي الأول أولى أن يكون من حكم الوهم الباطل.(١)جـ / وأما قولهم : إن الله في جهة أو أنه ليس في جهة.

فإن أرادوا في الإثبات بقولهم إن الله في جهة أمراً موجوداً، وكل ماسواه مخلوق له فهذا فاسد.

وإن أرادوا بإثبات الجهة أمراً عدمياً وهو ما فوق العالم، وقالوا إن الله فوق العالم فقد أصابوا، وليس فوق العالم موجود غيره، فلا يكون سبحانه في شيء من الموجودات.

وأما إذا فسرت الجهة بالأمر العدمي، فالعدم لاشيء.

وهذا ونحوه من الإستفسار بعد بيان المراد من اللفظ يزيل عامة الشبه.

فإذا قالوا : لو رؤى سبحانه وتعالى لكان في جهة، وهذا ممتنع والرؤية ممتنعة .

قيل لهم إن أردتم بالجهة أمراً وجودياً، فالمقدمة الأولى ممنوعة، وأن أردتم بها أمراً عدميا فالثانية ممنوعة، فيلزم بطلان إحدى المقدمتين على كل تقدير فتكون الحجة باطلة؛ وذلك أنهم إن أرادوا بالجهة أمراً وجودياً، لم يلزم أن يكون كل امرئ في جهة وجودية فإن سطح العالم الذي هو أعلاه ليس في جهة وجودية، ومع هذا تجوز رؤيته، فإنه جسم من الأجسام. فبطل قولهم: كل مرئي لابد أن يكون في جهة وجودية إن أراد بالجهة أمراً وجودياً.

وإن أرادوا بالجهة أمراً عدمياً منع المقدمة الثانية، فإنه إذا قال أحد: الباري ليس في جهة عدمية، وقد علم أن العدم ليس بشيء، كان حقيقة قوله: أن الباري لايكون موجوداً قائماً بنفسه، حيث لاموجود إلا هو. وهذا باطل.

وإن قالوا: يستلزم أن يكون الرب مشاراً إليه ترفع الأيدي إليه في الدعاء، وتعرج الملائكة والروح إليه، ونحو ذلك من اللوازم.

قيل لهم: لانسلم إنتفاء هذه اللوازم.

فإن قالوا: ما استلزم هذه اللوازم فهو جسم.

١- منهاج السنة النبوية لأبن تيمية جـ٢ ، ص ٥٥٧، بيان تلبيس الجهمية جـ ١، ص ٥٩٢-٦٠٠

قيل لهم: إن أردتم أن من هذه صفاته يسمى جسماً فهذا باطل في اللغة وفي الشرع (١)وخلاصة القول في مثل هذه الألفاظ أنها ألفاظ مجملة لاتثبت ولاتنفى حتى يعلم مراد قائلها ، كما قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمة: (وأما الألفاظ ألتى تنازع فيها من إبتدعها من المتأخرين مثل : لفظ «الجسم» و « الجوهر » و « المتحيز » و « الجهة » ونحو ذلك فلا تطلق نفيا ولا إثباتا حتى ينظر مقصود قائلها، فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنى صحيحاً موافقاً لما أخبر به الرسول ﷺ صوب المعنى الذى قصده بلفظه، ولكن ينبغي له أن يعبر عنه بألفاظ النصوص ، ولا يعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة إلا عند الحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لايتم المقصود معه إلا بهذه الألفاظ.

وأما إن أريد بها معنى باطل نفى ذلك المعنى، وإن جمع بين حق وباطل، أثبت الحق وأبطل الباطل.(٢).

وإذا كان السلف يقفون هذا الموقف مع هذه الألفاظ المجملة خشية من أن يشبهوا الله تعالى بالحوادث أو أن يصفوه بصفات مخلوقاته، فإنهم كما سبق يفرقون بين ما يقوم بذات الله من صفات قديمة باقية، قائمة بذاته تعالى، وبين ما يقوم بالأجسام والأعراض من حوادث لاتبقى، وتقوم بمتحيز.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (إن العقل الصريح يحكم بأن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لاعلى غيره، فالمحل الذي قامت به الحركة والسواد والبياض كان متحركاً أسود أبيض لاغيره.

وكذلك الذي قام به الكلام والإرادة والحب والبغض والرضا، هو الموصوف بأنه المتكلم المريد المحب المبغض الراضي دون غيره، وما لم يقم به الصفة لا يتصف بها، فما لم يقم به كلام وإرادة وحركة وسواد وفعل، لايقال له: متكلم ولامريد ولا متحرك ولافاعل وأما إذا لم يكن هناك معنى يتصف به ، فلا يسمى بأسماء لمعانى.

١- منهاج السنة النبوية جـ٢، ص ٥٥٨.

٢- منهاج السنة النبوية لابن تيمية جـ٢ ص ٥٥٤-٥٥٥.

والمعتزلة سموه حياً عالماً قادراً، مع أنه عندهم لاحياة له ولاعلم ولا قدرة، وسموه مريداً متكلماً مع أن الإرادة والكلام قائم بغيره، وكذلك سموه خالقاً فاعلاً مع أنه لم يقم به خلق ولافعل، فقوله من جنس قولهم ونصوص الكتاب والسنة قد أثبتت إتصافه بالصفات القائمة به.

واللغة توجب أن صدق المشتق مستلزم لصدق المشتق منه، فيوجب إذا صدق إسم الفاعل والصفة المشبهة، أن يصدق إسم المصدر، فإذا قيل: قائم وقاعد، كان ذلك مستلزماً للقيام والقعود، وكذلك إذا قيل : فاعل وخالق كان ذلك مستلزماً للفعل والخلق، وكذلك إذا قيل: متكلم ومريد، كان ذلك مستلزماً للكلام والإرادة، وكذلك إذا قيل حي عالم قادر، كان ذلك مستلزماً للحياة والعلم والقدرة)(١).

وإذا قالت المعتزلة وغيرهم من المتكلمين:

إن تفسير قيام الشيء بالبارئ تعالى، وبالجسم يختلف في كل منها الآخر فقيام الجسم بذاته: معناه: التحيز بالذات: أى كون الشيء مشاراً إليه بالإشارة الحسية بأنه هنا أو هناك (٢) أما قيام الباري بذاته تعالى: فمعناه: المستغني من جميع الوجوه (٣) أى استغناؤه سبحانه عن المحل، والمكان، والمخصص.

فإننا نقول لهم:

أفلا نستطيع أن نفرق بين ما يقوم بالباري تعالى من صفات، وبين ما يقوم بالأجسام من صفات ؟ هذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في جواز قيام المعاني والصفات القديمة بالباري تعالى مع تفريقهم بين ما يقوم بالأجسام وبين ما يقوم بالباري، وهذا التفسير على معنيين:-

المعنى الأول: هو التبعية فى التحيز بمعنى أن يكون تحيز الصفة تابعا لتحيز الموصوف (٤). وهذا المعنى منفي عن ذات الباري وصفاته، وإنما هو معنى ثابت

١- منهاج السنة النبوية لابن تيمة جـ٢ ص ١٢٧.

٢- كشاف إصطلاحات العلوم والفنون للتهانوى جـ٥ ص ١٢٢٥.

٣- الغنية في أصول الدين لأبى سعيد النيسابوري تحقيق عماد الدين أحمد حيدر. ص ٧٣.

٤- كشاف اصطلاحات العلوم والفنون جـ٦ ص ١٤٨٩

للموصوفات المتحيزة بذاتها حيث يكون تحيز الصفة تابعاً لتحيز الموصوف وهذا موضع إتفاق بين المعتزلة والأشعرية.

المعنى الثاني: الإختصاص الناعت : وهو أن يختص شيء بآخر إختصاصاً يصير به ذلك الشيء نعتاً للآخر والآخر منعوتاً به (١). ويفاد من قيام الصفة بالموصوف على هذا المعنى الثاني وجوب تمييز الموصوف عن غيره بتلك الصفة الثابتة من غير أن تقتضي ذلك بالضرورة تحيزاً لموصوفٍ بالأصالة ولا تحيز الصفة بالتبع، ومن ثم فإنه يدخل فيه الباري عزوجل وصفاته، وتدخل المجردات وصفاتها بل إنه يدخل فيه ما تختص به الأعراض من وصف، كاتصاف الحركة بالسرعة والبطء، وإتصاف الصوت بالغلظة والدقة والحسن والقبح، وإتصاف العلم بأنه ضروري وكسبي (٢).

وقد نقل التهانوي عن عبدالحكيم السيالكوتي قوله: (وهذا القول - أي تفسير قيام الصفة بالموصوف بمعنى الإختصاص الناعت - هو المختار لعمومه لأوصاف الباري تعالى، فإنها قائمة به من غير شائبة تحيز في ذاته وصفاته(٣)، ويتضح مما سبق فساد قول المعتزلة في نفيهم قيام الباري تعالى بالصفات القديمة أو المعاني القديمة ومجانبتهم الصواب في إعطائهم أحكام المعاني والأعراض الحادثة للمعاني القديمة للباري سبحانه مع موافقتهم المجسمة في بعض مقدمات أدلتهم مع أن العاقل إذا تدبر في كتاب الله تعالى وجد فيه أن الله سبحانه قد اتصف بصفات قديمة من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والحياة وغيرها، ووصف بعض مخلوقاته الحادثة الكائنة بعد عدم بنفس تلك الصفات منها(٤):- قوله تعالى : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ (٥)وسمى بعض عباده حياً فقال

١- كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوى جـ١ ص٧٧٠، التعريفات للجرجاني ص ٢٨

٢- مفتاح السعادة لابن قيم الجوزية ، جـ٣، ص ٣٧

٣- كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوى جـ١ ، ص ٤٧٠

٤- أنظر : نماذج من الآيات القرآنية في ما يتعلق بهذا الموضوع في هذه الرسالة ص ٩٥-١٠٤

٥- سورة البقرة آية : (٢٥٥)

تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾(١) وليس الحي مثل الحي فقوله تعالى (الحي) في الآية الأولى هو اسم الله مختص به، والحي في الآية الثانية اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكن العاقل يفهم من المطلق قدراً مشتركا بين المسميين، وعند الإختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق.

ولابد من هذا في جميع أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله، فيفهم فيها مادل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دل عليه بالإضافة والإختصاص المانعة من مشاركة المخلوقات للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى(٢).

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : (وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، ومنه ما هو محدث ممكن، يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا موجود وهذا موجود ولايلزم من إتفاقهما في مسمى ((الوجود)) أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا بل وجود هذا يخصه، ووجود هذا يخصه، وإتفاقهما في إسم عام لايقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الاضافة والتقييد والتخصيص ولافي غيره، فلا يقول عاقل إذا قيل: (إن العرش شيء موجود وإن الذباب-مثلا- شيء موجود) إن هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود لأنه ليس في الخارج شيء موجود وغيرهما يشتركان فيه بل الذهن يأخذ معنى مشتركا كليا هو مسمى الاسم المطلق، وإذا قيل هذا موجود، وهذا موجود فوجود كل منهما يخصه لايشركه فيه غيره مع أن الاسم حقيقة في كل منهما(٣)).

وفي خاتمة هذه المناقشة لآراء المعتزلة فيما ذهبوا إليه من آراء في قضية أزلية وأبدية أفعال الله تعالى يمكن لنا أن نخرج بنتائج هذه المناقشة في صحة أو فساد ماذهبوا إليه من آراء وهي كالتالي:

١) إن قولهم بحدوث أفعال الله بناءاً على إستدلالهم بحدوث الجواهر والأجسام

١- سورة الروم آية : (١٩)

٢- أنظر: التدمرية لابن تيمية: ص ٢١-٢٢ تحقيق محمد بن عودة السعوي

٣- المرجع السابق ص ٢٠-٢١

ومتابعة بقية المتكلمين لهم من أشاعرة وما تريدية وغيرهم، هو قول مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة لأنه يلزم من قولهم وجود فترة لم يكن فيها أفعال حادثة وكان الله تعالى معطلا عن الفعل وهذا ما احتج به الفلاسفة وغيرهم على المعتزلة وغيرهم فيما ذهبوا إليه.

٢) إن إرجاع المعتزلة صفات المعاني إلى الذات ونفيهم زيادة الصفات عن الذات أو التعبير عنها بالأحوال أو أنها حادثة لافي محل أو أنها حالّةٌ في غيره خشية منهم في الوقوع في القول بتعدد القدماء لأن القدم من أخص الأوصاف له تعالى فيجب أن لايشاركه فيه غيره هو أمر محدث في الدين لم يسبقهم إليه أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة مع ما في ذلك من تعطيل لكثير من النصوص النقلية. التي أثبت بها النقل فيما يتعلق بذات الله تعالى وأفعاله وصفاته الذي لايمكن لأحد أن يفسرها حسب عقله وفهمه بل العمل في هذا مطلوب فيه إقتداء هدى السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين حيث آمنوا وسلموا وأثبتوا ما أثبته النقل باللفظ والمعنى على مراد الله وعلى مراد رسول الله ﷺ بما يليق بجلاله وكماله من غير تكييف ولا تمثيل ولاتحريف ولاتعطيل بل بإثبات المعنى والعلم وتفويض الكيف. لكن المعتزلة لم يقتدوا بالسلف الصالح ولم يستسلموا للنصوص بل عارضوا كل ذلك بعقولهم فذهبوا إلى أن هذه الصفات لم يقم على ثبوتها دليل عقلي، وإنما وردت في السمع وهي أدلة ظنية الدلالة، معارضة بالأدلة العقلية القطعية الدلالة.

وهذا مذهب باطل وطريقة مبتدعة ولهذا أنكر المسلمون هذه الآراء الإعتزالية ولم يقبلوها أبدا وخير دليل في هذا محنة الإمام أحمد بن حنبل في إثباته كلام الله تعالى وأنه ليس بمخلوق.

٣) نفيهم للصفات الخبرية والأفعال المتجددة لله تعالى الحادثة بحجة أنها تقتضي التغير والتغير من صفات الأعراض القائمة بالأجسام وسوف نرجئ مناقشة هذا الأمر في مبحث قيام الحوادث وحلولها بذات الله تعالى حيث وافقت المعتزلة في هذا الفلاسفة كما وافقتهم في نفي الصفات القديمة القائمة بذات الله تعالى.

ونكتفي بهذا القدر في مناقشة آراء المعتزلة في قضية أزلية أفعال الله تعالى وأما الأبدية فقد خصصنا له فصلا آخر لمناقشتهم فيها، والآن ننتقل إلى المبحث الرابع .

المبحث الرابع : عرض رأي الأشاعرة ومناقشة أدلتهم.

ويشتمل على :-

المطلب الأول : عرض رأي الأشاعرة.

المطلب الثاني: مناقشة رأي الأشاعرة.

المطلب الأول : عرض رأي الأشاعرة:

ذهب الأشاعرة إلى القول بحدوث أفعال الله تعالى موافقين بذلك المعتزلة وغيرهم من المتكلمين، واتخذوا من دليل الحدوث مستنداً قويا لإثبات حدوث العالم، سالكين بذلك نفس المسلك الذي سلكته المعتزلة وهو الإعتماد على نظرية الجوهر الفرد، ويعتبر الإمام أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، أول من بحث تلك المسائل، ودرس هذه المقدمات بعد أن أخذها من المعتزلة وهذبها ونقحها (١). ثم جاء بعده إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ، والإمام الرازي والغزالي والآمدي وغيرهم مقررين وموضحين نفس الفكرة وهي القول بحدوث أفعال الله تعالى وأن العالم حادث وليس بقديم ولا أزلي(٢).

١-أنظر: مقدمة ابن خلدون ص ٥١٩، الصفدية لابن تيمية، تحقيق . د/محمد رشاد سالم، جـ١، ص ٢٧٤، وبيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، تعليق وتصحيح محمد بن عبدالرحمن بن قاسم جـ١ ص ٢٨٠، الباقلاني وآراؤه الكلامية د/محمد رمضان عبدالله ط/١٩٨٦ مطبعة الأمة بغداد ص ١٣٧

٢- عبدالملك بن عبدالله الجويني إمام الحرمين: الشامل في أصول الدين، تحقيق د/ على سامي النشار. نشر منشأة المعارف الإسكندرية طبعة ١٩٦٩م . ص ١٢٣ - ٢٢٩.

محمد بن عمر الرازي: أصول الدين. ص ٤١ - ٤٧، ط/ ١٤٠٤هـ، نشر: دار الكتاب العربي ، بيروت، مراجعة طه عبدالرؤوف.

سيف الدين الآمدي: غاية المرام في علم الكلام تحقيق حسن عبداللطيف، لجنة أحياء التراث الإسلامي القاهرة: ١٣٩١. جامعة ام القرى ، مركزالبحث الإسلامي تحت رقم ٢٤٠/أس٤ ص ٩-٢٠.

أبوحامد محمد الغزالي الخرساني: الإقتصاد في الإعتقاد، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ، ص ١٢.

السيد الشريف على بن محمد الجرجاني: شرح المواقف في على الكلام، الجزء الخامس تحقيق د/أحمد المهدي الناشر مكتبة الأزهر للطباعة القاهرة:ص ٤٤-٤٣.

القاضي عبدالرحمن بن أحمد الإيجي: المواقف في علم الكلام، عالم الكتب للنشر والتوزيع .

والمتأمل في مصادر الأشاعرة عامة في هذه القضية يجدهم يهتمون كثيراً بأمور مهمة لديهم قبل البحث في وجود الله وصفاته وأفعاله منها: -

١ - الإسهاب في بيان أقسام العلم وأقسام المعلومات وأقسام الموجودات وإثبات حدوثها .

٢ - التدرج بعد ذلك إلى إثبات حدوث العالم وحدوث الجواهر والأعراض .

٣ - الدخول في كلام أفعال واجب الوجود، ويتلخص في ثلاثة قواعد:

أ / أنه لا خالق إلا الله تعالى .

ب / نفي الغرض والمقصود عن أفعال واجب الوجود.

ج / بيان حدوث المخلوقات وقطع تسلسل الكائنات عن طريق إبطال القول بلزوم القدم، وعن طريق إثبات الحدوث بعد العدم.

٤ - إثبات أزلية الذات وأزلية الصفات - وسيأتي الكلام عن هذا في الصفحات القادمة -

٥ - بيان صفات الأفعال وبيان حدوثها لأن الله يتصف بها وقتا دون وقت، ولأنها تتعلق بالعالم وتدبيره، فالعالم محدث لاقديم مع أنهم قد خالفوا المعتزلة في جعلهم صفتى الإرادة والكلام من صفات الذات، وهما عند المعتزلة من صفات الأفعال وخالفهم الماتريدية إلى أن صفات الأفعال كصفات الذات من حيث كونها أزلية قديمة مع الله تعالى،وهكذا في صفة الخلق والإيجاد،فقالوا إن الله تعالى خالق في الأزل، ثم اعتبروا تجدد صفة الإرادة والكلام والخلق والإيجاد

بيروت -لبنان ص ٩٦-١٠٤، ١٨٢-٢٦٥.

الشيخ محمد عبده: بين الفلاسفة والكلاميين ، تحقيق د/سليمان دنيا. إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي. ج ١ ص ٣٤-٤١ وغيرها

وسائر صفات الأفعال أموراً حادثةً إعتباريةً ثانويةً لا تقتضي كمالاً ولانقصاً (١) وقبل أن نخوض في جوهر القضية نأتي لمعرفة إستدلال الأشاعرة على حدوث أفعال الله تعالى، ولنأخذ مثالاً على فعل من أفعال الله تعالى المنفصلة عنه ألا وهو حدوث العالم.

للأشاعرة في إثبات حدوث العالم مسلكان :

المسلك الأول : أن الدليل على حدوث العالم هو : تغيره من حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة . ثم استدلوا على صحة هذا التغير بحديث عمران بن الحصين رضي الله عنه: (كان الله ولم يكن شيء قبله...)(٢)، واستدلوا كذلك على صحة التغير للعالم بأُفول الكواكب في قصة إبراهيم عليه السلام وتغيرها وتنقلها من حال إلى حال دليل على صحة قولهم بحدوث العالم وحدوث أفعال الله(٣).

المسلك الثاني : أن جميع مافي العالم العلوي والسفلي لايخرج عن الجواهر والأعراض والعالم مؤلف من هذين الجنسين، وأن الأعراض حادثة، والجواهر لاتخلوا منها فدل ذلك على حدوث العالم بأسره، وإذا كان العالم حادثاً فلابد له من محدث وهو الله تعالى.(٤)، ثم بعد هذه المقدمة العقلية تدخل

١- أنظر: التمهيد للباقلاني ص ٢٢-٢٥، ٣ -٣٢، شرح المواقف للجرجاني ص ٥ - ٢٥، غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص ٢٥ ، ١٣٤، ٢٠١، ٢٥٨، الارشاد للجويني ص ٦٣ و ١٠٩، أصول الدين للبغدادي ص ٤ - ١٠، والمقاصد للتفتزاني جـ ٨٠/٢ ، الباقلاني وآراؤه الكلامية د/ محمد رمضان عبدالله ص ٤٧٩، نهاية الإقدام للشهرستاني ص ١٥١.

٢- المرجع السابق ص ٣٠، وانظر تخريج الحديث ص ٣٣٤

٣- المرجع السابق ص ٣٠.

٤- الباقلاني : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر نشر مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت -لبنان الطبعة الأولى. ١٤٠٧هـ ص ٤١.، وانظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد ، للجويني ص ١٨ وما بعدها، انظر الإنصاف للباقلاني ص١٥-٢٥

الأشاعرة في البحث فيما يجب إثباته لله تعالى وفيما ينبغي أن ينفى وينزه عنه.

فهل يجوز أن يكون شبيهاً للعالم والحوادث ؟ أم أنه يجب أن يكون منزهاً عن صفات الحوادث؟ هذا مابحثه الأشاعرة بعد أن إنتهوا من الكلام عن الجواهر والأعراض والأجسام. تحت عنوان **صفات الله تعالى** وقسموها إلى:-

صفات الذات:

وهي الصفات التي لم يزل ولايزال موصوفا بها، فهي أزلية قديمة وجدت مع الله ولاتنفك عنه مثل: الإردة ، والحياة، والعلم ، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، وهم بذلك قد اختلفوا عن المعتزلة في إثبات صفات قديمة أزلية وخاصة في صفة الإرادة التى هي حادثة لا في محل عند المعتزلة وهي هنا قديمة أزلية لاتنفك عن الله تعالى وبهذه الإرادة القديمة إختلفت عن المعتزلة في تفسيرها لقضية الخلق والإيجاد في أفعال الله تعالى.

صفات الأفعال:

وهي التي تدل على أفعال الباري سبحانه في الكون مثل الخلق والرزق والإحسان والإنعام والإحياء والإماتة والخفض الرفع وغيرها من الصفات التى كان الله موجودا قبل فعله لها.

ومن الصفات الفعلية الصفات الخبرية كالغضب والرضا والمحبة والرحمة والسخط والإتيان والمجيئ والنزول والعلو وغيره....

فهذه المعاني يجب أن تؤوّل عندهم، فيؤوّل الغضب والسخط بالعقوبة، ويؤول الرضا والمحبة والرحمة بالإثابة، يقول الباقلاني في ذلك: (إن معنى غضبه على من غضب عليه ورضاه عمن رضي عنه، وحبه لمن أحبه، وموالاته لمن والاه،

مع إختلاف في الأسلوب والبيان ولكن الآلات والغايات واحدة ولم نرد أن نذكر جميع نصوصهم هذا وإنما اكتفينا بالإشارة والعزو للمعلومية.

وعداوته لمن عاداه، المراد بجميع ذلك: إثابة من رضي عنه وأحبه وتولاه وعقوبة من غضب عليه وأبغضه وعاداه..(١).

وإلى مثل هذا التأويل ذهب بقية الأشاعرة، (٢) فقالوا في الإستواء بأنه المراد به الإستيلاء وهو القصد والإرادة وهو فعل من أفعال الله وذهبوا أيضا إلى تأويل الإستواء بالتحيز وهو الوقوع في قبضة القدرة، وأولوا النزول: بمعنى اللطف والرحمة.(٣).

وقالوا في تفسير قوله تعالى ﴿وجاء ربك .... الآية ﴾ (٤) أى وجاء أمر ربك وقال بعضهم إنه فَعَلَ فِعْلاً سمى به نفسه جائياً كما سمى نفسه بالخلق والرزق خالقاً ورازقاً.

وقالوا في تفسير الجنب في الاية ﴿يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله﴾ (٥). أى أنه [أمر الله] فيما يتصل من شرائعه التى شرعها لعباده وحقوقه المفترضة فتعين صرف الجنب عند حقوقهم إلى الله تعالى المتصلة بأوامره وزواجره.

وقالوا في قوله تعالى ﴿أأمنتم من في السماء﴾ (٦) أن المراد بمن في السماء هو حكمه وأمره وسلطانه وقد يراد به: ملكا مسلطا على عذاب مستوجب

١- الباقلاني: الإنصاف ص ٣٩

٢- أنظر الجويني في كتابه الشامل ص ٥٥٠، الإرشاد للجويني ص ٣٩ ، والآمدي في أبكار الأفكار ص ٤٧٠، والجرجاني في شرح المواقف، جـ ٥/ص١٧٢، تحقيق د/أحمد المهدي، ، الإقتصاد في الإعتقاد للغزالي ص ٢٩.

٣- أنظر الآمدي في غاية المرام في علم الكلام ص ١٤٢، والرازي في التأسيس ص ١٢٥، ١٣٤، والغزالي في الإقتصاد في الإعتقاد ص ٣٧-٣٩.

٤- سورة الفجر: آية (٢٢)

٥- سورة الزمر آية (٥٦)

٦- سورة الملك آية (٧١).

العذاب، وقال بعضهم : هو جبريل.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾(١). أى ولتربى بمرأى منى وحفظ.

وقالوا في قوله تعالى : ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾(٢). (ربما توهم بعض الحشوية أن لهم في الآية مستروحاً في إثبات الإختصاص بالجهات وليس الأمر على ماقدروه وإنما المعنى أى يعرجون إلى حيث يأمرهم متقربين إليه مستسلمين لأمره)(٣). وقالوا في تفسير جواب الجارية لما سألها ﷺ : أين الله ؟ قالت في السماء.. الحديث(٤) على أنها لم ترد الجهة ولم تقصد المكان وإنما أرادت كونه تعالى خالق السماء فكأنه ﷺ قال أين موقع معرفة الله منك؟ فكلمها على ما قدرها عليه وحسبها معتقدة له.

ولهذا نفت الأشاعرة الجهة والحيز والمكان عن الله تعالى فقالت إنه تعالى ليس في جهة من الجهات ولا في مكان في الأمكنة ، ولو كان الرب في مكان أو في جهة للزم قدم المكان أو الجهة ولاقديم سوى الله تعالى، ولو كان في مكان لكان متحيزاً،ولو كان متحيزاً لكان مساوياً لسائر المتحيزات في الماهية(٥)

١- سورة طه :آية (٣٩)

٢- سورة المعارج آية (٤)

٣- الجويني : الشامل في أصول الدين ص ٥٤٣-٥٦٩، التمهيد للباقلاني ص ١٤٩، واصول الدين للبغدادي ص ٧٦، ولمع الأدلة للجويني ص٩٤.

٤- الحديث أخرجه مسلم برقم (٥٣٧) في المساجد ومواضع الصلاة : باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، وابوداود رقم (٩٣٠) في الصلاة باب تشميت العاطس في الصلاة ، والنسائي ٣م١٤-١٨ في السهو ، باب الكلام في الصلاة. وأحمد في مسنده (٥/٤٤٧، ٧٧) من رواية معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

٥- شرح المقاصد للتفتازاني ، جـ٢، ص ٤٨، وغاية المرام في علم الكلام للآمدي ص ١٩٣، وأبكار الإفكار له أيضا ص ٥٢١، والأربعين في أصول الدين للرازي ص ١٠٦، والمحصل له ص ١١٣، ومعالم أصول الدين ص ٣١، وأساس التقديس ص ٤٥، ونهاية الإقدام للشهرستاني ص

وقالوا إنه تعالى ليس جوهراً ولا عرضاً، وليس وجوده وجوداً زمانياً، وأنه سبحانه وتعالى يمتنع أن يقوم بذاته حادث(١).

قال الآمدي: (إتفق العقلاء من أرباب الملل وغيرهم على إستحالة قيام الحوادث بذات الرب تبارك وتعالى) (٢)، واختلفوا كذلك في قضية الخلق والإيجاد وفي بيان كيفية الخلق وكيفية حدوث الحوادث لإيجاد السبب الذي به حدث الفعل بعد عدم، وكأن القضية متسلسلة، من الفلاسفة إلى المعتزلة ثم إلى الأشاعرة.لمعرفة العلاقة بين الفاعل والمفعول، في الإيجاد فمنهم من ذهب في تفسير هذه العلاقة إلى القول بأن الله تعالى إذا أراد أمراً قال له (كن) (٣) ، ومنهم من قال: هو الإرادة وحدها، وسيأتي مزيد بيان في هذا .

أما الصفات المتجددة التى لاوجود لها في الأعيان فما كان منها حالا فقد اتفق المتكلمون على امتناع إتصاف الرب بها غير أبو الحسين البصري المعتزلي فإنه قال: تتجدد عالميات لله بتجدد المعلومات وأما ما كان من النسب والإضافات والتعلقات فمتفق عندهم على جواز إتصاف الرب تعالى بها فيقولون إنه موجود مع العالم بعد أن لم يكن وإنه خالق العالم بعد أن لم يكن)(٤)، ولكن هذه النسب والإضافات جعلوها أموراً إعتبارية لاوجود لها في الخارج وليس في إثباتها كمال ولا في نفيها نقص للذات الإلهية عندهم كما سيتضح لنا ذلك.

ويستدلون على نفي قيام الحوادث بذات الله تعالى بأدلة منها:

١) حجة إبراهيم عليه السلام على عبدة الكواكب بأحوال الكوكب وتغيره من حال إلى حال .

---

١٠٤ بالإضافة إلى المراجع السابقة (١، ٢، ٣) من الصفحة السابقة.

١- الجرجاني : شرح المواقف ج ٥ ص ٥٣-٦٣ بتحقيق د/أحمد المهدي.

٢- الآمدي : أبكار الأفكار جـ١ ص ٤٧٦-٤٧٧، نسخة دار الكتب ، علم الكلام.

٣- سورة يس آية (٨٢)

٤- المرجع السابق ج ١، ص ٤٧٨.

٢) حديث عمران بن الحصين كان الله ولم يكن شيء قبله.. الحديث)(١).

٣) دليل حدوث العالم المكون من الجواهر والأعراض وبما أن الأعراض حادثة وهي ملازمة للجواهر فملازم الحادث حادث مثله، ولو قام لله حادث لكان حادثا مثله وهذا ممتنع. (٢).

٤) دليل الكمال والنقص ومعناه أن الذات الإلهية موصوفة بصفات الكمال (٣) أزلا مع عدم اتصافه سبحانه بضد ذلك الكمال أو الخلو عنه لأن إثبات صفة ليست من صفات الكمال له تعالى غير جائز(٤).

ولهذا فالأفعال الإختيارية يؤولونها، لأن إثباتها على حقيقتها يؤدي إلى مشابهته تعالى بالحوادث. يقول الباقلاني:

(إن الغضب والرضا ونحو ذلك لايخلو إما أن يكون المراد به إرادته النفع والضرر فقط أو يكون المراد به نفور الطبع وتغيره عند الغضب ورقته وميله وسكونه عند الرضا. فلما لم يجز أن يكون الباري ذا طبع يتغير وينفر، ولا ذا طبع يسكن ويرق، وأن هذه من صفات المخلوقين وهو يتعالى عن جميع ذلك، ثبت أن المراد ببغضه ورضاه ورحمته وسخطه، إنما هو إرادته وقصده إلى نفع من كان في معلومه أنه ينفعه، وضرر من سبق في علمه وخبره أنه يضره لاغير ذلك...

١- البخاري ٦٦/٨ في المغازي ، باب وفد تميم ، وباب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، وفي بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ وفي التوحيد باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ، والترمذي رقم ٣٩٤٦ في المناقب باب في ثقيف وبنى حنيفة، أخرجه أحمد في المسند ١٢٦/٤، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٦.

٢- انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للإمام الجويني، تحقيق. د/محمد يوسف موسى، ص ١٧ - ١٨

٣- نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٢٠١.

٤- الإسفرائيني: التبصير في الدين ص ٩٨.

ويقول : ويجب أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه فمن ذلك أنه تعالى متقدس عن الإختصاص ، بالجهات والإتصاف بصفات المحدثات وكذلك لايوصف بالتحول، والإنتقال، ولا القيام، ولا القعود...(١).

ويقول أيضا :

ويجب أن يعلم أن الحوادث كلها مخلوقة لله نفعها وضرها وكلها تقع مرادة لله .. ولافرق بين الإرادة والمشيئة والإختيار والرضا والمحبة.. فمن رضي سبحانه عنه. لم يزل راضيا عنه لايسخط عليه أبدا، وإن كان في الحال عاصيا ومن سخط عليه فلايزال ساخطاً عليه ولايرضى عنه أُبدا وإن كان في الحال مطيعا مثال ذلك أنه سبحانه لم يزل راضياً عن سحرة فرعون وإن كانوا في حال طاعة فرعون على الكفر والضلال، وكذلك الصديق والفاروق رضي الله عنهما لم يزل راضياً عنهما في حال عبادة الأصنام ، وكذلك لم يزل ساخطاً على إبليس وبلعم، وبرصيص في حال عبادتهم لعلمه بمآلهم وما يصير إليه حالهم..)(٢).

ونراه يرجع ويرد المشيئة والمحبة والرضا والغضب والسخط والكره، والولاية والعداوة إلى الإردة وأن الإرادة صفة لذاته غير مخلوقة مريدبها لكل حادث في سمائه وأرضه بما يتفرد سبحانه بالقدرة على إيجاده.(٣). لكن الأشاعرة مع إستخدامهم هذه العلل في تأويلاتهم للصفات الفعلية وغيرها من المعاني فإننا نجدهم يثبتون الصفات العقلية على حقيقتها من غير تأويل لها وهذا ما أنكره عليهم أهل السنة والجماعة وعدوه تناقضاً منهم.

ولما كانت هذه الصفات السبعة مشتقة من أفعال الله تعالى فإننا نجدهم يدخلون مباشرة بعد الكلام فيهذه الصفات والأفعال إلى الكلام في أحكام الصفات.

١- الباقلاني: الانصاف ص ٤٠ - ٤١

٢- المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٥

٣- المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٥

فيوجدون لها الشروط والأحكام ومن تلك الأحكام :-

قولهم / إن هذه الصفات السبع ليست في الذات،بل زائدة عليها،فلايعقل أن يكون صانع العالم ومحدث الأفعال عالماً بلاعلم، بل هو عالم بعلم وحي بحياة وقادر بقدرة وهكذا بقية الصفات مخالفة بذلك المعتزلة والفلاسفة الذين قالوا بأن القديم ذاتٌ واحدةٌ قديمة ولايجوز إثبات ذوات قديمة متعددة.

وقولهم إن هذه الصفات السبعة قائمة بذاته تعالى لايجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته، سواء كان في محل أو لم يكن في محل مخالفة بذلك المعتزلة الذين حكموا بأن الإرادة لاتقوم بذاته لأنها حادثة وليس هو محلا للحوادث ولايقوم بمحل آخر لأنه يؤدي إلى أن يكون ذلك المحل هو المريد به فهي لا في محل وكذلك الكلام يقوم بذاته لأن الكلام حادث ولكن يقوم بجسم هو جماد.

وقولهم : أيضاً إن هذه الصفات السبع كلها قديمة لأنها إن كانت حادثة كان القديم سبحانه محلا للحوادث وهو محال.

وقالوا كذلك إن الأسماء المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبعة صادقة عليه أزلاً وأبداً فهو في القدم كان حياً قادراً عالماً سميعاً بصيراً متكلماً.

أما ما يشتق له من الأفعال كالرازق والخالق والمعز والمذل فقد اختلف في أنه يصدق عليه أزلا أم لا ؟ فقال قوم منهم هو صادق أزلاً إذْ لو لم يصدق لكان إتصافه به موجباً للتغير، وقال قوم لايصدق إذْ لا خلق في الأزل فكيف يكون خالقا والكل استدل بقول القائل : (إن السيف في الغمد يسمى صارماً وعند حصول القطع به في حالة الإقتران يسمى صارما).

والغزالي: يجعل الفريقين على الحق فمن قال يصدق عليه أزلا إسم الخالق

بالمعنى الذي يسمى السيف في الغمد صارما فهو محق ومن قال أنه لايصدق عليه أزلاً،إستدلالا بالمعنى الذي يطلق حالة المباشرة في القطع فهو محق أيضاً..(١). ولكن مع هذا يرد هنا بعض التساؤلات منها:-

١) إذا كانت الأفعال التى اشتقت منها الصفات حادثة، فهل يقوم بذات الله تعالى حادث عند حدوث هذه الأفعال؟ .

السؤال الثاني: وإذا كان الإيجاد حادثا فهل هو وصف كمال حادث يلزم من عدم وجوده أزلا كون البارى تعالى ناقصا في الأزل.

ويجيب الأشاعرة عن هذين السؤالين بمايلي:-

أما جوابهم عن السؤال الأول: وهو هل حدوث الوجود يقتضي حدوث الإيجاد في ذات البارى؟ .

فأجابوا بقولهم: إن قضية الخلق أو الإيجاد بالمعنى المصدري ليس بالضرورة أن يكون أمراً وجودياً حتى يمكن الإشتقاق منه فنقول الباري تعالى خالق ولكن يكفي صحة الإشتقاق أن يكون الخلق أمراً اعتبارياً لاتحقق له في الخارج ويتعلل الأشاعرة على كون الخلق بالمعنى المصدري أمراً اعتباريا دون أن يكون أمراً وجودياً قديماً أوحادثاًبأمور :-

١ - أنه إن كان قديما لزم قدم المخلوق وقد ثبت حدوث كل ماسوى الله.

٢ - وإن كان حادثا احتاج إلى خلق آخر وهكذا إلى ما لانهاية له ولزم التسلسل في أمور مجتمعة ومترتبة وهو ممتنع عند كل من الفلاسفة والمتكلمين(٢).

١- أنظر : الإقتصاد في الإعتقاد للغزالي ص ١٠٠- ١٠١،

الباقلاني: التمهيد ص ٢٦٣.

٢- تفسير سورة الفاتحة للرازي ص ١٣٤ نشر عبدالرحمن محمد المطبعة البهية المصرية.

فضلا عن أنه لاخلاف بين الأشعرية والماتريدية في منع حدوث الخلق أو التكوين لكونه أمراً وجودياً وإلاّ لزم قيام الحوادث بذاته.

فالصفات الفعلية - كما قال الرازي - ليست عبارة عن حالة ثابتة لذات الله تعالى ولامعنى قائماً بذات الله تعالى بل هي عبارة عن مجرد صدور بالآثار عنه.(١) فليس في المذهب الأشعري إلا الخالق تعالى بقدرته القديمة، وإرادته الأزلية والمخلوق الحادث الذي تتعلق به قدرته تعالى القديمة على وفق إرادته تعالى، وتعلق القدرة أمر اعتباري، وهو الذي يصفونه بالخلق أو الإيجاد أو التكوين ولايقتضي كون الخلق أمراً إعتباريا أن لايكون الباري تعالى موجودا بالفعل لأنه تعالى غني لايحتاج فعله إلى مباشرة أو معاناة.

وهذا هو التصور الحقيقي لحقيقة الفعل عند الأشاعرة، ولهذا نرى إصرارهم على القول باعتبارية التكوين، مادامت القدرة قديمة ولاشيء غيرها كافية عند التعلق في إيجاد الموجود ولهذا نجد الشيخ إبراهيم الكوراني ينسب إلى الإمام الأشعري قوله: ((إن هذه الصفات -أي العقلية - لاتحدث في الذات شيئا جديدا لأنها ليست أموراً موجودة في الخارج والحادث الذي يمتنع حلوله بذاته تعالى هو الأمر الموجود بعد العدم(٢).

ولكن الماتريدية ردت رأى الأشاعرة هذا في إعتبارية الخلق والفعل فذهبت إلى إعتبار الخلق والإيجاد أمراً وجودياً قديماً قائماً بالذات.كما أن بعض أئمة الماتريدية ذهبوا إلى القول بضرورة وجود أمر معين زائد على القدرة به يكون الإيجاد والتأثير بين الفاعل وغيره،لأن إمتياز الفاعل عن غيره إن كان إمتيازاً بالقوة فالقدرة المطلقة كافية في ذلك الإمتياز، وإن كان إمتيازاً بالفعل

١- لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للرازي: مراجعة طه عبدالرؤوف سعد ص ٤٤.

٢- الشيخ إبراهيم الكوراني: القول المبين في مسألة التكوين، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٧٣ عقائد تيمور ص ٥، وما بعدها.

كان المراد هو صدور المفعول عنه(١).

فحاصل قول الأشاعرة أن هذه الصفات لما كانت أموراً اعتبارية من قبيل الإضافات فلا مانع من إتصاف الحق تعالى بها بعد أن لم يكن متصفاً بها لأنها لاتحدث في الذات شيئاً جديدا حتى يلزم من هذه الإضافات حلول الحوادث وإنما يلزم إتصافه تعالى بأمر إعتباري جديد وتجدد الإعتبارات أمر جائز عندهم. فالأمور الإعتبارية هي التعلقات.

والتعلق عندهم / إقتضاء الصفة الإلهية أمراً زائداً على قيامها بالذات(٢) كاقتضاء القدرة -وهي صفة وجودية - إيجاد الموجود، واقتضاء الإرادة الإلهية - وهي صفة وجودية أزلية- تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه..

وهذه التعلقات كما سبق أن ذكرنا لاوجود لها في الخارج عندهم وإنما هي أمور اعتبارية.

والأمر الإعتباري عندهم/ هو ما لا تحقق له إلا بحسب فرض العقل وإن كان موصوفه متصفاً به في نفس الأمر، كالوجوب، والإمكان والقدم، والحدوث....(٣)

وضابط الإعتبارات عندهم: أن كل ما يتكرر مفهومه، ويتصف كل فرد منه بمفهومه أمر إعتباري لاوجود له في الخارج وإلا لزم التسلسل المحال.

فالإيجاد ليس أمراً وجودياًو لأنه لو كان أمراً وجودياً للزم احتياجه إلى

١- أنظر حاشية الخيالي على النسفية (مجموعة الحواشي البهية) ج ١ ص ١٣٠، حاشية العصام على النسفية (مجموعة الحواشي البيهة) ج٢ ص ١٩١، حاشية قول أحمد على الخيالى (مجموعة الحواشي البهية) ج ٢ ص١٠٩.

٢- إبراهيم بن أبي الحسن البناني: شرح مقدمات السنوسي- المطبعة المنيرية الطبعة الأولى سنة ١٣٠٤هـ ص ٤٤، إبراهيم بن محمد البيجوري: شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحقة المريد على جوهرة التوحيد، نشر الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٦٧م ص ٨٩.

٣- سعد الدين التفتازاني ج١ ص ٨٨، التهانوي: كشاف إصطلاحات العلوم والفنون جـ١ ص ٧٢.

إيجادثان، والثاني إلى ثالث، ويلزم التسلسل المحال.

والتخصيص بالإرادة ليس أمراً وجودياً لأنه لو كان أمراً وجودياً للزم إحتياجه إلى تخصيص ثان والثاني إلى ثالث ويلزم التسلسل (١).

وإذا اعترفت الأشاعرة بأن للصفات الإلهية تعلقات وإضافات واعتبارات فهل هذه التعلقات قديمة أزلية؟ أم أنها حادثة؟ أم أنها مشتركة منها ما هو قديم ومنها ماهو حادث؟

يجيب الأشاعرة بأن هناك تعلقات قديمة وتعلقات حادثة حيث يقسم الأشاعرة الصفات من حيث التعلق إلى قسمين:-

١ - قسم لايتعلق وهو الحياة:

فهذه لاتتطلب أمراً زائداً على قيامها بذات الباري تعالى، لأنها ليست من صفات التأثير كالقدرة والإرادة، ولا من صفات الإنكشاف كالعلم والسمع والبصر، ولا من صفات الدلالة كالكلام، وإنما هي شرط في صحة ثبوت المعاني.

٢ - قسم له تعلق بما سوى الذات وهي تعلقات قديمةوحادثه :-

وهو بقية صفات المعاني من العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع ، والبصر، والكلام، والإجماع بينهم شبه حاصل على أزلية تعلق العلم، والإرادة، والكلام.

فالعلم له تعلق واحد تنجيزي قديم، ويكون مفاده العلم بتعلقه إحاطة علمه تعالى أزليا إحاطة تفصيلية بالواجبات والجائزات والمستحيلات .

والإرادة لها تعلقان قديمان:-

أحدهما : صلوحي قديم:وهو صحة تخصيص الشيء في الأزل ببعض ما يجوز

١- أنظر في إثبات أن تعلقاتالصفات أموراً اعتبارية وابطال مذهب المخالفين فيأبكار الأفكار للآمدي -تحقيق د/أحمد المهدي ص ٤٢٢ - ٤٢٣. حاشية الأمير علي على شرح عبدالسلام على الجوهرة ص ٩٢، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

عليه من الأمور المتقابلة.

والثاني: تنجيزي قديم: وهو قصده تعالى أزلا تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه فيما لايزال.

وأما الكلام فله تعلق واحد تنجيزي قديم ومفاد ذلك دلالة كلامه تعالى في الأزل على جميع الأمور الواجبة والجائزة والمستحيلة (١)وقبل أن نتكلم عن التعلقات الحادثة يجدر بنا أن نتطرق قليلا لقضية (كلام الله تعالى حيث أن هذه القضية لها إرتباط وثيق بقضية بحثنا حول أزلية أفعال الله وأبديتها .

فالكلام الإلهي عندهم: قديم وهو معنى قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت (٢). ولايختلف ولايتغير لأن الكلام الحقيقي هو المعنى الموجود بالنفس (٣) القائم بذات الله، وهو الأمر والنهي والخبر والإستخبار إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة(٤).

وجاء في شرح المواقف/

ونقول هو الكلام حقيقة وهو قديم بذاته تعالى لامتناع قيام الحوادث.. هو المعنى النفسي الذي يعبر عنه بصيغة الخبر والأمر(٥)، وقد يجعل للكلام أمارات وعلامات فيكون قولا باللسان تارة، وقد يستخدم الحرف والصوت بهيئة معينة وترتيب معين للدلالة على مايقوم بالنفس وقد يستخدم الإشارة والرمز والخط والرسم للدلالة على الكلام النفسي أيضا لكنه مع ذلك كلام قديم ليس بحادث وأما الأدلة النقلية من القرآن والسنة والتى قد يستفاد منها الحدوث

١- انظر : الفتح المبين في تعلقات صفات رب العالمين للشيخ أحمد بن حسن الجوهري مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٧٦، علم الكلام ص٦٥، شرح البيجوري على الجوهرة.

٢- الباقلاني: الإنصاف ص ١٠٦، الإقتصاد في الإعتقاد للغزالي: ص ٧٣-٨٥ شرح المواقف للجرجاني ، جـ ٥، ص ١٤٧-١٥٠.

٣- الباقلاني: الإنصاف ص ١٠٦-١٠٩.

٤- أنظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٢-١٢٣، الإقتصاد في الإعتقاد للغزالي ص ٩٥-١٠٠.

٥- على بن محمد الجرجاني: شرح المواقف ص ١٥٠-١٥١ بتصرف.

فأولوها بأنها خاصة للألفاظ والحروف للدلالة على حدوثها وهذه الألفاظ والحروف ليست عين كلامه تعالى(١) وعلى هذا الإعتبار فسروا تكليم الله تعالى لعبده موسى عليه السلام واستخدام الحروف والألفاظ في كلامه تعالى لموسى عليه السلام ليس إلا للدلالة على مافي نفسه سبحانه من المعاني القديمة القائمة (٢) لأنه لو كان كلامه تعالى محدثا فلا يخلو إما أن يحدثه في نفسه سبحانه، أو أن يحدثه قائما بنفسه لافي محل، أو أن يحدثه قائما بنفسه لأنه صفة والصفة لاتقوم بنفسها، ويستحيل أن يحدثه بغيره لأنه يقتضي أن يكون ذلك الغير هو الآمر الناهي، فلم يبق إلا أنه قديم وأن الله لم يزل متكلماً وكلامه غير مخلوق(٣).

أما التعلقات الحادثة : فيرى الأشاعرة إثبات تعلقات حادثة لبعض الصفات كالقدرة، والسمع، والبصر.

فالقدرة يثبتون لها تعلقين:-

١ - صلوحي قديم : بمعنى أنها في الأزل صالحة للإيجاد والإعدام على وفق تعلق الإرادة الأزلية فيما لايزال.

٢ - تنجيزي حادث : وهو تعلقها بالممكن حال الوجود تعلق تأثير وهو المعبر عنه بالإيجاد.(٤).

أما صفات السمع والبصر: فقد نقل البغدادي عن أبي الحسن الأشعري وبقية الأشاعرة المتأخرين أن السمع والبصر يتعلقان بجميع الموجودات فلا مانع

١- ابن فورك: مجرد مقالات الأشعري ورقة /٢٨.

٢- محمد بن عبدالله الحسيني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ج ٢٠ ص ٧٤ ، الطبعة الرابعة ١٩٨٥، بيروت -لبنان .

الآمدي : غاية المرام في علم الكلام ص ١١٠-١١٢.

٣- أبو الحسن الأشعري: اللمع ص ٤٣-٤٤، . الأربعين للرازي ص ١٧٩، ومعالم الدين ص ٦٢، والتمهيد للباقلاني ص ٢٣٨

٤- شرح البيجوري على الجوهرة ص ٧٠.

أن تنكشف الأصوات للبصر وأن تنكشف المرئيات للسمع(١).

وذهب التفتازاني : إلى أنه لا مانع من تعلق السمع بالمسموعات ومن تعلق البصر بالمبصرات. (٢)وذهب غيره من الأشاعرة أيضاً إلى أن السمع والبصر صفتان قديمتان تعدان المتصف بهما لإدراك المسموعات والمبصرات (٣).

وذهبوا إلى القول بأن صفتي السمع والبصر لهما نوعين من التعلق:

١) تنجيري قديم : وهو تعلقهما بذات الله تعالى وصفاته.

٢) تنجيزي حادث : وهو تعلقهما بذوات المخلوقين وصفاتهم بعد وجودهم ولايخرج كلامهم عن تعلقات الصفات في بقية الصفات الأخرى عن هذا .

وعلى كل فإن الأشاعرة لايرون القول بحدوث الصفات ولايرون القول بقيام الحوادث أو حلولها بذات الله تعالى وكل هذه الإعتبارات والتعلقات إنماهدفهم من ذلك هو تنزيه الله تعالى على رأيهم من قيام الحوادث بذاته.

ولهذا لايرون تجدد الفعل الإلهي لله تعالى كمالاً ولانقصاً ولا فرق عندهم بين أن يوجد الفعل في الأزل أو أن يوجد بعده بزمن وهذا ما يؤكدونه في مناقشاتهم، وأجوبتهم بأن الإيجاد ليس صفة حقيقية قائمة بذات الله تعالى فلا يقال إنها كمال أو نقص .

يقول الإمام محمد عبده : (وأما ماذكروه من الخالقية، فلا نقول بأنها أمر حقيقي حدث للباري تعالى بذاته، أو استلزم ذلك بل أقول : إنها اعتبار محض، ولم يقع في الخارج سوى الحادث المخلوق) (٤) وهذا هو ما يؤكده التفتازاني من قبله بقوله:(إن الإلزام بحدوث الإدراك السمعي والبصري من قِبَلْ المثبتين لقيام الحوادث غير وارد في محل النزاع لأنها إضافات واعتبارات

١- أصول الدين للبغدادي ص ٩٧، طبعة بيروت الطبعة الأولى ١٩٨١م.

٢- شرح المقاصد ج ٢، ص ٧٢.

٣- شمس الدين بن محمود الأصفهاني: شرح مطالع الأنظار على متن طوالع الأنوار للقاضي عبدالله بن عمر البيضاوي، المطبعة الخيرية ط . الأولى ١٣٢٣هـ ص ١٨٢-١٨٣

٤- الشيخ محمد عبده: بين الفلاسفة والكلاميين ج ٢ ، ص ٥٢٦-٥٢٧.

لاوجود لها في الخارج فلا قيام لها بالذات)(١).

ويقول الغزالي :(وأما أهل الحق فإنهم قالوا إن الحادثات تحدث بإرادة قديمة تعلقت بها فميزتها عن أضدادها المماثلة لها .
ثم يقول : (وكل فريق مضطر إلى إثبات صفة شأنها تمييز الشيء عن مثله وليس ذلك إلا الإرادة فكان أقوم الفرق قيلا وأهداهم سبيلا من أثبت هذه الصفة ولم يجعلها حادثة بل هي قديمة وهذا مما لايستغني عنه فريق من الفرق وبه ينقطع التسلسل..)(٢).

ويعوِّل الرازي أيضاً : على الإرادة القديمة بأنها تخصص الممكن أو ترجحه ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة في وقت الإيجاد والفعل فيقول:
((إن الإرادة صفة حقيقتها التخصيص .. وإنا وجدنا بعض أفعال الله متقدمة وبعضها متأخرة مع أن ما تقدم كان يجوز في العقل أن يتأخر، وما تأخر كان يجوز في العقل أن يتقدم، وإذا كان كذلك أفتقر ذلك التقدم والتأخر إلى مرجح ومخصص لامتناع حصول الرجحان لاعن مرجح فإن قلنا: أن ذلك المرجح قد يكون القدرة أو العلم أو أى صفة أخرى لكن لايجوز أن يكون المرجح هو القدرة لأن خاصية القدرة الإيجاد وذلك بالنسبة إلى جميع الأوقات على السوية ولايجوز أن يكون المرجح هو العلم لأن العلم بالوقوع في زمان معين تبع للوقوع في ذلك الزمان المعين، فلو كان هو تبعا لذلك العلم لزم الدور فثبت أنه لابد من شيء آخر يكون مخصصا مرجحا سوى القدرة والعلم وظاهره أن الحياة والكلام والسمع والبصر لاتصلح لذلك ولابد من إثبات صفة وراء هذه الصفات

١- شرح المقاصد للتفتازاني ج ٢ ص ٥٢.

٢- الغزالي: الإقتصاد في الإعتقاد ص ٦٩، ٧٠.

خاصيتها الترجيح والتخصيص وتلك الصفة هي المسماة بالإرادة))(١).

ونجده أيضا يفرق بين الإرادة والتكوين فيقول (إن المفهوم من التخصيص غير المفهوم من التكوين فإذا اختلف المفهومان وتغاير الإعتباران سمينا مفهوم مبدأ التخصيص بالإرادة، وسمينا مفهوم مبدأ الإيجاد والتكوين بالقدرة(٢).

ويؤكد الإمام الرازي على كون الإرادة قديمة وليست محدثة كما ذهب إلى ذلك المعتزلة بقوله: (والدليل على صحة ماذكر - أي أنه تعالى مريد بإرادة قديمة - أنه ثبت بالبرهان أن كل محدث فإن حدوثه مختصٌ بوقت معين مع أنه يجوز في العقل تقدمه أو تأخره عن ذلك الوقت المعين، فإذاً تخصيص الحادث بذلك الوقت المعين إنما كان بالإرادة فلو كانت الإرادة محدثة لكان حدوث تلك الإرادة موقوف على إرادة أخرى ولزم التسلسل وهو محال، فثبت أن إرادة الله تعالى قديمة)(٣)، هذا هو منهج الأشاعرة في قضية الخلق والإيجاد الذي يعتبرونه فعلا من أفعال الله تعالى.

وبعد هذه الدراسة في مذهبهم ومصادرهم في ما يتعلق بموضوعنا حول أزلية وأبدية أفعال الله تعالى يمكن لنا أن نخرج بنقاط مهمة ملخصة في البنود التالية :-

١ - أنهم يقدمون كلامهم في ما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى من صفات

١- انظر الأربعين في أصول الدين للرازي ص ١٤٧، الخمسون في أصول الفقه ص ٤٠، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، تحقيق طه عبدالرزاق وبذيله تلخيص المحصل لنصر الدين الطوسي الطبعة الأولى الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - دار الكتاب العربي - بيروت لبان ص ٢٤٣، نهاية العقول في رواية الأصول مخطوط جامعة أم القرى رقم ١٨٧، ١٢٧/ب

٢- الأربعين ص ١٤٩.

٣- الخمسون ص ٤٤

وأفعال وغيرهما بالكلام عن الجواهر والأعراض والأجسام وإثبات حدوثها وأن هذه الأجسام والأعراض والجواهر متحيزة، في جهة، متغيرة حادثة وكائنة بعد أن لم تكن والله سبحانه وتعالى منزه عنها فهو سبحانه ليس بجسم ولا بعرض ولا متحيز ولا في جهة ولايقبل التغير وكل فعل أو صفة يؤدي إثباتها لله تعالى بأن يكون متحيزاً أو متغيراً يجب نفيها عنه. ومن هنا ذهبوا إلى القول بامتناع حلول المعاني والحوادث بذات الله تعالى.

٢ - إثباتهم حدوث أفعال الله تعالى وأن أفعاله ليست أزلية لأنها لو كانت أزلية لوجب أن تكون معه مقارنة له وهذا يؤدي إلى القول بقدمها ومن هنا حكموا بأن العالم حادث ليس بقديم ولا أزلي ومن ثم تبنو أن الحوادث لها إبتداء وأنه كان الله وحده ولافعل له ثم كانت هناك فترة لايوجد فيها فعل وأنه كان معطلا عن الفعل، ثم أحدث الله أفعاله.

٣ - تأويلهم لجيمع النصوص النقلية من الكتاب والسنة لتنزيه الله تعالى بناءاً على رأيهم المبني على شبهة الحدوث والتغير والجسمية والتركيب والتحيز وغيره لأن الأخذ بظواهر النصوص، يؤدي إلى القول بالجسمية وأن يكون سبحانه مشابها بالحوادث ولهذا وجب عندهم تأويل تلك النصوص.

٤ - إستدلالهم على صحة أقوالهم بأدلة نقلية منها : -

قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا

ربي فلما أفلت قال ياقوم إني برئ مما تشركون﴾ (١). وقوله ﷺ : (كان الله ولم يكن شيء قبله)(٢).

٥ - إعتبارهم أن الصفات الفعلية ليست حالة ثابتة لذات الله، ولا معنى قائما بذاته تعالى بل هي عبارة عن مجرد صدور الآثار عنه وإنما هي من قبيل الأمور الأعتبارية ومن قبيل التعلقات الحادثة الذي لايستدعي قيام أمر حادث بذات الرب تعالى فليس وجوده كمال ولا عدمه نقص له سبحانه وتعالى ولامعنى للخالق إلا أنه وجد المخلوق منه بقدرته، ولا معنى للرازق إلا أنه وصل الرزق إلى العبد بسبب إيصاله وهكذا في بقية أفعال الله تعالى.

٦ - إثباتهم أن محدث الأفعال من العالم وغيره يجب أن يكون عالما بعلم، حيا بحياة، قادراً بقدرة، مريداً بإرادة، سميعاً بسمع، مبصراً ببصر، متكلماً بكلام، وهذه الأسماء والصفات قديمة صادقة عليه أزلاً وأبداً لا تنفك عنه فسيتحيل إتيان فعل من ميت، ويستحيل إتيان الإتقان والكمال في الصنع من جاهل ويستحيل إظهار الفعل إلى الوجود من ضعيف مقهور ويستحيل أن من يكون ذا حياة وعلم وإرادة وقدرة غير سميع ولابصير ولامتكلم ولامريد.
فهذه الصفات يجب إثباتها لله تعالى كما ينبغي لجلاله وكماله من غير تشبيه ولاتمثيل ومن غير تكييف ولاتعطيل....

ونكتفي بهذا القدر من عرض آراء الأشاعرة في أزلية وأبدية أفعال الله تعالى والتي أنهت رأيها بالقول بأن أفعال الله تعالى ليست أزلية تبعا لجمهور المتكلمين من معتزلة وما تريدية وغيرها وننتقل إلى مبحث المناقشة.

١- سورة الأنعام آية (٧٨)

٢- الحديث أخرجه البخاري أنظر ص(٣٣٤) من الرسالة .

المطلب الثاني : مناقشة رأي الأشاعرة :-

فيما سبق ناقشنا المعتزلة وما اتفق الأشاعرة معهم فيه من القول بحدوث أفعال لله تعالى و أنها غير أزلية و أن الحوادث لها إبتداء و أبطلنا طريقتهم.

وقلنا : أن هذه طريقة محدثة مبتدعة فى دين الإسلام ، لم يثبت عن أحد من سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين مع ما فيها من مسالك طويلة عريضة (١)ونود هنا أن نفرد الأشاعرة بالمناقشة على وجه التفصيل في المسائل التالية :-

المسألة الأولى : الصفات السبعة وعلاقتها بأفعال الله تعالى أزلا و أبدا .

المسألة الثانية : الأدلة النقلية و العقلية على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى أزلا و أبدا .

المسألة الثالثة : مدى صحة أدلتهم في نفي قيام الأفعال الحادثة بذات الله تعالى.

وفيما يلي نتناول كل قضية من هذه القضايا بشيء من التفصيل و التحليل و النقد على ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة .

المسألة الأولى :الصفات السبعة وعلاقتها بأفعال الله تعالى أزلا و أبدا :-

لقد تبين لنا عند عرضنا لرأي الأشاعرة أنهم يثبتون لله تعالى سبع صفات سموها صفات معاني، وقد أثبتوا تلك الصفات بالعقل و الشرع ، فقالوا: قد دل العقل على استحالة حدوث العالم من غير محدث له، وهذا المحدث يجب أن يكون متصفا بصفات وجودية قديمة أزلية زائدة على ذاته، فهو عالم بعلم قادر بقدرة، مريد بإرادة ، سميع بسمع ، بصير ببصر، حي بحياة، متكلم بكلام (٢).

١- أنظر : بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ١ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٨، وانظر مناقشة المعتزلة فى هذه الرسالة ص٢٨٩ - ٢٩٣، ٣٠٦ - ٣٣.

٢- أنظر : شرح المواقف للجرجاني ، تحقيق د/أحمد المهدي ص ٧٧-١٦٣ وغاية المرام في علم الكلام للآمدي ص ٣٨-٨٨

فالعالم المتقن دل على العلم ، وإيجاده من العدم دل على القدرة، وتخصيصه لأحد المقدورين دل على الإرادة، ومن كان عالماً قادراً مريداً وجب أن يكون حياً سميعاً بصيراً متكلماً وقالوا إن النصوص النقلية قد أثبتت صحة ما ذهبوا إليه، وقالوا أيضاً إن الأسماء المشتقة من هذه الصفات صادقة عليه أزلا وأبدا.

ونحن نقف مع الأشاعرة عند هذه الصفات بعض الوقفات :-

أ - قبل أن نتكلم عن هذه الصفات الأزلية وعلاقتها بأفعال الله تعالى أزلا وأبدا، نرى أن نبدأ مناقشتنا بتوطئة مهمة لها علاقة قوية بتخصيص إثبات هذه الصفات السبعة دون غيرها وهو أن أهل الحق من سلف الأمة أثبتوا لله تعالى الأسماء والصفات والأفعال الواردة في كتاب الله تعالى وفي سنة رسول الله ﷺ وكذلك نفوا عن الله تعالى كل مانفاه الله تعالى عن نفسه في كتابه وكل ما نفاه عنه رسوله ﷺ فى سنته من غير اللجوء إلى طرق المتكلمين المحدثة، حيث لم يثبت عن أحد منهم ممن صنف في التوحيد وإثبات صفات الرب تعالى من أهل القرون المفضلة أنهم قسموا صفاته تعالى هذه التقسيمات، واتخذوا هذه الطرق العقلية المبنية على حدوث الأعراض والمعاني القائمة بالأجسام وغيرها، ولا نريد أن نسرد أسماء المصنفين وأسماء كتبهم في هذا الأمر فقد سبق أن ذكرناهم في الفصول السابقة (١).

ومن جهة أخرى قد يقول قائل إن هؤلاء الأشاعرة أثبتوا هذه الصفات بالعقل

١- أنظر مثلا كتاب صحيح البخاري في باب التوحيد وكذلك صحيح مسلم والتوحيد لابن خزيمة ، والإيمان لابن منده، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، والإبانة لابن بطة، والحجة فى بيان المحجة للأصبهاني وغيرها من كتب السنة، وانظر التمهيد ص٣، ٤ من الرسالة.

والشرع معا دون غيرها فيقال له ، ليس فقط هذه الصفات التي تثبت بالعقل والشرع بل جميع صفات الله تعالى تثبت بالعقل والشرع فحصرهم صفات الله تعالى في هذه السبعة فقط لادليل لهم عليه من كتاب ولا من سنة مع مافيه من مخالفة لمنهج السلف الصالح الذين أخذوا بصحيح المنقول وصريح المعقول .

وكذلك مر علينا أن الأشاعرة لما استدلوا بالأجسام والأعراض وغيرها على حدوث العالم وقرروا بعد ذلك أن الله تعالى منزه عن صفات الأجسام والحوادث والمخلوقات ثم أثبتوا له الصفات السبعة دون غيرها لأن العقل أثبتها.

فإنه يقال لهم في هذا الذي ذهبوا إليه / إن كنتم قد نفيتم عن الله تعالى باقي الصفات لمشابهتها للأجسام في الجسمية، والصفات الحادثة لها من الأعراض وغيرها، فكيف أثبتم لله تعالى هذه الصفات السبعة وأنتم تعلمون أنه مامن موجود مخلوق عاقل حادث إلا وهو يتصف بهذه الصفات السبعة، وغيرها من الصفات ؟.

فإن كان جوابكم: أن هذه الصفات قائمة بذات الله تعالى على ماتليق به سبحانه وتعالى، كما أنها قائمة بالمخلوقين على ما تليق بهم.

فإننا نقول لكم : إذاً لماذا اقتصرتم على هذه الصفات فقط ؟ فإن أهل السنة والجماعة يثبتون جميع صفات الله الواردة في القرآن والسنة على مايليق بجلال الله وعظمته،وللمخلوقين أيضاً على ماتليق بهم.

فإن قلتم : إن الفعل الحادث دل على القدرة ، والتخصيص دل على الإرادة ، والإحكام دل على العلم وهذه الصفات مستلزمة للحياة والحي لايخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك .

فنقول لكم : فلنفترض أن ما سلكتموه من الدليل العقلي لايثبت إلا هذه الصفات فإنه لاينفي بقية الصفات فعدم الدليل المعين لايستلزم منه عدم المدلول المعين ومع ذلك يمكن إثبات بقية الصفات بنظير ما أثبتم به هذه السبع صفات فقط، فالإحسان إلى العباد يدل على الرحمة كدلالة التخصيص على الإرادة،وإكرام الطائعين يدل على محبتهم ، وعقاب الكافرين يدل على بغضهم.. وهكذا فى بقية الصفات.

فإن قلتمْ : الغضب غليان دم القلب لطلب الإنتقام.

فيقال لكم: فكذلك الإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن قلتم: هذه إرادة المخلوق فيقال لكم فكذلك هذا غضب المخلوق(١).

وخلاصة القول:

في هذا الأمر أن يقال لكم : إن إثباتكم لبعض الصفات على حقيقتها بالعقل والشرع وتأويلكم لبقية الصفات الأخرى التي أثبتها العقل والشرع أيضا هو تناقض منكم حيث يلزمكم في الصفات الأخرى ما أثبتموه في الصفات السبعة الأولى، وتأويلكم لها من غير قرينة شرعية هو تعطيل للصفة وتعطيل الصفة هو نفيها ومن هنا إشتد إنكار السلف عليكم.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :

« ولهذا لايوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض الذين يوجبون فيما نفوه إما التفويض وإما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ قانون مستقيم فإذا قيل لهم: لم

١- أنظر القضية بتوسع في التدمرية: لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص ٣١-٣٢، تحقيق د. محمد السعوي.

تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد ؟ لم يكن لهم جواب صحيح فهذا تناقض في النفي .

وكذا تناقضهم في الإثبات ، فإن من تأول النصوص على معنى من المعاني التى يثبتها فإنهم إذا صرفوا النص عن المعنى الذي هو مقتضاه إلى معنى آخر لزمهم في المعنى المصروف إليه ما كان يلزمهم في المعنى المصروف عنه ...... ، وهذا الكلام لازم لهم في العقليات وفي تأويل السمعيات : فإن من أثبت شيئاً ونفى شيئاً بالعقل أُلزم فيما نفاه من الصفات التى جاء بها الكتاب والسنة نظير ما يلزم فيما أثبته ، ولو طولب في الفرق بين المحذور في هذا وهذا لم يجد بينهما فرقا » (١).

والحق أن مرد هذا ومرجعه هو إعتمادهم على العقل فقط مع الإستعانة والمتابعة لمناهج المتكلمين من معتزلة وغيرهم.

ولهذا قلّ أن نجد كتابا من كتب التوحيد والعقيدة وأصول الدين عند الأشاعرة خالياً من الكلام عن الجواهر والأعراض وإثبات حدوثها ومن ثم الإستدلال بحدوثها على محدثها، وأن محدثها ينبغي أن يكون مخالفا لها وأن الحوادث يجب أن تبدأ من نقطة معينة عندها تكونت الحوادث وإلا وجب التسلسل وهكذا ...

وقد مر معنا في عرضنا لرأيهم الشيء الكثير، وهذا هو عين المخالفة لمنهج الأنبياء والمرسلين والتابعين لهم بإحسان من بعدهم.

أما الكلام عن الصفات السبعة وعلاقتها بأفعال الله تعالى أزلاً وأبداً فإننا نقسم الكلام فيه إلى النقاط التالية:-

١) قد علمنا أن الأشاعرة يثبتون لله تعالى سبع صفات قديمة أزلية خلافا

١- مجموع الفتاوي جـ٣ ، ص ٢٦

للجهمية والمعتزلة - وهي العلم، والحياة ، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وهذه الصفات قائمة بذاته على الحقيقة ، لازمة له ولاتنفك عنه، ولكن هنا أسئلة تطرح نفسها في هذا المجال وهي :

هل علم الله تعالى قديم أزلي لايتجدد ؟ وهل قدرته واحدة أزلية قديمة غير متجددة ؟

وهل إرادته قديمة أزلية واحدة غير متجددة بهاخصص كل شيء كان وسيكون؟.

وهل سمعه وبصره وكلامه قديم أزلي به تم كل شيء فسمع كل شيء كان وسيكون؟

وهكذا أبصر كل مرئ في الماضي والمستقبل والحاضر ؟ وهكذا في كلامه تعالى هل هو معنى قديم قائم بالنفس لايحتاج إلى صوت وإلى حروف ولايتجدد ؟

فبهذا المعنى القديم كلم موسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام ؟ أم أنه منه ما هو ما ضي قد إنتهى ومنه ما سيحدث يوم القيامة ومنه ما هو متجدد يومياً في تكليمه لملائكته الموكله بشئون الخلق والتدبير والتصريف؟ أم أن جنسه ونوعه باق قديم وأما آحاده فمتجدد وفان ؟ وهل لكل مراد إرادة خاصة ؟ ولكل معلوم علم خاص به ؟ ولكل مسموع سمع خاص به أو لكل مرئ رؤية خاصة به ؟ ولكل نبي كلام خاص به؟ وغيرها من الأسئلة الكثيرة والسؤال المهم في موضوعنا.

ما هو جواب الأشاعرة على هذه الأسئلة المتعلقة بهذه الصفات القديمة الأزلية؟ الذي لاحظناه من كلام الأشاعرة أنهم يفرون من الإجابة الواضحة الصريحة لهذه التساؤلات، ويحومون حول الجواب بأقوال أخرى بعيدة عن عقيدة السلف ، كل ذلك خوفا من القول بجواز قيام الحوادث بذات الله تعالى.

فيقولون : إن هناك تعلقات قديمة بين الصفات السبعة وبين أفعاله وهذه التعلقات ما هي إلا مجرد أمور إعتبارية، لافرق عندهم في وجودها وفي عدمها، ولا يترتب عليها كمال أو نقص ، بمعنى أن هذه الأمور الإعتبارية وجودها

لايعتبر كمالا ومدحا لله تعالى كما أن عدمها لايعتبر نقصا ولاذما لله تعالى.

ثم هناك أمر آخر، وهو أنهم يقسمون هذه التعلقات إلى تعلقات قديمة في العلم والإرادة والكلام، وإلى تعلقات قديمة وحادثة في السمع والبصر، ويقولون إن الإجتماع شبه حاصل عندهم على أزلية تعلق العلم والإرادة والكلام، فالعلم له تعلق واحد تنجيزي قديم ، وكذلك الإرادة لها تعلقان قديمان صلوحي قديم وهو صحة تخصيص الشيء في الأزل ببعض ما يجوز عليه ، وتنجيزي قديم وهو قصده تعالى أزلا تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة فيما لايزال.

وكذلك الكلام القديم القائم بذات الله تعالى له تعلق واحد تنجيزي قديم كما أشرنا إلى ذلك سابقا، ومن هنا نستطيع أن نقول إذا كانت تعلقات العلم والإرادة والكلام كلها قديمة أزلية فإن تجدد هذه الصفات بأفعال مختلفة كما عرضها القرآن الكريم والسنة النبوية كلها أمور إعتبارية لاتقتضي مدحاً ولا ذما ، وأن مراداته ومعلوماته ومفعولاته الكلامية كلها أزلية قديمة سواء كانت موجودة أو غير موجودة فقد قصدها وأرادها أزلاً ليس منها شيء متجدد لأن القول بتجددها يؤدي إلى القول بقيام الحوادث وحلولها في ذات الله تعالى بزعمهم.وقبل أن نحكم بصحة هذه الإجابات وصدقها من عدمها فإننا نقول لماذا لم تضيفوا إلى هذه التعلقات القديمة الأزلية تعلقات السمع والبصر ؟ ولماذا جعلتم لصفتى السمع والبصر تعلقات حادثة دون غيرها من الصفات ؟ فقلتم إن السمع يتعلق بالمسموعات وإن البصر يتعلق بالمبصرات لافرق بين قديمها

وحادثها (١).

وقولكم بتعلقات حادثة لصفات السمع والبصر والقدرة تلزمكم القول بقيام الحوادث بذات الله تعالى على مصطلحكم. ثم أنتم بهذا المسلك أثرتم على أنفسكم كثيراً من التهم من غيركم حيث احتجت الفلاسفة عليكم وغيرهم بأن الله إذا لم يكن متصفاً ببعض الصفات ولم يكن كاملاً حتى أحدث له هذه الأفعال التي سميتموها تعلقات حادثة أو قديمة، على زعمكم .

ثم إنكم مع ذلك لم توفقوا إلى الجواب الصحيح مع قولكم بقدم الإرادة والقدرة والعلم والكلام وقدم تعلقاتها ، لأنه إذا كانت التعلقات قديمة فلا فرق بينهما وبين الصفة، فعلى قولكم هذا فالتعلقات إذاً أزلية وهذا ممتنع عقلا والنقل قد أثبت تجدد هذه التعلقات.

فانظر مثلا في تجدد كلام الله تعالى وحدوث أفراده يقول تعالى ﴿مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون﴾(٢)، ويقول ﷺ : (إن الله يحدث من أمره ما شاء ، وإن مما أحدث أن لاتكلموا في الصلاة) (٣) وغيرها من الأفعال والصفات المتجددة والتي أثبتها النقل كما مر معنا في الفصل الثاني من الرسالة .

والحق أن ما فررتم منه في صفة العلم والإرادة والكلام وتعلقاتها وقعتم فيه هنا في تعلقات السمع والبصر والقدرة.

١- التفتازاني شرح القاصد جـ٢، ص ٧٢ ، الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز للعز بن عبدالسلام ص ١٣٧، شرح العقائد النسفية مجموعة الحواشي جـ١ ، ص ٣١٦

٢- سورة الأنبياء آية (٢)

٣- رواه ابن مسعود بألفاظ مختلفة في : البخاري ١٥٢/٩ كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: كل يوم هو في شأن، سنن النسائي بشرح السيوطي ١٦/٣ - ١٧، كتاب السهو : باب الكلام في الصلاة ، المسند ط المعارف ٢٠٠/٥ رقم ٣٥٧٥، ٣٣٩/٥-٣٤٠ (٣٨٨٥) ، ٢١/١٦ (رقم ٣٩٤٤) ، ٦/ ٩١ (٤١٤٥) صحيح ابوداود برقم ٨٥٧.

وهذا تناقض منكم وهروب عن قول الحق وعدم الإذعان والإتباع لله سبحانه وتعالى فيما أثبته عن نفسه بكلامه الواضح الذي لاعوج فيه في القرآن الكريم. وما أثبته له رسوله ﷺ كما في الحديث السابق وغيره فإما أن تنفوا هذه التعلقات المتجددة في أفعاله سبحانه عامة وإما أن تثبتوها عامة كما أثبتها النقل الصحيح وقبلها وأقربها العقل الصريح.

ثم إنكم مع هذا كله قد خالفتم السلف وقلتم في صفات الله وأفعاله ما لم يقله السلف وقسمتم أفعاله المتجددة من هذه الصفات إلى صلوحي وتنجيزي قديم وحادث أو قديم فقط أو حادث فقط، وهذا كله لم يقل به أحد قبلكم من أئمة أهل السنة والجماعة ولم يرد دليل نقلي ولاعقلي مع مافيه من التناقضات الشيء الكثير. وأكبر دليل على ذلك إختلافكم في هذه التعلقات فمن قائل بأن تعلقات السمع والبصر حادثة ، ومن قائل بأنها تعلقات قديمة ؟ ومن قائل بأنها صفات قديمة فقط، ومن قائل بأنها هي العلم الأزلي الذي يتحقق لدى وجود المرئيات والمسموعات ومن قائل بأنها مدركات للسمع وللبصر، ومن قائل بأنها إضافات لاتقوم بالذات (١).

وأما أدلة هذه الآراء من الكتاب والسنة فهي خالية منها، بل الذي حصل أنه قد استدل بعض منكم بالرؤي المنامية كما أورده أبو عذبة الحسن بن عبدالمحسن في كتابه « نتائج أفكار الثقات فيما للصفات من التعلقات» عن أحد الصوفية بأنه قال: نوديت من ربي قل للجاهلين بي إن سمعي وبصري يتعلقان

١- الآمدي : غاية المرام في علم الكلام ص ١٢١- ١٤٢. شرح المواقف : لسعد الدين التفتازاني : ص ١٤٢-١٤٥، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به : للباقلاني ص ٣٧-٣٩ ، شرح عقيدة التوحيد الكبرى للسنوسي ص ٢٨٤-٢٨٥.

بالممكن المعدوم يعني الذي تعلق علم الله بوجوده، وأما الذي تعلق علم الله بعدمه فلا يتعلقان به أصلا... » (١).

وهذه الاختلافات الكثيرة هي من أعظم الأدلة على ضعف ووهن ما ذهبتم إليه من نفي تجدد أفعال الله تعالى (وخاصة في صفتى السمع والبصر) وأهل السنة والجماعة كما سبق أن ذكرنا قد آمنوا بتجددها كما أثبتها النقل فلم يعترضوا لها بالنفي ولا بالتأويل المحرف بل أثبتوها على حقيقتها لله تعالى على ما تليق بجلال الله من غير تشبيه ولاتمثيل. كما قال تعالى ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ (٢) . وقوله تعالى ﴿قد سمع الله . . . ﴾(٣)وقوله ﴿والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾(٤)وقوله تعالى:﴿ أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم ﴾ (٥) وقوله ﴿ولايكلمهم الله ولاينظر إليهم يوم القيامة.... ﴾(٦) وغيرها من النصوص الصريحة في هذا الشأن.

١- نتائج أفكار الثقات فيما للصفات من التعلقات لأبي عذبة مخطوط بمكتبة الأزهر ورقة ٦. ، وانظر مراجع الأشاعرة في اختلافاتهم في تعلقات الصفات بين القدم والحدوث في : حاشية الغفاري على شرح المواقف جـ ٨، وما بعدها ، شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني ، جـ٢، ص ٥٢، شرح عقيدة التوحيد الكبرى للسنوسي ص ٢٨٤، أصول الدين للبغدادي ص ٩٧، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لعبد الوهاب الشعراني جـ١ ، ص ٦١ وغيرها من كتب ورسائل الأشاعرة، ومنها قضية قيام الحوادث بين النافين والمثبتين لعبد العزيز إبراهيم بحيري، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين ص٤٠؟

٢- سورة طه آية (٤٦)

٣- سورة المجادلة آية (١)

٤- سورة المجادلة آية (١)

٥- سورة الزخرف آية (٨٠)

٦- سورة آل عمران آية (٧٧)

ومن هنا يدرك كل عاقل لبيب كيف استحوذت فكرة حلول الحوادث الناتجة عن قياسهم الباطل للخالق وصفاته وأفعاله، بالأجسام الحادثة وصفاتها وأفعالها وتحركاتها وتغيراتها، فنفوا من أجل ذلك أكثر أفعال الله وصفاته لتشابهها وتماثلها بالأجسام. كما تبين لنا ذلك عند عرضنا لآرائهم حيث سيطرت عليهم لوثة الخوض من التشبيه والتغير والتركيب والحدوث وغيرها من المعاني الحادثة.

ولهذا لانتعجب أبداً حينما نجد بعض أئمتهم المتأخرين لم يعترفوا بهذه الآراء ولم يقبلوها كا لإمام الرازي في المطالب العالية، فبعد أن حرر محل النزاع في الصفات الحقيقية (السبعة) وتجددها ذهب إلى القول صراحة بتجدد هذه الصفات كما ذهب إليه أرباب العقول من أهل السنة والجماعة (١)، لكن الأشاعرة اعتبرت هذا القول هو قول بجواز قيام الحوادث بذات الله تعالى(٢) .

أما قولكم بأن تجدد الصفة هو أمر اعتباري لايعد كمالا ولانقصا فإن أهل الحق يقولون لكم: إذا كان تجدد الصفة عند المخلوقين يعتبر كمالا وعدمه يعتبر نقصاً وعيباً وذماً، فكيف إذا كان الله تعالى هو واهب هذه الكمالات ؟ أفليس إتصافه بالأفعال الاختيارية وتجددها له بها سبحانه وتعالى على مايليق بجلاله وعظمته من باب أولى؟ بشرط أن لايلحقه فى إتصافه بها ذم أونقص. والحق أنه ليس في إتصافه بها ذم أو عيب، لأنه لو كان شيء من ذلك لتنزه عنه سبحانه والذي صح وثبت في كتابه سبحانه أنه اتصف بها وأثبتها لنفسه وكذلك أثبتها

١- المطالب العالية من العلم الإلهي للرازي تحقيق د. أحمد السقا ص ١٠٦-١٠٨ طبعة بيروت سنة ١٩٨٧م.

٢- انظر: قضية قيام الحوادث بذات الله تعالى بين المثبتين والنافين: عبدالعزيز ابراهيم بحيري ص ٢١٦ - ٢٤٢

له رسوله ﷺ والمؤمنون يتقبلون ذلك من غير أي شك أو شبهة أو إعتراض .

ومن أمثلة ما جاء في كتاب الله تعالى قوله تعالى ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾(١)حيث علق سبحانه الإرادة للمستقبل بقوله ﴿أردناه﴾ والذي جاء على صيغة أخرى في قوله تعالى ﴿ إذا أراد شيئا ﴾(٢) فمجرد أمره تعالى للشيء الذي يريده سبحانه وتعالى بقوله كن فيكون، فالإرادة اذاً سابقة على الأمر ، وبعد الأمر بـ(كن) يكون الشيء وكلما أراد شيئا سبحانه وتعالى فإن إرادته تتجدد حسب مراده للشيء إما إثباتا وإما نفيا وإما حبا وإما بغضا وإما وجوداً وإما عدماً وإما إكراماً وإما عقوبةً وعذاباً ومن الأفعال الإلهية المتجددة في صفة الإرادة التى وردت في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر﴾(٣) وقوله ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾(٤) وقوله ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾(٥)وقوله ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ﴾(٦)وقوله ﴿ وإن يردك بخير فلا رآد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾(٧) وقوله ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾(٨) وقوله ﴿إن الله يحكم ما يريد ﴾(٩)وقوله ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما

١- سورة النحل آية (٤٠)

٢- سورة يسن آية (٨٢).

٣- سورة البقرة آية (١٨٥)

٤- سورة الذاريات آية (٥٧)

٥- سورة القصص آية (٥)

٦- سورة الرعد آية (١١)

٧- سورة يونس (١٠٧)

٨- سورة البقرة آية (٢٥٣)

٩- سورة المائدة آية (١)

يصعد في السماء ﴾(١) وهكذا في بقية الأفعال المتجددة القائمة بذات الله على مايليق بجلاله وقدسه وعظمته والتي فيها الدلالة الواضحة على قيام الأفعال به ولولا ذلك لم يكن فعّالا ولاموصوفا بصفات الكمال فالفعل من لوازم الحياة والرب لم يزل فعالا ولايزال موصوفا بالفعل (٢).

ولانريد أن نستقصي الأفعال المشتقة لبقية الصفات فالقرآن الكريم ملئ بهذه الأفعال وهكذا السنة النبوية المطهرة وقد سقنا نماذج منها في الفصول السابقة في أكثر الصفات الإلهية الواردة في الكتاب والسنة.

فالشاهد مما سبق أن قول الأشاعرة بإرادة قديمة أزلية وتأخر مرادها والتعبير عنها بحدوث الأفعال، قول ظاهر الفساد فيه كثير من المغالطات.
فيقال لهم: كيف تثبتون إرادةً أزلية قديمة تقتضي منها أن يكون سبحانه مريداً وفعالاً أزلا ثم تثبتون له أفعالاً حادثة وتستدلون على ذلك بحدوث العالم القائم على الجواهر والأعراض ؟ ولقد كان المعتزلة أوفق منكم وإن كانوا على خطأ حيث قالوا إن العالم حادث، ومحدثه أحدثه بإرادة حادثة، وأنتم خالفتموهم فقلتم إن العالم حادث ومحدثه أحدثه بإرادة قديمة غير حادثة، وسلكتم نفس المسلك في مقدورات الله تعالى وأنه قدرها بقدرة قديمة وكذلك في معلومات الله تعالى وفي كلام الله .

وهذا لايمكن لعاقل لبيب أن يأخذ به أو حتى يقتنع به عقلا.
لأنه إذا كانت صفة الإرادة والعلم والقدرة قديمة ، وكذلك تعلقاتها أيضا قديمة

١- سورة الأنعام آية (٢٥)

٢- أنظر الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبدالعزيز السلمان ص ١٥٠

فلم لم تنجز مراداته أزلا ثم لماذا أثبتم حدوث المخلوقات والمفعولات وزعمتم أن لأفعال الله تعالى بداية خلافا على قولكم بقدم الصفات وقدم تعلقاتها؟ ثم لماذا تناقضتم في إثباتكم لهذه الصفات دون غيرها حيث نفيتم أفعاله سبحانه وتعالى الإختيارية كإكرامه للطائعين وملاقاتهم نضرة وسروراً ومحادثتهم من غير ترجمان ومناداته لآدم بأن يخرج بعث النار وهكذا في سائر أفعاله المتجددة التى سيفعلها سبحانه كما نطق بذلك القرآن والحديث على مايليق به تعالى ؟ .

فإن قلتم إن سبحانه أحدث مراداته، بإرادة وتعلق (صلوحي وتنجيزي) قديمين كان معنى ذلك أن الفعل قديم وهذا فيه متابعة للفلاسفة يستلزم منه مقارنة الفاعل لمفعوله والعلة لمعلولها . وبالتأكيد لاتقبلون بهذا الإلزام لكن قولكم يلزم ذلك .

وإن قلتم/ إن الله تعالى أوجد مراداته بإرادة قديمة وتعلق قديم لكن الفعل حادث .

فهذا هو التناقض بعينه، ثم إذا أعتبرنا قولكم هذا صحيحا فلماذا خالفتم فقلتم بعد هذا أنه سبحانه لاتقوم به الأفعال الحادثة والمتجددة وعبرتم عن ذلك باستحالة حلول الحوادث وامتناعه بذات الله .

فعلى قولكم هذا إما أن تكون أفعاله قديمة، وهذا ممتنع عندكم، وإما أن تكون أفعاله حادثة، وهذا الذي تقولونه وهذا ممتنع أيضا لأنه يلزم وجود فترة كان الله تعالى فيها غير فاعل وغير قادر وغير مريد وهذا محال ونقص وتقول على الله تعالى بغير علم ولادليل.

وإما أن تكون أفعاله متتابعة فكل فعل قبله فعل وكل فعل بعده فعل ولكل فعل إرادة سابقة له متجددة وهذا الذي فررتم منه ولم تقولوه مع أن النصوص

النقلية تؤيد ذلك والعقل الصريح يوافقه ولايمنع ذلك.فإذا أراد سبحانه شيئا قال له [كن] فكان. فالإرادة إذاً سابقة، والأمر بعده وعقبه.

فلا مفر إذاً من القول بتجدد إرادة الله مع كل مراد، وكذلك تجدد قدرة الله تعالى مع كل مقدور ، وتجدد علمه تعالى مع كل معلوم كما قال تعالى ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ....﴾ (١)وقوله تعالى ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾(٢)﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم.... الآية﴾(٣) ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾(٤)﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (٥) ﴿يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾(٦)﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ (٧)وهكذا في بقية أفعاله تعالى المتجددة القائمة بذاته سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته فهو سبحانه مازال فاعلا في الأزل وهو على ذلك لم يزل فعالا إلى الأبد كما قال تعالى ﴿فعال لما يريد﴾(٨).

١- سورة البقرة آية ١٤٣)

٢- سورة آل عمران آية (١٤٢)

٣- سورة الأنعام آية (٦٥)

٤- سورة العنكبوت آية (٢٠)

٥- سورة الحج آية (٣٩)

٦- سورة النور الآية (٤٥)

٧- سورة الشورى آية (٢٩)

٨- سورة البروج آية (١٦).

ويوضح شيخ الإسلام هذا فيقول:

(وأما قوله تعالى ﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلالنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾(١)وقوله ﴿ولنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾(٢)ونحو ذلك من الآيات فهذا هو العلم الذي يتعلق بالمعلوم بعد وجوده، وهو العلم الذي يترتب عليه المدح والذم والثواب والعقاب). وقد روى عن ابن عباس أنه قال في هذا : لنرى، وكذلك المفسرون قالوا: لنعلمه موجوداً بعد أن كنا نعلم أنه سيكون.

وعامة السلف وأئمة السنة والحديث على أن المتجدد أمر ثبوتي كما دل عليه النص)(٣).

٣) أما احتجاج الأشاعرة بأن تجدد الأفعال الإلهية لهذه الصفات القديمة السبعة أنها مجرد أمور إعتبارية سواء سموها تعلقات أو نسب أو إضافات أو غيرها فيقال لهم: الحق في هذا كما سبق أن ذكرنا أنها ليست مجرد أمور إعتبارية، بل لابد أن يكون كمالا، لأن الله تعالى يتنزه عن كل عبث ونقص.

فالفعل الحادث يكون كمالا وقت حدوثه ووجوده، كما أنه يكون نقصاً وذما قبل وجوده.

فمناداته مثلا لموسى عليه السلام كانت كمالاً لما جاء موسى عليه السلام لمناجاة ربه ولو ناداه قبل ذلك لكان نقصا ، والله منزه عنه، لأن أفراد الحوادث يمتنع قدمها وما امتنع قدمه لم يكن عدمه في القدم نقصا.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (فما وجد من الحوادث في ذاته أو بائنا عنه كان وجوده وقت وجوده هو الكمال، وعدمه وقت عدمه هو الكمال ، وكان عدمه وقت وجوده أو وجوده وقت عدمه نقصا يتنزه الله عنه سبحانه وتعالى ، فقد تبين الفرق بين نوع الحوادث وأعيانها، وأن النوع لو كان حادثا بذاته بعد أن لم

١- سورة البقرة آية (١٤٣)

٢- سورة الكهف آية (١٢)

٣- مجموع الفتاوى: جـ١ ص ٤٩٦ بتصرف.

يكن لزم كماله بعد نقصه أو نقصه بعد كماله)(١). فلا يعقل بعد هذا أن يقال : إن الله أراد ويريد كل شيء بإرادة قديمة وتعلق قديم، وأن يقال بأنه سبحانه علم ويعلم وسيعلم كل شيء بعلم قديم وتعلق قديم غير متجدد، وأنه سبحانه تكلم ويتكلم وسيتكلم بكلام نفسي قديم في الأزل.

فإن قيل: معنى ذلك أنكم تحكمون بقدم الفعل ، أو باستمرارية الفعل والمرادات والمقدورات والمعلومات وتجددها ، وأنه لم يزل متكلما وفاعلا منذ الأزل وهذا القول يلزم منه وجود كلام لا إبتداء له، وإذا لم يزل متكلما وجب أن لايزال كذلك، فيكون متكلما بكلام لانهاية له وهذا يستلزم وجود ما لايتناهى من الحوادث وتسلسلها ودوام فاعلية الرب تعالى ، وهذا محال.

فيقال لهم: هذا ليس بمحال، بل هو الحق الموافق للنقل والعقل ، ولهذا أهل السنة والجماعة يقولون إن كلمات الله لانهاية لها وكلمات الله تعالى لاتخلو منها الأفعال الكثيرة التى لايستطيع أحد حصرها كما قال تعالى : ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)(٣).

أما القول : بأن وجود مالا يتناهى من الحوادث محال .

فإنه يقال لهم : هذا الكلام وإن صح فإنه لايثبت إلا في المخلوقات الحادثة وعلى أفعال العباد.

أما أنه يضاف إلى أفعال الله تعالى وأنه يستحيل أن يكون دائم الفاعلية

١- مجموع الفتاوى جـ٦، ص ٣٢٦.

٢- سورة لقمان آية (٢٧)

٣- سورة الكهف آية (١٠٩)

وأنه يستحيل أن لا تتناهى مفعولاته فهذا باطل فهو سبحانه القادر العزيز المريد القهار الغالب أزلاً وأبداً ولايعجزه شئ. طبقاً للأدلة الواردة في القرآن والسنة. مع أن هذا المصطلح لم يثبت في القرآن الكريم في ذات الله نفياً ولا إثباتا، ولم يصدر عن أحد من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم مثل هذا القول وإنما صدر من أهل الكلام بناءاً على دليلهم الذي استدلوا به على حدوث العالم وحدوث الأجسام والأعراض وأنها لاتخلو من الحوادث ، وما لايخلو عن الحوادث فهو حادث.

وهذا دليل باطل عقلا وشرعا، وهو أصل الكلام الذي ذمه السلف وهو أصل قول الجهمية نفاة الصفات.

ثم هذا القول إذا ميز بين حقه وباطله كما سبق أن ذكرنا علم أنه لايصلح أن يكون حجة لهم بل هو حجة عليهم ، لأنه يدل على حدوث ماسوى الله فكل مالايخلو من الحوادث أى من الممكنات المفتقرة فهو حادث، فأخذوا هذا قضية كلية وقاسوا فيها الخالق على المخلوقين قياسا فاسدا وأخذوا كذلك قولهم (القابل للشيء لايخلو عنه وعن ضده) قضية كلية فقاسوا فيها الخالق بالمخلوق وهذا أساس خطأهم (١).

٤) فالقول بدوام الفعل لله تعالى مع إرادته وقدرته القديمتان أزلاً وأبدا ليس بمحال وإن أدى إلى التسلسل فهو تسلسل جائز عقلا وشرعا. كما سنتعرض لذلك بالتفصيل في الفصل القادم بإذن الله تعالى ولكن الذي نؤكده هنا أن مذهب السلف قائم على دوام فعل الله تعالى لأن الحي لايكون إلا فعّالاً كما قال الإمام البخاري وذكر ذلك نعيم بن حماد وعثمان بن سعيد وابن خزيمة وغيرهم خلق كثير بأن أفعاله وكلماته لانهاية لها فكل فعل مسبوق بفعل، وكل كلام مسبوق بكلام قبله إلى مالا نهاية .

فهو سبحانه يفعل ويتكلم ويخفض ويرفع ويريد ويعلم ويقدر بمحض قدرته

١- أنظر : مجموع الفتاوى لأحمد بن تيمية جـ٦، ص ٢٩٩.

ومشيئته . وكل هذا من غير تشبيه أو تمثيل أو تحريف أو تعطيل فما جاء عن الله فهو على مايليق بالله، وما ثبت للمخلوقين فهو ثابت لهم على مايليق بهم وأهل السنة والجماعة على هذا الأمر ثابتين ومؤمنين .

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : (فأما كونه سبحانه وتعالى يتكلم بكلمات لانهاية لها وهو يتكلم بمشيئته وقدرته وهذا هو الذي يدل عليه صحيح المنقول وصريح المعقول وهو مذهب سلف الأمة وأئمتها ، والفلاسفة توافق على دوام هذا النوع وقدماؤهم يوافقون على قيام ذلك بذات الله تعالى كما يقوله أئمة المسلمين وسلفهم)(١).

لكن أهل الكلام ظنوا أن معنى كون الله خالقا لكل شيء أنه سبحانه وتعالى لم يزل معطلا لايفعل شيئا ولايتكلم بشئ أصلا، بل هو وحده موجود بلا كلام يقوله ولافعل يفعله ثم إنه أحدث ما أحدث من كلامه ومفعولاته المنفصلة عنه فأحدث العالم وغيره، ولما كان حقيقة هذا القول أن الله سبحانه وتعالى لم يكن قادراً على الفعل في الأزل ، بل قادراً عليه بعد أن لم يكن قادراً عليه أنكره أهل السنة والجماعة عليهم وهذا ما حصل في خراسان حينما نقم أهلها على الجويني وأتباعه.(٢).

وكان أساس الخطأ في ماوقعت فيه الأشاعرة هو سيطرة تلك المقدمات العقلية على عقولهم .

حيث قالوا إن العالم مكون من الجواهر والأعراض والجواهر لاتخلوا من الأعراض والأعراض حادثة وما لايخلوا من الحوادث فهو حادث .

فالمعتزلة نفوا الصفات ونفوا الحوادث عن الله تعالى ولم يثبتوا إلا ذاتا مجردة عن الصفات.

وأما أئمة الأشاعرة وهم الكلابية فإنهم قالوا تقوم به الصفات القديمة ولاتقوم

١- أحمد بن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٥، ص ٥٣٦ .

٢- المصدر السابق جـ٥، ص ٥٤١ بتصرف

به الحوادث لأنها أعراض غير باقية، وصفات الله تعالى باقية بخلاف الأعراض القائمة بالمخلوقات.

ولوقامت الحوادث بذات الله تعالى لم يخل أن يكون مثلهالأن القابل للشيء لايخلو منه أو من ضده وما لايخلوا عن الحوادث فهو حادث وحاشا لله تعالى أن يكون حادثا.

وأئمة السلف الصالح ينكرون هذا القول ويقولون هذا الكلام لادليل عليه من كتاب ولا من سنة ولا من أثر من آثار الصحابة والتابعين .

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : (ثم جاء أبو الحسن الأشعري ، فاتبع طريقة ابن كلاب وأمثاله وذكر فى كتبه مقالة أهل السنة والحديث ... لكن ابن كلاب وأتباعه لم يثبتوا لله أفعالا تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، بل ولاغير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته، والمعتزلة استطالوا على الأشعرية ونحوهم من المثبتين للصفات بما وافقوهم عليه من نفى الأفعال القائمة بالله تعالى ... واضطروهم إلى أن فسروا تأثير القدرة في المقدور هل هو قديم أزلي، أم هو حادث أزلي ؟ أم منه ما هو قديم وحادث ولهذا فر القاضي أبوبكر إلى قول، وأبوإسحاق الإسفرائيني إلى قول، وأبوالمعالي الجويني إلى قول لمّا رأوا ما في هذا القول من التناقض)(١) فلهذا ينبغي للعاقل أن يقف من هذه المقالات موقف الحكيم الناقد البصير حتى لاينخدع بها فينساب من غير أن يشعر إلى نفي أفعال الله تعالى أو نفي تجددها . لأنها قائمة على مزاعم عقلية قد يغتر بها الغافل والجاهل ولايعلم أنها خالية من البرهان واليقين والدليل .

ومع ما سبق فإن السلف لايشبهون إرادات الله تعالى الحادثة والخاصة لكل مراد وكذلك مقدورات الله الخاصة والمتجددة في كل وقت وزمان وما يقوم بذات الله تعالى من كلام حادث متجدد أو مايقوم بذاته من علم متجدد أو غير ذلك من الأفعال والمعاني التى تقوم به سبحانه وتعالى، بما يقوم بالأجسام والجواهر من أعراض حادثة وإن إتصف بها بعض مخلوقاته تعالى كما أثبت ذلك سبحانه وتعالى فى كتابه.فما الإشكال في أن نقول تتجدد لله تعالى إرادات

١- مجموع الفتاوى جـ٨، ص ١٢٨-١٢٩

وقدرات وعلوم وغيرها كما يليق بجلاله وقدرته وعظمته كما تتجدد للمخلوق إرادات خاصة وقدرات خاصة كالمخلوقات ؟؟ والموفق والهادي من وفقه الله وهداه إلى هذا التفريق الموافق لما جاء فى القرآن والسنة فى الإثبات ونفي المماثلة والمشابهة، وهو العدل في هذه القضية . حيث لم ننف تجدد الأفعال التى أثبتها القرآن ، ولم نؤول فيها ذلك التأويل الذي أدى الفرق الكلامية إلى نفيها وتعطيلها.

٥) أما تسمية الصفات الإلهية أعراضاً وتسمية المعاني التى تتعلق بمشيئته وقدرته حوادثا فهي مصطلحات محدثة في الإسلام لم يقله أحد من السلف وأئمتهم، بل هو قول مخالف لما عليه جماهير العقلاء من جميع الطوائف بل من الناس من يقول إنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام ثم ليس هو عرف أهل اللغة ولا عرف سائر أهل العلم ، والحقائق المعلومة بالسمع والعقل لايؤثر فيها اختلاف الاصطلاحات ، وأصوبها ما وافق لغة القرآن الكريم وهدي الرسول ﷺ وهدي السلف الصالح فما نطق به الرسول ﷺ والصحابة الكرام رضوان الله عليهم جاز النطق به باتفاق المسلمين ، وما لم ينطقوا به فإن تلك المصطلحات يستفصل عمن قالها وما مراده منها فإن كان المعنى صحيحا موافقا للكتاب والسنة قبل المعنى ورد اللفظ وإن كان المعنى باطلا رد اللفظ ورد المعنى كما سبق أن ذكرنا ذلك فى كلامنا عن الجهة والجسم والحيز وغيرها....

٦) وأما القول / بأن ما يقبل الحوادث لايخلو منها وما لم يخل من الحوادث فهو حادث

فيقال لهم:

أولا : من أين لكم أن ما يقبل الحوادث لايخلو أن يكون حادثا مثله ؟ إن هذه المقدمة تحتاج لدليل عقلي ونقلي والواقع غير ذلك.

فقد يقبل الحوادث ، وهو غير حادث، وقد يقبل الحوادث وهو حادث، وأقل ما

يقال في هذا أن هذه المقدمة متنازع في صحة ثبوتها وصدق دلالتها (١).

ثانيا : إذا قصدتم (بأن ما يقبل الحوادث لايخلوا منها ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث) بحادث معين أو مايسبق الحادث المعين كالإنسان فهو حادث، والذي يأتي بعده مثله حادث، والذي قبله حادث حتى يتوقف هذا الحادث إلى حادث أول وهو آدم عليه السلام فهذا حق لا ريب فيه أما إذا أردتم بالحوادث الأفعال المتجددة من الصفات العقلية وغيرها والتي تتكون شيئا بعد شئ إلى مالانهاية كما هو في أفعال الله تعالى فهذا باطل مردود عليكم بالنصوص القرآنية والسنة.

وأنتم أخذتم هذه القاعدة وطبقتموها في أفعال الله تعالى المتجددة في حدوث إرادته وكلامه وقدرته وسمعه وبصره ومشيئته وعلمه، وسائر صفاته الفعلية والخبرية والاختيارية.

يقول الدكتور/ أحمد سعد حمدان (فهذه المسألة تعني نفي جميع صفات الله تعالى عزوجل الفعلية كالإستواء والمجيئ والنزول إلى السماء الدنيا والرضى والغضب ونحو ذلك مما ورد به النصوص لأنها عندهم حوادث، فلوجاز حلولها في ذات الله تعالى لكان مخلوقا حسب القاعدة التي قعدوها لإثبات الخالق) (٢).

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (ثم إن المستدلين بذلك أي بحدوث العالم على حدوث الأجسام قالوا: إن الأجسام لاتخلوا عن الحوادث، ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم تنوعت طرقهم في المقدمة الأولى، فتارة يثبتونها بأن الأجسام لاتخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان، وتارة يثبتونها بأن الأجسام

١- أنظر : مجموع الفتاوى : لابن تيمية جـ٢١/ ٢٤١-٣٤١،أنظر مجموعة الرسائل والمسائل جـ٣، ص ٣٦٥-٣٦٦، ٤٤٣-٤٤٤، مجموع الفتاوى جـ٥ ص ٥٣٧-٥٤٠ لابن تيمية ، ابكار الأفكار للآمدي تحقيق د/أحمد المهدي ص ٥٠٩، الأربعين للرازي ص ٢٠ شرح المواقف جـ٨ص ٣٧

٢- فطرية المعرفة: د/أحمد سعد حمدان ص ٢٢٩، ط ١٤١٥هـ، دار طيبة - الرياض

لاتخلو عن الإجتماع والإفتراق وهما حادثان، وتارة يثبتونها بأن الأجسام لاتخلو عن الأكوان الأربعة الاجتماع والإفتراق والحركة والسكون وهي حادثة.... ، وهذا الكلام مجمل، فإنه إذا أريد به ما لايخلو عن الحادث المعين أو مالا يسبق الحادث المعين فهو حق بلاريب ولا نزاع فيه، وكذلك إذا أريد بالحادث جملة ماله أول أو ماكان بعد العدم ونحو ذلك، وأما إذا أريد بالحوادث الأمور التي تكون شيئاً بعد شئ لا إلى أول وقيل إنه مالا يخلو عنها، وما لم يخل عنها فهو حادث لم يكن ذلك ظاهراً ولا بينا..)(١) .

وقد قرر شيخ الإسلام أحمد بن تيمية مسألة إمتناع قيام الحوادث بذات الله تعالى بحجة أن الأجسام لاتخلو عن الحوادث، ومالا يخلوا عن الحوادث فهو حادث وأن الله تعالى لاتقوم به الحوادث، وأبطل هذه القاعدة في أكثر كتبه ورد على المتمسكين بها من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم (٢).

ويكفينا هنا أن نعلم أن أهل السنة والجماعة لم ينظروا إلى مثل هذه القواعد المحدثة المبتدعة في فهمهم ودراستهم لأفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته وإنما أذعنوا وسلموا لما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ من غير إعتقاد أي شبهة أو مماثلة بالحوادث المخلوقة لدى المخلوقين.

١- مجموع الفتاوى : لابن تيمة جـ١٢/١٤٠-١٤٢.

٢- أنظر : مجموعة الرسائل والمسائل: لابن تيمية ٣/٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٦١، ٤٦٢، مجموعة الفتاوى لابن تيمية جـ٥/٥٦٠ - ٥٦٩، جـ ١٢/١٤٠-١٤٤، ودرء تعارض العقل والنقل جـ١/٣٢٠، جـ٢/٣-١٤٧، جـ٤/١٨-٢٢، ٤٥-٦١، ٨٢-٨٤، منهاج السنة النبوية جـ٢/٢٧٠-٢٨٨.

المسألة الثانية : الأدلة النقلية والعقلية على قيام الأفعال الاختيارية بذات الله أزلا وأبدا: -

لقد تبين لنا مما سبق في عرضنا لآراء الأشاعرة أنهم يؤولون جميع أفعال الله تعالى تأويلا يخل بالمعنى الحقيقي للمدلول الصحيح لنفس الفعل والصفة وهذه الأفعال التي سنتكلم عنها هنا هي الأفعال المشتقة للصفات السبعة . وبقية الأفعال والصفات التي لم يثبتها الأشاعرة أصلا على زعمهم لمشابهتها الحوادث والتغير والحركة.

ولم ينفرد الأشاعرة بهذا الرأي بل سبقهم أو تبعهم في هذا المضمار غيرهم من الفرق الكلامية كالفلاسفة والجهمية والمعتزلة وغيرهم . فلهذا فإن هذه المناقشة ليست مقتصرة على الأشاعرة فقط وإنما الأشاعرة وغيرهم بدءاً من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة وجمهور المتكلمين السابقين منهم والمتأخرين والمعاصرين(١).

ولقد سقنا نماذج كثيرة من آيات القرآن الكريم وصحيح الأحاديث النبوية المطهرة ، وبينا آراء المفسرين وشراح الحديث من أهل السنة والجماعة (٢) وسنتناول القضية هنا من جهة ثانية ، وهي دلالة هذه النصوص القرآنية والنبوية لصحة إثبات الأفعال الإلهية وصحة قيامها بذات الباري تعالى كما قال بذلك السلف الصالح في ردودهم على الجهمية وغيرهم لكن النفاة يعتبرون دلالة هذه

١-أنظر رسالة : قضية قيام الحوادث بين النافين والمثبتين: عبدالعزيز إبراهيم بحيري ص ٢١٦ - ٢٦٨، مكتبة كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة، مسائل العقيدة الإسلامية بين التفويض والتأويل: د/عبدالعزيز سيف النصر عبدالعزيز ، جـ٢/٢٣٧-٢٧٥، ٣٣٣-٣٤٩، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر، ابن تيمية ليس سلفيا، منصور محمد محمد عويس . ص ٧-١٩، دار النهضة العربية ط١/١٩٧٠م القاهرة، وانظر آراء الفلاسفة في هذه الرسالة ص ٢٦٥، ٢٧٤، وانظر آراء المعتزلة في هذه الرسالة ص ٢٩٤-٣٠٥.

٢- أنظر الفصل الثاني من الرسالة صـ٩١ - ٢٠٦

النصوص دلالة ظنية غير قطعية؛ لأن الدلالة العقلية قاطعتها حسب زعمهم فالدلالة الأصلية عندهم يجب أن يتفق فيها الدلالة النقلية مع الدلالة العقلية، وإن من ما يبطل زعمهم ويثبت صحة إعتقاد السلف في إثباتهم قيام الأفعال الإختيارية مايلي :-

١) قد ثبت بالسمع إتصاف الله تعالى بالأفعال الإختيارية كالقبض، والطي والإتيان والمجئ والنزول ، والاستواء، والضحك، والغضب، والرضا، والمحبة، والسخط، والرمي، والقذف، و الإحداث، والمناولة، والعجب، والنظر، والرؤية، والإستحياء، والقرب، والسمع، والبصر، والإرادة والكلام، والعلم والخلق وغيرها من الأفعال القائمة به.

فكل فعل سواء كان متعدياً أولازماً لابد له من فاعل، سواء كان فعله مقتصراً على نفسه أو متعدياً إلى غيره مع العلم أن الفعل المتعدي لايتعدى إلى الغير حتى يقوم بالفاعل أولاً، أو حتى يكون بإرادة الفاعل كما قال تعالى: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب﴾(١)، ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (٢) ، ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ (٣)﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش.. ﴾(٤) فلا بد لهذه الأفعال من فاعل وهو الله تعالى، وهذا معلوم بالسمع والعقل.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : (معلوم بالسمع اتصاف الله تعالى بالأفعال الإختيارية القائمة به، كالاستواء إلى السماء، والإستواء على العرش، والقبض، والطي والإتيان والمجيء، والنزول ونحو ذلك. بل والخلق، والإحياء،

١- سورة الطلاق آية (٢ ، ٣)

٢- سورة آل عمران آية (٣١)

٣- سورة الأنفال آية (٩٢)

٤- سورة السجدة آية (٤)

والإماتة، فإن الله تعالى وصف نفسه بالأفعال اللازمة كالإستواء، وبالأفعال المتعدية كالخلق، والفعل المتعدي مستلزم للفعل اللازم فإن الفعل لابدله من فاعل، سواء كان متعدياً إلى مفعول أو لم يكن، والفاعل لابد له من فعل، سواء كان فعله مقتصراً عليه أو متعدياً إلى غيره، والفعل المتعدي إلى غيره لايتعدى حتى يقوم بفاعله، إذ كان لابد له من الفاعل وهذا معلوم سمعاً وعقلاً) (١).

٢ - إن أهل اللغة العربية متفقون على أن الإنسان إذا قال: قام فلان وقعد أو أكل فلان الطعام وشرب الماء فإنه لابد أن يقوم بالفاعل في اللازم والمتعدي، ولابد أن يكون في الفعل المتعدي إلى المفعول به مافي الفعل اللازم وزيادة. ثم إنه يستحيل أن يقوم الفعل من غير أن يتعلق بالفاعل أولا.

وهكذا في أفعال الله الثابتة في القرآن والسنة بنفس اللغة العربية فإن تلك الأفعال اللازمة والمتعدية قائمة بالخالق جل جلاله على مايليق به سبحانه وتعالى.

ومن جوز أن يقوم بذات الله فعل لازم له لم يمكنه أن يمنع قيام فعل متعدي إلى الغير لأن سبب إحداث الفعل اللازم هو نفس السبب في إحداث الفعل المتعدي وهذا أمر واضح عند أهل اللغة العربية فنفي قيام الأفعال بذات الله تعالى باطل، كما أن إثبات قيام الفعل اللازم دون المتعدي أيضا باطل، بل الثابت والصحيح إثبات قيام جميع الأفعال الإختيارية بذات الله تعالى كما أثبت ذلك النقل الصحيح ولم يعارضه العقل الصريح.(٢).

٣ - ومع توافر وتعاضد الأدلة النقلية على صحة إثبات قيام الأفعال الإختيارية بذات الله تعالى فإنه لاخلاف في إثباتها عقلا بأن يقال مثلا:إذا قدر إثنان أحدهما موصوف بصفات الكمال- التي هي أعراض وحوادث على مصطلحات

١- درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية جـ٢، ص ٣-٤ .

٢- انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية جـ٢ ص ٤

المتكلمين والنفاة- كالفعل والبطش والعلم والرضا والإتيان والنزول والقدرة، والآخر يمتنع أن يتصف بهذه الصفات كان الأول أكمل، كما أن المتصف بهذه الصفات أكمل من الجمادات.

وكذلك إذا قدر إثنان أحدهما يحب نعوت الكمال ويفرح بها ويرضاها، والآخر لافرق عنده بين صفات الكمال وصفات النقص، فلايحب لاهذا ولا هذا، ولايرضى ولايفرح بهذا ولا بهذا كان الأول أكمل من الثاني.

وكذلك إذا قدر إثنان أحدهما يبغض المتصف بضد الكمال كالظلم والجهل والكذب ويغضب على من يفعل ذلك، والآخر لافرق عنده بين الجاهل والعالم، وبين الكاذب والصادق، وبين الظالم والعادل فلايبغض هذا ولاهذا، ولايغضب على هذا ولاعلى هذا كان الأول أكمل من الثاني.

ولله المثل الأعلى فإن الله تبارك وتعالى موصوف بصفات وأفعال الكمال على مايليق بجلاله فهو سبحانه يحب المحسنين ويثيب المتقين ويجزل المثوبة للصابرين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الدنيا والآخرة.

وهو سبحانه يبغض ويكره الظلم والكذب ويغضب على من فعل ذلك ويسخط على الكافرين ويعاقب الظالمين وهذه كلها أفعال وصفات كمالية تقوم بذات الله تعالى على مايليق بجلاله أزلاً وأبداً.

بمعنى أنه لم يزل متصفاً بها، لافرق بينها وبين صفات الذات، فهو كما أنه موصوف بصفاته أزلياً، كذلك لايزال عليها أبدياً، ومن اعتقد أن الله وصف بهذه الصفات الفعلية بعد أن لم يكن متصفاً بها فقد جانب الحق والصواب لأن صفات الله تعالى كلها صفات كمال، وفقدها صفة نقص أما حدوث هذه الأفعال وتجددها في وقت دون وقت كما في الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، فإن هذا الحدوث بهذا الإعتبار غير ممتنع عقلاً وشرعاً فلايطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن. فمن تكلم وغضب ورضي وقبض وبسط ونزل وجاء في هذا اليوم مثلا، وكان قد تكلم، وغضب على العاصي ورضي على المؤمن، وقبض وبسط بالأمس مثلا

لايقال له إنه حدث له ذلك ولم يكن متصفا بها قبل ذلك. فالكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل، ولايخرج عن كونه كاتبا في حال عدم مباشرته الكتابة (١).

٤ - قد يعتبر نفي الأفعال القائمة بذات الله تعالى صوابا، إذا أمكن وجود ذاتٍ كاملةٍ مجردةٍ عن هذه الأفعال والصفات، فكيف إذا كان ذلك ممتنعا؟ لأننا لانعلم وجود ذات مجردة عن الصفات والأفعال فضلا عن أن تكون تلك الصفات والأفعال كاملة أو غير كاملة ولله المثل الأعلى فهو الإله المتصف بالصفات والأفعال الكاملة المنزهة عن النقص كما أثبت ذلك النقل الصحيح لأنه يستحيل أن تكون ذات الله تعالى كاملة بدون الصفات والأفعال.

٥ - ومعلوم أن الذات القادرة على الفعل وتجددها، أكمل من الذات التي لايمكنها أن تفعل بنفسها شيئا ، بل هي كالجماد ولهذا جرت العادة على ألسنة العرب حينما يسأل أحدهم أخاه ماذا فعل ربك اليوم ؟ فيجيبه قائلا يرفع قوماً ويضع آخرين ومصداقه في كتاب الله قوله تعالى: ﴿يسئله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾(٢).

٦ - ثم إذا اعتبرنا صحة نفي أفعال الله تعالى، لكان كل ما نطق به الرسول ﷺ وكل ما جاءت به النصوص في هذا الأمر هو عين الضلال، وهذا باطل فدل نطقه وإثبات النصوص بذلك هو تمدح وثناء لله تعالى وصفات كمال على مايليق به سبحانه.

٧ - ثم إذا اعتبر النفاة صحة إثبات ذات حقيقية لا كالذوات، وصحة إثبات بعض الصفات وأفعالها المشتقة منها على الحقيقة فلماذا لايصح إثبات أفعال حقيقية للصفات الإختيارية ؟ فإن الإلزامات التى يلتزمون بها في نفي الأفعال هي نفس الإلزامات التي تلزمهم في إثباتهم للصفات الوجودية وأفعالها المشتقة.

١- أنظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٦-٨٦ بتصرف.

٢- سورة الرحمن آية (٢٩)

فلا مفر إذاً للنفاة بعد هذا إلا من إثبات الأفعال الإختيارية كما أثبتها النقل الصحيح وقبلها العقل الصريح، وجميع الإلزامات إنما هي صادقة لأفعال المخلوقين، أما أفعال الله تعالى فإنها متباينة لما هو ثابت للمخلوقين والمحدثين، وكذلك ليست هي على المجاز، بل هي على الحقيقة وماذكره المتأولون من وجوب التأويل بسبب الجسمية والحيز والجهة والتغير والحدوث وغيرها فهي باطلة، وقد ناقشناها في المباحث السابقة و هذه الشبهات إنما تلزم المخلوق، والله سبحانه وتعالى غني عن هذه اللوازم، والكل فقير إليه وإتصافه بالصفات والأفعال الإختيارية لايلزم منه أن يكون جسما أو متميزا، أو أن يكون داخل العالم، أو أن يكون محدودا بمكان أو متحركا كتحرك المخلوق الذي يلزم منه خلو المكان أو أن يكون متغيرا كتغير الحوادث.

وإنما يفعل سبحانه مايشاء بمحض مشيئته وإرادته وقدرته مع القول بقدم نوع الفعل وحدوث آحاده، وتجدد أفراده كلما أراد فعل أمر معين. فمن أثبت قدم الفعل أزلاً وأبداً لزم منه أن يكون المفعول على حال واحدة أزلا وأبداً وهذا مخالف للمشاهدة والواقع، فهو سبحانه يرفع بالقرآن أقواما ويضع به آخرين، وهو يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويعطي الملك لقوم وينزعه من آخرين وهذه الأفعال متجددة مع تجدد الأقوام والأمم والشعوب والدول والمماليك وهو وحده الحي القيوم القادر المريد الفعال على كل شيء.

يقول شيخ الإسلام ~~أحمد بن تيمية~~ : (وحينئذ فالذي هو من لوازم ذاته نوع الفعل لافعل معين ولامفعول معين ..... وهذا إنما يكون في الذات التي تقوم بها الأمور الإختيارية وتفعل بالقدرة والمشيئة، بل وتتصف بما أخبرت به الرسل من أن الله يحب ويبغض ويرضى ويسخط ويكره ويفرح، وغير ذلك ممانطق به الكتاب والسنة فأما إذا لم يكن إلا حال واحدة أزلا وأبدا، وقدر أن لها معلولا، لزم

أن يكون على حال واحدة أزلاً وأبداً..... ولهذا يبين سبحانه وتعالى الأدلة على إثبات الصانع بإحداثه الحوادث المشهودة، كإنزال المطر، وإنبات النبات، وخلق الإنسان وغيره(١).

وأمر آخر وهو أن إتصافه بهذه الأفعال لايلزم منها مشابهته بأفعال الحوادث فمثلا :

١ - في إثبات الغضب لله تعالى كما جاء النص بذلك ثم معرفتنا بأن الغضب في الشاهد هو علاقة مقارنة لغليان دم القلب لدفع المنافي قبل وجوده، كما أن الحياء مقارن لحمرة الوجه، والوجل مقارن لصفرة في الوجه، وهكذا في بقية الآثار والمعاني التي تقوم بالمخلوق.

فلو قدر أن هذا حقيقة غضبنا لم يلزم أن يكون غضب الله تعالى مثل غضبنا، كما أن حقيقة ذات الله تعالى ليست كذواتنا.

وكذلك إذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه والآخر لايضحك قط كان الأول أكمل من الثاني، وإذا كان الضحك مستلزماً لشيء من النقص فالله منزه عن ذلك، وليس حقيقة الضحك مطلقا مقرونة بالنقص، كما أن ذواتنا مقرونة بالنقص ولما أثبت الله لنفسه الضحك وجب إثباته والإيمان به ومعرفة معناه وتفويض الكيف فيه.

وكذلك وصفه تعالى بالتعجب والإستهزاء والنزول والمجيئ والإتيان وغيرها وحقائق تلك الأفعال ليست كحقائق إستواء ونزول ومجيئ وإتيان الخلق بل إن معاني تلك الأفعال معلومة لنا وأما كيفياتها وحقائقها فهي كما تليق بجلاله وعظمته كما أن ذاته معلومة لنا ونثبتها إثبات وجود وهذه أيضا نثبتها إثبات وجود.

فتأويل المتكلمين عامة والأشاعرة خاصة لهذه الأفعال وغيرها هو في الحقيقة خروج عن مذهب السلف الصالح الذين لم يأوّلوا هذه الأفعال، مع أن

١- الصفدية : جـ ٢ ص ٩٩

المفروض إن كان هذا الذي أدعته الفرق الكلامية حقاً وصوابا كان يجب أن يوضحه الرسول ﷺ وصحابته الكرام من بعده، من وجوب تأويل تلك الأفعال، وأن ظواهرها تفيد المشابهة بالحوادث. وهذا ما سنناقشه معهم في بعض الأفعال المهمة كنموذج للبقية وفيما يلي نبدأ ببعضها.

١ - فعل الإستواء والعلو :-

لقد علمنا أن الأشاعرة ومن سبقهم من المتكلمين والفلاسفة ينفون عن الله تعالى إثبات هذه الأفعال، ومنها فعل الإستواء والذي فسره السلف بأنه العلو والإرتفاع كما يليق بجلاله،ونفوا هذا العلو والإستواء، بحجة التغير والحركة والزوال والحدوث وغيره.(١).

والحق في هذا أن هذا خلاف السمع والعقل وفيمايلي نثبت صحة إتصاف الله تعالى بالإستواء والعلو بأدلة عقلية ونقلية منها :-

١ - أن يقال : إذا ثبت بالعقل أن الله تعالى مباين للمخلوقات ، وأن العالم كروي، وأن العلو المطلق فوق الكره، لزم منه أن يكون الله تعالى في العلو بالضرورة.

فيقال: أولا : القول بأن الفلك مستدير هو قول جماهير علماء المسلمين، والنقل بذلك ثابت عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان.

ثانيا: أن يقال علو الخالق على المخلوق، وأنه فوق العالم أمر مستقر في الفطر، واتفقت عليها جميع الأمم(٢).

ثالثا: أن يقال إن جميع الناس بما فيهم النفاة حينما يضطرون إلى مناجاة الله ودعائه فإنهم مضطرون أيضا إلى توجه قلوبهم إلى العلو حيث أنهم لايتوجهون

١- انظر : منهاج السنة النبوية: لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ٢/٣٢٨، تحقيق د/محمد رشاد سالم، وانظر رأي الأشاعرة في الرسالة ص ٢٣٦-٢٦٢

٢- انظر : مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ٥/٥١٨-٥٢٧.

بقلوبهم إلى أي جهة أخرى وهذا بعينه يتضمن إقرارهم بالعلو.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة أثبتت العلو والفوقية والإستواء لله تعالى وهكذا السنة النبوية الشريفة(١).

فما لمانع في إثبات ذلك على الحقيقة كإثباتنا للسمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام وغيرها من الصفات؟

ويتعجب الباحث المنصف الناظر في كتب هؤلاء المتكلمين الذين صنفوا في أصول الدين من نفيهم لهذه الأفعال وعدم نظرهم إلى آيات الكتاب والسنة في هذا الشأن وقلة فهمهم وعلمهم بالكتاب والسنة مقابل تمكنهم من علوم الكلام والفلسفة وغيرها الأمر الذي جعلهم يلوون أعناق النصوص لنظرياتهم وآرائهم الكلامية والعقلية.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (وأحاديث العلو وما يتضمن هذا المعنى فأضعاف أضعاف أحاديث الرؤية، فأبو الحسين وأمثاله من المعتزلة وكذلك

١- انظر في ذلك مثلا: قوله تعالى : ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وقوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ سورة الأنعام آية (٣)، وقوله تعالى ﴿بل رفعه الله إليه﴾ سورة النساء آية (١٥٨)، ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ سورة آل عمران آية (٥٥)، ﴿اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ سورة الفاطر آية (١٠)، ﴿أأمنتم من في السماء﴾ سورة الملك آية (١٦)، ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ سورة الزخرف آية ٨٤، وغيرها من الآيات التي فيها وجوه الدلالات على علو الله تعالى على عرشه، فتارة يخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ومثل هذا الإستواء مذكور في سبعة مواضع من القرآن، وتارة يخبر بعروج الأشياء صعودها وارتفاعها إليه، وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده، وتارة يخبر بأنه في السماء .

وأما الأحاديث الصحيحة في هذا الباب فهي كثيرة كما سبق ذكرنا لها مثل شهادة المرأة وإشارتها إلى السماء لما سألها ﷺ أين الله ؟ وكذلك قوله ﷺ ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء...) وغيرها من الأحاديث انظر: مجموعة الرسائل والمسائل : لابن تيمية جـ١/٢٠٠، جـ٥/١٢-١٤، ٣٩-٤٢، ٦٨-٧٠، ١٢١-١٣٦، ١٣٧-١٥٣، ١٩٤-٢٢٦، ٢٢٧-٢٤٦

الرازي وأمثالهما من فروخ الجهمية هم من أقل الناس علما بالأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح في أصول الدين وفي معاني القرآن وفيما بلغوه من الحديث حتى أن كثيراً منهم لايظن أن السلف تكلموا في هذه الأبواب.

ومن كان له علم بهذا الباب، علم أن كلام السلف في هذه المسائل الأصولية كمسألة إثبات الصفات الخبرية وغير ذلك أضعاف أضعاف كلامهم في مسائل الحد، والإخوة، والطلاق، والظهار، والإيلاء، وتيمم الجنب، ومس المحدث للمصحف، وسجود السهو، ومسائل الإيمان، والنذور، والفرائض، وغير ذلك مما تواتر به النقل عنهم)...(١).

ومع إثبات العلو بالسمع، واعتراف الفطر السليمة على الجبلية بالتوجه القلبي وقصده في حال السجود والركوع وفي حال الدعاء والإبتهال الأمر الذي جعل إمام الحرمين يحتار،ولايجد جواباً لما سأله أحدهم بقوله: ماذا نفسر ما طبعت عليه قلوبنا من طلب العلو حين التوجه إلى الله ؟ فلم يجد جوابا إلا أن قال: لقد حيرني الهمداني(٢).

ومع عدم وجود نص ظاهر أو خفي خلاف ما أثبته السلف من إثبات العلو ودلالة جميع النصوص المتنوعة على هذا المعنى مع الإختلاف في التعبير من حيث إخباره تعالى بأنه على العرش استوى، وعروج الملائكة إليه وصعود الأشياء إليه، وبرفع بعض الأنبياء، إليه ونزول الملائكة من عنده إلى الأنبياء بالأوامر والأخبار فإن غاية ما يذهب إليه هؤلاء النفاة هو تأويل العلو بأنه علو رتبة أو فوقية قهر وسلطان.

وهذا التأويل مردود لأنه قد علم عقلا أن فوقية الرتبة والمكان والقهر والسلطان لاتكون إلا بين شيئين اشتركا في معنى ما وتفاضل أحدهما عن الآخر بشيء من هذا .

وهذا بالنسبة لله تعالى محال، فلا شريك ولامنازع له في ملكه وفي صفاته وأفعاله وكذلك في إستوائه وعلوه،مع أنه لم يرد أنه،سبحانه مدح نفسه بأنه أفضل خلقه

١- درء تعارض العقل والنقل جـ٧ ص ٣١-٣٢

٢- الكلمات النقليات لابن تيمية مخطوط بدار الكتب برقم ٨٧٠ مواعظ ص ٣٩.

أو بأنه أفضل من السموات والأرض وليس هناك نص في هذا إلا في سياق الرد على من عبد مع الله غيره وأشرك في عبادته سواه فيأتي النص ليثبت من أنه سبحانه هو الأحق والمستحق للعبادة كقوله تعالى ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾(١). ثم هل هناك من دليل عقلي أو نقلي ما يناقض وصفه تعالى بالعلو ؟ والحق ليس هناك شيء من ذلك. وإنما تتضافر الأدلة العقلية والنقلية على إثبات قول واحد وهو العلو لله تعالى(٢).

وبهذا نختم هذا الفعل الذي يجمع بين صفة خبرية سمعية وهي العلو وبين فعل اختياري حقيقي قائم بذات الله تعالى وهو الإستواء الذي بمعنى العلو والإرتفاع، والنفاة وإن كان لهم أثر في هذا الباب فإنما يكون في جعل النفوس حائرة إلى أين يتوجه الخلق بالدعاء بنفيهم العلو والفوقية وفتحوا الباب للحلول والإتحاد.

أما تأويل الإستواء بالإستيلاء والذي قد استقر عند المتكلمين وغيرهم فإنه يقال لهم في ذلك:-

١) لقد تكرر هذا الفعل في القرآن في عدة مواضع وفي كلها لم يرد اللفظ إلا بكلمة إستوى ولم يأت ولومرة واحدة بكلمة استيلاء أوقصد أو عمد حتى يكون سائغا للقول بذلك. قال الأصفهاني : كنت عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: مامعنى قول الله عزوجل: ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ ؟

فقال ابن الأعرابي : هو على عرشه كما أخبر. فقال يا أباعبدالله، إنما معناه إستولى، فقال ابن الأعرابي: ما يدريك؟ العرب لاتقول إستولى على الشيء

١- سورة يوسف ٣٩

٢- انظر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية، جـ ٢ ، ص ٣١٩، أنظر: مجموع الفتاوي لإبن تيمية جـ١٦ ص ٩٧، وما بعدها جـ٥ ص ١٢٢.

حتى يكون له مضاد فأيهما غلب فقد استولى، أما سمعت قول النابغة:

ألا لمثلك أو من أنت سابقه   سبق الجواد إذا استولى على الأمد.(١).

٢ - ولما سئل الأخفش : هل وجدت في اللغة إستوى بمعنى إستولى ؟ فقال الأخفش : هذا ما لاتعرفه العرب ولاهو جائز في كلامها ولا في لغتها وقد ذكر القصة الخليل بن أحمد في كتابه الإفصاح.(٢).

٣ - وأما إستدلال المتكلمين بتأويل الإستواء بالاستيلاء ببيت الشعر :

قد استوى بِشْرٌ على العراق   من غير سيف أودم مهراق .

فإذا صح هذا البيت فإنه يكون حجة عليهم لالهم، لأن بشراً لم يستول على العراق وإنما استولى عليها أخوه عبدالملك بن مروان ، ولم تكن هناك مغالبة بين بشر وأخيه حتى يقال إن أحدهما قد غالب الآخر.

وقد استقصى بعض العلماء أكثر الردود والمناقشات في بطلان هذا التأويل ولانريد أن نكرر ذلك (٣)

والحقيقة إن هؤلاء بشروعهم في هذه التأويلات لهذه الأفعال والأسماء قد ارتكبوا عدة محاذير منها:-

١ - أنهم فهموا النصوص على ما لم تدل عليه النصوص، فشبهوا الله بخلقه في أفعاله وصفاته لمّا قالوا إن إثباتها على الإطلاق أو على ظاهرها يؤدي إلى إثبات الجهة والحيز والحركة وغيرها وهذا هو التمثيل بعينه.

٢ - أنهم عطلوا النصوص عما دلت عليه لما شرعوا في تأويلها على غير

١- أنظر تهذيب اللغة للأزهري: ١٣/١٢٣-١٢٥، لسان العرب ١٩/١٤٠-١٤١، صحيح البخاري : ١٢/٩، تفسير الطبري ٤٢٨/١، والبيت ورد في ديوان النابغة (قافية الدال) ص ٦٧ط بيروت- دار الكتاب العربي.

٢- مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ١٤٦/٥

٣- أنظر في بطلان تأويل الإستواء بالإستيلاء أو باستولى أو بالقصد وغيره في الفتاوى جـ٥ ، ص ١٣٦-١٤٩، مختصر الصواعق المرسلة : لابن قيم الجوزية ص ٣٠٦-٣٢٠

مدلولها. (١)وكان الأجدر والأولى الإكتفاء بما جاء عن السلف في هذه الأفعال وعدم التدخل فيها بآراء كلامية أو شبه فلسفية عقلية. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا(والقول الفصل في هذا : هو ماعليه الأمة الوسط من أن الله استوى على عرشه، إستواءاً يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك.فكذلك هو سبحانه فوق العرش لانثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها) (٢).

٢ - فعل النزول : -

أما تأويلهم للنزول بنزول رحمته أو ملائكته أو أمره فإنه يقال لهم في ذلك :-

إن المستقرئ لمعاني النزول الواردة في القرآن الكريم يجدها على ثلاثة أقسام:

القسم الأول :نزولٌ مقيد من عند الله . كما في قوله تعالى : ﴿تنزيل الكتاب من الله﴾ (٣)وقوله:﴿نزله روح القدس من ربك﴾(٤).

القسم الثاني: نزول مقيد من السماء : كقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماءاً طهورا﴾ (٥)والسماءُ إسم جنسٍ لكل ما علا،والنزول هنا نزولٌ من علو إلى أسفل على حسب ما تعارفت عليه العرب.

القسم الثالث : النزول المطلق غير المقيد بمبدأ النزول مثل [قوله تعالى] ﴿هو الذي أنزل

١- انظر: مجموع الفتاوى : لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ٣/٤٨-٥١

٢- العقيدة الحموية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية: ١/ ٤١٨ ، وانظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية: جـ٣/٢٦٠-٢٦٤، ١٤٢-١٤٣، جـ٥/٥٨٠

٣- سورة الزمر آية : (١).

٤- سورة النحل آية : (١٠٢).

٥- سورة الفرقان آية (٤٨).

السكينة ﴾(١)، ﴿و أنزلنا الحديد﴾(٢) ، ﴿و أنزل لكم من الأنعام ﴾(٣) ﴿وقل رب أنزلني منزلا مباركا و أنت خير المنزلين﴾(٤) .

وهذا النزول قد فسره البعض من المفسرين بأنه بمعنى جعل أو خلق، كما في قوله ﴿ وأنزلنا الحديد﴾(٥)، ﴿أنزل لكم من الأنعام﴾ (٦) أنزل الحديد بمعنى خلقه، وقال بعضهم أنزل الأنعام بمعنى جعل أو خلق وسواء صح هذا أو هذا فإن العرب تقصد من معنى النزول هو الذي لايكون إلا من علو.

فإن إنزال الحديد غالباً ما يكون من أعالي الجبال ، وإنزال الأنعام إما من أصلاب الآباء إلى بطون الأمهات، أو من بطون الأمهات إلى الوجود الخارجي، كلها فيها معنى النزول من علو إلى أسفل.

ومما يؤكد هذا أن العرب لم تستعمل النزول فيما خلق من السفليات، فلم يقل أحد أنزل النبات ولا أنزل المرعى. أما نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا فقد فهمنا معنى النزول في لغة العرب بأنه من علو إلى أسفل.

والواجب في هذا إثبات فعل النزول لله تعالى على مايليق بجلاله وعظمته نزولاً حقيقياً لاعلى المجاز، من غير أن نلتزم منه خلو العرش أو الحركة، أو اختلاف ساعات الليل من مكان إلى مكان. فإن هذه الإلزامات إنما تلزم المخلوقات ومن كان داخل العالم.والله تعالى منزه عن المخلوقات وصفاتهم وهو بائن من خلقه ليس في داخل العالم بذاته ولاتحويه العالم ولايتعاقب عليه الليل والنهار ولا الزمان،لأنه خالق الزمان وخالق النهار والليل.(٧)ومما يدل على

١- سورة الفتح آية (٤)

٢- سورة الحديد آية (٢٥)

٣- سورة الزمر آية (٦).

٤- سورة المؤمنون آية (٢٩)

٥- سورة الحديد آية (٢٥)

٦- سورة الزمر آية (٦)

٧- أنظر : مجموع الفتاوى : جـ٥/٣٢١، ٣٦٦، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٧.

بطلان تأويل النزول بنزول أمره أو ملائكته أو رحمته بأن هذا النزول عام يحدث في كل وقت فرحمته تتنزل على العباد في كل وقت، والملائكة تنزل بالأمر في كل وقت.

أما نزول الرب سبحانه فإنه محدد مخصص في وقت معين وهو جوف الليل الآخر وذلك كل ليلة ، أو في عشية عرفة ، وذلك في كل سنة.

وينتهي هذا النزول إلى السماء الدنيا.(١)

وكذلك مما يدل على بطلان تأويل النزول بالخشوع والخضوع والرقة والشفافية لقلب المؤمن: أن ذلك حاصل للعابد في الأرض، والنزول ليس إلى الأرض وإنما إلى السماء الدنيا.

ثم لو كان النازل من السماء في الثلث الآخر كل ليلة ملكا أو أمراً أو رحمة لما قال من يسألني فأُعطيه؟ من يستغفر ني فأغفر له ؟ أو لما قال هل من سائل فأُعطيه سئله؟هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ لأنه لايستطيع الملك أن يغفر الذنوب ويعطي حاجات العباد وإنما هو الله تعالى الغفار لذنوب عباده المعطي الجواد الكريم.فدل ذلك على أن النزول حقيقة لله تعالى على مايليق بجلاله (٢)والحقيقة أن جميع الإلزامات واحدة عند الأشاعرة وغيرهم ولاداعي من تكرارها فقد تكلمنا بما فيه الكفاية. وفي هذا القدر حجة كافية لبطلان ماذهبوا إليه من نفي الأفعال الإختيارية لله تعالى ونفي الصفات الخبرية أو السمعية مع بطلان تقسيماتهم لهذه الصفات والأفعال التي أثبتها المتصف بها في كتابه من غير أن يقسم صفاته هو إلى هذه التقسيمات(٣) .

وننتقل إلى المطلب الثالث في مناقشة الأشاعرة وهو صحة استدلالهم بالأدلة النقلية من عدمها في نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى.

١- مجموع الفتاوى : جـ٥/٤٧٠-٤٩٣

٢- انظر شرح حديث النزول: لابن تيمية ص ٩٩-١١٠، والرد على الجهمية للدارمي ص ٣١، موافقة صريح المعقول: لابن تيمية ٤،٣/٢، ١١٩، ومختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية ص ٣٦٣--٣٩، تأويل مختلف الأحاديث لابن قتيبة ص ٢٧٤.

٣- أنظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية : جـ٥/٥٢٨-٥٣٣.

المسألة الثالثة : مدى صحة إستدلال النفاة بالأدلة النقلية لنفي حلول الحوادث بذات الله.

١ / استدل النفاة على نفي قيام الأفعال الإختيارية بذات الله تعالى بقول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾.(١).

فقالوا هو الحركة ويستحيل أن يكون الله متصفاً بفعل أو بصفة فيها شيء من الحركة والتغير والحدوث. فكمال الألوهية في نفي الحلول والأفول عن الله تعالى كما اعترف بذلك إبراهيم عليه السلام في إمتناعه لعبادة إلهٍ يتحرك ويتغير وليس ذلك إلاّ هذا الأفول والحركة من صفات الأجسام الحادثة والله منزه عن ذلك. وقد اتفق الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة في هذا الإستدلال لنفي قيام الأفعال الإختيارية بذات الله تعالى(٢).

الرد على هذا الإستدلال :-

إن أهل السنة والجماعة يرون بطلان هذا الإستدلال (٣) وليس فيه حجة لهم بل هو حجة عليهم وذلك بالوجوه التالية:-

الوجه الأول: أن الأفول باتفاق أهل اللغة والتفسير هو الغياب والإحتجاب .

الوجه الثاني: أنه لو استدل بالحركة لكان الإستدلال من حين بزوغ الكوكب ولم يؤخر الدلالة إلى حين الغروب.

الوجه الثالث: أن قصة إبراهيم عليه السلام هي على نقيض مطلوبهم أكثر دلالة ، فإنه لم يجعل الحركة منافية لماقصده، بل المنافي هو الأفول.

١- سورة الأنعام آية (٧٦) ، أنظر.

٢- أنظر : أبكار الأفكار ، للآمدي جـ١ ص ٤٨٢-٤٨٣ تحقيق د/أحمد المهدي.

٣- عثمان بن سعيد الدارمي : رد الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص ٥٥ طبعة السنة النبوية، ١٣٥٨

الوجه الرابع: أن إبراهيم عليه السلام لم يكن معنيا بقوله ﴿هذا ربي ﴾(١) أنه رب العالمين على أي وجه قاله ، ولا اعتقد ذلك قومه ولاغيرهم، وإنما كان الذي يقول ذلك من يتخذه رباً يعبده لينال بذلك أغراضه كما كان عباد الكواكب والشمس والقمر يفعلون ذلك، وكان قومه من هؤلاء ، ولم يكونوا جاحدين للصانع بل مشركين به . ولهذا قال لهم: ﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾(٢) .

الوجه الخامس : إن استعمال لفظ الأفول في الممكن الذي يقبل الوجود والعدم من أعظم الكذب على اللغة والتفسير، فإن المخلوقات الموجودة - كالشمس والقمر والكواكب والآدميين وغيرهم - لايسمون في حال حضورهم آفلين، وهؤلاء الأشاعرة اجترؤوا على ذلك لما جعلت الجهمية وأهل الكلام المحدث المتحرك أفلاً فجعلوا كل متحرك آفلا، وزعموا أن إبراهيم عليه السلام إحتج بالحركة على إمتناع كون المتحرك رب العالمين. فلما قال هؤلاء هذا. قال أولئك نحن نجعل كل ماسوى الرب آفلا، فجعلوا السموات والأرض وكل ماسواه آفلا وفسروا بذلك القرآن، وهذا لايعرف في لغة العرب أن الأفول بمعنى التحرك والإنتقال، ولابمعنى التغير الذي هو إستحالة من صفة إلى صفة (٣).

الوجه السادس : إن إبراهيم عليه السلام لما قال ﴿لا أحب الآفلين ﴾ (٤) إنما قال ذلك رداً على من كان يتخذ كوكباً يعبده من دون الله، لا رداً على من قال إن

١- سورة الأنعام آية ٧٦

٢- سورة الشعراء آية ٧٥-٧٧

٣- أنظر الدرء جـ٨ ص ٣٥٥ - ٣٥٦

٤- سورة الأنعام آية (٧٦)

الكوكب هو رب العالمين فإن هذا لم يقله أحد مع أن قومه كانوا مشركين يقرون بعبادة الله لكن يشركون معه الكواكب في العبادة والتقرب لها.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (والناس إذا قيل لهم التغير على الله ممتنع فهموا من ذلك الإستحالة والفساد، مثل إنقلاب صفات الكمال إلى صفات نقص أو تفرق الذات. ونحو ذلك مما يجب تنزيه الله عنه.

وأما كونه سبحانه يتصرف بقدرته فيخلق، ويستوي، ويفعل مايشاء بنفسه ويتكلم إذا شاء ونحو هذا فهذا لايسمونه تغيرا، ولكن حجج النفاة مبناها على ألفاظ مجملة موهمة كما قال الإمام أحمد: يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويلبسون على جهال الناس بمايشبهون عليهم، حتى يتوهم الجاهل أنهم يعظمون الله، وهم إنما يقودون قولهم إلى فرية على الله.

ومن أعجب الأشياء إحتجاجهم بقصة إبراهيم الخليل عليه السلام، وهم مع إفترائهم فيها على التفسير واللغة، إنما هي حجة عليهم لا لهم ......، وبكل حال فإبراهيم عليه السلام لم يجعل الحركة والإنتقال مانعة من حب المتصف بذلك كما جعل الأفول مانعاً، فعلم أن ذلك ليس من صفات النقص التى تنافي كون المتصف بها معبود عند إبراهيم) (١).

٢ / إستدل المتكلمون (معتزلة وأشاعرة) على نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى أيضا بحديث عمران بن الحصين (كان الله ولم يكن شيء قبله) (٢).

١- درء تعارض العقل والنقل جـ٤ ، ص ٧٥ - ٧٩

٢- أخرجه البخاري ٦٦/٨، باب وفد تميم، وباب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، وفي بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾، وفي التوحيد باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم والترمذي رقم (٣٩٤٦) في المناقب، باب ثقيف وبني حنيفة، وأخرجه أيضا أحمد في المسند ٤٢٦/٤، ٤٣١، ٤٣٦.

وزعموا أن المقصود من الحديث هو الإخبار بأن الله كان موجوداً وحده، ثم إنه إبتدأ إحداث جميع الحوادث، وإخباره بأن الحوادث لها إبتداء بجنسها، وأعيانها مسبوقة بالعدم، فجنس الزمان حادث، وجنس الحركات والمتحركات حادث.

فالله تعالى عندهم لاتقوم به الحوادث ولاتقوم به الحركات والمتحركات بمعنى أنه لاتقوم به الأفعال الإختيارية وليست هي على حقيقتها بل هي على المجاز لأن وصفه تعالى بها وصفه بالحوادث والحوادث كلها مخلوقة كائنة بعد عدم، والله تعالى أزلي أبدي(١) .

الرد على هذا الإستدلال :-

إن مما يجب معرفته قبل الرد على إستدلال المعتزلة والأشاعرة بهذا الحديث على نفي قيام الأفعال الإختيارية بذات الله تعالى. هو أن جميع شراح الحديث من أهل السنة والجماعة ذهبوا لدى شرحهم لهذا الحديث إلى القول بأن المراد من الحديث هو إخباره ﷺ عن خلق هذا العالم المشهود والموجود بعد عدم ، والذي خلقه الله في ستة أيام، ثم إستوائه تعالى على العرش كما أخبر القرآن العظيم بذلك في أكثر من موضع: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ (٢)(فخلق الأرض في يومين وخلق الجبال في يومين وخلق السموات في يومين) قال تعالى : ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءا للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضلهن سبع سموات في يومين وأوحى في

١- أنظر : المراجع في مبحث عرض رأي الأشاعرة في الرسالة ص ٣٣٥-٣٥٥.

٢- سورة الهود آية (٧)

كل سماء أمرها..... الآية﴾ (١).

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال : قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء . (٢)وروى الإمام الترمذي وأبوداود وغيرهما عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: (أول ما خلق الله القلم فقال له: أكتب ؟ قال : وما أكتب ؟ قال : ما هو كائن إلى يوم القيامة) (٣) فكان القلم أول ما خُلِقَ من هذا العالم، وكان مخلوقا قبل خلق السموات والأرض وكان خلقه بعد العرش كما دلت عليه النصوص وهو قول جمهور السلف .

أما ماذهب إليه المتكلمون بالإستشهاد بحديث عمران ابن الحصين على أن جميع الحوادث لها إبتداء وأن جنس الحركات والمتحركات وجنس الزمان جميعها حادث. وأن الله لا تقوم به الحوادث (أي لاتقوم به الأفعال المتجددة الإختيارية) فهو إستشهاد في غير محله، والحديث لايدل على ذلك وإن دل فإنه يدل على حدوث هذا العالم المشهود الذي خلقه الله سبحانه في ستة أيام وكان عرشه على الماء، ولايمكن أن نستدل بحدوث وخلق هذا العالم المشهود، على إثبات أو نفي قيام أفعال الله تعالى، والمتجددة مع إرادته وعلمه في كل وقت وفي كل شأن بحسب إرادته وقدرته ومشيئته. فالحديث إنما يدل على ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من حدوث وخلق هذا العالم المشهود وليس على حدوث جميع أفعال الله تعالى القائمة بنفسه، والذي يدل على صحة إستدلال أهل السنة والجماعة وسلف الأمة وبطلان قول المتكلمين بالحديث وغيرهم وجوه كثيرة منها:-

---

١- سورة فصلت آية (٩ - ١٢)

٢- أخرجه مسلم: (١٦٥٣) في القدر: باب حجاج آدم وموسى .

٣- حديث صحيح ، اخرجه الترمذي في القدر (٢١٥٦) وفي التفسير (٣٣١٦)، وأبوداود (٤٧٠٠) ، في السنة : باب في القدر، وأحمد ٣١٧/٥، والآجري في الشريعة ص١٧٧

الوجه الأول : أن قول أهل اليمن : (جئناك لنسألك عن أول هذا الأمر) فإما أن يكون الأمر المشار إليه هذا العالم ، أو جنس المخلوقات، فإن كان المراد هو الأول كان النبي ﷺ قد أجابهم: لأنه أخبرهم عن أول خلق هذا العالم وإن كان المراد الثاني لم يكن قد أجابهم ، لأنه لم يذكر أول الخلق مطلقاً بل قال: (كان الله ولاشيء قبله) فلم يذكر إلا خلق السموات والأرض ولم يذكر خلق العرش مع أن العرش مخلوق أيضا، فعلم أنه أخبر بأول خلق هذا العالم، لا بأول الخلق مطلقا(١) .

الوجه الثاني :إن قول أهل اليمن: (هذا الأمر) إشارة إلى حاضر موجود والأمر يراد به المصدر ويراد به المفعول به وهو المأمور الذي كونه الله بأمره، وهذا مرادهم ، ولو سألوه عن أول الخلق مطلقاً لم يشيروا إليه بهذا لأنهم لم يشهدوه فكيف يشيرون إليه فعلم أن سؤالهم كان عن أول هذا العالم المشهود.

الوجه الثالث : أن قوله ﷺ « كان الله ولم يكن شيء قبله » قد روى بألفاظ ثلاثة وهي (معه، وغيره، وقبله) والمجلس كان واحداً فعلم أن أحد الألفاظ هو الذي أخبر به الرسول ﷺ، واللفظين الآخرين رويا بالمعنى، وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه لفظ [قبله] فإذا ثبت هذا لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث ولا لأول مخلوق.

الوجه الرابع: أنه قال فيه : كان الله ولم يكن شيء قبله، أو معه ، أو غيره، وكان

١- أنظر: شرح حديث عمران بن الحصين وكلام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بالتفصيل في مجموع الفتاوى جـ١٨ / ٢١٠-٢٤٣ ، ١ نظر تخريج الحديث ص٧٤

عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء.

فأخبر عن هذه الثلاثة بلفظ الواو، ولم يذكر في شيء منها ثم، وإنما جاء ثم في قوله «خلق السموات والأرض» .

والرواة متفقون في الجمل الثلاث المتقدمة على أنها ذكرت بلفظ الواو ومعلوم أن لفظ الواو لايفيد الترتيب على الصحيح الذي عليه الجمهور فلا يفيد الإخبار بتقديم بعض ذلك على بعض، وإن قدر أن الترتيب مقصود؛ إما من ترتيب الذكر لكونه قدم بعض ذلك على بعض وإما من الواو عند من يقول به فإنما فيه تقديم كونه كون العرش على الماء، وتقديم كون العرش على كتابته فى الذكر كل شيء، وتقديم كتابته في الذكر كل شيء على تقديم خلق السموات والأرض، وليس في هذا ذكر أول المخلوقات مطلقا، بل ولا فيه الإخبار بخلق العرش والماء وإن كان ذلك كله مخلوقا كما أخبر به في مواضع أخر، لكن في جواب أهل اليمن إنما كان مقصوده إخباره إياهم عن بدء خلق السموات والأرض وما بينهما، وهي المخلوقات التي خلقت في ستة أيام لاابتداء ما خلقه الله قبل ذلك.

الوجه الخامس أن يقال لايجوز أن يجزم بالمعنى الذي أراده الرسول ﷺ إلا بدليل يدل على مراده، فلو قدر أن لفظه يحتمل هذا المعنى وهذا المعنى لم يجز الجزم بأحدهما إلا بدليل، فمن جزم بأن الرسول ﷺ أراد ذلك المعنى الآخر فهو مخطئ.

الوجه السادس:أن كثيراً من الناس يجعلون هذا عمدتهم من جهة السمع فيقولون: بأن الحوادث لها إبتداء، وأن جنس الحوادث مسبوق بالعدم، إذ لم يجدوا في الكتاب والسنة ما ينطق به، مع أنهم يحكون هذا عن المسلمين واليهود والنصارى وليس معهم بذلك نقل: لاعن الصحابة ولا التابعين لهم

بإحسان، ولا عن الكتاب والسنة فضلا عن أن يكون هو قول جميع المسلمين.

وبعضهم يظن أن من خالف ذلك فقد قال بقدم العالم، ووافق الفلاسفة لأنه نظر في كثير من كتب الكلام فلم يجد فيها إلاَّ قولين:

١ - إما القول بقدم العالم إما صورته وإما مادته، سواء قيل هو موجود بنفسه أو معلول لغيره.

٢ - وإما قول من رد على هؤلاء من أهل الكلام : الجهمية والمعتزلة والكرامية، الذين يقولون: إن الرب لم يزل لايفعل شيئا ولايتكلم بشيء، ثم أحدث الكلام والفعل بلا سبب أصلا.

وتبعتهم الكلابية باختلاف بسيط فقالوا / إن الرب لم يزل لايفعل شيئا، ولايتكلم بمشيئته وقدرته، ثم حدث ما حدث بقدرته ومشيئته، إما قائماً بذاته أو منفصلاً عنه عند من يجوز ذلك ، وإما منفصلاً عنه عند من لم يجوز قيام ذلك بذاته، ومعلوم أن هذا القول أشبه بما أخبرت به الرسل من أن الله خالق كل شيء، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام. فمن ظن أنه ليس للناس إلا هذان القولان وكان مؤمنا بأن الرسول لايقول إلا حقا يظن أن هذا هو قول الرسول ومن أتبعهم. ثم إذا طولب بنقل هذا القول عن الرسول لم يمكنه ذلك ولم يمكن لأحد أن يأتي بآية ولا بحديث ليدل على ذلك لانصاً ولا ظاهراً ولاقولاً عن أحد من الصحابة ولامن التابعين.

ثم بهذا قد جعلوا ذلك معنى حدوث العالم الذي هو أول مسائل أصول الدين عندهم حيث بنوا عليه حدوث جنس الحوادث وجنس الحركات وجنس الأفعال والذي يلزم منه عدم وجود أفعال الله تعالى في زمن من الأزمان حيث كان الله تعالى فيه معطلاً عن ذلك، وهذا الكلام بطلانه وفساده ظاهر وبين، فهل يعقل أن يكون الله تعالى صاحب القدرة والعظمة والإرادة والتصرف والتدبير معطلا لايفعل شيئا؟ كلا لايكون الله تعالى معطلا عن أفعاله وإرادته وقدرته. ولذلك كان كمال الايمان في الايمان بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وأفعاله والذي سنسأل عنه يوم القيامة والذي أجمع عليه الرسل والصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الوجه السابع: أنهم لما اعتقدوا أن هذا هو دين الإسلام أُخذوا يحتجون عليه بالحجج العقلية المعروفة لهم، وعمدتهم (امتناع حوادث لا أول لها) وبها أثبتوا حدوث كل موصوف بصفة وسمُّوا ذلك إثباتا لحدوث الأجسام، فكذلك الخالق سبحانه وتعالى يجب أن يكون منزهاً عن هذه الحوادث والأجسام وصفاتها، فلزمهم على ذلك نفي صفات الرب عزوجل وأفعاله الإختيارية فالفلاسفة بالغوا في هذا حتى أثبتوا ذاتاً شاملةً كاملةً موجبة وأطلقوا عليها واجب الوجود بذاته الذي يجب أن توجد مفعولاته معه.

والمعتزلة قد لحقتهم أيضا بنفس الحجة فأثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات ولكن مفعولاته لم تكن موجبة له بل باختيار وإرداة حادثة لامحل لها.

والأشاعرة أيضا قد لحقتهم بنفس الحجة فأثبتوا بعض الصفات وبعض الأفعال المشتقة من تلك الصفات التى أثبتوها ثم نفوا باقي الصفات والأفعال بنفس الشبهة. فكان حقيقة قول هؤلاء جميعاً تكذيباً لما جاء به الرسول ﷺ بل تكذيباً لما نطلق به القرآن الكريم من إثبات الأفعال والصفات والأسماء التى فيها وصف مشترك في الإسم فقط كالحب والرضا والغضب والنزول والمجئ والإتيان والإستواء وغيرها(١).

الوجه الثامن :أن قول هؤلاء وإستشهادهم بالحديث لو كان حقا لكان أجلُّ من أن يحتج عليه بلفظ محتمل في خبر لم يروه إلا واحد، ولكان ذكر هذا في القرآن والسنة من أهم الأمور، لحاجة الناس إلى معرفة ذلك، لما وقع فيه من الإشتباه والنزاع والإختلاف. فلما لم يكن في السنة ما يدل على هذا المطلوب لم يجز إثباته بما يظن به أنه معنى الحديث. حيث جردوا قوله ﷺ (كان الله ولا شيء معه) عن سائر الألفاظ والمدلولات في هذا الحديث وصيغته وسؤال أهل اليمن، ثم ظنوا أن معنى الحديث هو إخباره ﷺ بتقدم الله تعالى على كل شيء

١- المرجع السابق : ص٢٢٤-٢٢٥ بتصرف .

. ثم نسبوا هذين الظنين إلى الرسول ﷺ وليس لديهم علم ولادليل ولاظن يستند إلى صحة إثبات واحدة من المقدمتين.

الوجه التاسع: أن الغلط في معنى الحديث هو من عدم المعرفة بنصوص الكتاب والسنة والمعقول الصريح، وهو الذي أوقع كثيراً من النظار وأتباعهم في الحيرة والضلال.

فبقوا حائرين مرتابين بين أن يكون الفعل مقارنا للفاعل أزلاً وأبداً وبين أن يكون الفاعل متقدماً على فعله أزلاً وأبداً. مع أن الذي استقر في الفطر أن كون الشيء المفعول مخلوقاً يقتضي أن الشئ وجد بعد أن لم يكن موجوداً ولهذا كل ما أخبر الله به في كتابه من أنه خلق السموات والأرض مما يُفْهِمُ جميع الخلائق أنهما حدثتا بعد أن لم تكونا ولكن ليس معنى ذلك أن جنس الحوادث مسبوقة بالعدم أو أن لها إبتداء بل أفراد الحوادث كالعالم الذي فيه السموات والأرض وما فيها من مخلوقات فهي حادثة ولاشك، وهذا الذي غفل عنه هؤلاء

فأهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى أفعاله وصفاته الإختيارية التى نطق بها القرآن والحديث الصحيح، وأن تلك الأفعال صادقةٌ عليه أزلاً وأبداً على ما يليق بجلاله وعظمته ، لانتطاول عليها بالتشبيه ولا بالتمثيل، ولا بالتأويل ولا بالتعطيل، ونقول بأن هذه الأفعال التى جاء ذكرها في النقل تقوم به سواءٌ منها اللازمة أو المتعدية، أما الأفعال القائمة بالمخلوقين والمنفصلة عنه سبحانه وتعالى فهي لاتقوم به كأفعال العباد مع أنه هو الخالق والمقدر والمريد لها(١).

١- أنظر المزيد في هذا مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ٨ ص ٤٣٢.

الفصل الرابع

التسلسل وعلاقته بأفعال الله تعالى

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول: معنى التسلسل في اللغة والإصطلاح

المبحث الثاني: عرض رأي المنتقدين لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ومناقشة آرائهم

المبحث الأول : معنى التسلسل في اللغة والإصطلاح

ويشتمل على مطالب :

المطلب الأول : معنى التسلسل في اللغة

المطلب الثاني : معنى التسلسل في الإصطلاح

المطلب الثالث : التحليل والمناقشة

المبحث الأول :معنى التسلسل في اللغة وفي الإصطلاح .

المطلب الأول : معنى التسلسل في اللغة:-

أصل كلمة التسلسل من سلسل ، والسلسل: الماء العذب او البارد، وتسلسل الماء: جرى في حدور، وثوب مسلسل ومتسلسل ردئ النسج.

والسلسلة : اتصال الشيء بالشيء ، وبالكسر : دائرة من حديد ونحوه.

وسلاسل البرق والسحاب : ما تسلسل منه، وواحدتها سلسلة وسلسل.

والسلاسل : رمل يتعقد بعضه على بعض وينقاد، ومن الكتاب سطوره.

وتسلسل الثوب : لبس حتى رقا.

وثوب مسلسل: فيه وشي مخطط.

وقيل معنى يتسلسل أنه إذا جرى أو ضربته الريح يصير كالسلسة .

وشيء مسلسل : متصل بعضه ببعض ، ومنه سلسلة الحديد.

وتسلسل : جرى.

والتسلسل : التقاطع إلى ما لانهاية.(١).

المطلب الثاني : معنى التسلسل في الإصطلاح :

هو ترتيب أمور غير متناهية، وأقسامه أربعة: إما أن يكون في الآحاد المجتمعة في الوجود، أو لم يكن فيها، كالتسلسل في الحوادث، والأول إما أن يكون فيها الترتيب أولاً، والثاني : كالتسلسل في النفوس الناطقة والأول إما أن يكون فيها الترتيب طبيعيا كالتسلسل في العلل والمعلولات والصفات والموصوفات أو وضعيا كالتسلسل في الأجسام ، والمستحيل عند الحكم

١- أنظر الفيروز آبادي : القاموس المحيط في مادة سلسل ص ١٣١٣ طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ تحقيق مكتب تحقيق التراث.

محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ص ٣١٠. نشر دار الكتب العربية بيروت.

الأخير دون الأولين(١)، وقال التهانوي في تعريف التسلسل: (وعند الحكماء: عبارة عن ترتيب أمور غير متناهية مجتمعة في الوجود سواء كان الترتيب وضعيا أو عقليا، وهذا تعريف للتسلسل المستحيل عند الحكماء.

وأما التسلسل مطلقا: فهو ترتيب أمور غير متناهية عند الحكماء وكذلك عند المتكلمين .

وبالجملة : فاستحالة التسلسل عند الحكماء مشروطة بشرطين:

١) اجتماع الأمور الغير متناهية في الوجود.

٢) والترتيب بينها إما وضعياً أو طبيعياً.

وعند المتكلمين ليست مشروطة بهذين الشرطين بل كل ماضبطه الوجود يستحيل فيه التسلسل، ويؤيده أقسام التسلسل الأربعة السابقة.

وتلخيص ما قاله الحكماء: هو أنه إذا كانت الآحاد موجودة معاً بالفعل، وكان بينها ترتب أيضا: فإذا جعل الأول من إحدى الجملتين بإزاء الأول من الجملة الأخرى كان الثاني (٢) بإزاء الثاني قطعا. وهكذا فيتم التطبيق المستلزم للمحال بلاشبهة.

وتقريره: أن يقال لوتسلسلت الأمور المترتبة الموجودة معاً لأمكن أن تفرض هناك جملتان مبدأ إحداهما على مبدأ الأخرى فالأول من إحداهما بإزاء الأول من الأخرى والثاني بالثاني وهلُمَّ جرا فالناقصة إما مثل الزائدة واستحالتها ظاهرة، وإن لم تكن مثلها وذلك لايتصور إلا بأن يوجد جزء من التامة لايكون بإزائه جزء من الناقصة وعند هذا الجزء تنقطع الناقصة فتكون متناهية والزائدة لاتزيد عليها إلا بمتناهٍ.والزائد على المتناهي بمتناهٍ متناهٍ فيلزم تناهي الزائدة أيضاً.وهذا الدليل هو المسمى ببرهان التطبيق .

١- أنظر : التعريفات للجرجاني ص ٨٠ . تحقيق إبراهيم الأبياري . دار الكتاب العربي، كشاف إصطلاحات الفنون :التهانوي جـ٣/٦٨٩، شركة خياط الكتب - بيروت

٢- هكذا في الكشاف، وأظنه والله أعلم (الأول)

وأما إذا لم تكن الآحاد موجودة فلايتم التطبيق لأن وقوع آحاد إحداهما بإزاء آحاد الأخرى ليس في الوجود الذهني لاستحالة وجودها مفصلة في الذهن دفعة ومن المعلوم أنه لايتصور وقوع بعضها بإزاء بعض إلا إذا كانت موجودة معاً تفصيلا إما في الخارج أو في الذهن. وكذا لايتم التطبيق إذا كانت الآحاد موجودة معاً. إذْ لايلزم من كون الأول بإزاء الأول كون الثاني بإزاء الثاني والثالث بإزاء الثالث، وهكذا الجواز أن تقع آحاد كثيرة من أحديها بإزاء واحد من الأخرى لكن العقل لايقدر على استحضار مالا نهاية له مفصلة لا دفعة ولا في زمان متناه. حتى يتصور التطبيق أو يظهر الخلف، بل ينقطع التطبيق بانقطاع الوهم والعقل.

وأما المتكلمون: فيقولون بجريان التطبيق في الأمور المتعاقبة أي الغير المجتمعة في الوجود كالحركات الفلكية وفي الأمور المجتمعة سواء كان بينهما ترتب طبيعي كالعلل والمعلولات، أو وضعي كالأبعاد، أو لايكون هناك ترتب أصلا كالنفوس الناطقة المفارقة.

وقول الحكماء إذ ليست مجتمعة في الخارج في زمان أصلا ... قلنا لايخفى أنه لايلزم من عدم اجتماع الآحاد في زمان عدمها مطلقا فإن كل واحد منهما موجود في زمانه وذلك لأن العدم اللاحق ليس سلب الوجود مطلقا بل سلب الوجود في الزمان الثاني، وكذا العدم السابق ليس سلب الوجود في الزمان الأول فالتطبيق يجري بين الآحاد المترتبة الغير المتناهية سواء كانت مجتمعة أو متعاقبة وأيضا فالعدم السابق عدم مطلقا بحدوث العالم والعدم اللاحق غيبوبة زمانية وليس عدماً حقيقياً أن رفع الشيء بعد ثبوته عن نفس الواقع محال يحكم به النظر الصحيح فاللازم هنا هو الإجتماع بحسب الواقع لابحسب الزمان.

وما ظنوا أنه لابد ههنا من تقدم أو تأخر إما وضعاً أو طبعاً وهما من الإضافات المتكررة فيجب إجتماعهما واجتماع موصوفهما في وجود. وذلك

الوجود ليس إلا الوجود الخارجي لعدم إكتفاء الوجود الذهني الإجمالي في التطبيق وانتفاء الوجود الذهني التفصيلي مطلقا كلام خال عن التحصيل لأن ذلك الوجود هو الوجود الخارجي في نفس الواقع،والمتقدم والمتأخر مجتمعان في هذا الوجود فإن كُلاً منهما موجود بهذا الوجود في زمانه وكونهما من الإضافات المتكررة لايستدعي أن يكون في زمان واحد بل أن يكونا في الواقع معاً ألا ترى أن المعدات غير متناهية، والمعد متقدم على معدوده بحسب الوجود الخارجي وهما لايجتمعان في زمان واحد.

وتحقيق أن مالا بد في التطبيق هو التقدم والتأخر بمعنى منشأ الإنتزاع وهما لايلزم أن يكونا مجتمعين في الزمان بل في الواقع.

وكذا ماظنوا من أن في ربط الحادث بالقديم لابد من التسلسل على سبيل التعاقب لأن القديم ليس علة تامة للحادث وإلاَّ يلزم التخلف فيكون مع شرط حادث وينتقل الكلام إليه وهكذا إلى غير النهاية ساقط عن درجة التحقيق لأن أزلية الإمكان لاتستلزم إمكان الأزلية فالقديم علة للحادث ولا يلزم التخلف لامتناع وجوده في الأزل .

ولا يقال : على تقدير التعاقب لايحتاج إلى الترتيب وإنما يحتاج إليه على تقدير الإجتماع لتحقق التقدم والتأخر الزمانيين بين الآحاد المتعاقبة ولو بالفرض....)(١).

وخلاصة كلام التهانوي : أنه يذهب إلى إبطال التسلسل في الأمور الموجودة كما قال: (بل كل ما ضبطه الوجود يستحيل فيه التسلسل) ويستدل على صحة بطلان التسلسل ببرهان التطبيق وهو بهذا يسلك مسلك المتكلمين الذين يبطلون التسلسل ويقابلهم الفلاسفة الذين جوزوا التسلسل، أما الأمور الغير متناهية والتي لايمكن ضبطها بالوجود كمراتب الأعداد فإنها عندهم أمورا وهمية.

١- كشاف إصطلاحات الفنون لمحمد علي بن علي التهانوي جـ١/٧٦٢ - ٧٦٤ مكتبة البحث العلمي - جامعة أم القرى ٤٨٦٣.

يقول التهانوي في هذا الشأن : (فثبت أن كل ماضبطه الوجود يجري فيه التطبيق وما ليس ضبطه الوجود فلا، كمراتب الأعداد فإنها وهمية محضة فلا يكون ذهابها في التطبيق إلا باعتبار الوهم، لكنه عاجز عن ملاحظة تلك الأمور الوهمية التي لاتتناهى فتنقطع تلك الأمور بانقطاع الوهم

ثم يقول: والحكم بجواز التسلسل في الأمور الإعتبارية ليس بصحيح على الإطلاق) (١) .

والمتأمل في مباحث ومناظرات الفلاسفة والمتكلمين يجد أن أساس الإختلاف في قضية خلق العالم ما بين حدوثه عند المتكلمين، وقدمه عند الفلاسفة يجد أن الفريقين يستدلان بالتسلسل، فالمتكلمون يستدلون على حدوث العالم بانقطاع التسلسل، والفلاسفة يستدلون على قدم العالم بجواز التسلسل، وجواز وجود ما لايتناهى من الحوادث المتجددة في الأفلاك القديمة والصورة والهيولا (٢) كما سبق أن ذكرنا حيث رد الفلاسفة على المتكلمين في تسميتهم الأجسام والأعراض حوادث.فلا يخلو: إما أن تقولوا بجواز تسلسل الحوادث، وإما أن تنفوا بعدم جواز ذلك .

فإن قلتم بجواز تسلسل الحوادث وأن الأجسام حدثت بشرط حوادث متعاقبة بطل دليلكم على امتناع التسلسل في الآثار، وأمكن حينئذ أن يكون الجسم القديم لم يزل متحركا، فبطل دليلكم على حدوث الجسم.

وإن قلتم لايجوز تسلسل الحوادث في الآثار، وقد قلتم بحدوث الأجسام من غير سبب حادث لزم أن لايكون حدوث الحادثات متوقفا على سبب حادث ...) (٣).

١- كشاف إصطلاحات الفنون، للتهانوي جـ١/٧٦٣-٧٦٦.

٢- أنظر: في الرسالة ، ص٢٦٥-٢٨٤، ٢٩٤-٣٠٥، الباقلاني وآراؤه الكلامية، د/ محمد رمضان عبدالله ص ٣٤٩-٣٦٥.

٣- أنظر: مناقشات الفلاسفة والمتكلمين في هذه القضية في : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ٢ / ٢٠٩-٢١١.

والمتكلمون قد وقعوا بين أمرين لمَّا قالوا بامتناع تسلسل الحوادث: إما أن يقولوا بالترجيح بلا مرجح، وإما أن يقولوا بجواز التسلسل (١). ولأجل هذا إختلفت الأقوال في هذه القضية ما بين مجوز ومانع ومتوقف، وفيما يلي نذكر أهم أقسام التسلسل (الممتنع والجائز): -

التسلسل نوعان : -

١ / تسلسل في المؤثرات:

وهو كتسلسل العلل وكتسلسل الفاعلين والخالقين والمحدثين مثل أن يقال: هذا الفاعل له فاعل آخر وهذا الخالق له خالق آخر، وهذا المُحدِثُ له مُحدِثٌ آخر إلى ما لانهاية، فهذا ممتنع عقلاً وشرعاً عند جميع العقلاء، بل مما اتفق عليه أكثر أهل الملل .

ويدخل في هذا الإمتناع تسلسل المعلولات والمفعولات لأن كل محدث لايوجد بنفسه، فهو معدوم باعتبار نفسه، فإذا قدر من هذا المعدوم مالايتناهى لم تصر الجملة موجودة واجبة بنفسها فإن إنضمامَ المُحْدَثِ إلى المُحْدَثِ والمعدوم إلى المعدوم والممكن إلى الممكن لايخرجه عن كونه مفتقراً إلى الفاعل له.

بل كثرة ذلك تزيد حاجتها وافتقارها إلى الفاعل، مثل أن يقال : هذا الإبن له أب سابق له والأب له أب سابق له وهكذا حتى يقف هذا التسلسل لدى الأب الأول وهو آدم عليه السلام وهذا الأب وجوده أيضاً يتوقف على الفاعل والخالق الذي خلقه وهو الله تعالى وهنا يقف التسلسل ويمتنع تسلسله كما أن التسلسل في الفاعلين ممتنع أيضا.

ويدخل في تسلسل المفعولات والمعلولات جميع مخلوقات الله تعالى المنفصلة عنه المباينة له فإن جميعها لها إبتداء، وعندها يتوقف التسلسل إلى الفاعل لها

١- أنظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ٢/٣٩٦ - ٣٩٨.

وهو الله تعالى (١).

٢ / تسلسل في الآثار كوجود حادث بعد حادث أو حادث قبل حادث وفيه ثلاثة أقوال:-

أ / قول أبو الهذيل العلاف والجهم بن صفوان وأتباعهما:-

حيث منعوا مثل هذا التسلسل في الماضي والمستقبل جميعا، وليس معهم دليل إلا دليل حدوث الأعراض والأجسام، والقول بتسلسل الحوادث يؤدي إلى قدمها فأزليتها، .فدوام امتناع الحوادث، وهذا هو سبب إنكارهم للتسلسل في الماضي والمستقبل..

ب / قول الأشاعرة والمعتزلة وأتباعهم :-

حيث نفوا تسلسل الحوادث في الماضي دون المستقبل وهو قول أكثر أهل الكلام كما سبق أن مر معنا في أول مبحث، حيث استدلوا على صحة إثبات امتناع تسلسل الحوادث في الماضي ببرهان التطبيق، وزيادة الشفع والوتر، وعقود الأعداد، ومعلومات الله مع مقدوراته ونحو ذلك من الأدلة التي سنتعرض لها في مبحث المناقشات إن شاء الله تعالى.

ج / قول أهل السنة والجماعة الذين يفرقون بين النوع والعين فالعين التسلسل فيه ممتنع، أما النوع فلا مانع منه، حيث يجوزون مثل هذا التسلسل في الماضي والمستقبل فلا مانع من وجود الحادث الذي أحدثه الله تعالى، وأن يكون قد أحدث قبله مثله، وقبل ذلك الحادث أحدث حادثا قبله، وهكذا إلى ما لانهاية في الماضي. ونفس الأمر في المستقبل، فلا مانع من وجود حادث بعده حادث وبعده حادث، إلى مالا نهاية في المستقبل، مادام المُحدث لهذه الحوادث هو الله تعالى القادر القهار الصمد المريد القوي العزيز الذي لايغلب فهو على كل شيء قدير وهو سبحانه الفعال لما شاء ولما يشاء.فأي مانع يمنعه من

١- منهاج السنة لابن تميمة جـ١ ص ٤٣٦ - ٤٣٧، والفتاوى جـ٥ ص ٥٣٥، مجموعة الرسائل والمسائل جـ٤ ص ٣٤٢ ابن تيمية السلفي للهراس جـ٥/١٢٦.

أن يفعل ويحدث الحوادث وهو الأول والآخر والظاهر والباطن الذي لاشيء قبله والآخر الذي لاشيء بعده؟فهو فاعل وقادر ومريد بالقوة منذ الأزل وإلى الأبد. ولهذا أطلق على نفسه في كتابه بأنه هو الفعال لما يريد سبحانه وتعالى(١).

ونكتفي هنا بهذا القدر من عرض آراء المعاني الإصطلاحية للتسلسل لدى الفرق الكلامية وننتقل إلى المطلب التالي للمناقشة والتحليل.

١- أنظر: منهاج السنة النبوية: لابن تيمية جـ١/١٧٦، تحقيق د/محمد رشاد سالم، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة الناجية: للشيخ محمد السفاريني جـ١، ص٢٥٨، تعليق الشيخ عبدالرحمن أبابطين، والشيخ سليمان بن سحمان، شرح حديث النزول: لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص ١٥٧، مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ٨/٨٧-٨٩، جـ١٦/٣٨٦، ابن تيمية السلفي محمد خليل هراس، ص١٣٨، ابن تيمية المفترى عليه : سليم الهلالي ص ٦٨-١٠٤.

المطلب الثالث : التحليل والمناقشة .

لقد علمنا فيما سبق أن المتكلمين والفلاسفة ينفون قيام الأفعال الاختيارية، وينفون كذلك الصفات الفعلية، والخبرية، وكذلك الصفات الأخرى، باختلاف واستثناء فرق إلى أخرى في إثبات بعضها ونفي بقية الصفات. وإذا ما تأملنا سبب نفيهم لهذه الصفات وخاصة الأفعال الإختيارية والمتجددة نجد أنهم يتعللون بقولهم أنها تؤدي إلى التسلسل، والتسلسل في الأفعال يؤدي إلى القول بقدم الأفعال، وقد قاسوا هذه الأفعال على الأجسام فاعتبروا هذه الأفعال تقوم مقام الأعراض والحوادث، وبما أن الله تعالى واحد فرد صمد ليس بجسم وليس بعرض فكذلك أفعاله الإختيارية والمتجددة لاتقوم به، لأنها حوادث ولأنها تستلزم أن تكون لا أول لها وهذا مستحيل. وقد ناقشنا هذه الشبه في المباحث السابقة ولا داعي لتكرارها ويكفينا أن نعلم أن المتكلمين يبطلون التسلسل في أفعال الله تعالى، وأنهم يثيرون هذه الشبهة على أهل السنة والجماعة ويضعون باللوم عليهم لأنهم أثبتوا لله تعالى الأفعال الإختيارية كما أثبتها القرآن والسنة، فقالوا معنى قولكم هذا : أنه ليس لأفعاله تعالى بداية ولا نهاية، وهذا يلزم منه التسلسل في أفعاله.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية:

(والحجة المشهورة لهؤلاء المتكلمين أنه لو كان خلق المخلوقات بخلق لكان ذلك الخلق إما قديما وإما حادثا، فإن كان قديما لزم قدم كل مخلوق، وهذا مكابرة وإن كان حادثا، وقام بالرب لزم قيام الحوادث به، وإن لم يقم به كان الخلق قائما بغير الخالق وهذا ممتنع، وسواء قام به أو لم يقم يفتقر ذلك الى خلق آخر

ويلزم التسلسل هذا عمدتهم)(١).

ومع أنهم أثبتوا أن أفعاله تعالى لها بداية لكن مع هذا تناقضوا فأثبتوا له الأحوال والنسب والإضافات وأثبتوا تجددها وتجدد التعلقات للصفات القديمة وهذا في حد ذاته يلزمهم القول بالتسلسل، ويلزمهم القول بقيام الحوادث بذاته ويلزمهم نقض قاعدتهم التى تقول أن الحوادث لها أول (٢).

ولهذا نجد أبا الحسين المعتزلي وغيره يذهبون إلى القول بتجدد العالمية وتجدد المعلومات كما سبق أن ذكرنا(٣) ، أما الإضافات أو النسب فيذهب الأشاعرة بجواز تجددها وأنه تعالى موجود مع العالم بعد أن لم يكن معه (٤).

لكنهم منعوا جميعا قيام الحوادث بذات الله تعالى ومنعوا أن يكون الله تعالى محلا للحوادث. لأنه على زعمهم يؤدي إلى التسلسل وإلى أنه قد تجدد له صفة لم يكن هو متصفا بها من قبل وهذا الأمر قد يعتبر صحيحا ومقبولا إذا كان الله تعالى متصفا بها في الأزل، فلما لم يكن ذلك أزلا بطل هذا القول مع أنه يلزم منه أزلية المفعولات فمادامت صفاته تعالى صفات كمال فخلوه عنها

١- مجموع الفتاوى جـ ٥ ص ٥٢٩.

٢- أنظر غاية المرام في علم الكلام للآمدي . تحقيق حسن محمود عبداللطيف ص ٢٤٦-٢٤٧.

٣- أنظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ١٨٢- ٢٠٠، تحقيق د/ عبدالكريم عثمان، في التوحيد للنيسابوري، تحقيق د/ محمد عبدالهادي ص ٤٩٣ -٥٢٥، وانظر في الرسالة في الفصل الثالث ص ٢٨٠ - ٢٩٩، ٢٣٠، ٢٢٨-٢٢٨

٤- أنظر : شرح المواقف في علم الكلام : علي بن محمد الجرجاني، الموقف الخامس، ت / د/ أحمد المهدي ، ص ٥٣ - ٦١، وأبكار الأفكار للآمدي جـ١، ص ٧٢، نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٢١٥ - ٢٢١، الأربعين للرازي ص ١٤١ - ١٤٢، مقالات الإسلاميين جـ١ / ٣١٣، وموافقة صحيح المنقول لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٩٣/٢، نشأة الفكر الفلسفي للدكتور النشار جـ ٣٣٦، مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية للتفتزاني وملا أحمد الجندي وعبدالحكيم السيالكوتي جـ ٢ ص ٩٢-١٤٢، الشامل للجويني ص ٣٥٠، ٥٢٩، ٦٢٩، وانظر الرسالة : ص ٣٣٥ - ٣٥٥، ٢٣٦ - ٢٦٢

نقص، والنقص عليه محال فلا يكون شيء من صفاته حادثاً وإلا كان خاليا عنه قبل حدوثه (١) يقول التفتزاني: (لو جاز قيام الحادث بذاته لجاز أزلا، واللازم باطل) (٢).

ويقول الهراس : (إتفق المتكلمون من أشاعرة ومعتزلة على منع قيام الحوادث بذاته تعالى، والفلاسفة مع تجويزهم قيام الحادث بالقديم حسب ما ذهبوا إليه من قيام الحركات الحادثة بالأفلاك القديمة منعوا أيضا قيام الحوادث بذاته حتى أنكروا علمه تعالى بالجزئيات لما تبين لهم أن ذلك العلم لايكون إلا متغيرا تبعا لتغير المعلومات، وكذلك نفوا إرادته....) (٣).

وقد ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن تجدد الفعل في وقت دون وقت قد يكون كمالاً كما هو في تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام فتكليمه لموسى في جبل الطور كان كمالا، وعدم الكلام مع موسى قبل هذا الوقت كان أيضا كمالا، وهكذا في الأفعال المتجدده وجودها وقت وجودها تكون كمالا له بما أراده وقدره، وعدمها في وقت عدمها تكون كمالا. ولانقول أن تجددت له صفة محدثة لم يكن هو متصفا بها بل صفاته قديمة أزلية كلها. وأما تجدد الأفعال كالخلق والرزق والإماتة والإحياء وغيرها من الأفعال كما نص عليها النقل فلا مانع أن تكون كمالا وقت حدوث تلك الأفعال ووجودها في الواقع .

ثم إن هذه الأفعال التي ورد ذكرها في النقل إماأنتقوم بنفسه، وإما أن تقوم بغيره، فإن قامت بغيره فإما أن يكذب النقل الذي أثبت بأنه هو الفاعل لها، أو أن تصدق هذه الأفعال لذلك الغير الذي قامت به هذه الأفعال ولما ذهب أهل السنة والجماعة بإثبات هذه الأفعال لله تعالى، وأنها تقوم على الحقيقة، إعتبر النفاة هذا الإثبات هو قول بجواز الحوادث بذات الله تعالى وعدم أوليتها

١- أنظر شرح المواقف للجرجاني ص ٥٣ - ٦١

٢- المرجع السابق ص ٥٦

٣- ابن تيمية السلفي ص ١٢٥

وهو بعينه التسلسل المحال.

والحق : أن أهل السنة والجماعة وإن جوزوا مثل هذا النوع من التسلسل فإنهم لم يتجاوزوا النقل الصحيح والعقل الصريح، لأنه تسلسل في الآثار، وهو أن يكون نوع الأثر يعقبه نوع آخر، أو يسبقه نوع آخر، وهكذا إلى ما لانهاية في جانب الماضي والمستبقل، وهذا الأمر تصوره ليس ببعيد على العقل، فقد ضرب الله الأمثلة في كتابه، ومنها على سبيل المثال إخباره تعالى عن نعيم أهل الجنة في قوله عالى ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (١) فكيف يكون الأكل دائما وقد نفد وانتهى ما تم أكله وتناوله؟

فدل ذلك على أن جنس الطعام دائم غير منتهي وإنما الذي ينتهي هو آحاد وأفراد الطعام والمأكولات المتجددة كل وقت.

والإله الحق سبحانه وتعالى إذا كانت كلماته وأفعاله لانهاية لها في جانب المستقبل - كما قال تعالى : ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (٢) ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ (٣) - فما المانع من عدم نهايتها في جانب الماضي أليس هذا هو الكمال له تعالى ؟

بلى هذا هو الكمال له تعالى ، ولهذا تواترت الأخبار عن أئمة السلف الصالح بعد الأدلة السابقة بهذا فقالوا : إن الله تعالى لم يزل متكلما إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وأنى شاء فهو سبحانه كما قال الإمام البخاري وعثمان بن سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهم، الحي لايكون إلا فعالاً فالله تعالى هو الحي الفعال، ولم يكن ربنا تعالى قط في وقت من الأوقات معطلا عن كماله من الكلام والإرادة والفعل .

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : (وجمهور أهل الحديث وطوائف من أهل

١- سورة الرعد آية (٣٥)

٢- سورة لقمان آية (٢٧)

٣- سورة الكهف آية (١٠٩).

الكلام يقولون : بل هنا قسم ثالث قائم بذات الله تعالى متعلق بمشيئته وقدرته، كما دلت عليه النصوص الكثيرة. ثم إن بعض هؤلاء قد يجعلون نوع ذلك حادثا، كما تقوله الكرامية، وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لايجعلون النوع حادثاً، بل قديما ويفرقون بين حدوث النوع وحدوث الفرد من أفراده، كما يفرق جمهور العقلاء بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه فإن نعيم أهل الجنة يدوم نوعه ولا يدوم كل واحد من الأعيان الفانية، ومن الأعيان الحادثة ما لا يفنى بعد حدوثه كأرواح الآدميين فإنها مبدعة كانت بعد أن لم تكن ومع هذا فهي باقية دائمة ...)(١).

ويقول العلامة المحقق القاضي علي بن علي ابن محمد ابن أبي العز الدمشقي: (مازال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد لكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبدياً) (٢).

قال شارح الطحاوية : (ومن المعلوم بالفطرة أن كون المفعول مقارناً لفاعله لم يزل ولا يزال ممتنع محال، ولما كان تسلسل الحوادث في المستقبل لا يمنع أن يكون الرب سبحانه هو الآخر الذي ليس بعده شيء فكذا تسلسل الحوادث في الماضي لايمنع أن يكون سبحانه وتعالى هو الأول الذي ليس قبله شيء ، والمثبت إنما هو الكمال الممكن الوجود، وحينئذ فإذا كان النوع دائما، فالممكن الأكمل هو التقدم على كل فرد من الأفراد بحيث لايكون في أجزاء العالم شيء يقارنه بوجه من الوجوه، وأما دوام الفعل فهو أيضا من الكمال فإن الفعل إذا كان صفة كمال فدوامه دوام كمال، والتسلسل لفظ مجمل لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة ليجب مراعاة لفظه، وهو ينقسم إلى واجب وممتنع وممكن .

١- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول جـ ٢ ص ٨٠ - ٨١ .

٢- شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٨

فالتسلسل في المؤثرين محال ممتنع لذاته، وهو أن يكون مؤثرون كل واحد منهم استفاد تأثيره مماقبلة لا إلى غاية.

والتسلسل الواجب : مادل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقض لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لانفاد له.

وكذا التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته، فإن كل حي فعال والفرق بين الحي والميت : الفعل.

وأما التسلسل الممكن، فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف، كما تتسلسل في طرف الأبد، فإنه إذا لم يزل حياً قادراً مريداً متكلماً وذلك من لوازم ذاته ... فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات، وأن يفعل أكمل من لا يفعل، ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدما لا أول له، فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له....، وكل قول سوى هذا فصريح العقل يرده ويقضي ببطلانه، وكل من اعترف بأن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل لزمه أحد أمرين لا بد له منهما:

إما أن يقول بأن الفعل لم يزل ممكنا، وإما أن يقول لم يزل واقعا، وإلا تناقض تناقضا بينا، حيث زعم أن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل، والفعل محال ممتنع لذاته، لو أراده لم يمكن وجوده، بل فرض إرادته عنده محال وهو مقدور له وهذا قول يناقض بعضه بعضا)(١).

إذاً نستطيع أن نخرج من هذا الكلام بنقاط مهمة في القضية وهي :

١) أن القول بجواز تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل هو القول الصحيح فإنه سبحانه لم يزل حيا والفعل من لوازم حياته .

٢) أن قوله تعالى(ذو العرش المجيد.فعال لما يريد)(٢) يستفاد منه أنه تعالى يفعل

١- شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص ٧٥ - ٧٧

٢- سورة البروج آية (١٥، ١٦)

بإرادته ومشيئته وأنه لم يزل كذلك لأنه ساق ذلك عن نفسه تعالى في معرض المدح والثناء على نفسه وأن ذلك من كماله وجلاله تعالى. فلا يصح أن يكون عادما أو فاقداً لهذا الكمال في وقت من الأوقات و (ما) موصولة عامة في الآية أي أنه يفعل كل ما يريد أن يفعله. وأن فعله وإرادته متلازمان فما أراد أن يفعل فعل وما فعله فقد أراد بخلاف المخلوق فإنه يريد مالا يفعل وقد يفعل مالا يريده فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده.

٣) إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال وأن كل فعل له إرادة تخصه هذا هو المعقول في النظر فشأنه سبحانه أنه يريد على الدوام.

فلايختص الفعال وهو الله تعالى ... بالفعل في الماضي دون المستقبل، أو في المستقبل فقط، بل له القدرة على الفعل في الماضي والحاضر والمستقبل، ولايمتنع أن تكون له أفعال وقبلها أفعال ، وقبلها أفعال إلى ماشاء الله تبارك وتعالى وليس هناك دليل على منع ذلك بل في هذا كمال لله تعالى، أما العالم المشهود قد أجاب عنه الرسول ﷺ (كان الله ولم يكن شيء قبله) وقد خلق العرش والقلم قبل خلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء وقد قدر الخلائق قبل خلقه للسموات والأرض بخمسين ألف سنة.

أما تجدد هذه الأفعال والحوادث إلى ما لانهاية في المستقبل ليس بممتنع لا عند أهل السنة والجماعة ولا عند غيرهم من أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من المتكلمين لكن بقي الإختلاف بينهم وبين أهل السنة والجماعة

في إثبات هذه الأفعال على حقيقتها لله تعالى وعدم تأويلها. ذلك التأويل الذي يؤدي إلى تعطيلها وتمثيلهاونفيها عن حقيقتها حسب مدلول اللغة والشرع الذي خاطب الله به أصحاب هذه اللغة الذين علمو وعرفوا معاني تلك الأفعال وجهلوا كيفيتها، وليست هذه القضية قضية سهلة أو أنها فرعية وجزئية لايترتب عليها

شيء كما يظن المتكلمون وأتباعهم، بل هي قضية عظيمة يترتب عليها تعطيل

الكثير من نصوص القرآن والسنة، وتعطيل أفعال الله تعالى وفي هذا خطر عظيم حيث الوقوع في التعطيل والتحريف والتمثيل ومن هنا شدد أئمة أهل السنة والجماعة وعلمائهم في الإنكار عليهم والرد على شبهاتهم، ورميهم بالبدعة.

أما قول أبا الهذيل والجهم فقولهما باطل، لأن جواز تجدد الحوادث والنسب والأحوال والإضافات عند المتكلمين وجواز تجدد الحادث بالقديم عند الفلاسفة كل ذلك مما يبطل قولهما بامتناع التسلسل في المستقبل.

ويبطل قولهم أيضا بامتناع التسلسل في الماضي عدم وجود دليل عقلي أو نقلي على صحة قولهم.

أما قول بعض المتكلمين بأن التسلسل في الماضي يؤدي إلى أزلية المفعول والحوادث واشتراكها في قدم وأزلية الرب فهذا قول باطل، لأن هذا القول يلزمهم فيما أثبتوه من العالمية والقادرية والإرادية وغيرها من الصفات التي جعلوها قديمة أزلية.

ويقال لهم مالفرق بين إلزامكم أيها المتكلمون أهل السنة والجماعة بالتسلسل في أفعال الله تعالى في الماضي

وإثباتها في المستقبل وبين إثباتكم أنتم الصفات القديمة لله تعالى وإثبات تعلقات قديمة لبعض تلك الصفات ؟

فإذا أثبتم أن إثبات الأفعال الإختيارية لله تعالى على حقيقتها يستلزم التسلسل وأن كل فعل يفتقر إلى فعل سابق له إلى ما لا نهاية ، فكذلك يلزمكم أيضاً نفس الإلزام لإثباتكم الصفات الأزلية القديمة ومتعلقاتها القديمة والحادثة.

ثم مالفرق بين إثباتكم للتسلسل في المستقبل دون الماضي؟ فجميع الإلزامات التي تلزمون بها من أثبت التسلسل في الماضي تلزمكم أنتم أيضا مقابل تجويزكم للتسلسل في المستقبل. وهذا هو عين التناقض.

فإن أهل السنة والجماعة يلزمونكم أيضا، بأن إثباتكم للصفات القديمة وإثبات تعلقات قديمة لبعضها يستلزم التسلسل وأن كل فعل من الأفعال المشتقة من

الإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام والعلم يفتقر إلى فعل قبله وهكذا إلى ما لانهاية .

ثم بعد هذا نرجع فنقول إن أهل السنة والجماعة لم يخوضوا الكلام فى التسلسل وإنما المتكلمون هم الذين ألزموهم، لأنهم أثبتوا قيام الأفعال الإختيارية بذات الله تعالى وهذا الإلزام مردود عليهم، لأنهم أثبتوا قيام الصفات القديمة وتعلقاتها القديمة والحادثة بل القول السديد والصحيح أن أهل السنة والجماعة يثبتون قيام جيمع الصفات والأفعال الواردة في النقل الصحيح بذات الله تعالى من غير أي تشبيه أو تمثيل أو تكييف أو تحريف وعلى ما يليق بجلال الله وعظمة الله.

وإذا ثبت أن المخلوقات تتصف ببعض تلك الصفات والأفعال فإنها قائمة بالمخلوقين على ما تليق بهم فلا مشابهة بين صفات المخلوقين وبين صفات الله تعالى وأفعاله إلا الإشتراك في الاسم، والله تعالى قد أثبت ذلك في كتابه.

والمتكلمون يعلمون ذلك تماما . ولهذا رد أئمة أهل السنة والجماعة على إلزام المتكلمين بالتسلسل بأنه لامانع من التسلسل في أفعال الله تعالى في الماضي أو في المستقبل فالكل سيان عنده سبحانه وتعالى وهذا لايستلزم منه تعدد قدماء، أو أزلية موجبة في المفعولات مع الفاعل . بل الصفات قديمة ، والأفعال قديمة الجنس حادثة الآحاد والأفراد وليس في هذا أي مانع أو شبهة لأن هذا هو الأقرب للعقل والموافق للنقل والله أعلم.

فكما أن هذه الصفات قديمة فكذلك بقية الصفات الخبرية وغيرها قديمة وأما الأفعال المشتقة من الصفات فكما أخبر بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية، فهذه الأفعال لامانع من القول في تسلسل آحادها وأفرادها أما الجنس فهي قديمة النوع بمعنى أنه قادر على إيجاد هذه الأفعال بالقوة.

أما ما يتعلل به المتكلمون من بطلان التسلسل في الماضي ببرهان التطبيق

كما هو معروف عند الجويني وغيره من المتكلمين(١)وخلاصته : أنهم يقدرون الحوادث من زمن الهجرة مثلا إلى مالايتناهى، ويقدرون الحوادث من زمن الطوفان إلى ما لا يتناهى أيضا ثم يوازنون بين الجملتين، فيقولون: إن تساوتا لزم مساواة الزائد للناقص، وهذا ممتنع، وإن تفاضلتا لزم أن يكون فيما لايتناهى تفاضل وهو محال (٢) .

ومعلوم أن هذا الإستدلال إستدلال فاسد، ولا يسلم به أحد من العقلاء، لأن حصول مثل هذا التفاضل ممتنع، بل المعلوم والصواب أن الحوادث مثلا من الطوفان إلى مالا نهاية له في المستقبل أعظم من الحوادث من زمن الهجرة إلى ما لانهاية له في المستقبل، وكذلك من زمن الهجرة إلى مالا بداية له فإن مالا نهاية له من هذا الطرف وهذا الطرف ليس أمرا محصورا محدودا موجودا حتى يقال هما متوازنان في المقدار، فكيف يكون أحدهما أكثر؟ بل كونه لايتناهى معناه أنه يوجد شيئا بعد شيء دائما، فليس هو مجتمعا محصورا، الإشتراك في عدم التناهي لايقتضي التساوي في المقدار إلا إذا كان ما يقال عليه أنه لايتناهى قدرا محدودا، وهذا باطل، فإن مالا يتناهى ليس له حد محدود، ولا مقدار معين، بل هو بمنزلة العدد المضعف، فكما أن إشتراك الواحد والعشرة والمائة والألف في التضعيف الذي لايتناهى لايقتضي تساوي مقاديرها، فكذلك هذا .

وأيضا فإن هذين هما متناهيان من أحد الطرفين وهو الطرف المستقبل، وغير متناهيين من الطرف الآخر وهو الماضي. وحينئذ فقول القائل يلزم التفاضل فيما لايتناهى غلط، فإنه إنما حصل في المستقبل وهو الذي يلينا وهو متناه، ثم هما لايتناهيان من الطرف الذي لايلينا وهو الأزل، وهما متفاضلان من الطرف الذي يلينا وهو طرف الأبد، فلايصح أن يقال: وقع التفاوت فيما لايتناهى، إذ

١- انظر : الإرشاد إلى قواطع الدلة في أصول الإعتقاد : لعبدالملك الجويني ص ٢٦-٢٧ .

٢- أنظر : شرح العقائدالنسفية للتفتازاني ص ٦٠

هذا الأمر يشعر بأن التفاوت حصل في الجانب الذي لا آخر له وليس الأمر كذلك، بل إنما حصل التفاضل في الجانب المنتهى الذي له آخر فإنه لم ينقض .... (١).

وكذلك قولهم : إن مما يدل على بطلان التسلسل في الماضي دون المستقبل : أنك إذا قلت : لاأُعطيك درهما إلا أُعطيك بعده درهما، كان هذا ممكنا، ولو قلت : لا أعطيك درهما حتى أعطيك قبله درهما، كان هذا ممتنعا.

فإنه يقال لهم في ذلك :

هذه الموازنة ليست صحيحة، بل الموازنة الصحيحة أن تقول: ما أعطيتك درهما إلا أعطيتك قبله درهما، فتجعل ما ضيا قبل ماضي، كما جعلت هناك مستقبلا بعد مستقبل، وأما قول القائل : لا أعطيك درهما حتى أعطيك درهما قبله فهو نفي للمستقبل حتى يحصل مثله في المستقبل، ويكون قبله، فقد نفى المستقبل حتى يوجد المستقبل، وهذا ممتنع، أما نفي الماضي حتى يكون قبله ماضي فإن هذا ممكن، والعطاء المستقبل إبتداؤه من المعطي، والمستقبل الذي له ابتداء، وإنتهاء لايكون قبله مالا نهاية له، فإن وجود مالا نهاية له فيما يتناهى ممتنع (٢).

ولهذا ذهب الإمام محمد عبده إلى إبطال الإستدلال ببرهان التطبيق واعترض عليه معارضة شديدة واصفا إياه بأنه سفسطة وأوهام كاذبة، وأن العقل لايسوغ إنطباق الرأسين إلا بجذب الناقص ليصل إلى الرأس الزائد، أو بنمو الناقص، أو بذبول الزائد، أو بتقلص الناقص، أو بتكاثف الزائد، أو بانحناء الزائد...، وأن الإنطباق عن طريق الجذب محال لأنه يستدعي طرفا

١- أنظر: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ١/ ٤٣٥ - ٤٣٦.

٢- انظر: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ١/ ٤٣٥-٤٣٦، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٧، ٧٨، موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول جـ٢/ ١٢٠، ٢١٢.

فيما لاطرف له، أما الإنطباق عن طريق النمو أو الذبول فلا يستلزم محالا، لأن المقدار في النمو يجوز أن يكون هو المقدار في الذبول وكذا الأمر في حالتي التخلخل والتكاثف، أما الانطباق عن طريق الإنحناء فلا يلزم من إنطباق الرأسين إنطباق كل جزء على كل جزء ولا التناهي لأن الزيادة دائما لاتزال في الوسط....)(١)ومع بطلان الإستدلال ببرهان التطبيق واختلاف بعضهم ببعض نعود فنقول إذا كان المتكلمون لايجدون جوابا كافيا لبيان سبب حدوث الفعل الذي ذهبوا إليه أو قولهم أن الإرادة القديمة هي التي رجحت هذا الحدوث بلاسبب للترجيح كما ذهب إلى ذلك الإمام الغزالي وغيره حيث ذهب أن الله فاعل بالقوة أزلاً إجتهاداً منه وحلاً لمشكلة التسلسل لأنه قادر على الفعل وليس فاعلا على الحقيقة أزلاً فقال: (والكشف للغطاء عن هذا أن السيف في الغمد يسمى صارما، وعند حصول القطع به، وفي تلك الحالة على الاقتران يسمى صارما، وهما بمعنيين مختلفين فهو في الغمد صارم بالقوة وعند حصول القطع صارم بالفعل، فبالمعنى الذي يسمى السيف في الغمد صارما يصدق اسم الخالق على الله تعالى في الأزل..) ثم يؤكد على سبب حدوث الفعل بالإرادة القديمة الأزلية وأن ذلك هو الحق قطعا للتسلسل (فكان أقوم الفرق قيلا وأهداهم سبيلا من أثبت هذه الصفة ولم يجعلها حادثة. بل قال هي قديمة متعلقة بالأحداث في وقت مخصوص، فكان الحدوث في ذلك الوقت لذلك، وهذا مما لايستغني عنه فريق من الفرق وبه ينقطع التسلسل) (٢).

وما ذهب إليه الغزالي لايعالج المشكلة بل يؤدي إلى اتصاف الله تعالى بصفة لاكمال فيها لأن كمال صفة الخلق والإرادة وغيرها في إثبات اتصافه سبحانه بها بالفعل لا بالقوة فحسب. مع إثبات الأدلة الشرعية لذلك.

ويؤدي أيضاً إلى التناقض في جعل الصفة قديمة وجعل متعلقاتها حادثة في

١- أنظر: التفصيلات في كتاب الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين جـ١ ص ١١٢-١١٣.

٢- الإقتصاد في الإعتقاد للغزالي ص ٧٠، ١٠١

الأوقات المخصوصة وجعل ذلك هو سبب الحدوث. ولهذا تناقض الغزالي فعلا في هذا الأمر فأثبت هنا تعلقات حادثة مع قدم وأزلية الإرادة، ثم نفى حلول حادث بذاته حتى لايرتقي الوهم إلى حادث يستحيل قبله حادث أو لايرتقي اليه فإن لم يرتق الوهم إليه لزم جواز إتصافه بالحوادث أبدا، ولزم منه حوادث لا أول لها فذهب إلى استحالة تعلق الحادث بالصفة القديمة (١).

وكل هذه التناقضات من المتكلمين سببها هو الفرار من القول بحوادث لا أول لها حتى لايوافقوا الفلاسفة في القول بقدم العالم فأبطلوا التسلسل في الماضي فوقعوا فيما هو أخطر منه حيث نفوا الصفات والأفعال الإختيارية وتجددها ثم تناقضوا في إثباتهم تعلقات الصفات القديمة كما سبق أن ذكرنا.

وخلاصة القول :

هو إثبات جواز تسلسل أفعال الله في جانب الماضي والمستقبل شريطة أن يكون سبحانه هو المتقدم على كل فرد من أفعاله أو مفعولاته تقدما لا أول له، حيث أن لكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكل ماسواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن، ولا يلزم من هذا أن أفعاله أومفعولاته لم تزل معه أو مقارنة له.(٢).

وقد سبق إلى هذا الجواز فطاحلة الفلاسفة والمتكلمين.وقول أهل السنة والجماعة بذلك لايعني متابعتهم لهم، وكونهم أخطأوا في قضايا لايعني أنهم أخطأوا فى جميعها بل منهم من وافق قوله ورأيه أدلة القرآن والسنة وخاصة في هذه القضية.

١- أنظر المرجع السابق ص ٩١.

٢- انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٧٧، منهاج السنة النبوية لابن تيمية جـ١/١٤٨-١٤٩

فهذا أبو البركات البغدادي يذهب إلى هذا القول (١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما أبو البركات صاحب (المعتبر) ونحوه فكانوا بسبب، عدم تقليدهم لأولئك، وسلوكهم طريقة النظر العقلي بلا تقليد، واستنارتهم بأنوار النبوات، أصلح قولا في هذا الباب . فأثبت علم الرب الجزئيات...، وكذلك أثبت صفات الرب وأفعاله..، فهؤلاء يقولون: إنما حدثت الحوادث شيئاً بعد شيء لما يقوم بذات الرب من الأسباب الموجبة لذلك، فلايثبتون أموراً متجددةً مختلفة عن واحد بسيط لاصفة له ولا فعل، بل وافقوا قول أساطين الفلاسفة الذين كانوا قبل أرسطو، الذين يثبتون ما يقوم بذات الرب من الصفات والأفعال...) (٢).

ويكفينا بعد تظافر وتعاضد الأدلة القطعية من القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان في إثبات الأفعال الإختيارية لله تعالى وأنها قديمة الجنس حادثة النوع وأن تسلسلها جائز في جانب الماضي والمستقبل بشرط أن تكون الأفعال أو المفعولات قائمة بذات الله تعالى أما أفعال المخلوقين فهي قائمة بالمخلوقين .(٣). وننتقل إلى المبحث الثاني .

١- انظر: المعتبر في الحكمة: أبوالبركات هبة الله بن ملكا البغدادي، جـ٣/٤٥-٤٨، ١٥٩-١٦٣، منهاج السنة النبوية لابن تيمية، جـ١/٣٤٨-٣٤٩، موقف أبوالبركات البغدادي من الفلسفة المشائية: د/أحمد الطيب ص٢٦٠-٢٨٠، ٣٩٥-٣٩٨، مكتبة كلية أصول الدين بجامعة القاهرة، الرد على المنطقين : لابن تيمية ص ٤٦٤، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية جـ٢/٢٥٥

٢- منهاج السنة النبوية : لابن تيمية جـ/٣٤٨-٣٤٩.

٣- أنظر : الدرء جـ ٣ ص ٤٤-٤٥ ، ١٤٣ - ١٤٧

المبحث الثاني: عرض رأي المنتقدين لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ومناقشة آرائهم.

ويشتمل على مطالب:-

المطلب الأول : عرض آراء المنتقدين لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية في التسلسل.

المطلب الثاني : التحليل والمناقشة .

المطلب الأول : عرض رأي المنتقدين لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية في التسلسل .

تبين لنا فيما سبق منهج أهل السنة والجماعة في إثباتهم قيام الأسماء والصفات والفعال بذات الله تعالى بناءاً على الأدلة الشرعية الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة.

وتبين لنا أيضا زيف ووهن حجج الفلاسفة والمتكلمين على نفيهم قيام الأفعال الإختيارية بذات الله تعالى بحجة أنها تستلزم حلول الحوادث بذات الله تعالى وتستلزم التسلسل وعدم الأولية مع مشاركتها الذات في الأزلية والأبدية.

وقد ناقشنا هذه الشبه، وناقشنا كذلك قضية التسلسل الواجب والممتنع والممكن في أفعال الله تعالى ووضحنا مذهب أهل السنة والجماعة في تجويزهم تسلسل أفعال الله تعالى وأن نوعها دائم من جهة الأزل والأبد وأن عينها منتهي من الطرفين، وناقشنا المانعين للتسلسل من جانب الماضي ، أو من جانب الماضي والمستقبل وفيما يلي نستعرض بعض المنتقدين الذين يضعون اللوم على كل من أثبت تجدد الأفعال الإختيارية من جانب الماضي والمستقبل، وأن هذا القول هو خروج عن منهج السلف الصالح:-

١) ممن اتهم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية القول بالتسلسل في أفعال الله تعالى منصور محمد محمد عويس في كتابه (ابن تيمية ليس سلفيا) (١).

فبعد أن أورد عدة نصوص عن كثير من أئمة الأشاعرة وغيرهم وأقحم في وسطها بعض نصوص أئمة السنة والفقه كالإمام أبي حنيفة، ومالك، وأحمد بن حنبل، والإمام الشافعي، ووضع تلك النصوص تحت عنوان تصوير مذهب السلف عند غير ابن تيمية في الآيات والأحاديث المتشابهة فبدأ بالرازي، وابن خلدون، وسعد الدين التفتازاني، وإبراهيم اللقاني، وإبراهيم الباجوري، وأبوحامد الغزالي، والدكتور عبدالحليم محمود، ومحمد البهي، والزرقاني

١- نشر دار النهضة، ط ١/١٩٧٠م القاهرة.

صاحب مناهل العرفان وغيرهم.

ثم بدأ يتهجم على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية فقال: (إن ابن تيمية يقول بقيام الحوادث بذاته تعالى، وأن التسلسل ليس بمحال في ما مضي، وقد اضطر - أي ابن تيمية - إلى أن يقول بجواز التسلسل فيما مضي لأنه قال بقدم جنس الصفات والأفعال مع حدوث آحادها، وخروجها إلى الوجود شيئا بعد شيء لا إلى أول، فاضطر إلى أن يقول بجواز التسلسل في الماضي والمستقبل جميعا، ثم مضى في الرد مبتدءاً بتسجيل ما ذكره الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس الذي يرى أن ابن تيمية سلفي فقد أثبت (أي الهراس) أن ابن تيمية قد تبع الكرامية في هذا القول ، وذكر أن الهراس اعترف بخطأ شيخه أحمد ابن تيمية في تأسيس قاعدة قدم الجنس وحدوث الأفراد، وأن الهراس انتصر لكلام التفتازاني في رده على جلال الدواني، وقد قرر الهراس في بحثه بأن تجويز ابن تيمية قيام الحوادث بذاته تعالى من المآخذ التي أخذت عليه، وأن هذه القاعدة لايطمئن إليه العقل كثيرا، ثم يعقب بعد نقولاته من كتاب الشيخ الهراس بقوله: (ماذكره الأستاذ الشيخ هراس يعتبر دعامة في بحث (ابن تيمة ليس سلفيا) لأن الأستاذ الشيخ هراس من المعجبين بشخصية لإبن تيمية فإذا كان هذا هو رأي أنصاره فماذا يكون رأي خصومه ومعارضيه فقد شهد شاهد من أحبابه ومؤيديه. فحصحص الحق بأن ابن تيمية ليس سلفيا، وليس عجيبا أن ينصف الباحث الحقيقة، ولكن العجيب أن يعرف الباحث الحقيقة وهي : (خطأ ابن تيمية تارة والشك فيما يقوله تارة أخرى) ومع هذا يصر على تسمية كتابه ابن تيمية السلفي ولو التزم تعبير نفسه فيما نحن بصدده لقال: (ابن تيمية السلفي إدعاءً) (١).

ويقول أيضا : (إننا قد نعجب إذا رأينا من أنصار لإبن تيمية من يعارضه أو يشك فيما قاله، ولكننا نزداد عجباً حينما نرى ابن تيمية نفسه يعترف بأنه متناقض وياليت إحساسه بالتناقض يجعله يرجع عما يقول، ويفئ إلى الحق، ولكنه

١- أنظر المرجع السابق ص ١٢٩-١٣٠.

لم يتراجع وكأن الآراء ومناقشتها جعلته ينتقل من صراع إلى صراع، ومن جدال إلى جدال فأحدث هذا الإنتقال من هنا وهناك ومن قيل وقال، ومن اعتراض وجواب إلى اعتراض على الجواب، إلى جواب على الاعتراض، وهكذا فأحدث هذا كله دواراً في الفكر حتى إن ابن تيمية قابل التناقض ووقف به الأمر إلى قبول هذا التناقض والاعتراف به وكانه بعد تلك الجولة الجدلية تصبب منه عرق الفكر حتى لهث إعياءاً، وجمد وهناً وخموداً، وعجزاً وركوداً ،فلم يسعه إلا أن يؤثر القول بأنه متناقض.... إلى آخر كلامه) (١).

وقال أيضا : في الرد على شيخ الإسلام في قضية قيام الحوادث بذات الله تعالى : (قل لنا يا ابن تيمية : لقد أثبت في صدر كلامك أن الحوادث التي يراد بها الأعراض والنقائص الله منزه عنها، ولكن قل لنا هل هناك حوادث وأعراض متصفة بالكمال الذي لايلحقه نقص فعلي ؟ وهل تجيز قيام هذا النوع من الحوادث بذات الله تعالى ؟ إن مفهوم كلامك يفيد هذا وإذا سلمنا جدلا بمقدمتك هذه الخاطئة التي لاتستند إلي شيئ من العقل والشرع فإن عجز كلامك يرد عليك، فقد قلت : ولكن يقوم به ماشاءه ويقدر عليه .إذن هذا الحادث الذي أجزت قيامه بذات الله تعالى هو المشاء من الله وهو المقدورعليه. وهل المشاء إلا مخلوقا ؟ وهل المقدور إلا مخلوقا ؟

وهنا ننتقل إلى سؤال آخر وهو :

هل المخلوق كامل أم ناقص ؟ لاشك أن المخلوق ناقص. بدليل أنه مشاء مقدور، وهنا سؤال آخر وهو : أنت وكل مؤمن متفق في إثبات كل كمال لله تعالى يليق بجلاله عزوجل أليس كذلك ؟ بلى الكل متفق على هذا إذن تعال لنصل معا إلى نتيجة دعواك لنعرف سوياً الحقيقة في وضوح ويسر إن دعواك قيام الحوادث بذات الله تعالى وبعبارة أخرى أن قيام المخلوق بذات الله تعالى (لأن الحادث مخلوق) وبعبارة ثالثة قيام الناقص بالله الكامل. وبعبارة رابعة

١- المرجع السابق ص ١٣٠- ١٣١

اتصاف الله الكامل بالناقص ماذا تكون النتيجة يا ابن تيمية: كيف يكون ذلك؟.

هل الله الكامل يقوم به الناقص ؟

أو بعبارة أخرى : هل الله الكامل يتصف بالناقص ؟

أليس في هذا سلب للكمال الذي لايختلف مؤمن في إثباته لله عزوجل ؟

قد يقال ومالدليل على أن قيام الحوادث بالكامل ينقص الكامل ؟

والجواب أن عبارة قيام الحوادث بذات الله تعالى تساوي في مدلولها اتصاف الله الكامل بالحوادث أي اتصاف الله الكامل بالناقص والدليل على أن اتصاف الكامل بالناقص ينقص الكامل وهو أنه لو اتصف الكامل بالناقص فإما أن الناقص ينقص الكامل أم لا فإن كان الأول فهو المطلوب إثباته وهو أن إتصاف الكامل بالناقص ينقصه، وإن كان الثاني يكون الخلف لأن الأصل في الكامل ألاّ يحل به النقص أبداً وإلا تنافى كونه كاملا، ولكان حادثا، والله تعالى منزه عن الحدوث فلو قلنا بجواز اتصاف الكامل بالناقص لكان الخلف إذ يكون كاملا لا كاملا والخلف باطل إذا ثبت الأصل وهو كون الله الكامل لا يتصف بالناقص) (١) وقال أيضا : (بيان خطأ ابن تيمية في نسبة ما ادعاه إلى السلف)، حيث أتى بنصوص محمد زاهد الكوثري في نسبة القول بقيام الحوادث بذات الله إلى أحمد والبخاري وغيرهما من السلف كذب صريح وتقول قبيح فقال : وإني الفت نظر حضرة القارئ إلى هذه العقيدة وهل تتفق مع دعوى أنه إمام دونه كل إمام ؟ بل هل تتفق هذه العقيدة مع دعوى أنه في عداد المسلمين ؟

ويقول : (فعلى كل فإن ابن تيمية قد خالف السلف بهذا الخوض وهذا الجدل ويا ليته انتهى به إلى حق بل إلى باطل.فمخالفته أشد، إن كلام ابن تيمية باطل وغير صحيح مطلقاً ..... ، لأن عقيدة ابن تيمية هذه جرته إلى أخطاء شنيعة

١- المرجع السابق ص ١٣٣

وعقائد فاسدة فيها جسارة باطلة). (١).

ثم أبطل القول بالتسلسل باستخدام برهان التطبيق الذي بينا بطلانه في المبحث السابق (٢). وبعد تهجماته الكثيرة قال في آخركتابه : إن ابن تيمية قد تبع الكرامية في هذا الزعم الباطل وهو قيام الحوادث بذات الله تعالى، فأين هذا الدوار الفكري، والشرود الذهني، والجدال الضار بالعقيدة؟ أين هذا من صفاء السلف وضياء بصيرتهم، وقوة إيمانهم ونقاء ضميرهم وإشراق قلوبهم وطهارة فطرتهم وسلامة عقيدتهم ؟

وبالتالي أين نقاء عقيدة السلف وصفائهم من هذا الجدل الخاطئ الذي خاض فيه ابن تيمية الذي نهى عنه الدين وخصوصا إذا أوصل إلى ما وصل إليه ابن تيمية غير السلفي؟(٣)، إن مثله حينما يدعي أنه يدعو إلى ما كان عليه السلف كمثل رجل معه زجاجة منظرها جميل جذاب ووضع عليها من الخارج ورقة مكتوبا عليها (ماء ورد) ولكن حينما ملأها لم يملأها بحسب عنوانها بل ملأها (خلا) فمظهرها الخارجي مليح وباطنهاقبيح، إن ابن تيمية قال إنه متمسك بالسلف ولكنه في التطبيق قد اختلف من أجل هذا كان عنوان البحث (ابن تيمية ليس سلفيا) (٤).

وبعد تهجماته الكثيرة قال في آخر كتابه :

(فلا يستبعد ابن تيمية على نفسه أن يأتي في عام ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م من يقول أنت مخطئ ولست سلفيا زل لسانك وأخطأ بيانك في حق ربك وفي حق الأنبياء والمرسلين) (٥).

١- المرجع السابق ص ١٣٧ - ١٣٩

٢- المرجع السابق ص ١٤٩

٣- المرجع السابق ص ١٥٥

٤- المرجع السابق ص ١٦٢

٥- المرجع السابق ص ٢٦٣.

٢) من الذين انتقدوا رأي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في جواز قيام الحوادث بذات الله تعالى أيضا عبدالعزيز بحيري إبراهيم المدرس المساعد بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر في كتابه (قيام الحوادث بين النافين والمثبتين) والتي جعلها رسالة لنيل درجة الدكتوراه سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م فبعد أن صدّر الرسالة بآراء النافين لقيام الحوادث من الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة الذين سماهم أهل السنة والجماعة ، وبين أن من أهم أصول الأشاعرة التأويل والتفويض للصفات الخبرية ومنع قيام الحوادث بذات الله ثم بدأ يكيل من التهم والذم على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في قضية قيام الحوادث بذات الله تعالى ويصفه بالبدعة والجرأة على النصوص ويذم جميع المثبتين بدءاً بأبي البركات البغدادي، والكرامية، والرازي في إثباته التعلقات الحادثة، وحمل الكاتب

ويقول أيضا (في القرن الثامن الهجري ، ظهر الإمام ابن تيمية حيث قامت فلسفتة الإلهية من أولها إلى آخرها على ضرورة قيام الحوادث بذاته تعالى، وتكمن خطورة مذهب ابن تيمية في ادعاء أن ما روجه في ذلك هو مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم ....) ص ٥٧٢.

ويقول أيضا: (وكذلك بدأ واضحا أن تتبع ابن تيمية لإمام الحرمين فيما رد به على الدهريين ما هو إلا جدل لاطائل من ورائه ليسلم له مايدعيه من أزلية جنس الحوادث، وقيام الحوادث بذات الله تعالى وأنى له ذلك ؟) ص ٤١٣.

وحمل الكاتب على جملة من القضايا صدر بها كتابه وفيها الدلالة الواضحة على مدى وعيه وهضمه وفهمه لقضية الأفعال الإختيارية وعلاقتها بالتسلسل في الآثار ويمكن أن نلخصها في العناصر التالية:-

١ / قرر أن نفي قيام الحوادث بذات الله تعالى يمكن أن يقرر على أنه مذهب جمهور المسلمين وحقيقة قوله هذا هو نفي قيام الأفعال الإختيارية والمتجددة بذات الله تعلى ورد النصوص النقلية وتأويلها.

٢ / إصراره على إثبات حدوث العالم، وأن الحوادث لها أول ، وأن سبب ترجيح الحدوث هو الإرادة الأزلية القديمة.

٣ / إصراره على القول بقدم الإرادة الإلهية وحدوث أفعاله تعالى مع نفيه جواز دوام أفعاله تعالى.

٤ / استعانته ببعض النصوص النقلية التي تثبت ما كتبه الله وقدره وشاءه أزلاً على نفي تجدد الحوادث .

٥ / انتصاره للمتكلمين على نفي الأفعال الاختيارية بدليل الكمال والنقص ورده لقياس الأولى الذي جاء القرآن بمثله في تقريره لأصول الدين.

٦ / إنكاره لدليل الإمكان الذي بواسطته يمكن إثبات الأفعال الإختيارية عقلا مع صحة إثباته شرعا لكثرة ورود الأدلة النقلية.

وهذه العناصر قد ناقشناها في مباحث الرسالة والذي يهمنا هنا حملته على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية حيث ختم رسالته قائلا:

(فمن أين أتى ابن تيمية ؟ وهو يدعي السلفية في كل مايقوله، بوجوب قيام صفة حادثة بذات الله عند إحداثه الحوادث ويرى أن ذلك غير ممتنع ؟ لأنه هو الذي يحدثها في ذاته)(١).

وقال في آخر الرسالة : (ومع أن البعض القليل من أئمة السلف والخلف قد صرح بكفر من قال بحدوث الصفات القائمة بذات الله تعالى إلا إنني أرى أن أقصى ما يقال في الحكم على هذا الرأي هو أنه (بدعة) إلا إذا أراد مثبت الصفة الحادثة وصف الله تعالى بالنقص أزلا) (٢).

فجعل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية من أهل البدع الذين حرفوا وغيروا دين الله

١- قضية قيام الحوادث بين النافين والمثبتين عبدالعزيز بحيري إبراهيم، مكتبة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر ص ٤٣٤

٢- المرجع السابق ص ٥٧٤.

ونحن نكتفي بهذين الكتابين وبهاتين الشخصيتين وهناك آراءاً أخرى تركناها خشية التكرار (١)

ومنها ما قد كفانا الرد عليها كالحافظ محمد بن أبي بكر ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢هـ الذي رد على الكثيرين ممن كفر شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، وقد حقق الكتاب الشيخ زهير الشاويش، لذا فانني اعتمد على الرد على هذين الكتابين لأن أغلب الآراء التي ذكروها في مجموعها لها علاقة قوية بموضوعنا .

ونتنقل إلى مطلب التحليل و المناقشة.

١- انظر: في هذا مثلاً كلام شعيب الأرنؤوط في هامش كتاب شرح العقيدة الطحاوية والذي لايخرج كلامه عن ما أوردناه، ويدل دلالة واضحة على عدم فهمه للقضية واستدلاله بكلام الهراس الذي أيد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في قيام الحوادث بذات الله تعالى، ص ٦٩.

المطلب الثاني : التحليل والمناقشة .

أولا : مناقشة آراء منصور محمد محمد عويس في كتابه ابن تيمية ليس سلفيا.

بعد حمد الله تعالى وشكره : فان أغلب نقده لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية كان قد اعتمد عليه من كتاب الشيخ محمد خليل هراس وهو (ابن تيمية السلفي) وقبل أن نتكلم عن الشيخ الهراس وآرائه نود أولاً أن نذكر ما ذكره الشيخ الهراس في قضية قيام الحوادث وملاحظاته على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية:-

يقول الشيخ الهراس : بعد أن عرض مذهب الفلاسفة القائلين بإيجاب وأزلية أفعال لله تعالى ومثالهم على ذلك قدم العالم، ومذهب المتكلمين القائلين بحدوث أفعال الله تعالى ومثالهم على ذلك حدوث العالم،بدأ يصور بعد هذا مذهب ابن تيمية قائلاً :

(ولم يهتد الفريقان للقول الوسط، وهو أن المؤثر التام مستلزم أن يكون أثره عقب تأثيره لامع التأثير ولا متراخياً عنه كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.(١) فهو سبحانه يكون كل شيء عقب تكوينه لامع تكوينه في الزمان ولا متراخياً عن تكوينه .. ثم يقول الهراس ويعتقد ابن تيمية أنه بهذا الحل الوسط قد وفق لحل المشكلة ... ولكن ما معنى هذا الإستعطاف والإستتباع وهل هو مقتض لقدم العالم أو حدوثه ؟ .... يجيب ابن تيمية على هذا بأنه يجب أن نفرق بين شيئين :

١ - أنواع الحوادث أو أجناسها . ٢ - وبين أعيانها أو أشخاصها .

أما النوع فقديم ، وأما أعيان الحوادث فحادثة.....)

ثم يقول الهراس : (وربما كان هذا المذهب في نظرنا هو أقرب إلى العقل

١- سورة ياسين آية (٨٢)

والشرع من غيره...) (١).

ويقول أيضا : (ولكن كيف يقول ابن تيمية بقدم جنس الصفات والأفعال مع حدوث آحادها؟ وهل الجنس شيء آخر غير الأفراد مجتمعة كما قررنا؟ وهل للكلي وجود إلا في ضمن جزء من جزئياته حادثا فكيف يكون الكلي قديما؟ ثم أتي بالأجوبة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ...) (٢).

ويقول أيضا : (ولكن هل معنى هذا أن ابن تيمية يقول بالنزول الحقيقي الذي يقتضي هبوط الباري جل شأنه من على العرش إلى السماء الدنيا ؟ وهل يجوز عليه الحركة والإنتقال ؟

ثم يجيب قائلا :

لم أجد لابن تيمية نصاً يفيد هذا ، بل مذهبه الصريح الذي يذكره في عامة كتبه أن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه وأنه لايحصره ولايحيط به شيء من مخلوقاته كما أنه لايحل في شيء منها .

وإذاً فلا معنى للنزول عنده إلا أنه صفة لله عزوجل لايماثل نزول الخلق كما أن استواءه لايماثل استواء الخلق ، فإن الله عنده لايماثله شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله) ص ١٤٦.

ويقول أيضا : بعد أن رد على مذهب الأشاعرة والكلابية وغيرهم في صفة الكلام الذين ذهبوا إلى أنه تعالى متكلم بكلام قائم بذاته أزلاً وأبداً لايتعلق بمشيئته وقدرته وقالوا بأن الكلام معنى واحد في الأزل :(وقد اعترض ابن تيمية على هذا المذهب من وجوه كثيرة منها : أن يقال لهم إن كون الكلام معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر غير معقول، فنحن إذا عربنا التوراة والإنجيل

١- أنظر: ابن تيمية السلفي ص ١٦٣ ط١٤٠٤/١هـ دار الكتب العلمية بيروت توزيع دار الباز مكة المكرمة.

٢- المرجع السابق ص ١٢٧

لم يكن معنى ذلك معنى القرآن ، وكذلك معنى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١). ليس هو معنى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾(٢) .. ثم يقول الهراس : (والحق أن الإلزام قوي ليس من السهل التخلص منه وقد اعترف محققوا المتأخرين من الأشاعرة بذلك...،

ثم يقول: يرى ابن تيمية أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء وأن الكلام صفة له قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته واختياره ويستدل لذلك بأنه وقع الإتفاق على أنه تعالى متكلم ولايعقل من المتكلم الإ من قام به الكلام وتكلم بمشيئته واختياره..) ثم يتساءل الهراس بعد أن عرض مذهب شيخ الإسلام في صفة الكلام : فهل يجوز ابن تيمية قيام الحوادث بذاته تعالى ؟

والجواب أن ابن تيمية لايرى من ذلك مانعا لامن جهة العقل ولا من جهة النقل بل يرى أن العقل والنقل متضافران على وجوب قيام الأفعال الإختيارية به تعالى، وأما تلك المقدمة القائلة إن مالا يخلو من الحوادث فهو حادث فهي صحيحة إن إريد أحاد الحوادث وأفرادها المتعاقبة في الوجود فإن لكل واحد منها مبدأ ونهاية فما لم يخل منها فهو إما أن يكون معها أو بعدها وعلى كلا التقديرين يكون حادثاً وأما إن إريد جنس الحوادث فهي باطلة فإن الجنس يجوز أن يكون قديما وإن كان فرد من أفراده حادثا....)(٣).

ثم يقول : (ولكننا نتعجل فنقول إن ابن تيمية قد بنى على هذه القاعدة (قدم الجنس وحدوث الأفراد) كثيراً من العقائد وجعلها مفتاحا لحل مشاكل كثيرة في علم الكلام وهي قاعدة لايطمئن إليها العقل كثيرا فإن الجملة ليست شيئا أكثر من الأفراد مجتمعة فإذا فرض أن كل فرد منها حادث لزم من ذلك حدوث

١- سورة الإخلاص آية (١)

٢- سورة المسد آية (١)

٣- ابن تيمية السلفي ص ١٢٢

الجملة قطعا) (١).

هذه بعض مقتطفات كلام الشيخ الهراس ونسأل الكاتب منصور محمد عويس هل ترى في نظرك أن الشيخ الهراس فيما كتب عن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية كان ناقداً له أم كان مؤيداً ؟

الجواب الذي ذكرته في كتابك بأن الهراس كان ناقداً له مع التحفظ، والحق أنه لم يكن ناقداً له بل كان مؤيداً، والشاهد على ذلك أن آخر عبارة كتبها في كتابه هي / (وربما كان هذا المذهب في نظرنا هو أقرب الى العقل والشرع من غيره) إذاً هو متبرء منك ومن أمثالك أتباع الأشاعرة والمعتزلة.

والذي يوضح هذا أكثر ما أعتقده وتمسك به وتقرب به إلى الله عبادةً وإيماناً وتوحيداً في كتابه الذي كتبه في آخر حياته رحمه الله وهو : (دعوة التوحيد) نشر مكتبة الصحابة طنطا شارع الجنبية الغربي - مصر.

يقول في هذا الكتاب مناقشاً نفاة الصفات والأفعال الإختيارية: (يراد بصفة الذات ما تكون لازمة للذات أزلاً وأبداً لايتصور إنفكاكها عنه وذلك كصفة الحياة والقدرة والعلم والعزة والعظمة والكبرياء والجلال الخ.

ويراد بصفة الفعل ما يحدثه سبحانه في ذاته بمشيئته وقدرته من أفعال على وفق علمه وحكمته كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والحب والرضى والكراهة والمقت والنزول والإستواء والقول والتكليم والمجئ والإتيان إلخ.....، فمن الناس وهم الأشعرية من لم يثبت الا صفاتا أزلية لازمة لذاته وحدودها بسبع صفات وهي : (العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام) ونفوا صفات الفعل الإختيارية فمنها ماجعلوه تعلقات للقدرة كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوهما ، ومنها ماجعلوه تعلقات للإرادة مثل المحبة والرضى والغضب والكراهية، والذي حملهم على نفي هذه الصفات

١- ابن تيمية السلفي : محمد خليل هراس ص ١٢٢

اعتقادهم أن القديم لايكون محلا للحوادث لأن ذلك يفضي في زعمهم إلى حدوث القديم ولم يفرقوا بين جنس الحوادث وأشخاصها ولا بين حادث يحدثه هو في ذاته بمشيئته وقدرته وبين حادث يحدثه في غيره فلزمهم نفي مالايحصى من صفات الفعل التى وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة من كونه سبحانه يتكلم متى شاء ويحب ويرضى عن المؤمنين بعد إيمانهم ويبغض ويسخط على الكافرين بعد كفرهم ، وأنه إذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات عباده ومن كونه يجئ يوم القيامة وينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ويدنوا من الحجاج عشية عرفة ويعجب من قنوط عباده وقرب خيره ويضحك إلى رجلين يقتل أحدهما الاخر كلاهما يدخل الجنة الخ...

والذي كان عليه سلف هذه الأمة إثبات جميع ماورد به الكتاب والسنة من الصفات لافرق بين صفة الذات وصفة الفعل ولا فرق بين ما كان من الأفعال متعلقا بالذات كالاستواء على العرش والمجئ والإتيان والنزول الخ أو ما كان متعديا إلى غيره كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنواع التدبير المختلفة....) (١).

ولعل فيما ذكرناه من كلام الشيخ محمد خليل هراس فيه الكفاية للرد على الأخ منصور محمد محمد عويس حيث اعتمد على رد آراء شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في إبطال قيام الأفعال الإختيارية بذاته تعالى بآراء تلميذه المعجب بشيخه في الكتاب الذي الفه بعنوان ابن تيمية السلفي.

إذاً كل ما سجله من كلمات عن الهراس من كتابه (ابن تيمية السلفي) إنما كانت تلك الكلمات من الهراس كأسئلة تقريرية وذلك لإثبات بطلان مذاهب المتكلمين وبطلان آرائهم في هذا الباب خاصة لبيان مذهب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية على حقيقته في الصفات الخبرية وفي صفة الكلام وفي أفعال الله تعالى الإختيارية، وإن كان هناك بعض (التحفظ كما يقول العويس)

١- أنظر دعوة التوحيد ص ١٨ - ١٩

الشكوك من اعتقاد الشيخ الهراس لصحة مذهب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وصدق إنتمائه له فقد أثبت ذلك جليا فيما كتبه في كتابه دعوة التوحيد الذي أثبت صدق إنتمائه إلى أهل السنة والجماعة فضلا عن إنتمائه فقط إلى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وإن كان الشيخ ابن تيمية خير من يمثل مذهب أهل السنة والجماعة في قرنه الذي ولد فيه ومن بعده حتى هذه الساعة.

أما قوله : (قل لنا يا ابن تيمة: لقد أثبت في صدر كلامك أن الحوادث التي يراد بها الأعراض والنقائص، الله منزه عنها، ولكن قل لنا هل هناك حوادث وأعراض متصفة بالكمال الذي يلحقه نقص فعلى فهل تجيز قيام هذا النوع من الحوادث بذات الله تعالى، إن مفهوم كلامك يفيد هذا ، وإذا سلمنا جدلا بمقدمتك هذه الخاطئة التي لا تستند إلي شيء من العقل والشرع فإن عجز كلامك يرد عليك.

فقد قلت : (ولكن يقوم به ماشاءه ويقدر عليه) إذن هذا الحادث الذي أجزت قيامه بذات الله تعالى هو المشاء من الله وهو المقدور عليه، وهل المشاء إلا مخلوقا؟ وهل المقدور ناقص بدليل أنه مشاء مقدور ... وهل الله الكامل يقوم به الناقص ؟ وهل الله الكامل يتصف بالناقص ؟.

وأجبت فقلت : أن عبارة قيام الحوادث بذات الله تعالى تساوي في مدلولها اتصاف الله الكامل بالناقص ....)

أما الرد على هذه الشبهة فهي كالتالي :-

أولا : لقد تبين لنا أنك قد فهمت مصطلح [الحوادث] بمعنى المخلوقات الكائنة بعد عدم المنفصلة عنه سبحانه كما هي في أفعال المخلوقين من الحوادث والأعراض الظاهرة والمتجددة لهم، ثم استخدمت هذا المفهوم

بتمامه وكماله على أفعال الله تعالى القائمة به والتي يفعلها بمشيئته وقدرته وهذا أول درجات الإلتباس والإختلاط حيث شبهت أفعال الله تعالى بأفعال عباده ولهذا وضعت أسئلة تؤكد صحة دعواك بأن المقدور مخلوق وأن المخلوق حادث وإنني أوجه أسئلة لك أرجو منك الإجابة عليها وهي : هل كل مخلوق حادث ؟ وهل كل حادث مخلوق ؟

فإن أجبت بنعم : لزمك منه أن تعلقات الكلام والإرادة والقدرة والسمع والبصر حوادث . إذا فالقرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى مخلوق حادث لأن القرآن لم يكن موجودا منذ الأزل في الدنيا.

وإن قلت : لا : لزمك أن بعض المخلوقات ليست حادثة وبعض الحوادث ليست مخلوقة، ومنه أفعال الله تعالى التي يحدثها في نفسه سبحانه وتعالى من الإرادات والقدرات المتجددة ويدخل فيها سائر تعلقات الصفات والنسب والإضافات والأحوال التي تثبتونها. إذاً أنت واتباعك من المتكلمين تثبتون قيام الحوادث بذات الله تعالى من غير أن تصرحوا بذلك تحت ستار الإضافات والنسب والأحوال والكسب وغيرها....

و مع هذا فإن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الذي قلت أنه ليس من السلف، وأنه خالفهم حيث أثبت الحوادث لله تعالى من غير دليل من الكتاب والسنة قد رد عليك وعلى أمثالك الذين يـوهمون الناس بأنهم ينزهون الله في الحقيقة وهم الذين يعطلونه ويصفونه بالنقصائص وها أنا قد أنقل لك نصوصا من كتبه لعلك وقفت عليها فإن لم تقف عليها فقف الآن وتدبرلها جيدا يقول رحمه الله :

(وأما مصطلح حلول الحوادث بذات الله فإن السلف لم يطلقوا هذا المصطلح على الله تعالى لانفيا ولا إثباتا، فان أراد به القائل أنه قيام أفعاله تعالى المتجددة والإختيارية الواردة في القرآن والسنة بذاته تعالى فالمعنى صحيح واللفظ مبتدع محدث، وإن أراد قيام أفعال المخلوقات المنفصلة عنه كالبكاء والزواج والغفلة والنسيان والظلم والسرقة والغضب وغيرها فالمعنى

باطل) (١)

ويقول أيضا : (وإذا قالوا - أي المتكلمون - لاتحله الحوادث أوهموا الناس أن مرادهم أنه لايكون محلا للتغيرات والإستحالات ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين فتحيلهم وتفسدهم، وهذا معنى صحيح،ولكن مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه ولا كلام ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه لايقدر على استواء أو نزول أو إتيان أو مجيئ، وأن المخلوقات التي خلقها لم يكن منه عند خلقها فعل أصلا، بل عين المخلوقات هي الفعل، ليس هناك فعل ومفعول وخلق ومخلوق بل المخلوق عين الخلق والمفعول عين الفعل، ونحو ذلك)(٢) .

ثم هناك سؤال آخر وهو أليس أنت وأتباعك تقولون بأن الله تعالى متكلم بكلام قائم بذاته أزلا وأبدا لايتعلق بمشيئته وقدرته وأنه معنى واحد في الأزل هو الأمر بكل مأمور والنهي عن كل محظور والخبر عن كل مخبر عنه وهذا الأمر والنهي والخبر صفات للكلام لا أنواع له ؟

فإن قلت نعم : لزمك منه أن تجعل معنى ﴿قل هو الله أحد﴾(٣) هو نفس معنى ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾(٤) وأن معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين فهذا غير معقول ولايقول به أحد لكن معنى قولكم إنه معنى واحد قديم أزلي لزم منه هذا . فإذا كنتم تجوزون أن تكون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة (٥) واعتقد أنكم

١- انظر : مجموعة الرسائل والمسائل: لابن تيمية جـ٣/٤٦١-٤٦٢، ٤٨١.

٢- موافقة صحيح المنقول لشيخ الإسلام ابن تيمية جـ٢، ص ٨

٣- سورة الإخلاص آية (١)

٤- سورة المسد آية (١)

٥- أنظر : مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية جـ ٣ ص ٩٢.

لاتقولون بهذا .

ولهذا فر عن الإجابة عن هذه الإلزامات شيخك الإمام الرازي فقال : (والحق أن ما أورد من الإشكال على القول باتحاد الكلام وعود الإختلاف إلى التعلقات والمتعلقات مشكل وعسى أن يكون عند غيرنا حله، ولعسر جوابه ذهب بعض أصحابنا إلى القول بأن كلام الله تعالى القائم بذاته خمس صفات مختلفة ...) (١).

ثم نقول لك هل أنت تثبت لله تعالى الصفات القديمة ؟ وستجيب بالتأكيد بنعم .

وهنا أسألك سؤالاً آخر وهو هل تثبت تعلقات هذه الصفات الحادثة والمتجددة .

فإن أجبت بنعم، فقد لزمك ما ألزمت به شيخ الإسلام ابن تيمية من أنه يثبت الحوادث لله تعالى، ثم هل تنازع في هذه الصفات وتعلقاتها القائمة بالمخلوقين على حقيقتها فهل هي قائمة بها أم لا ؟ فإنك بالتأكيد ستجيب بنعم .

إذا نقول لك أنت متناقض كيف تثبت لله تعالى الصفات القديمة وتعلقاتها ؟ وقد اتصف المخلوقات بها فإنك ستقول بالتأكيد ما يقوم بذات الله من الصفات القديمة وتعلقاتها فهي كما تليق بذاته سبحانه، وما يقوم بذات المخلوقات فهي كما تليق بهم وهنا نقول لك إن شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله لم يتعدى النصوص الشرعية في إثباته لله تعالى الصفات والأفعال الإختيارية والمتجددة التي سميتموها بحلول الحوادث.

يقول : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : (وأما من جهة العقل: فمن جوز أن يقوم بذات الله تعالى فعل لازم له كالمجئ والإستواء ونحو ذلك، لم يمكنه أن يمنع قيام فعل يتعلق بالمخلوق كالخلق والبعث والإماتة والإحياء، كما أن من جوز أن تقوم به صفة لاتتعلق بالغير كالحياة لم يمكنه أن يمنع قيام الصفات المتعلقة بالغير كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، ولهذا لم يقل أحد من العقلاء بإثبات أحد الضربين دون الآخر، وإذا كان كذلك كان حدوث ما يحدثه الله تعالى

١- الرازي : أبكار الأفكار : للإمام الرازي جـ٢، ص ٣٢٤.

من المخلوقات تابعا لما يفعله من أفعاله الإختيارية القائمة بنفسه وهذا سبب الحدوث، والله تعالى حي قيوم لم يزل موصوفا بأنه يتكلم بما يشاء، فعال لما يشاء ... وعلى هذا يزول الإشكال) (١)فليعلم هذا الناقد وأمثاله : أن أهل السنة والجماعة لايجوزون قيام الأعراض والحوادث المخلوقة القائمة بالعباد وأفْعَالِهم أن تقوم بذات الله تعالى أبدا .

وإن قالوا بقيام الحوادث بذات الله تعالى فإن مقصودهم بذلك إثبات أفعال الله تعالى القائمة بذاته تعالى والمتجددة في نفسه وهذه الأفعال كما سبق أن ذكرنا منها أفعال لازمة ومنها أفعال متعدية تصل نفعها إلى العباد والمخلوقين.

ولايقولون أيضا بأن الناقص الحادث يقوم بالكامل . بل يقولون بأن الفعل المتجدد الذي يفعله سبحانه في وقت يريده هو ويشاؤه ويقدره هو كمال في نفس الوقت، وفي وقت لايفعله ولايكون الفعل موجوداً فعدمه هو كمال لله تعالى في نفس الوقت، ولهذا أسألك بربك أيهما تحب في إلهك أن يكون إلهك وربك له القدرة على الفعل وعلى الترك وعلى تجدد الفعل وإحداثه مرات بعد مرات وعلى الدوام ؟

أم أن يكون إلهك لايفعل وإن فعل فقد يفعل مرة واحدة في الأزل وهذا فيه الكفاية فليس من داع أن يتجدد له فعل حادث قائم بذاته ؟

والله تعالى قد قبح مثل هذا الإله في القرآن الكريم فقال: ﴿ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولايستطيعون * فلاتضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وانتم لاتعلمون * ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شيء ، ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد الله بل أكثرهم لايعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شيء، وهو كل على مولاه أينما يوجهه لايأتي بخير هل يستوي هو ومن يأمر

١- موافقة صحيح المنقول جـ ٢ / ٤ - ٥

بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ (١).

وهل تشك في نسبة وادعاء إبراهيم عليه السلام في إثبات الأفعال المتجددة لربه ومعبوده الذي اتخذه إلهاً يسجد له؟ وهل تشك في صحة تجدد هذه الأفعال الإلهية والمتعدية نفعها إلى جميع العباد فرداً فرداً منذ خلق الخليقة بل وحتى قيام الساعة في الجنة ؟ يقول تعالى : ﴿ قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يطعمني ويسقيني. وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفرلأبي إنه كان من الضالين ولاتخزني يوم يبعثون يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾(٢).

فهل تشك في تجدد الأفعال الإلهية الواردة في هذه الآيات وغيرها من الآيات والأحاديث والقائمة بذاته تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته وقدسه من غير مشابهة بالحوادث والمخلوقات فهو وحده الذي يشفي ويهدي ويخلق ويرزق ويغفر ويطعم ويسقي ويشفي ويخزي من يشاء من عباده سبحانه وتعالى وغيرها من أفعاله تعالى الثابتة الصحيحية والمتجددة ؟ أم أنك تقول بأن هذه الأفعال يجب أن تحذف من القرآن لأنه من باب قيام الناقص بالكامل أو بعبارة أخرى قيام المخلوق بالخالق أو بعبارة ثالثة - قيام الحوادث بذات الله تعالى التي تساوي في مدلولها اتصاف الله الكامل بالناقص أويجب أن تؤل لأن ظاهرها يوهم التشبيه وقيام الحوادث كما هو مذهب مشايخك من الأشاعرة النافين ؟.

على كل لانريد أن ندخل في تفصيلات كثيرة فيكفيك أنك نفيت أفعال الله تعالى

١- سورة النحل آية (٧٢ - ٧٦)

٢- سورة الشعراء آية (٧٥ - ٨٩)

وأردت أن تثبت التهمة على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بأنه يقول بأن الناقص يقوم بالكامل وأن المخلوق الحادث يقوم بالكامل .

وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية برئ من استلزاماتك هذه ومن تصوراتك المبنية على المشابهة والمماثلة بأفعال الحوادث والمخلوقات، ولهذا فإن شيخ الإسلام قد وقف موقفا واضحا من هذه الألفاظ والمصطلحات الكلامية الدخيلة على الأمة الإسلامية . حيث أن مصطلح قيام الحوادث وحلول الحوادث وغيرها لم ترد عن السلف ولم ترد في النصوص لا بالإثبات ولا بالنفي كما سبق أن ذكرنا ذلك في المباحث السابقة من هذه الرسالة .

وأما قولك بأن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ليس سلفيا :-

فمن أنت حتى تثبت ذلك وهل أنت تمثل إماما ، أو حافظا أو عالما أو مفسرا من أئمة أهل السنة والجماعة ما أنت وأمثالك إلا شرذمة مركونة في زاوية من الأرض تجادل بالباطل في عالم وإمام قد أثبت الأعداء والأصدقاء وجهابذة العلم من أئمة الحديث والفقه والتفسير على إمامته وعلى صدق إنتمائه لمنهج أهل السنة والجماعة .

ويكفي أن الله تعالى أحيا علوم هذا الشيخ الفاضل الكريم حتى وصلت المشرق والمغرب وانكب المسلمون المهتدون على الإهتداء بها والتنوير عليها في هذا العصر الذي بدت آثار الصحوة والرجعة إلى جادة الحق والصواب ولزوم الصراط المستقيم ظاهرة، فها هي كتبه وكتب تلاميذه كابن قيم الجوزية وابن كثير والذهبي وغيرهم منتشرة في الأرض مازال الناس ينتفعون بها بل وترجمت إلى لغات الأعاجم المختلفة.

أسأل الله أن يتجاوز عنك وعنا وعن جميع المسلمين وإنني لازلت أذكر وصية العلماء بعدم التعرض للعلماء وعدم غيبتهم وعدم النيل منهم وإن كانت هناك أخطاء ظاهرة للمرء فإنه يجب أن يستفصل عنها عند أقرب الناس معرفة بعلوم وآراء ذلك العالم، لا يبحث عن الإجابة عنها عند من يجهل بتلك العلوم كأفراخ

المعتزلة والأشاعرة الذين تعشعشت أذهانهم وأفكارهم وقلوبهم بمورثات الفلاسفة والمتكلمين من العلوم الكلامية المذمومة القائمة على تقديم العقل والكلام على النصوص الشرعية الثابتة الصحيحة . فالله الهادي إلى سواء السبيل .

وهنا أجد لزاماً عليَّ أن أذكر بعض تزكيات أئمة أهلِ السنة والجماعة لصدق وصحة معتقد وسلفية شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وصدق إنتمائه إلى أهل السنة والجماعة:-

١ / ثناء أهل الحديث وأئمتهم على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :-

لعل هذه النقولات وهذه التزكيات لاترضي أهل الكلام لأنهم يعتبرون أهل الحديث والعاملين فيه أنهم حشوية مشبهة يثبتون لله تعالى صفات الأجسام والحوادث والمعاني القائمة بها ولهذا فإنني لا أنظر إلى أقوالهم هذه لأنها لاتقوم على حجة ولا بينة ويكفينا أن ما يثبته أئمة الحديث قد ثبت تواترها وصحة الإسناد فيها إلى رسول الله ﷺ الذي لاينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى آمن بجميع ما أخبر به ﷺ السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من بعدهم بإحسان.

أ - يقول الشيخ العلامة محمد بن عبدالبر الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي (١). ٧٧٧ هـ. « والله يافلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لايدري ما يقول، وصحاب الهوى يصده على الحق بعد معرفته به .... ».(٢).

ويقول صاحب كتاب الطبقات : ومما وجد في كتاب كتب العلامة القاضي

١- انظر : الدر الكامنة لابن حجر جـ٣/٤٩٠، طبعة حيدر آباد، ١٩٥٠م، الوافي بالوفيات : للصفدي جـ٣/٢١٠، ط/استنبول ١٩٣١م.

٢- الرد الوافر : ابن ناصر الدين الدمشقي ص ٢٣٥، تحقيق زهير الشاويش.

أبو الحسن السبكي إلى الحافظ أبي عبدالله الذهبي في أمر الشيخ تقي الدين: أما قول سيدي: في الشيخ/فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية ، وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائما ، وقدره في نفسي أعظم من ذلك وأجل مع ماجمع الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه، لالغرض سواه وجريه على سنن السلف وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان.(١).

ب / وقال الشيخ العلامة محمد بن يوسف أبوحيان الأندلسي الغرناطي أستاذ النحاة في وقته مدح شيخ الإسلام أحمد بن تيمية لما اجتمع به في مصر:-
ما رأت عيناي مثل ابن تيمية، ثم مدحه على البديهة فقال:

لما أتينا تقــي الديــن لاح لنـــا	داع إلـــى الله فـرد ماله وزرُ
على محياه من سيما الأُلى صحبوا	خيــر البــرية نور دونه القمرُ
حَبْرٌ تسربل منــه دهــره حبــْـرَا	بحر تقاذف من أمواجه الدُّررُ
قام ابن تيمية فــي نصــر شرعتنا	مقــام سيد تَيْمٍ إذ عصــت مضرَ
فأظهر الحق إذ آثــاره دُرِسَــت	وأخمد الشر إذ طارت له شَرَرُ
كنا نحدث عن حَبـْرٍ يجيــئ فهـــا	أنـت الإمام الذي قدكان ينتظرُ(٢)

١- المرجع السابق ص ٢٣٧.

٢- تواترت. هذه القصيدة عن أبي حيان في : إنباء الغمر ٢/٣٣٤، النجوم الزاهرة ١١/١٠٠، ١٢١، نفح الطيب ٢/٥٧٨، طبقات ابن رجب ٢/٣٩٢.

جـ / وهذا الإمام محمد بن علي ابن دقيق العيد شيخ الإسلام عمدة الفقهاء والمحدثين الحافظ المالكي الشافعي : (١)ت (٧٠٢ هـ).

لما أجتمع به في مصر وسمع كلامه قال له / ما كنت أظن أن الله تعالى بقي يخلق مثلك، وقال أيضا : لما اجتمعت بابن تيمية رأيته رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها مايريد ويدع ما يريد. (٢)وقال العلامة زين الدين عبد الرحمن بن علي التفهني الحنفي البارع في الفقه وأصوله والتفسير والعربية والقياس والمنطق الذي انتهت إليه المذهب الحنفي (٣):

(إن الشيخ تقي الدين ابن تيمية كان على ما نقل إلينا من الذين شروه، وما أطلعنا عليه من كلام تلميذه ابن قيم الجوزية الذي سارت تصانيفه في الآفاق كان عالما متفننا متقنا متقللا من الدنيا معرضاً عنها، متمكنا من إقامة الأدلة على الخصوم حافظاً للسنة عارفاً بطرقها، عالماً بالأصلين، أصول الدين وأصول الفقه، قادرا على الإستنباط لإستخراج المعاني لايلومه في الحق لومة لائم، قائم على أهل البدع المجسمة، والحلولية، والمعتزلة والروافض وغيرهم، مع أنه لم ينقل عن ابن تيمية، كلام يقتض كفرا ولا فسقا، ولا ما يشينه في دينه وقد كتبت في زمنهمحاضر لجماعة من العلماء العدول إطلعنا عليها، بأنه لم يقع منه شيء مما يشينه في دينه،

١- الدرر الكامنة : لابن حجر ٩١/٤، الأعلام للزركلي ٢٨٣/٦.

٢- الرد الوافر ص ١٠٦-١٠٧

٣- من مواليد (٧٦٤هـ) توفي ٨٣٥ أنظر أبناء الغمر ٩٨/٢، ٣ / ٢٠٢، ٤٨٦، النجوم الزاهرة ١٣٣/٧.

ووصفوه في تلك المحاضر بأعظم مما قلناه من أوصافه المتقدمه (١).

وقال الإمام الحافظ العلامة بدر الدين العيني صاحب شرح صحيح البخاري:-

(ومن الشائع المستفيض أن الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين ابن تيمية من شم عرانين الأفاضل ، ومن جم براهين الأماثل، الذي كان له من الأدب مآدب تغذي الأرواح، ومن نخب الكلام له سلافة تهز الأعطاف المراح، ومن يانع ثمار أفكار ذوي البراعة، طبعه المفلق في الصناعة، الخالية عن وصمة الفجاجة والبشاعة، وهو الكاشف عن وجوه مخدارات المعاني نقابها،والمفترع عرائس المباني بكشف جلبابها، وهو الذاب عن الدين طعن الزنادقة والملحدين، والناقد للمرويات عن النبي سيد المرسلين، وللمأثورات من الصحابة والتابعين.

وهو الإمام الفاضل البارع التقي النقي الوارع الفارس في علمي الحديث والتفسير، والفقه والأصولين بالتقرير والتحرير، والسيف الصارم على المبتدعين، والحبر القائم بأمور الدين، والأمّار بالمعروف والنّهاء عن المنكر، ذو همة وشجاعة وإقدام فيما يروع ويزجر، كثير الذكر والصوم والصلاة والعبادة وخشن العيش والقناعة، من دون طلب الزيادة، وكانت له المواعيد الحسنة، والأوقات الطيبة البهية مع كفه عن حطام الدنيا الدنية، وله المصنفات المشهورة المقبولة، والفتاوى القاطعة غير المعلولة وقد كتب على بعض مصنفاته قاضي

١- المرجع السابق ص ٢٣٨-٢٤٠

القضاة كمال الدين الزملكاني رحمه الله تعالى :

ماذا يقول الواصفون له　　وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة لله ماهر　　هو بيننا أعجوبة الدهر

ورثاه الإمام زين الدين عمر ابن الوردي رحمه الله بقصيدة منها : —

عثا في عرضه قوم سلاط　　لهم من نثر جوهره التقاط

تقي الدين أحمد خير حبر　　خروق المعضلات به تخاط

توفي وهو محبوس فريد　　وليس له إلى الدنيا انبساط

ولو حضروه حين قضى لألفوا　　ملائكة النعيم به أحاطوا

فيا لله ما ذا ضم لحد !　　ويا لله ما غطى البلاط

هم حسدوه لما لم ينالوا　　مناقبه فقد مكروا وشاطوا

وكانوا عن طرائقه كسالى　　ولكن في أذاه لهم نشاط

وحبس الدر في الأصداف فخر　　وعند الشيخ بالسجن اغتباط

بآل الهاشمي له اقتداء　　فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا

إمام لاولاية كان يرجو　　ولاوقف عليه ولا رباط

ولا جاراكم في كسب مال　　ولم يعهد له بكم اختلاط

سيظهر قصدكم يا حابسيه　　وبينكم إذا نصب الصراط

فها هو مات عنكم واسترحتم　　فعاطوا ما أردتم أن تعاطوا

وحلوا واعقدوا من غير رد　　عليكم قد طوى ذاك البساط

فمن قال: هو كافر فهو كافر حقيق ، ومن نسبه إلى الزندقة فهو زنديق) (١)

وأما ثناء التلاميذ لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية فهي كثيرة، فقد كانوا أقرب الناس له، تلقوا عنه الأدب والتربية والتعليم وعلم الكتاب والسنة، منهم الحافظ عماد الدين ثقة المحدثين وعمدة المؤرخين وعلم المفسرين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي، والإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية صاحب التصانيف والفنون والعلوم، والإمام الذهبي وغيرهم كالحافظ المزي .

وأما المستشرقون الذين مدحوه وأثنوا عليه فكثير :

وإنني لولا الإطالة لذكرت كلماتهم ولكن أعلم بأن الباحث منصور محمد محمد عويس لن يرضى إلا أن يكون مع الزمرة الذين كانوا يكتبون ضده ويصفونه بالبدعة والزندقة.

فنقول بعد هذا سامحك الله وسامح أمثالك الذين صرف الله عنهم نور العلم والحكمة فحرموا الإهتداء في أهم أمور أصول الدين، ورضوا أن يكونوا من أذناب المتكلمين من فروخ المعتزلة والفلاسفة وغيرهم.

وإنني لعلى يقين بأن المسلمين وخاصةً علماءَهم الربانيين والعاملين وطلاب العلم والمعرفة والأدب والبصيرة في الدين فيما مضى وفي زماننا وفي المستقبل سيعظمون هذا العالم الرباني وسينهلون من علومه ومعارفه وسينصفون للشيخ فيما ألصق له من تهم هو منها برئ كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

أما قوله (فلا يستبعد ابن تيمية على نفسه أن يأتي في عام ١٣٨٩هـ سنة ١٩٧٠م من يقول له أنت مخطئ ولست سلفياً زل لسانك وأخطأ بيانك في حق ربك وفي حق الأنبياء والمرسلين).

فأقول بعد حمد الله : هذا الكلام يدل على مدى بلوغ الغرور والعظمة فيك حتى تغتر بعلمك القليل الذي وهبه الله لك فتصف الناس بالجهالة وتأتي بعد عدة قرون

١- الرد الوافر : ابن ناصر الدين الحافظ محمد بن أبي بكر . تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ص ٢٤٣-٢٤٥ بتصرف واختصار.

فتمسح اسم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية من سجل علماء السلف الصالح.
وتدعي بأنه ليس سلفياً. فمن ياترى هو الذي يكون سلفيا عندك ؟ هل هو أنت وأمثالك من المتكلمين الذين ينفون صفات الله، ويعطلونها، وينفون قيام الأفعال الإختيارية بذات الله، ويرضون بالعقل والفلسفة حكماً من دون القرآن والسنة.
فيا ترى : من هو الذي لم يكن سلفيا أنت أم شيخ الإسلام ؟ وياترى من الذي زل لسانه واخطأ بيانه في حق ربه أنت أم شيخ الإسلام ؟
والحق : أن شيخ الإسلام يعتبر من أئمة السلف الصالح ومن أئمة أهل السنة والجماعة ومن المجددين لمعالم الدين رغم أنف المتكلمين بشهادة العدول الثقات من أئمة الفقه والتفسير والحديث، ولم يزل لسانه، ولم يخطئ بيانه في حق ربه وفي حق الأنبياء والمرسلين.
لقد أدى حق الله تعالى، وحق الشهادتين حتى حبس ومات في حبسه، وأحيا سنن الأنبياء والمرسلين في دعوة الناس لعبادة الله وحده وإخلاص العبادة له في تحقيق توحيد الطلب والقصد والأسماء والصفات، أما أنت فلا أشك أبداً بأنك أنت الذي زل لسانه وأخطأ بيانه في حق الله تعالى من تجريده سبحانه من صفاته وأفعاله وتشبيهه بالحوادث والأجسام، وعدم التسليم لما جاء في كتابه وسنة نبيه في الإيمان بصفاته وأفعاله لكن التسليم منك وأتباعك لعلوم الفلسفة والمنطق والكلام من الجواهر والأعراض وصفاتها، ثم دراسة صفات الله تعالى على ضوئها وإعطاء العقول حريتها فوقعتم فيما وقعتم فيه من تغيير معالم الدين وسنن الأنبياء والمرسلين إلى مباحث جدلية وجعلتم الهدف الأكبر هو إثبات الذات الإلهية المجردة إما عن جميع الصفات أو عن بضعها - كالاختيارية وتعلقاتها- وكأن الخوض الكثير في هذا المجال بهذه العلوم أحدثت لديكم دوارا فكريا كانت نتائجه تعطيل النصوص القرآنية والتي هي من أعظم الأخطاء وبعد كل تلك الصولات والجولات الجدلية تصببتم عرق الفكر، ولهثتم إعياءاً، وجمدتم وهناً وخموداً وعجزاً وركوداً، ويكفيكم ما لحقكم من وراء بحوثاتكم ذم أئمة المسلمين وعامتهم لكم.

يقول الإمام الطحاوي : (فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصاف المعرفة، وصحيح الإيمان) (١)

وإذا كان الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وغيرهم من أئمة الحديث والتفسير والفقه من السلف قد حرموا الجدال والكلام، لأنه يؤدي إلى ما أداك أنت وأمثالك من التخبط والنيل من علماء الأمة وشتمهم والإغترار بما عندك من سيئ الكلام، وأظنك لاتتردد بأن تقول هذا كلام الحشوية، فاسمع ما قاله كبار مشايخك في آخر حياته آلا وهو الغزالي : (وهذا - أي تحريم الخوض في الكلام بعد ما ذكر رأي الأئمة الأربعة والسلف - إذا سمعته من مُحَدّث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع ممن خبر الكلام ثم قاله بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف أوتعريف أو إيضاح ...) (٢) .

فلأجل هذا ليس بغريب ولا عجيب أن يكون شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وأئمة الحديث والتفسير وكل من أثبتّ قيام الأفعال الاختيارية على حقيقتها لله تعالى وجواز دوامها وتعاقبها مخطئون مخالفون مبتدعون عندك! أما أنت والمتكلمون معك في نظرك على الحق والصواب .

ومع ما سبق أقول لك : إن كنت أشعريا فانظر ما كتبه علماء الأشاعرة في شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وإن كنت من المثقفين فانظر ما كتبه المثقفون وعلماء الأدب والدعوة والتاريخ والفكر في شيخ الإسلام أحمد بن تيمية والتي نقلت بعضها في الصفحات القادمة.

وإنني لا أريد أن أناقشك مناقشة علمية لأن جميع آرائك أو بالأصح شبهاتك قد رددنا عليها في صفحات هذه الرسالة، فالرسالة بكاملها رد عليك وعلى أمثالك من المتكلمين.

١- شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٣

٢- شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٦.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يهدينا ويهديك إلى جادة الطريق المستقيم.

٢ / الرد والتحليل لآراء الناقد لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية المسمى نفسه بعبدالعزيز بحيري إبراهيم المدرس بقسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر:-

يقول عبدالعزيز / (فمن أين أتى ابن تيمية - وهو يدعي السلفية في كل مايقوله - بوجوب قيام صفة حادثة بذات الله عند إحداثه الحوادث ويرى أن ذلك غير ممتنع لأنه هو الذي يحدثها في ذاته).

نحن نقول له بعد حمد لله : لقد أثبت في رسالتك وأنت ترد على المعتزلة في نفيهم قيام المعاني القديمة والحادثة بذات الله تعالى. فأثبت أنت قيام المعاني القديمة بذات الله تعالى .

وقلت : والحق ماذهب إليه أهل السنة والجماعة حيث فرقوا بين ذات الباري تعالى وبين الجواهر والأجسام بأخص صفات الجوهر، وهي التحيز وقبوله للعرض لأن طرد دليل حدوث الجواهر يقتضي حدوث كل متحيز قابل للعرض.

كذلك فرقوا بين صفات الأجسام في كونها أعراضاً حادثة لا تقوم، بمتحيز، وبين صفات الباري تعالى من حيث كونها قديمةً، باقيةً قائمةً بذات الله تعالى بمعنى الإختصاص الناعت ثم وضحت ذلك بأن مصطلح (قيام الشيء بذاته) عند المتكلمين يختلف معناه في الجسم عنه في الباري تعالى (أي أنهم يفرقون بين ما يقوم بذات الله وبين ما يقوم بالأجسام) واستدللت على ذلك بمصطلحات التهانوي وبكلام ابن قيم الجوزية وغيره في تعريف الإختصاص الناعت وهو أن يختص شيء بآخر اختصاصاً يصير به ذلك الشيء نعتاً للآخر والآخر منعوتا به أوله.

وقلت : ويفاد من قيام الصفة بالموصوف على هذا المعنى الثاني وجوب تمييز الموصوف عن غيره بتلك الصفة الثابتة من غير أن يقتضي ذلك بالضرورة تحيز الموصوف بالأصالة، ولا تحيز الصفة بالتبع ، ومن ثم فإنه يدخل فيه الباري عزوجل وصفاته، بل إنه يدخل فيه ما تختص به الأعراض من وصف.. وقلت أيضا: وقد نقل التهانوي عن عبدالحكيم السيالكوتي قوله (وهذا القول - أي تفسير قيام الصفة

بالموصوف بمعنى الإختصاص الناعت - هو المختار لعمومه لأوصاف الباري تعالى، فإنها قائمة به من غير شائبة تحيز في ذاته وصفاته.

ثم قلت : ومن ذلك يتضح أن المعتزلة قد جانبو الصواب في إعطائهم أحكام المعاني والأعراض الحادثة للمعاني القديمة .(١).

وقلت أيضا في مدى صحة الدليل في نفي قيام الحوادث بذاته تعالى عند المعتزلة : (ولا أدري بعد ذلك ما المحال إذن في قول أهل السنة والجماعة أن الصفات القديمة ثابتة وقائمة بذاته تعالى وهذا لايقتضي كون الموصوف جسماً

بل أبعد من ذلك ما المحال إذا قال القائلون بقيام الحوادث الثابتة لذات الله، والتي لايعلل بالتحيز، بل بصفة يختص بها)

وقلت : إن أهل السنة والجماعة هم من ذكرهم الإمام عبدالقاهر البغدادي في تعريفه لهم بأنهم الصفاتية الذين يثبتون الصفات الإلهية على نحو لايلزم منه تعطيلاً ولاتشبيهاً ومن سار على نهجهم من أئمة الفقه والحديث والتفسير واللغويين والأدباء والصوفية بل وعامة البلدان التي تغلب فيها شعائر أهل السنة والجماعة . ثم عقبت على هذا فقلت ومما سبق نستطيع أن نقرر أن أهل السنة والجماعة هم السلف الصالح الذين أثبتوا الصفات الإلهية الذاتية والفعلية والخبرية على نحو لايلزم منه تمثيلٌ ولاتشبيهٌ ولاتعطيل، ونزهوا الباري تعالى عن كل مايلزم منه حدوثا أو إحتياجا ثم أضفت مع فئات المسلمين المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية .

وقلت : في ضمن الأصول العامة المجمع عليها بينهم فيما يتصل بالله والعالم أنه:-

لايحدث في العالم شيء إلابإرادته تعالى، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن جميع صفاته تعالى القائمة بذاته لاتكون إلا صفات كمال أزلية(٢).

وقلت أيضا : (وحق ما قال ابن تيمية : أن دعوى المدعي وجود حي عليم قدير بلاحياة ولا علم ولا قدرة كدعوة قدرة وعلم وحياة لايكون الموصوف بها حيا عليما

١- رسالة عبدالعزيز بحيري : قيام الحوادث بين النافين والمثبتين ص ٨٨-٩٠، ٩٦، ١٠٣

٢- المرجع السابق ص ١٠٦ - ١٠٧

قديرا ، بل دعوى شيء موجود قائم بنفسه قديم أو محدث عري عن جميع الصفات ممتنع في صريح العقل)(١).

وقلت أيضا : وينقل الإمام أحمد ابن تيمية عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال أبوعبدالله قال لي عبدالرحمن بن إسحاق : كان الله ولا قرآن، فقلت : مجيباً كان الله ولاعلم فالعلم من الله له، وعلم الله من الله، والعلم غير مخلوق، فمن قال إنه مخلوق فقد كفر بالله وزعم أن الله مخلوق فهذا الكفر البين الصراح).

وقلت أيضاً : (وينقل الإمام ابن تيمية عن الحافظ أبو الشيخ الاصبهاني قوله في كتاب السنة : قرأت في كتاب شاكر عن أبي زرعة قال: إن الذي عندنا أن القوم لم يزالوا يعبدون خالقاً كاملاً بصفاته، ومن زعم أن الله كان ولا علم، ثم خلق سمعا وبصراً فقد نسبه إلى النقص ، وقائل هذا كافر لم يزل كاملاً بصفاته لم يحدث فيه صفة ولاتزال عنه صفة ، قبل أن يخلق الخلق أوبعد ما خلق الخلق كاملاً بصفاته)(٢)

وقلت أيضا : في تحرير محل النزاع : إن ثمة نوعين من الحوادث لايجوز بمقتضى تلك القضية أن تقوم بذاته تعالى: النوع الأول : هو تلك الصفات الثبوتية الحقيقية التي ثبت بالعقل والشرع إتصاف الحق بها وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

فالممتنع في هذه الصفات بمقتضى أنها كمالات - هو حدوثها للذات لأنه ليس بمحل للحوادث ، ثم قلت مع ملاحظة الخلاف في صفة التكوين فمن أثبته معنى وجوديا كالماتريدية نص على قدمه ومن رآه إضافةً وأمراً إعتبارياً لم يمتنع من إطلاق القول بحدوثه كالأشاعرة (٣).

وقلت أيضا :(وهنا يوضح التفتازاني أن الحادث الممتنع إتصافه تعالى به الموجود بعد العدم خلافاً للكرامية).

١- المرجع السابع ص ١١٣، أقتبسه المؤلف من مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ٣ طبع بيروت ١٣٩٨هـ.

٢- المرجع السابق ص ١٣٤

٣- نفس المرجع ص ١٤٢، ١٤٥ ، ١٤٦

أما إتصافه بسلب أمر لايستحيل إتصاف الباري تعالى به ككونه غير رازق لزيد الميت، أو الإضافات المحضة التي لاترجع إلى صفة حقيقية قائمة بالذات ككونه قبل العالم أو معه أو بعده، أو تعلقات الصفات الحقيقية ككونه خالقا للعالم بعد أن لم يكن أو الأحوال عند القائلين ، مثل هذه الأمور التي أوردها الرازي والتي هي العمدة في تمسك المجوزين قضية قيام الحوادث وأنها قائمة بالذات فلاتكون واردة في محل النزاع)(١).

ثم أثبت : أن ضابط الإعتبارات مفاده أن كل ما يتكرر مفهومه، ويتصف كل فرد يفرض منه بمفهومه، فهو أمر إعتباري لاوجود له في الخارج وإلا لزم التسلسل المحال، وجعلت الإيجاد الذي هو صفة الخلق أمراً إعتبارياً وليس حقيقياً لأنه يستلزم التسلسل . إلى آخر ما قلت في رسالتك من أقوال فنحن نوجه إليك أسئلة على صحة دعواك على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في أنه أتى ولاتدري من أين أتى وهو الذي نقلت عنه وبسنده أقوال الإمام أحمد بن حنبل والحافظ الأصبهاني تحت عنوان نصوص سلفية صريحة على قدم الصفات ونفي قيام أمر حادث بذات الله تعالى، ثم قلت في نقدك له وهو يدعي السلفية وقلت عنه (وحق ما قال ابن تيمية في صفحة ١٣ في إثباته للأسماء والصفات السبعة).

فهل تدعي بأنه ليس من السلف ؟ إن أجبت بالإيجاب، فلماذا نقلت عنه وبإسناده نصوصاً سلفية صريحة تؤكد على قدم الصفات ونفي قيام أمر أوصفةٍ حادثة لم يكن سبحانه متصفا بها في الأزل بذات الله تعالى ؟، ثم هل لديك نص صريح بأن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية يدعي أو يثبت أو يقول بحدوث صفة جديدة لم يكن الله متصفا بها ولم يرد عليها نص من قرآن أو سنة؟

إن هذا تناقض عجيب تقدح في سلفية ابن تيمية ، وتدعي أنه من السلف في نقولاتك عنه في مباحث رسائلك وتقول بأن ماقاله في قدم الأسماء والصفات السبعة حق، ثم تقدح فيه وتتهمه بأمر لم يقله ولم يدعيه ؟

إن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في جميع كتبه في العقائد وخاصةً في باب

١- نفس المرجع ص ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦

الصفات والأفعال الإختيارية والخبرية لم يتعد نصوص القرآن والسنة بحرف واحد. الذي قاله هو تجدد هذه الأفعال من وقت لوقت حسب إرادته وقدرته ومشيئته، وهذا قد أثبته أنت بنفسك في الأصول العامة التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة من أن الله تعالى لايحدث في العالم شيئاً إلا بإرادته تعالى فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

فما هو قولك ؟ إذا شاء الله تعالى أن يرزق عباده وأن يرحمهم وأن يفرح بتوبتهم وأن يضحك من رجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة، وأن يعز من يشاء وأن يذل من يشاء وأن يلطف بعباده، وأن يغيثهم وينصرهم ويحفظهم أليست كل هذه الأفعال لله تعالى متعدية نفعها إلى عباده ؟ فهل هذه الأفعال قائمة به؟ أم أنها قائمة بغيره؟

إن قلت إنها قائمة به على ماتليق بجلاله وعظمته فقد أصبت لأن الله يتصف بها وهي صادقة عليه وكذلك الأسماء المشتقة من تلك الأفعال والصفات لأنه هو الفاعل لها فهو الرزاق وهو الرحمن وهو المعز والمذل واللطيف والناصر والحافظ وهكذا في بقية الأفعال والأسماء والصفات الواردة في القرآن والسنة، أما صفات الفرح والضحك والغوث والنسيان والمكر وغيرها التي لم تشتق منها الأسماء في القرآن والسنة فلايسمى الله بها لأن النص لم يثبت بذلك فالأمر توقيفي على ماورد فقط ؛ إذاً أهل السنة والجماعة يثبتون جميع الأفعال الواردة في القرآن والسنة ويثبتون الأسماء المشتقة من تلك الأفعال بشرط ثبوت تلك الأسماء في القرآن والسنة أما التي لم تشتق لها الأسماء فهي تثبت كما هي ويوصف بها الله تعالى وهي قائمة بذاته على ماتليق بجلاله.

أما إذا قلت بأنها لاتقوم به : فقد نفيت عن الله تعالى أفعالاً هو يفعلها بنفسه ووقعت في التعطيل والإلحاد.

ثم مامعنى إثباتك تعلقات حادثة وقديمة للصفات الحقيقية ؟ أليست هذه التعلقات هي أفعال متجددة للقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وهي لم تزل تتجدد كل وقت ؟ فكيف تجيز لنفسك ولأتباعك من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم صحة إثبات

أفعال حادثة متجددة تحت شعار (التعلقات والاضافات والنسب والأحوال وغيرها) ثم تعارض في إثبات تعلقات أو إضافات أو نسب أو حوادث متجددة أو أفعال إختيارية أثبت العقل والشرع صحتها كما أثبت صحة تعلقات الصفات القديمة السبعة؟

قل لي بربك ما هو الفرق في تجويزك لإثبات تعلقات حادثة وقديمة للصفات السبعة ومنعك وتحريمك لغيرها من الصفات والأفعال والتعلقات الأخرى ؟

إن قلت لأنها تستلزم صفات الحوادث والأعراض من الحركة والسرعة وغيرها فأقول لك: دلني بربك على مخلوق سميع بصير قادر مريد عالم متكلم غير حادث خالياً من الحركة والسكون والمجيئ والإتيان وغيرها من صفات الحوادث ؟ فإنك ستقول هذا خاص بالله تعالى بمعنى الإختصاص الناعت ونحن نفرق بين ما يقوم بالمخلوق من صفات ومعاني وأفعال قديمة أو تعلقات حادثة وبين ما يقوم بذات الله تعالى. فنقول لك : فكذلك أثبتُ الأفعال الإختيارية لله تعالى بمعنى الإختصاص الناعت فما يقوم بذات الله من هذه الأفعال المتجددة ليست كما تقوم بالأجسام والحوادث فإن قلت إن العقل يمنع إتصاف الله تعالى بهذه الصفات لأنها تؤدي إلى القول بقيام الحوادث بذاته تعالى .

فنقول فكذلك العقل يمنع إتصاف الله تعالى بتلك الصفات السبعة وتعلقاتها الحادثة والقديمة وسائر الإضافات والأمور الإعتبارية للخلق والإيجاد والرزق وغيرها لأنها من صفات الحوادث وإثباتها يؤدي إلى القول بقيام الحوادث بذات الله تعالى .

إذاً كلامك عن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بهذا الأسلوب إما يدل على عدم فهمك وعدم إستيعابك للقضية، وإما يدل على إصرارك وتماديك في تعصبك للهوى والتبعية المقيتة لأشعريتك وولاءك لفروخ الفلاسفة والمتكلمين من المعتزلة والجهمية وغيرهم من أهل الكلام والمنطق الذين لم يرضوا بدلالة القرآن والسنة في إثبات أفعال الله تعالى وصفاته التي وضحت لك أجمل توضيح من غير تلبيس أو تشبيه أو تمثيل في مراجع السلف الصالح التي عمت بها المكتبات والتي استدللت

بأكثرها كما في مراجع رسالتك.

ثم ما الحرج في أن يحدث الله تعالى في ذاته أموراً وإرادات وغيرها من مايشاؤه ويختاره سبحانه وتعالى ؟ وقد أثبت ذلك أنت تحت الأصول المجمع عليها .

فلم يقل أحد بأن هذا الإحداث هو صفة حادثة جديدة لم يكن متصفا بها في الأزل بل الذي عليه أهل السنة والجماعة وأئمتهم هو أن الله تعالى متصف بصفات الكمال من الفعل والخلق والرزق وغيرها فالذي يفعل أكمل من الذي لايفعل والذي يخلق أكمل من الذي لايخلق قال تعالى ﴿ أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تَذَكَّرُونَ﴾ (١)وعلى هذا فالله تعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال ، ليس هناك وقت لم يكن سبحانه متصفاً بها ولهذا فتفسيرك لكلام حبر الأمة عبدالله بن عباس هو عين التعطيل والتأويل وكذب وافتراء عليه، وتقول عليه بما لم يقله:

فأنت نقلت نص حبر الأمة عبدالله بن عباس من كتاب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ، ص ٣٦٦، في شرحه لحديث عمران بن الحصين :

حيث أتى الشيخ بنص الصحابي عبدالله بن عباس (كان الله ولايزال) ولم يقيد كونه بوقت دون وقت ويمتنع أن يحدث له غيره صفة ، بل يمتنع توقف شيء من لوازمه على غيره سبحانه فهو المستحق لغاية الكمال وذاته هي المستوجبة لذلك، فلا يتوقف شيء من كماله ولوازم كماله على غيره بل نفسه المقدسة، وهو المحمود على ذلك أزلا وأبدا).

فقلت وهذا معناه أن الله لا تحدث في ذاته صفة لأنه يمتنع أن يحدث له غيره تلك الصفة، ويمتنع أن يحدث هو في ذاته المقدسة صفة لأنه يستحيل توقف شيء من كمالاته أو لوازم كمالاته على غيره من الحوادث.

فهل قال عبدالله بن عباس الصحابي الجليل :إن الله لايحدث في ذاته صفة هو متصف عليها أزلا ؟ أو يمتنع أن تتجدد لله صفة قديمة أو خبرية ؟ أليس هذا تفسير خاطئ واستنباط باطل خال من الفهم والإدراك؟أما إتهامك لشيخ الإسلام

١- سورة النحل آية (١٧)

أحمد بن تيمية بأنه أحدث لله صفة لم يكن هو متصف عليها أزلاً بكلام الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه الذي صرح بقدم الصفات وأزليتها غير مفرق فيها بين صفات الذات وصفات الفعل « لم يزل ولايزال تعالى بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية لم يحدث له اسم ولاصفة ... وصفاته في الأزل غير محدثة ولامخلوقة فمن قال إنها مخلوقة أو محدثة أو توقف أو شك فيها فهو كافر بالله تعالى.

فقل لي بربك ؟ هل قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بأن الحادث الموجود بعد عدم والمنفصل عن الله تعالى هو قائم بذات الله تعالى ؟ أليس هذا هو الحادث الممتنع اتصافه وقيامه بالباري تعالى الذي أثبته التفتازاني فهل قال ابن تيمية بخلاف هذا ؟

وهل خالف شيخ الإسلام أحمد ما قاله الإمام أبو حنيفة ؟

إذاً ما تقصده أنت من لفظ الحوادث لم يقصده شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، كذلك لم يقصد شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (بتجدد الحوادث) ما قصده الإمام أبو حنيفة من (حدوث صفة جديدة لم يكن متصفاً بها أزلاً ولم تثبت تلك الصفة نقلاً)

وإنني لعلى يقين أنك لم تقصد غير هذا لأن مذهبك هو نفي قيام الأفعال الإختيارية بذات الله تعالى تحت ستار نفي قيام الحوادث بذات الله تعالى، ولأجل ذلك حشوت رسالتك بالدفاع عن الأشاعرة في قضية تأويل الصفات الخبرية وتفويض المعاني والكيفيات لتلك الصفات، وادعيت أن هذا هو مذهب السلف . ومعلوم أن أئمة الفقه والحديث والتفسير كالشافعي وأحمد بن حنبل ومالك بن أنس وأبي حنيفة رحمهم الله تعالى وغيرهم وجميع أهل العلم والبصيرة والفقه والدين يعلمون أن السلف يفوضون في الكيف فقط ولايفوضون في المعنى. ولذلك ورد عنهم الإستواء معلوم، و غير مجهول والكيف غير معلوم، فياليتك وقفت عند هذا الأمر الذي وقف عليه السلف بل إنك تجاوزتها فأولت تلك المعاني بتأويلات المعتزلة وغيرهم فجعلت الإستواء بمعنى الإستيلاء وصدرت المبحث الخامس من رسالتك بقولك : (وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول ﷺ بعض الظواهر

التي توهم التشبيه وقيام الحوادث بذاته تعالى فقد يضطرنا الشيخ ابن تيمية إلى إعادة البحث فيها مرة أخرى....)

فاعتقدت بالشبهة أولا، ثم أولت وحرفت، لكن السلف الصالح آمنوا وقبلوا وسلموا من غير اعتقاد بشبهة أو تمثيل...

فأقول لك سبحان الله العظيم يبعث الرسول محمد ﷺ وينزل عليه الوحي ويخبر هو عن هذه الصفات والأفعال ويستجيب الصحابة رضوان الله عليهم في قبولها وفهمها وعلم وعمل بها وهكذا التابعون ومن تبعهم من بعدهم ولم يقل أحد منهم بأن ظواهر تلك النصوص توهم التشبيه ثم تأتي أنت بعد أربعة عشر قرناً من وفاة الرسول ﷺ وتقول بأن ظواهر النصوص توهم التشبيه وقيام الحوادث بذاته تعالى : فلا يعدو الأمر أحد أمرين إما أنك أعلم من رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وغيرهم فتريد أن تضيف لنا أموراً لم يكن يعلمها رسول الله ﷺ أو خفيت عليه أو نسيها أو سلم الأمر فيها إلى الله تعالى.

وإما أنك مشبه ممثل قد عشعش في عقلك وفكرك فكرة عقيدة الأجسام والأعراض والحوادث والتي على ضوئها تريد إثبات الصفات والأفعال لله تعالى فيجب عندك أن يكون الله تعالى خلاف الأجسام والأعراض والجواهر وما يعتريها ويتجدد فيها صفات وحوادث فإما أن تنفي جميع الصفات والأفعال عن الله تعالى وخاصةً الصفات الوجودية وتعلقاتها وكذلك الخبرية والفعلية وغيرها لأنها تقوم بالحوادث أيضاً وهذا مانلزمك به فليس بعض النصوص توهم التشبيه وقيام الحوادث بل الصفات القديمة توهم التشبيه وقيام الحوادث وتجددها من وقت لآخر والتي سميتموها بالنسب والإضافات والأحوال والتعلقات.

إذاً تأويلك للصفات الخبرية لأنها توهم التشبيه وقيام الحوادث لازم عليك في السمع والبصر والكلام والإرادة والعلم والحياة لأنه جميعها توهم التشبيه إذا قسنا صفات الله وأفعاله على ضوء الجواهر والأجسام الفردة وصفاتها.

ثم تأويلك مثلاً للإستواء بالإستيلاء: لم يثبت عن أحد من السلف إلا المعتزلة ومن حذا حذوهم، وإنك تستدل ببعض نصوص الأئمة لإثبات حجتك وتدعيم رأيك وهذه

النصوص هي بعينها حجة عليك فاستشهدت بنص ابن الجوزي في أن الناس على ثلاث مراتب في أخبار الصفات.

الأولى / إمرارها كما جاءت وهذا هو تفويض الكيف

الثانية/ التأويل وقد قال [وهو مقام خطر] وهذا رد عليك في إختيارك التأويل.

الثالثة / القول فيها بمقتضى الحس ولم يثبت مثل هذا عن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وغيره من علماء السلف .

وأمّا قولك : (إن فلسفة ابن تيمية من أولها إلى آخرها تقوم على ضرورة قيام الحوادث بذاته تعالى وأن خطورة مذهبه فيما يدعيه من أنه مذهب السلف الصالح). وللرد عليك في هذا فإني أقول لك :

إذا لم يكن مذهب السلف الصالح إثبات جميع صفات الله وأفعاله تعالى الواردة في القرآن والسنة وعدم إثبات بعضها ونفي بعضها فهل يكون مذهب السلف الصالح هو مذهب الأشاعرة والمتكلمين النافين لأكثرها أو المثبتين لبعضها؟أو بالأصح النافين لما نفته عقولهم و المثبتين لما أثبتته عقولهم الطاعنيين لأدلة القرآن والسنة المعرضين عنها لعدم قطعيتها في الدلالة ؟

فهل مذهب السلف الصالح ما تدعيه أنت في رسالتك من نفي تجدد الأفعال الإختيارية لله تعالى الذي من أجله سنضطر مرغمين لحذفها من القرآن الكريم فنمحو ونحذف قوله تعالى ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾(١) ونحذف إخباره تعالىعن فعله كل يوم ﴿يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾(٢)، ونحذف قوله تعالى ﴿ فعال لما يريد ﴾(٣)، ﴿إن الله يحكم ما يريد ﴾(٤).

وليس حقاً على الله تعالى أن يتدبر شؤون العباد، ولاتعرض عليه الأعمال كل إثنين

١- سورة الرعد آية (٣٩)

٢- سورة الرحمن آية (٢٩)

٣- سورة البروج آية (١٦)

٤- سورة المائدة آية (١)

وخميس، ولايطلع لأعمال العباد وأفعالهم ولايغفر ولايعفو ولايعطي ولايرحم لأن هذه الأفعال كلها حوادث يستحيل أن تقوم بذات الله تعالى، أوهي صفات أزلية قديمة كما ادعيت أنت فهي قديمة لاتتجدد وتجددها ليس فيها (كمال أو ذم) إلى آخر ماذكرت.

وأولوا الألباب والنهى يعلمون فساد ماذهبت إليه، والذي ليس من ورائه سبب إلا إتباع الهوى وإرضاء أئمة الكلام والفلسفة فحسبنا الله عليك وكفى وهو أحكم الحاكمين.

أما دعواك بأن من أثبت قيام الحوادث بذات الله تعالى فلا يكفر لكن أقصى ما يقال في الحكم على من أثبت ذلك بأنه مبتدع فقد كنت فيه رحوما وكريما حيث تنازلت من تكفير من أثبت صفة لله حادثة لم يكن متصفاً بها في الأزل ووصفته بالبدعة. فأقول لك :

أولا : هذا حكم باطل لأن، سلف الأمة كالإمام أبي حنيفة وغيره إنّما كَفّروا من أثبت صفة لله تعالى لم ترد في القرآن ولافي السنة كمن قال بأن الله جسم كالأجسام المخلوقة، أو أن الله متصف بالضعف والخوروغيرها نعوذ بالله وحاشا الله أن يكون كذلك .

وأنت تنازلت عن هذا الحكم إلى درجة أهون من هذا إلى البدعة وهذا يدل دلالة واضحة على علمك الغزير ومدى تعظيمك لمولاك العظيم الخبير.

وعلى هذا فقد أخطأ من استحل دم الجعد بن درهم والجهم بن صفوان وأمثالهم.

ثانيا: إن كنت تقصد بأن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (مبتدع) فإنك بهذا قد ارتقيت درجات علماء الجرح والتعديل من الحفاظ وأمراء المؤمنين في الحديث وغيرهم الذين تورعوا ووضعوا مراتب الجرح والتعديل في الحكم على سيرة الشخص وعدالته فجئت اليوم وقفزت على كلام الحفاظ وأئمة الجرح في شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ووصفته بالبدعة والجرأة والجدل الكلامي وغيره.

وهذا أيضا يدل دلالة واضحة على مدى الغرور العلمي والإنصاف المنهجي في

أصول البحث العلمي الذي تتبعته وكانت لديك طرقا أخرى تستطيع أن تسلكها لكنك آثرت هذه الطريقة على غيرها لشيء في نفسك فسامحك الله وأيقظ للحق بصيرتك

ومع هذا فلا ندعي العصمة لعلمائنا مهما وصلوا في العلم والحفظ والورع، ولكن العالم اذا أخطأ، نقول بأنه أخطأ وليس في هذا عيب لأنه غير معصوم عن ذلك وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية منهم ولهذا أقرب الناس له تلميذه الحافظ ابن كثير لما ذكر سيرة شيخه ابن تيمية : قال :

(وبالجملة كان - رحمه الله - من كبار العلماء ، وممن يخطئ ويصيب ، ولكن خطأه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجي، وخطؤه أيضاً مغفور له (١) كما صح في البخاري« إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر(٢).

ومع هذا فانظر ما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي يذهب إلى التأويل في آيات وأحاديث الصفات أي أنه يأخذ بمنهج الأشاعرة لكنه مع ذلك لم يصل درجة علمك ووصفك لشيخ الإسلام ابن تيمية بالبدعة يقول رحمه الله :-

وشهرة إمامة الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الإسلام في عصره باق إلى الآن على الألسنة الزكية ويستمر غداً كما كان بالأمس ، ولاينكر ذلك إلا من جهل مقداره، أو تجنب الإنصاف ، فما أغلظ من تعاطى ذلك وأكثر عثاره فالله تعالى هو المسؤول إن يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله.

ولو لم يكن من الدليل على إمامة هذا الرجل إلا ما نبه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخه : أنه لم يوجد في الإسلام من اجتمع في جنازته لما مات، ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين وأشار إلى أن جنازة الإمام أحمد كانت حافلة جدا شهدها مئات الألوف، ولكن لو كان بدمشق من الخلائق نظير من كان ببغداد أو أضعاف ذلك لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته، وأيضا فجميع

١- البداية والنهاية : لابن كثير ١٣٩/٤.

٢- أخرجه البخاري في الإعتصام بالكتاب والسنة: باب أجر الحاكم اذا أجتهد فأصاب أو أخطأ .

من كان ببغداد إلا القليل كانوا يعتقدون إمامة الإمام أحمد، وكان أمير بغداد وخليفة الوقت اذ ذاك في غاية المحبة له والتعظيم ، بخلاف ابن تيمية فكان أمير البلد حين مات غائبا، وكان أكثر من بالبلد من الفقهاء قد تعصبوا عليه حتى مات محبوسا بالقلعة، ومع هذا فلم يختلف منهم عن حضور جنازته والترحم والتأسف عليه إلا ثلاثة أنفس تأخروا خشية على أنفسهم من العامة.

ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث إلا اعتقاد إمامته وبركته، لابجمع سلطان ولاغيره وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : (أنتم شهداء الله في الأرض)(١) ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلماء مراراً بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول والفروع وعقدوا له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة ودمشق، ولايحفظ من أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا حكم بسفك دمه، مع شدة المتعصبين عليه حينئذ من أهل الدلالة ، حتى حبس بالقاهرة ، ثم بالاسكندرية ، ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وكثرة ورعه وزهده، ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصرة الإسلام والدعاء إلى الله تعالى في السر والعلانية. فكيف لاينكر على من أطلق أنه كافر؟

وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فانه شيخ في الإسلام بلاريب، والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي، ولايصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرئ منه.

ومع ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب فالذي أصاب فيه وهو الأكثر فيستفاد منه ويترحم عليه بسببه، والذي أخطأ فيه لايقلد فيه، بل هو معذور ، لأنُ أئمة عصره شهدوا له بأن أدوات الإجتهاد إجتمعت فيه، حتى كان أشد المتعصبين عليه، والقائمين في إيصال الشر إليه وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني شهد له بذلك وكذلك الشيخ صدر الدين ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره.

١- أخرجه البخاري (١٣٠١) في الجنائز : باب ثناء الناس على الميت ، جـ١/٤٦٠

ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان من أعظم الناس قياماً على أهل البدع من الروافض والحلولية، والاتحادية، وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة وفتاويه فيهم لاتدخل تحت الحصر فياقرة أعينهم إذا سمعوا بكفره، ويا سرورهم إذا رأو من يكفر من لايكفره أحد.

فالواجب على من تلبس بالعلم، وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة، أو من السنة من يوثق به من أهل النقل، فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر منه على قصد النصح، ويثني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء.

ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة، التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظيم منزلته، فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم ، والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم، فضلا عن الحنابلة ، فالذي يطلق عليه مع هذا الكفر أو على من سماه شيخ الإسلام ، لايلتفت إليه، ولايعول في هذا المقام عليه، بل يجب ردعه على ذلك، إلى أن يراجع الحق، ويذعن للصواب ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل، قاله وكتبه أحمد بن علي بن محمد بن حجر الشافعي (١).

فما رأيك فيما كتبه الحافظ ابن حجر ؟ هل كنت مصيبا فيما ادعيت ؟ وهل كنت على حق ؟ أم أنك لازلت تريد الزيادة من الأدلة والبراهين على صحة مذهب مثبتي الصفات والأفعال لله تعالى على حقيقتها وأنها لايدخل فيها شيء مما يقوم بالحوادث والأجسام ؟.

وعلى كل حال : فكلام الباحث لايخرج أكثره عن كلام الباحث السابق منصور في اعتماده على كلام الهراس وحملته القوية على أئمة أهل السنة والجماعة كشيخ

١- الرد الوافر ص ٢٣٠ - ٢٣٢.

الإسلام أحمد بن تيمية وتلاميذه.

لذا لا أريد أن أكرر هنا ما سبق أن ذكرته في الصفحات السابقة في نقد برهان التطبيق، وموقف السلف من لفظ الحوادث، ودليل الكمال والنقص، وثناء الأئمة عليه وموقفه من هذه القضية، وغيرها من الشبه التي إعتمد عليها الباحث ، ومع هذا فإني أحيله إلى هذه المناقشات في الرسالة.

لأننا لم نقصد بهذه الرسالة تفنيد وتقرير جميع ما كتبه هؤلاء الناقدين في كتبهم، وإنما كانت الدراسة منصبة فقط على مبحث التسلسل وحلول الحوادث ومنهجهم فيه وموقفهم من أئمة السلف.

لذا فإني أحيله أيضاً إلى كتب السلف في هذه القضية وقد رأيته يذكر أسماءاً كثيرة منها، ثم يتعجب من تحول الشيخ محمد الهراس حيث ذهب إلى إثبات قيام الحوادث بذات الله تعالى وإلى إعتقاد قدم جنس الأفعال الإلهية وحدوث آحادها وأفرادها، فأقول : لاتتعجب فهذا من فضل الله وهداية الله وتوفيقه فهو سبحانه يهدي من يشاء إلى سلوك المنهج القويم ومع هذا فإن الأمر أمر إيمان وإسلام وتسليم وسوف تسأل ونسأل ويسأل كل مسلم عن إيمانه بربه وتوحيده لخالقه يقول تعالى﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنيين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ (١).

ونكتفي بهذا و ننتقل إلى الفصل الخامس من الرسالة ونسأل الله تعالى أن يثبتنا جميعا على الحق وأن يعصمنا ويعصم إخواننا المسلمين في كل مكان من الزلل والخطأ وخاصةً في أفعال الله تعالى وصفاته إنه سميع مجيب.

١- سورة النساء آية (١١٥)

الفصل الخامس : أبدية أفعال الله تعالى

ويشتمل على مباحث :

المبحث الأول : رأي أهل السنة والجماعة في أبدية الجنة والنار

المبحث الثاني: رأي المتكلمين في أبدية الجنة والنار ومناقشتهم

مدخل أبدية أفعال الله تعالى:-

قبل الخوض في بيان مباحث هذا الفصل، نود أن نمهد له بتوطئة مهمة مختصرة تربط السابق واللاحق وهو على النحو التالي :-

تكلمنا فيما سبق عن أزلية أفعال الله تعالى وناقشنا آراء المتكلمين وغيرهم سواءا الذين يقولون بأزلية الأفعال كالفلاسفة القائلين بقدم العالم وقدم مفعولاته تعالى، أو الذين يقولون بحدوث الأفعال كالمتكلمين القائلين بحدوث العالم وحدوث سائر مفعولاته، وبينا من خلال المناقشات رأي أهل السنة والجماعة فيها وبقي لنا الآن الحديث عن أبدية أفعال الله تعالى وآراء المتكلمين فيها، والناظر في كلامهم يرى ويعلم يقينا أنهم يجعلون هذه القضايا من صميم أصول الدين عندهم، ويختمون بها حديثهم عن أفعال الله تعالى لذا فإنه لزام علينا أن نختم بحثنا في هذه الرسالة عن هذه القضية المهمة وما هو رأي أهل السنة والجماعة في أبدية أفعاله تعالى ؟ كذلك ماذا يقول المتكلمون في هذه القضية ؟ وهل لهذه القضية علاقة قوية بين جواز أو منع حلول الحوادث بذات الله تعالى وبمعنى أصح جواز قيام الأفعال الإختيارية أو عدم جوازها بذات الله تعالى ؟

ولهذا فإننا سنبدأ حديثنا في هذه القضية ببيان رأي أهل السنة والجماعة أولا . ثم ببيان رأي المتكلمين ، ثم نذكر خلاصة هذا الفصل إن شاء الله تعالى

المبحث الأول : رأي أهل السنة والجماعة في أبدية أفعال الله تعالى.

لقد علمنا فيما سبق عقيدة أهل السنة والجماعة في أزلية أفعال الله تعالى، حيث يثبتون لله تعالى قيام الأسماء والصفات والأفعال بذاته تعالى على حقيقتها الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ويثبتون كذلك تجدد تلك الأفعال وأنه سبحانه متصف بذلك على الدوام أزلا وأبدا، فذوام فاعليته تعالى هو أصل مذهب أهل السنة والجماعة لتضافر النصوص النقلية والعقلية على ذلك، وقد تكلمنا عن الأزلية في المباحث السابقة وهنا نؤكد القول عن أبدية أفعاله تعالى فنقول:

إن أهل السنة والجماعة يذهبون إلى أبدية جنس أفعاله تعالى إلى مالانهاية وحدوث أفعاله تعالى بنص القرآن والسنة.

فلما كان هو سبحانه وتعالى هو : ﴿ الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾(١) وله وحده البقاء والكمال والدوام كما قال تعالى : ﴿الله الصمد ﴾ (٢)، ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾(٣) ويقول شارح الطحاوية : (لايفنى ولا يبيد) هذا إقرار بدوام بقائه سبحانه وتعالى ....) وقول الشيخ : قديم بلا ابتداء ، دائم بلا إنتهاء هو معنى إسمه الأول والآخر) (٤).

فإن قيل فهل أفعاله تعالى التي سيفعلها في المستقبل وإلى ما لانهاية هل هي حادثة أم قديمة ؟ أم مخلوقة أم متجددة ؟

فيقال له: أفعاله تعالى الإختيارية أجناسها وأنواعها أبدية قائمة بذاته تعالى إلى مالا نهاية كما هي أزلية، أما الأفراد والآحاد فهي حادثة ومتجددة أيضا

١- الحديد آية (٣)

٢- الاخلاص آية (٢)

٣- الرحمن آية (٢٦، ٢٧)

٤- ابن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢، ٥٥

إلى مالانهاية حسب إرادته وقدرته ومشيئته في المستقبل ، بالتمام كما هو الأمر في الماضي.

أما أفعاله تعالى المنفصلة عنه والتي أحدثها سبحانه وتعالى بعد أن لم تكن كالعالم وكالجنة والنار والعرش والحور العين ونعيم أهل الجنة وعذاب وشقاء أهل النار وغيرها فهي راجعة إلى إرادته ومشيئته سبحانه وتعالى إن حكم لها بالأبدية والبقاء إلى مالانهاية فهي باقية أبدية سرمدية، وإن حكم لها بالفناء فهي فانية . ومرجع ومرد ذلك إلى علم الله تعالى وإلى ماجاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فما جاء النقل بإثبات البقاء له من المخلوقات والحوادث فهي باقية ، وما جاء النقل بنفي ذلك وإثبات الفناء له فهي فانية بمعنى أن المسليمن لا يتنطعون في الخوض في أفعاله تعالى من ناحية بقاءها وأبديتها أو فنائها وانتهائها إلا بما أثبت به القرآن والسنة فقط.

ونحن هنا أمام مثلين حادثين موجودين الآن خلقهما الله سبحانه وتعالى بعد أن لم يكونا وهما الجنة والنار، وطالما تكلم في شأنهما المتكلمون وتفرقت فيهما آراؤهما من ناحية أبديتهما وفنائهما ، ومن ناحية وجودها وعدمها. لذا فإننا سنتعرض لهذين الفعلين الحادثين ونبين فيهما عقيدة أهل السنة والجماعة.

أبدية الجنة والنار في القرآن الكريم والسنة المطهرة:-

قبل أن نتكلم عن أبدية الجنة والنار في القرآن والسنة ، يجب علينا أن نعلم أموراً عنهما : فهل الجنة والنار موجودتان الآن ؟ أم أنهما غير موجودتين وغير مخلوقتين كما يدعي ذلك بعض المتكلمين كالجهم بن صفوان وغيره؟

وهل الجنة والنار يصح وصفهما بالأزلية والقدم أم أنهما حادثتان موجودتان بعد عدم ؟

والحق : أن أهل السنة والجماعة يذهبون إلى القول بأن الجنة والنار مخلوقتان حادثتان موجودتان بعد عدم وهما الآن معدتان ومجهزتان لكنهما غير أزليتين لأنهما لم توجدا مع وجود الله تبارك وتعالى كما ادعى الفلاسفة ذلك ، والدليل على عدم أزليتهما تضافر الأدلة على خلقهما ووجودهما بعد عدم كما أثبتت النصوص ذلك. وسنورد بعضا منها بعد أسطر، وهذه الأدلة هي نفسها التي تدل على وجودهما وإحداثهما من الله تبارك وتعالى، وفيها الرد على من أنكر وجود الجنة والنار والرد كذلك على من ادعى أزليتهما أيضا-

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم عن الجنة والنار وعن إعدادهما وتجهيزهما :-

﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾(١).

﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله.... ﴾(٢).

١- سورة آل عمران : ١٣٣

٢- سورة الحديد : ٢١

ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى ﴾ (١).

أما عن النار : - فقال تعالى ﴿ إن جهنم كانت مرصادا * للطاغين مآبا ﴾ (٢).

وهناك الأحاديث الكثيرة في صحة وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان موجودتان بعد عدم منها:-

١) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الاسراء وفيه : (ثم انطلق بي جبرائيل حتى أتى سدرة المنتهى ، فغشيها الوان لا أدري ما هي ، قال : ثم دخلت الجنة ، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك) (٣).

٢) حديث عبدالله بن عباس في قصة خسوف الشمس وفيه : (إني رأيت الجنة ، فتناولت عنقودا ولو أصبته ، لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء ... الحديث) (٤).

٣) حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وفيه (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)(٥).

٤) حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظرإليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع

١- سورة النجم : ١٣ - ١٥

٢- سورة النبأ آية ٢١ - ٢٢

٣- البخاري ٤٦٩/٤٦٦/٨ في تفسير سورة النجم ، ومسلم جـ ١ في الإيمان باب معنى قول الله عزوجل ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ ، وأحمد ٤٩/٦، ٥٠.

٤- البخاري ٤٤٠/١، ٢ / ٤٤٧ في الصلاة : باب إذا صلى وقدامه تنور، أونار أو شيء مما يعبد ، باب صلاة الكسوف جماعة . ، ومسلم برقم ٩٠١، ٩٠٧ في الكسوف باب ماعرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

٥- البخاري ١٩٣/٣ في الجنائز: باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وفي بدء الخلق: باب ماجاء في صفة الجنة، وفي الرقائق: باب سكرات الموت، ومسلم رقم (٢٨٦٦) في الجنائز، والترمذي رقم (١٠٧٢) في الجنائز: باب ماجاء في عذاب القبر، والنسائي ١٠٧/٤ في الجنائز: باب وضع الجريدة على القبر، وأحمد في المسند ١٦/٢، ٥١، ١١٣، ١٢٣.

بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره ، فقال : إرجع فانظر إليها وما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد، قال ثم أرسله إلى النار ، قال : إذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال: فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضا، ثم رجع فقال : وعزتك لايدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: إذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لاينجو منها أحد إلا دخلها) (١). وهذا حديث صريح عن وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان الآن، والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا .

أما حجة القائلين بعدمها الآن، لأنهما لو وجدتا الآن لوجب إضطراراً فناؤهما يوم القيامة وهلاك من فيها لقوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ (٢)، ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾(٣)وكما استدلوا بآيات القرآن الكريم استدلوا أيضا بنصوص السنة منها :

- الحديث الوارد في غراس الجنة : (من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة)(٤).

- حديث إبراهيم عليه السلام (أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنهاقيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)(٥).

- واستدلوا أيضا بقوله تعالى عن إمرأة فرعون ﴿رب ابن لي عندك بيتا في

١- أبوداود برقم (٤٧٤٤) في السنة باب في خلق الجنة والنار، والترمذي (٢٥٦٣) في صفة الجنة باب ماجاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، والنسائي ٤٠٣/٧ في الأيمان ، والنذور باب الحلف بعزة الله ، وأحمد في المسند ٣٣٢/٢، ٣٧٣ وسنده حسن.

٢- سورة القصص آية : ٨٨

٣- سورة آل عمران آية : ١٨٥

٤- الترمذي : (٣٤٦٠) ، (٣٤٦١) في الدعوات باب فضل سبحان الله . ورجاله ثقات إلا أن فيه تدليس أبي الزبير ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث أبي الزبير عن جابر.

٥- الترمذي (٣٤٥٨) في الدعوات : باب غراس الجنة ، الألباني في الأحاديث الصحيحة (١٠٥) والمسند ٥ / ٤١٨، ومجمع الزوائد

الجنة ﴾(١) .

والرد على هؤلاء من وجوه :-

أولاً : قد تواترت النصوص القرآنية و الأحاديث الصحيحة على وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان الآن . فادعاؤكم بأنها موجبة للفناء يوم القيامة بدليل قوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ إدعاء باطل ، ثم استدلالكم بالآيات على إثبات فناء الجنة والنار يدل على عدم فهمكم لكلام الله تعالى عامة، ويدل أيضا إعترافكم بوجود الجنة والنار ضمنياً، لأنه كيف يفنيهما الله تعالى وهما غير موجودتان ؟ ثم مع عدم إعترافكم بهذه الإلزامات، فالآية ليست حجة لكم بل هي حجة عليكم، لأن من المعلوم حقاً بين سائر المفسرين من أهل السنة والجماعة أن الله تعالى لمّا ذكر في الآية أن ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ فسّر ذلك، إلى: أن الهلاك سيكون لكل شيء ما كتب الله له سبحانه وتعالى الفناء والهلاك وأراده وقدره، أما الجنة والنار والعرش ومما شاء الله تعالى من مخلوقات فإنها غير فانية بدليل قوله تعالى ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾(٢) .

وقيل أيضا إن المراد بالإستثناء في قوله إلا وجهه : أي إلا ملكه. وإلا: ما أريد به وجهه تعالى من الأعمال الصالحة . إذاً الآية ليست دليلا لكم، وإنما هي دليل عليكم.

ثانيا : إن أردتم أنهما الآن معدومتان فهذا مردود عليكم بأحاديث صحيحة منها قوله ﷺ عن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة(٣) .

ومنها قوله ﷺ : إنها جنان وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى(٤).

١- سورة التحريم آية (١١)

٢- سورة الزمر آية (٦٨)

٣- أخرجه مسلم (١٨٨٧) في الإمارة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة.

٤- أخرجه البخاري (٢٦٥٤) في الجهاد : باب من أتاه سهم غرب فقتله

ثالثا : أما استدلالكم بسؤال امرأة فرعون بأن يبني الله لها بيتاً عنده في الجنة فليس فيه دليل على عدم وجود الجنة والنار ، ولايمنع وجود الجنة والنار ثم سؤال الله تعالى ببناء بيت في الجنة التي أعدت للمتقين ، أو غرس تربة الجنة بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وغيرها من الأعمال الصالحة كترك الكذب ولو كان المرء مازحاً، وترك المراء ولو كان المسلم محقا، وغيرها من الأعمال الصالحة التي أثبت بها النقل الصحيح والتي لاتمنع من وجود الجنة والنار.ثم ماالمانع إذا أثبت الله تعالى وجودهما،ثم أثبت سبحانه وتعالى أنه كتب الفناء على من في السموات ومن في الأرض باستثناء من شاء سبحانه وتعالى من مخلوقاته وملائكته واللوح والقلم والعرش والجنة والحور العين والخدم المخلدون ، والنار وخزنتها وأهلها وغيرها مما شاء الله تعالى لها البقاء ؟

فهو سبحانه على كل شيء قدير وله سبحانه الأمر كله فهو يفعل مايشاء ويحكم مايريد.

ونخلص مما سبق بطلان استدلال القائلين بعدم وجود الجنة والنار ، وبطلان قول من قال بأزليتهما ، لأنهما خلقتا كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأنهما موجودتان ومعدتان) .

أما أدلة أهل السنة والجماعة في إثبات أبدية الجنة والنار وأقوالهم فيها فهي كالتالي: لقد اتفق أهل السنة والجماعة من السلف والخلف على بقاء الجنة والنار وعلى القول بأبديتهما ، وأنهما لاتفنيان أبدا ولاتبيدان، ونبدأ بالحديث عن أبدية الجنة، ثم نتكلم عن أبدية النار وأما الأدلة التي استدلوا بها على ذلك فهي كثيرة منها:-

أ / أدلة القرآن الكريم : قال تعالى ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين

فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك عطاءا غير مجذوذ﴾(١) أي غير مقطوع ولاينافي ذلك قوله تعالى ﴿ إلا ماشاء ربك ﴾ لأن هذا الاستثناء قد اختلف فيه السلف فقال بعضهم معناه : إلا مدة مكثهم في النار وهذا لمن دخل النار منهم ثم أخرج منها.

وقال آخرون معناه : إلا مدة مقامهم في الموقف .

وقال آخرون معناه : إلا مدة مقامهم في القبور.

وقال آخرون معناه : هو استثناء الرب ولايفعله كما تقوله العرب والله لأضربنك إلا غير ذلك وأنت لاتراه إلا ضاربا، بل تجزم بضربه.

وقال آخرون إلا بمعنى:(الواو)وهذا قول بعض النحاة وهو ضعيف .

وقال آخرون إلا بمعنى:(لكن)فيكون الاستثناء منقطعاً وهذا الذي رجحه أئمة التفسير كالإمام الطبري وابن كثير والشوكاني والزمخشري والقرطبي والبغوي وابن الجوزي وغيرهم من المفسرين.

يقول الإمام الطبري : (إن الله تعالى لا خلف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله ﴿عطاءاً غير مجذوذ ﴾(٢) قال ونظيره أن يقول اسكنتك داري حولاً إلا ما شئت أى سوى ماشئت ولكن ماشئت من الزيادة عليه في السكن(٣).

وقال آخرون إن معنى الاستثناء هو : إعلامهم بأنهم مع خلودهم في الجنة لايخرجون عن مشيئته ولاينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود كما في قوله تعالى ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لاتجد لك به علينا وكيلا﴾(٤) .

وقوله ﴿ فإن يشأ الله يختم على قلبك ﴾(٥) وقوله ﴿ قل لو شاء الله ماتلوته عليكم

١- سورة هود (١٠٨)

٢- سورة هود آية (١٠٨)

٣- جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن جرير الطبري جـ١٢/٧٢، المطبعة الكبرى- ط/١٣٢٨هـ

٤- سورة الإسراء آية (٨٦)

٥- سورة الشورى آية (٢٤)

ولا أدراكم به﴾(١) ونظائره كثيرة حيث يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وقال غيرهم: إن [ما] بمعنى إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء .

قال شارح الطحاوية (وعلى كل تقدير فهذا الإستثناء من المتشابه وقوله تعالى ﴿عطاءاً غير مجذوذ ﴾(٢) وكذلك قوله ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾(٣)

وقال تعالى : ﴿ لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾(٤).

قال المفسرون وهذا الاستثناء منقطع ، وإذا ضممته إلى الإستثناء السابق في قوله تعالى ﴿ إلا ماشاء ربك﴾ تبين المراد من الآيتين وهو استثناء محمول على معنى الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود. كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية)(٥).

ب / أما أدلة السنة النبوية على أبدية الجنة ودوامها فهي أيضا كثيرة منها:-

قوله ﷺ : : (من يدخل الجنة ينعم ، لايبأس لاتبلى ثيابه ولايفنى شبابه﴾ (٦).

وقوله ﷺ : (ينادي منادٍ يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وأن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا) (٧).

وقوله ﷺ : (إن في الجنة مجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم يسمع

١- سورة يونس آية (١٦)

٢- سورة هود آية (١٠٨)

٣- سورة الحجرات آية (٤٨) ،

٤- سورة الدخان آية : (٥٦)

٥- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٤٢٠

٦- أخرجه مسلم (١٧/ ١٧٤) في الجنة وصفة نعيمها باب في دوام نعيم أهل الجنة والدارمي ٣٣٢/٢، وأحمد ٣٧٠/٢، ٤٠٧، ٤١٦، ٤٦٢ مع زيادة (وله في الجنة مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر.

٧- أخرجه مسلم (٢٨٣٧) باب في دوام نعيم أهل الجنة م١٧/١٧٥ والترمذي (٢٥٢٦) باب ماجاء في صفة الجنة ونعيمها ج٤/٦٧٢، وأحمد في المسند ج٢/٣١٩، ج٣/٣٨، ٩٥.

الخلائق بمثلها يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد - أي لانهلك ولا نفنى- نحن الناعمات فلا نبأس ، نحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له)(١).

وقوله ﷺ : (ويقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت)(٢)

فدل مما سبق أن الأدلة من القرآن والسنة تعضد القول بأبدية الجنة وأهلها ودوام حياتهم فيها وهذا هو مذهب السلف والخلف.

أما عن أبدية النار ودوامها:

فإننا قبل أن نذكر أدلة أهل السنة والجماعة في أبدية النار نفيا أو إثباتا يجدر بنا أن نورد الأقوال المختلفة في هذه القضية ونضم لها أقوال أهل السنة والجماعة فمنهم من يقول:

١ / أنها أبدية : فمن دخلها لايخرج منها أبد الآباد سواء كانوا أهل معاصي من أمة التوحيد أو غيرهم وهذا قول الخوارج، والمعتزلة.

٢ / أنها باقية طبيعية : ومن دخلها فإنهم يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعية النارية فيهم يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم وهذا قول الاتحادية كابن عربي وغيره.

٣ / أنها غير أبدية : حيث أن أهلها يعذبون فيها وقتاً ثم يخرجون منها وهذا قول اليهود ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾(٣).

٤ / أنها تبقى خالية من غير أحد : حيث يخرج منها أهلها وتبقى على حالها.

١- صحيح الترمذي جـ ٢ ، ص ٩٣ صفة الجنة ، باب ماجاء في كلام الحور العين.

٢- أخرجه البخاري ٣٢٥/٨، باب قوله عزوجل ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾، ومسلم (٢٨٤٩)، في الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب النار يدخلها الجبارون، والنار يدخلها الضعفاء، والترمذي (٣١٥٥) في أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة مريم، وأحمد في المسند ٣٧٧/٢، ٤٢٣، ٥١٣، والدارمي: ٣٢٩/١ في الرقائق باب في ذبح الموت.

٣- سورة البقرة آية (٨٠-٨١)

٥ / أنها تفنى بنفسها : لأنها حادثة وما ثبت حدوثه إستحال بقاؤه وهذا قول الجهم وأتباعه.

٦ / تفنى حركات أهل النار : فيصيرون جماداً لايحسون فيها بألم وعذاب وغيره، وهذا قول أبا الهذيل العلاف.

٧ / أن الله يخرج منها من يشاء ، ثم يبقيها شيئا فشيئا ثم يفنيها فإنه جعل لها أمدا تنتهي إليه.

٨ / أن الله يخرج منها من يشاء كما ورد في السنة ، ويبقى فيها الكفار بقاءاً لا انقضاء له، قال شارح الطحاوية: [وهذان القولان لأهل السنة وماعداها فهي ظاهر البطلان](١).

وأما أدلة القولين الأخيرين فهي التالي :

أ / أدلة القائلين بفناء النار ،

ذهب أصحاب هذا القول وهم فريق من أهل السنة والجماعة إلى القول بفناء النار واستدلوا على صحة قولهم بنصوص من القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم﴾(٢).

وقوله ﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لمايريد﴾(٣). وليس هناك ذكر أي شيء بعد الإستثناء كما هو لأهل الجنة . وقوله تعالى ﴿ لابثين فيها أحقابا﴾(٤).

فالقول بفناء النار دون الجنة منقول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم وعبدالله بن حميد في تفسيره إلى عمر رضي الله عنه أنه قال : (لو

١- شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٢

٢- سورة الأنعام آية (١٢٨)

٣- سورة هود آية (١٠٦-١٠٧)

٤- سورة النبأ آية (٢٣)

لبث أهل النار في النار كمقدار رمال عالج لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه) (١)وهذا مذكور في تفسير قوله ﴿لابثين فيها أحقابا﴾(٢).

والنار موجبة غضبه والجنة موجبة رحمته وقد سبقت رحمته غضبه والله قد أخبر عن عذابه بأنه (عذاب يوم عظيم - أليم - وعقيم) ولم يخبر في موضع واحد عن نعيم أهل الجنة أنه نعيم يوم .

وقد قال تعالى ﴿ عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء ﴾(٣).

قال تعالى حكاية عن الملائكة : ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾(٤).

فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين فلو بقوا في العذاب لا إلى غايةٍ لم تسعهم رحمته، وقد ثبت في الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة(٥) ، قال شارح الطحاوية : (والمعذبون فيها متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم وليس في حكمة أحكم الحاكمين ورحمة أرحم الراحمين أن يخلق خلقا يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمدياً ، لانهاية له وأما أنه يخلق خلقا ينعم إليهم ويحسن إليهم نعيما سرمديا فهذا من مقتضى الحكمة والاحسان.

١- رواه سليمان بن حرب، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن، قال: قال عمر بن الخطاب...، ومن حديث حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال....، وهذا سند رجاله ثقات، لكنه منقطع، لأن الحسن لم يسمع من عمر والواسطة مجهولة بسند فيه تألف، ومثل هذا المطلب لايثبت بمثل هذه الأخبار الضعيفة، وقال الألباني : اسناده ضعيف لانقطاعه. رفع الأستار محمد الصنعاني تحقيق الألباني ص ٦٥، حادي الأرواح ابن قيم الجوزية ٧٣/٢، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٠.

٢- سورة النبأ آية (٢٣)

٣- سورة الأعراف آية (١٥٦)

٤- سورة غافر آية (٧)

٥- أخرجه مسلم (٩٨٧) والنسائي ١٢/٥ ، ١٤ في الزكاة باب التغليظ في حبس الزكاة عن أبي هريرة ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٢ / ١١٢، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٤ / ٥٧٢

وأما ما ورد من الخلود فيها والتأبيد فهذا حق مسلم لانزاع فيه وهذا يقتضي الخلود في دار العذاب مادامت باقية، وإنما يخرج منها فى حال بقائها أهل التوحيد، ففرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس......) (١).

وشارح الطحاوية يريد بهذا أن يثبت حجة القائلين بفناء النار بعد خروج أهلها منها لكنه تردد في الأمر فساعة يريد أن يثبت الفناء مصورا مقررا قول القائلين بالفناء ، ثم يأتي ويجزم أدلة القائلين بالأبدية فيقول: وما ورد من الخلود والتأبيد فكله حق مسلم لانزاع فيه .. ثم يقول وذلك يقتضي الخلود في دار العذاب مادامت باقية.

على كل فهل كل ما ورد وثبت من الأدلة عند هؤلاء، وما ثبت لهم من آثار وأقوال عن الصحابة وغيرهم هو الراجح والصواب ؟ أم أن جميعها محمولة على إخراج أهل المعاصي من أمة التوحيد وفناء نارهم ولايدخل فيها بقية أهل النار الذين قد حكم الله لهم بالخلود في النار، هذا ما سنعرفه في الفقرة التالية :-

ب / أما أدلة القائلين ببقائها وعدم فنائها- والذي هو مذهب جمهور السلف والخلف من أهل السنة والجماعة فهو على النحو التالي :-

أ / من القرآن الكريم.

١ - قوله تعالى ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾(٢)،

﴿ لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون ﴾(٣)،

﴿ فلن نزيدكم إلا عذابا﴾ (٤)،

١- شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٣، بتصرف واختصار .

٢- سورة المائدة آية (٣٧)

٣- سورة الزخرف أية (٧٥)

٤- سورة النبأ آية (٣)

﴿ خالدين فيها أبدا ﴾ (١)،

وما هم منها بمخرجين ﴾(٢)،

﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾(٣)،

﴿لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾(٤)،

﴿لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها ﴾(٥)،

﴿ إن عذابها كان غراما﴾ (٦)،

قوله تعالى ﴿ ذلك جزاءُ أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون﴾(٧)،

وقوله تعالى ﴿ إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾(٨).

١- سورة النساء آية (٥٧) سورة الآحزاب آية (٦٥) سورة الجن آية (٢٣)

٢- الحجر آية (٤٨)

٣- البقرة آية ١٦٧

٤- الاعراف آية (٤٠)

٥- فاطر آية (٣٦)

٦- فرقان آية (٦٥)

٧- سورة فصلت آية (٢٨)

٨- سورة السجدة (١٤)

ب / من السنة المطهرة.

قوله ﷺ : (يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم : يا أهل النار لاموت ، ويا أهل الجنة لاموت ، خلود) (١).

وقوله ﷺ (يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ، قال : ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ، ويقولون نعم ، هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح قال ثم قال يا أهل الجنة خلود فلا موت. ويا أهل النار خلود فلا موت) (٢).

وقوله ﷺ : (إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار ، فيذبح وهم ينظرون ، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار) (٣).

وقوله ﷺ : (فإذا أدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النار النار، قال: أتي بالموت مليا ، فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ، ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة والنار . هل تعرفون هذا ؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء قدعرفناه هو الموت الذي وكل بنا، فيضجع فيذبح ذبحا على السور الذي بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لاموت، ويا أهل النار خلود لاموت) قال الترمذي حديث حسن صحيح (٤).

وقال الترمذي : والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري

١- صحيح البخاري كتاب الرقائق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب فتح الباري ٤٠٦/١١.

٢- مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها ٤ / ٢١٨٨

٣- الترمذي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا وقال حديث حسن صحيح باب ماجاء في خلود أهل الجنة وأهل النار ٤ / ٦٩٣ برقم (٢٥٥٨)

٤- الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي جـ ٤ ص ٦٩٢ رقم ٢٥٥٧ باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار .

ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء (١).

قال الطحاوي : (والجنة والنار مخلوقتان، لاتفنيان ولاتبيدان) (٢).

وقال ابن حزم : (إتفقت فرق الأمة كلها على أن لافناء للجنة ولانعيمها ، ولا للنار ولالعذابها ، إلا الجهم بن صفوان) (٣)، وقال أيضا في مراتب الاجماع : (... وأن النار حق وأنها دار عذاب لاتفنى، ولايفنى أهلها بلانهاية..) (٤).

وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : (وقال أهل الإسلام جميعاً ليس للجنة والنار آخر ، وأنهما لاتزالان باقيتين ، وكذلك أهل الجنة لايزالون في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يعذبون، ليس لذلك آخر ولا لمعلومات الله عزوجل ومقدوراته غاية ولانهاية) (٥).

ولما سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله عن صحة حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ : أنه قال سبعة لاتموت ولاتفنى ولاتذوق الفناء: النار وسكانها، واللوح ، والقلم ، والكرسي ،والعرش ؟

فقال رحمه الله : هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ وإنما هو من كلام بعض العلماء .

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مالا يعدم ولايفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين، كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

١- المرجع السابق ص ٦٩٢

٢- شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٦

٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل : لابن حزم ٤ / ٨٣

٤- مراتب الاجماع : لابن حزم ص ١٩٣ دار الآفاق الجديدة بيروت ط ، أولى ١٩٧٨م.

٥- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : ج ٢ ص ٣٥٧- ٣٥٨ تحقيق د/محمد رشاد وسالم.

وإجماع سلف الأمة وأئمتها...)(١).

ولما تأولت الجهمية بأن الله هو الآخر بعد الخلق فلا يبقى شيء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش ، وزعموا أن شيئا مع الله لايكون فقال الإمام أحمد بن حنبل : (وقلنا : أخبرنا الله عن الجنة ودوام أهلها فيها فقال: ﴿ لهم فيها نعيم مقيم﴾(٢). قال جل وجهه (مقيم) وقال : ﴿خالدين فيها أبداً ﴾(٣)

وقال : ﴿ أكلها دائم ﴾(٤). فإذا قال تعالى ﴿دائم﴾ فمعناه لاينقطع أبداً ، وقال : ﴿ماهم منها بمخرجين ﴾(٥)، وقال ﴿ وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ (٦)، وقال ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾(٧)وقال ﴿ماكثين فيها أبداً﴾ (٨).

وقال : ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ (٩). وقال : ﴿ وفاكهة كثيرة* لامقطوعة ولاممنوعة ﴾ (١٠)، وذكر أهل النار فقال : ﴿لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها﴾ (١١).

١- مجموع فتاوى شيخ أحمد بن تيمية جـ ١٨ ، ص ٣٠٧، وانظر ما قاله أيضا في موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول جـ ٢ ص ٧٢، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية جـ ١ ، ص ١٥٧.

٢- سورة التوبة آية (٢١)

٣- سورة النساء آية (٥٧)

٤- سورة الرعد آية (٣٥)

٥- الحجر آية (٤٨)

٦- سورة غافر آية (٣٩)

٧- العنكبوت آية (٦٤)

٨- الكهف (٣)

٩- آل عمران (١٠٧)

١٠- الواقعة (٣٢، ٣٣)

١١- سورة فاطر آية : (٣٦)

﴿ أولئك يئسوا من رحمتي ﴾ (١).

وقال : ﴿ لاينالهم الله برحمة ﴾ (٢).

وقال : ﴿ ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾ (٣).

وقال : ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ﴾(٤).

وقال : ﴿ خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴾ (٥).

وقال : ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ﴾(٦).

وقال : ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾(٧) وقال : ﴿ إنها عليهم مؤصدة ﴾ (٨).

ومثله في القرآن كثير (٩).

ويدل من هذا النص أن الإمام أحمد بن حنبل يذهب إلى القول بأبدية الجنة والنار طبقا للنصوص الواردة بذلك ويرد بها على الجهمية القائلين بفناء الجنة والنار وغيرها.

وقد عقد الإمام القرطبي في كتابه (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) بابا بعنوان (باب ماجاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط..).

١- العنكبوت آية (٢٣)

٢- الأعراف آية (٤٩)

٣- الزخرف آية (٧٧)

٤- إبراهيم (٢١) .

٥- البينة آية (٦)

٦- النساء آية ٥٦

٧- سورة السجدة آية (٢٠)

٨- الهمزة آية (٨)

٩- أحمد بن حنبل : الرد على الزنادقة والجهمية ص ١٠١ ضمن مجموعة رسائل عقائد السلف د. سامي النشار. .

ثم بعد أن أورد الآيات والآحاديث قال : (هذه الآحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيها لا إلى أمد، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولاحياة ولاراحة ولانجاة ... فمن قال إنهم يخرجون منها وإن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها وأنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾(١)، وإنما تخلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد ....) (٢).

وقال الإمام العلامة ابن قيم الجوزية : (قال أبوعبدالله أحمد بن حنبل: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق) وساق أقوالهم إلى أن قال :(وقد خلقت الجنة ومافيها، وخلقت النار وما فيها ، خلقهما الله عزوجل ، وخلق الخلق لهما ، ولاتفنيان ، ولايفنى مافيها أبداً، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقوله عزوجل ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾(٣) وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له : كل شيء من ما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لامن الدنيا ، والحور العين لايمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله عزوجل خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب

١- سورة النساء آية (١١٥)

٢- محمد بن أحمد القرطبي التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، جـ٢ ، ص ٥٢٦ ، تحقيق د . أحمد حجازي ، دار المعرفة بيروت طبعة ١٤٠٢هـ

٣- سورة القصص آية (٨٨)

عليهن الموت فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل) (١).

وإن كان الحافظ ابن قيم الجوزية لم يصرح هنا بأبدية النار بل ألمح إلى ذلك دون تعليق وإنكار لكنه صرح وجزم بأبدية النار في كتابه : طريق الهجرتين وباب السعادتين تحت عنوان : (فصل في أن الله خلق دارين وخص كل دار بأهل).

فقال : (والله سبحانه مع كونه خالق كل شيء فهو موصوف بالرضا والغضب والعطاء والمنع، والخفض والرفع والرحمة والإنتقام فاقتضت حكمته سبحانه أن يخلق داراً لطالبي رضاه العاملين بطاعته المؤثرين لأمره القائمين بمحابه وهي الجنة وجعل فيها كل شيء مرضي وملأها من كل محبوب ومرغوب ومشتهى ولذيذ وجعل الخير بحذافيره فيها وجعلها محل كل طيب من الذوات والصفات والأقوال.

وخلق داراً أخرى لطالبي أسباب غضبه وسخطه المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مرضاته العاملين بأنواع مخالفته القائمين بما يكره من الأعمال والأقوال الواصفين له بما لايليق به الجاحدين لما أخبرت به رسله من صفات كماله ونعوت جلاله وهي جهنم وأودعها كل شيء مكروه وسجنها ملئ من كل شيء مؤذ ومؤلم إلى أن قال، فهاتان الداران هما دار القرار)(٢).

وقال أيضا في كتابه الوابل الصيب : (ولما كان الناس على ثلاث طبقات طيب لايشينه خبث، وخبث لاطيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كان دور ثلاث دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لاتفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لايبقى في جهنم

١- محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٧٩ - ٨٠ ، تحقيق د. السيد الجميلي . نشر دار الكتاب العربي . الطبعة السادسة ١٤١٣ هـ بيروت - لبنان .

٢- ابن قيم الجوزية : طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تحقيق عبدالله إبراهيم الأنصاري طبع على نفقة الشيخ أحمد بن فاع آل ثاني . قطر . ص ٢٥٤، ٢٥٥ لايوجد سنة الطبع

من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جرائمهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولاتبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض) (١).

وقال الإمام أبوجعفر الطبري في قوله تعالى عن أهل النار: ﴿ خالدين فيها مادامت السموات والأرض ﴾(٢) أي ماكثين في جهنم أبداً على الدوام مادامت السموات والأرض، والعرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبداً قالت : هذا دائم بدوام السموات والأرض بمعنى أنه دائم أبداً، فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم وقوله : ﴿ إلا ماشاء ربك ﴾ فالإستثناء في أهل التوحيد) وهذا إختيار الإمام الطبري (٣).

وقال الزمخشري في الآية : فيه وجهان :

(أحدهما : أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوق للأبد

والثاني : أن يكون عبارة عن التأبيد ونفي الإنقطاع) (٤)

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (والسابع : يزول عذابها ويخرج أهلها منها، جاء هذا عن بعض الصحابة أخرجه عبد بن حميد في تفسيره من رواية الحسن عن عمر . وهو منقطع ولفظه: لو لبث أهل النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه، وعن ابن مسعود ليأتين عليها زمان ليس فيها أحد وقال عبيدالله بن معاذ معلقا : كان أصحابنا يقولون: يعني به الموحدين . قلت : وهذا الأثر عن عمر لوثبت حمل على الموحدين) (٥).

يقول العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره لقوله تعالى ﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات

١- ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ، تحقيق . إسماعيل الأنصاري توزيع دار الإفتاء ص ٤٩

٢- سورة هود آية (١٠٧)

٣- أنظر : تفسير الطبري ١٢/ ١١٧ سورة هود آية (١٠٧)

٤- أنظر تفسير الزمخشري الكشاف ، ٤٣/٢. والقرطبي ٩٩/٩.

٥- الحافظ : أحمد بن حجر العسقلاني : فتح الباري جـ ١١، ص ٤٢٢

والأرض إلا ماشاء ربك﴾(١) أي خالدين فيها أبداً، إلا المدة التي شاء الله أبداً ألا يكونوا فيها كما قاله جمهور المفسرين ، فالإستثناء على هذا راجع إلى ماقبل دخولها، فهم خالدون فيها جميع الأزمان، سوى الزمن الذي قبل الدخول فيها)(٢).

وقد عقد الدكتور عمر سليمان الأشقر في كتابه اليوم الآخر (الجنة والنار) فصلاً بعنوان : النار خالدة لاتبيد وأورد فيه أقوال الأئمة من أهل السنة والجماعة وقال النار خالدة لاتفنى ولاتبيد، وأهلها فيها خالدون، ولايخرج منها إلا عصاة الموحدين، أما الكفرة والمشركون فهم فيها خالدون ....)(٣).
وقال الشيخ حافظ ابن أحمد الحكمي مؤلف كتاب معارج القبول :(البحث الثالث في دوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما ، وأنهما لاتفنيان أبداً ولايفنى من فيهما، ثم أورد الآيات الكريمات على أبدية الجنة والنار ثم قال فأخبرنا تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين ، لافكاك لهم منها ولاخلاص، ولات حين مناص ، فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبداً لايجدون وليا ولانصيرا﴾ (٤). ونفى تعالى خروجهم منها بقوله ﴿ وما هم بخارجين من النار﴾(٥)، ونفى تعالى إنقطاعها

١- سورة هود آية : (١٠٦، ١٠٧)

٢- عبدالرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان جـ٣ ، ص ٤٦١ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث والعلمية والإفتاء الرياض ١٤١٠هـ على نفقة الأمير سلطان بن عبدالعزيز .

٣- د.عمر الأشقر : اليوم الآخرة الجنة والنار ص ٤١ نشر مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ

٤- سورة الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥

٥- سورة البقرة آية (١٦٧)

عنهم بقوله ﴿ولايخفف عنهم من عذابها ﴾ (١)، وقوله تعالى ﴿ لايفتّر عنهم ﴾ (٢).
ونفى فناءهم فيها بقوله عزوجل ﴿ لايموت فيها ولا يحي ﴾ (٣)...)(٤).
وقال الشيخ محمد أحمد السفاريني عند شرحه الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية :

وأجزم بأن النار كالجنة في وجودها وأنها لم تتلف

وأجزم بأن النار (لم تتلف) أي لن تهلك ولن تبيد ، يعني أن النار لاتفنى ولايفنى أهلها كالجنة وما فيها - أي كما أن الجنة لاتفنى ولايفنى أهلها-(٥)
وقال الحافظ ابن كثير : (وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الإستثناء على أقوال كثيرة حكاها الشيخ ابن الجوزي ، وغيره من علماء التفسير ، ونقل أيضاً كثيراً منها الإمام أبوجعفر بن جرير رحمه الله في كتابه واختار هو مانقله عن خالد بن معدن والضحاك وقتادة وابن سنان ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن أيضا أن الإستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، من الملائكة والنبيين والمؤمنين، حتى يشفعون في أصحاب الكبائر ، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من لم يعمل خيراً قط، وقال يوماً من الدهر لا إله إلا الله كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ بمضمون ذلك من حديث أنس وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة ولايبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولامحيد له عنها ، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديما وحديثا في تفسير هذه الآية أي قوله تعالى(فأما الذين

١- سورة فاطر آية : (٣٦)
٢- سورة الزخرف آية: (٣٦)
٣- سورة طه آية :(٧٤)
٤- حافظ أحمد حكمي : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد جـ ٢ ، ٢٣٩-٢٤٠ ، طبع ونشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى بدون تاريخ.
٥- محمد أحمد السفاريني : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية جـ ٢ ، ص ٢٣٢

شقوا ففي النار خالدين فيها..... الآية ﴾

وقد روى في تفسيرها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعبدالله بن عمرو وجابر وأبي سعيد وغيره من الصحابة، عن أبي مجاز والشعبي وغيرهما من التابعين، وعن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وإسحاق بن راهوية وغيرهما من الأئمة في أقوال غريبة....)(١).

ويقول الإمام الشوكاني : فأما الذين سبقت لهم الشقاوة فمستقرون في النار لهم فيها زفير وشهيق وقد اختلف العلماء في بيان معنى هذا التوقيت في قوله تعالى ﴿ خالدين فيها مادامت السموات والأرض ﴾[٣]، لأنه قد علم بالأدلة القطعية تأبيد عذاب الكفار في النار وعدم إنقطاعه عنهم، وثبت أيضا أن السموات والأرض تذهب عند إنقضاء أيام الدنيا، فقالت طائفة : إن هذا الإخبار جار على ماكانت العرب تعتاده، إذا أرادوا المبالغة في دوام الشيء، قالوا هو دائم مادامت السموات والأرض ومنه قولهم: لا آتيك ماجن ليل، وما اختلف الليل والنهار، وماناح الحمام، ونحو ذلك، فيكون معنى الآية، أنهم خالدون فيها أبداً لا إنقطاع لذلك ولا إنتهاء له، وقيل أن المراد سموات الآخرة وأرضها، فقد ورد مايدل على أن للآخرة سمواتٍ وأرضاً غير هذه الموجودة في الدنيا، وهي دائمة بدوام دار الآخرة(٢).

الخلاصة : في أبدية النار:-

مما سبق تبين لنا أن القائلين بأبدية النار أدلتهم قوية ومتضافرة من القرآن

١- الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ، ص ٤٦١ تفسير سورة هود آية (١٠٧) طبعة دار الفكر، وانظر معالم التنزيل في التفسير والتأويل للإمام البغوي جـ٣ ، ص ٢٤٣ طبعة دار الفكر .

٢- أنظر : تفسير فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية في علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني جـ٢ ، ص ٥٢٥

٣- سورة هود آية (١٠٧)

والسنة وآراء السلف الصالح وغيرهم وهو الذي يدل عليه ظاهر النصوص ، وينبغي التسليم لذلك، أما أدلة القائلين بفناء النار فإنه يحمل بالتأكيد على فناء نار الموحدين من أهل المعاصي الذين يخرجهم الله تعالى برحمته وشفاعة الشافعين من أنبيائه وعباده الصالحين وعلى هذا القول يحمل أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم، ولايمكن بحال من الأحوال أن تحمل أقوالهم على فناء النار بأكملها وأن أهل النار جميعهم يخرجون منها إلا إذا ولج الجمل في سم الخياط.

ثم بعد هذا كله فإنه ينبغي للمؤمن أن يفوض ويسلم الأمر إلى الله تعالى وإلى إرادته ومشيئته فهو سبحانه الفعال لما يريد ، ولايسأل عما يفعل والعبيد كلهم يسئلون ، لكن حكم أهل السنة والجماعة بأبدية الجنة والنار نابع من فهمهم وعلمهم لأدلة القرآن والسنة ، ثم هناك أمر آخر وهو أننا لو تركنا الفرصة للقول بخروج أهل النار جميعهم من النار لكان ذلك ترخيصا وتلميحا للكفرة والملحدين والزنادقة وغيرهم بأنهم سيدخلون الجنة ويخرجون من النار وعلى هذا فيصدق قولهم بأنهم لن يمكثوا في النار إلا أياما معدودة وقد رد الله تعالى على هذه الآمال وعلى هذه الآمال فقال تعالى ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.، ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾(١).

وهذه الآيات ظاهرة الدلالة على خلود الفريقين أهل الجنة وأهل النار ولافرق بين خلود أهل النار في النار وخلود أهل الجنة في الجنة وهذه الآيات صريحة في الدلالة على أبدية أهل النار وأبدية أهل الجنة وهذا الذي أميل إليه مع تظافر وتعاضد بقية الأدلة من الكتاب والسنة ، وأقوال أهل العلم من

١- سورة البقرة آية (٨٠-٨٢)

السلف والخلف من أهل السنة والجماعة.

أما ما أشار إليه الباحث / فيصل عبدالله ، في رسالته المقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى سنة ١٣٩٩هـ والذي ذهب إلى القول بترجيح رأي من قال بفناء النار وعذابها بعد إنقضاء المدة، وأن هذا هو الذي يتفق مع رحمة الله تعالى فهو أيضا قول فيه من الغموض الشيء الكثير.

فإن أراد أهل التوحيد فمن رحمة الله أن يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة وقد ثبت في السنة خروج آخر الناس من النار من أهل التوحيد الذي يعطيه الله عشرة أضعاف الدنيا(١)

ثم إن أراد بفناء النار فقط.فأي رحمة تتعلق في فناء النار ؟ أو بقاءها؟ فسواء أفناها أو أبقاها ليس في هذا من حرج لأنها مخلوقة خلقها الله سبحانه وتعالى، ثم هناك غموض آخر من الباحث حيث توقف عن مصير أهل النار إذا أفنى الله النار حيث قال : (وأما مصير أهلها بعد فنائها وإنقطاع العذاب عنهم فهو مما يجب التوقف فيه).

وهذا الذي ذهب إليه الباحث يدل على عدم إستيعابه للنصوص الواردة في بقاء النار وخلودها ، وخلود أهلها فيها بعد إخراج أهل التوحيد منها كما دلت السنة المستفيضة في هذا ، وخلود الجنة وخلود أهلها فيها.

وهذا من كمال حكمة الله تعالى وعدله حيث جعل الجنة وما فيها من النعيم المقيم الذي لايزول ولايحول ولايفنى داراً خالداً أبدياً سرمدياً لأوليائه.

وجعل النار وما فيها من العذاب دار البوار والقرار ودار الخلد لأعدائه وكتب الله في ذلك كتاباً قبل خلق السموات والأرض فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة جيئ من الأنصار فقلت يارسول الله طوبى لهذا ، عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل سوءا ولم يدركه فقال: (أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق للجنة أهلا، خلقهم لها وهم في

(١) أنظر تخريج الحديث في الرسالة ص ١٧٢

أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم)(١).

وصدق الله تعالى إذ قال : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾(٢).

وقد روى الإمام أحمد في مسنده فقال: حدثنا روح هو ابن عبادة حدثنا مالك وحدثنا اسحاق حدثنا مالك عن يزيد بن أبي أنيسه أن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار والجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ... ﴾(٥) الآية فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال : (إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون) فقال رجل يارسول الله ففيم العمل ؟ قال رسول الله ﷺ ؟ ، إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار)(٣)، فإن قال قائل هذه الأحاديث وغيرها لاتدل على خلود أهل النار فيها ولاتدل على أبدية النار. فيقال له قد قال الله تعالى في كتابه ﴿ لايقضى عليهم فيموتوا ، ولايخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾(٤)، وقال تعالى : ﴿وما هم بخارجين من

١- أخرجه مسلم (٢٦٦٢) في القدر : باب حكم موت أطفال المسلمين، وأبوداود (٤٧٣)، والنسائي، ٢٥٧/٤، وابن ماجه ٨٢، وأحمد، ٤١/٦، ٢٠٨.

٢- سورة الأعراف آية (١٧٩)

٣- الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني : أحمد عبدالرحمن البنا، جـ١٤٥/١٨، رقم (٢٧٩)، جـ٣٠/٢٠ رقم (٩٥)، ط/دار الحديث- القاهرة.

٤- سورة فاطر آية : (٣٦)

٥- سورة الأعراف آية : (١٧٢)

النار ﴾(١)، ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾(٢).

وقال ﷺ : في ذكر ذبح الموت بين الجنة والنار فينادى مناد فيقول : (يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلاموت)(٣) فكيف يقال لأهل النار بالخلود مع فناء النار ؟ وبطلانه ظاهر واضح .

فله سبحانه الحكمة الكاملة يهدي من يشاء وييسر لهم أسباب الهداية والإستقامة ، ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته، و يضل من يشاء، ويمنع عنهم الهداية وأسبابها ويدخلهم النار كل ذلك بمقتضى عدله سبحانه وتعالى وله الحمد سبحانه في الحالين فكل خير ورحمة وفضل منه منّة وتكرماً، وكل عذاب وعقاب وحرمان منه عدلاً وحقاً ولايظلم ربك أحدا وهو أعلم بالشاكرين.

﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾(٤).

ويظهر لي أن الباحث قد تبع آراء ابن قيم الجوزية التي كان يقول بها ثم رجع عنها في كتبه التي صنفها في آخر حياته، في فناء النار كما ذكره ابن قيم الجوزية في كتبه مثل حادي الأرواح والصواعق، وشفاء العليل، ولم يراجع الباحث بقية كتبه التي رجع عنها من القول بفناء النار.

والحقيقة ليس هذا رأي الباحث فقط ، فقد تبعه آخرون في هذا المسلك ممن يظن أن هذا هو قول ابن قيم الجوزية، بل ربما تعدى ذلك وقال بل هو رأي شيخه واستاذه شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، والنصوص السابقة عن الشيخ وتلميذه يدحض حجج هؤلاء المتهمين لهذين الشيخين مع جلالة قدرهما وعظيم منزلتهما وعلمهما.

١- سورة البقرة آية (١٦٧)

٢- سورة الحجر آية (٤٨)

٣- أخرجه البخاري ، انظر تخريج الحديث ص ٤٧٤، من الرسالة.

٤- سورة الأنعام آية (٥٣)

ثم مع هذا فإن الخطأ وارد بعد عصمة رسول الله ﷺ على أي شخص كان ولكن ديننا علّمنا أن من اجتهد فأخطأ له أجر ، ومن اجتهد فأصاب فله أجران ولكن الذي ثبت عنهما غير ذلك فقد اتفقا الشيخ وتلميذه بالقول بأبدية النار وخلود أهلها فيها كما هو الحال في الجنة وخلود أهلها فهما داران لايفنيان كما سبق أن أشرنا إلى بعض نصوصهما ولكن الذي أشير إليه هو أنه يجب على القارئ والباحث التأمل والتأني في القراءة وفي النقل حتى يستطيع أن يفرق بين ما يسطره الشيخ أحمد بن تيمية من أقوال الفرق الكلامية، وبين ما يتبناه ويعتقده، فهذا الأمر يجب أن يعلم ويتفطن له.

وبهذا نختم هذا المبحث والذي نخرج منه بأمور منها:-

- إعتقاد أهل السنة والجماعة بأبدية أفعال الله تعالى كما هي أزلية؛ ليس بمعنى مقارنة العلة لمعلولها، بل بمعنى قدم الجنس وحدوث الأفراد. لأنه هو الفعال وحده سبحانه وتعالى، وهو الباقي وله الدوام وحده وما دام هو الباقي وهو الحي والصمد، فأفعاله باقية ببقاء الله سبحانه وتعالى لايمنعه من فعله أحد.

أما آحاد أفعاله والتي هي حادثة كالعلم وما فيها وكالسموات السبع وكالجنة والنار وغيرها فهي تحت تصرفه وتدبيره، وأمره ومشيئته فما أراد الله له البقاء أبقاه وكتب له البقاء كالجنة والنار، وما أراد له الفناء والزوال والانتهاء فهو فان ومنتهي بأمره سبحانه وتعالى له بالفناء كالسموات والأرض ومن فيهما إلا من شاء الله له البقاء، القول ببقاء الجنة والنار وخلود الدارين وأهلهما هو قول جمهور السلف والخلف من أهل السنة والجماعة وهو الذي عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان.

أن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : لم يقل بفناء النار ولم يرد عنه شيء من ذلك ومن قال بذلك أو أحال إلى شيء من كتبه فذلك كذب ظاهر حيث لم يثبت عنه شيء من ذلك بل ليس له إلا قول واحد وهو القول بأبدية النار والجنة كما أثبتنا ذلك من جملة كتبه ومقالاته التي اطلعنا عليها وإن كان هناك شيء قد أثبت فيه

القول بفناء النار فإنا لم نجده ولم نطلع عليه مع أنه يناقض ماصرح به فيمانقلنا عنه، في مناقشاته مع الجهمية وغيرهم من القائلين بفناء النار، وقوله رحمه الله بأن هذا الأمر ليس مما أجمع عليه المسلمون بل هو قول منفرد عنهم.

أما ماذكره أبوبكر الحصيني الدمشقي (١).

وكذلك ما ذكره العلامة محمد بن إبراهيم ابن الوزير (٢)، وكذلك ما أشار إليه الحافظ ابن حجر (٣)، وما ذكره أيضا محمد بن إسماعيل الصنعاني (٤) من إتهامهم جميعا لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية وكذلك تلميذه ابن قيم الجوزية فهي إتهامات باطلة لأن النصوص الصريحة عنهما قد أثبتت قولهما بأبدية الجنة

١- دفع شُبَه مَنْ شَبَّه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد، لأبي بكر الحصيني ص ٥٧-٦٠ طبعة الحلبي سنة ١٣٥٠هـ مصر - القاهرة

٢- انظر العواصم والقواصم للإمام محمد بن إبراهيم ابن الوزير جـ٣ ص ٢٩٩، والمقصد الأسنى للغزالي ص ٦٧-٦٩ ، تحقيق د.فضل شحاته حيث انتصر الغزالي قول القائلين بفناء النار وذكر حججهم ، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢١٦ وما بعدها

٣- أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني جـ١١ ص ٤٢٢ حيث قال وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول - أى بزوال عذاب النار وخروج أهلها - ونصره بعدة أوجه من جهة النظر وهو مذهب رديء مردود على قائله...

٤- أنظر رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ص٤ تحقيق الألباني طبعة الكتب الإسلامي الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ ، وصاحب الفتوحات الإلهية سليمان بن عمر العجلي الشافعي ص ٤٢٥ جـ ٢ الحلبي . ومحقق كتاب الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لإسماعيل بن محمد الأصفهاني جـ هامش ص ٢٦٣ وهي رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى ، وكشف الأستار في إبطال كلام من قال بفناء النار للإمام الشوكاني وكلام الشيخ شعيب الأرناؤوط، فى تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٢ وغيرها من الكتب والمقالات التي حملت الرد المباشر أو الغير مباشر إما تلميحا أو تصريحا على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وتلميذه الحافظ ابن قيم الجوزية وقد أثبتنا براءتهما من هذه الأقوال والله الحمد والمنة..

والنار مع أن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ليس له نص صريح في القول بفناء النار فعلم من ذلك أن إتهاماتهم جميعها باطلة ويدخل في هذا ماذكره الشيخ محمد ناصر الألباني في مقدمته لكتاب الأمير الصنعاني، والنصوص الصريحة الثابتة تبطل ما ذكر عنهما ولله الحمد والمنة في ذلك أولاً وآخراً.

ثم مع هذا فقد ألف الدكتور على بن على الحربي رسالة بعنوان (كشف الأستار لإبطال إدعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية) أثبت فيها المؤلف براءة شيخ الإسلام وتلميذه عن القول بفناء النار والعجيب في الأمر أن هؤلاء الذين اتهموا شيخ الإسلام بذلك لم يراجعوا كتبه وخاصة في مناقشاته مع المتكلمين القائلين بفناء النارو الجنة، كالجهم بن صفوان وغيره.

فكيف ينكر عليهم ثم هو يقول بذلك على فرض صحة إتهامهم ؟ إذاً شيخ الإسلام أحمد بن تيمية لايقول أبداً بفناء النار وسيظهر لنا هذا أكثر في المبحث القادم في مناقشاتنا مع القائلين بفناء الجنة والنار وحركاتهم .

أما ماحكاه عنه تلميذه بأن لشيخه كلام مستفيض في هذا الأمر، فهو لم يقل بأن شيخه يقول بفناء الجنة والنار، أو بفناء النار فقط لانفياً ولا إثباتاً . أما الورقات الثلاث التي وجدت ضمن كتاب رفع الأستار للصنعاني فهي لكاتب مجهول من خطوط القرن الحادي عشر الهجري فلا تعتبر من مصنفات شيخ الإسلام أحمد بن تيمية لانتفاء الشروط المنهجية والبحث العلمي. ومع فرض صحة نسبة تلك الورقات إلى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية فإنها في الرد على من قال بفناء الجنة والنار، وهذا ما أكد عليه صاحب العقود الدرية من أن شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية له كتاب أو قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار (١)، ثم مع هذا فالأمر فيه قولان لأهل السنة والجماعة، وقد قلت أن من قال بفناء النار منهم إنما يحمل قولهم على فناء نار الموحدين، وخروجهم منها برحمة الله تعالى كما دلت عليها النصوص والآثار. والذي أجزم به أن شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية لايقول بفنا النار أبداً لأنه يناقش الجهمية وغيرهم،

١- انظر: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية: للشيخ ابن عبدالهادي ص ٤٩

ويرد عليهم في قولهم بفناء الجنة والنار، فكيف يأتي الشيخ بنفسه ثم يثبت ما أنكره ورد عليهم؟ وفي هذا القدر كفاية وإشارة لأولي الألباب والله أعلم.

وأما ماذكره ابن قيم الجوزية من القول الأول على أبدية الجنة وفناء النار فهو لابن قيم الجوزية، وليس لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

وفي الحقيقة أردنا بهذا التعليق: خصوم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الذين يزعمون بين الفينة والأخرى بأنه قال بفناء النار فيها فأردنا إبطال ذلك ونحن نطالب بالدليل إلى الآن بصحة دعواهم هذه التي لابينة لهم فيها ولابرهان.

وهذا بالطبع مردود عليهم، والبراءة للشيخ رحمه الله تعالى.

وناتي الآن إلى الخلاصة :-

- بطلان قول من قال أن الجنة والنار غير موجودتان الآن، لأن وجودهما الآن عبث لأنهما ستفنيان يوم القيامة لقوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ (١) وقد رد أهل السنة والجماعة على هؤلاء بأن المراد بقوله ﴿كل شيء هالك﴾(٢) أي مما كتب الله عليه الفناء وأما الجنة والنار والعرش والقلم، وغيرها لم يكتب لها الفناء.

- بطلان الأقوال الستة التي ذكرها المصنفون في تفسيرهم لقوله تعالى ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾(٣) .

وخاصة منهم من قال بفناء النار وبقية الأقوال الأخرى والتي سنتكلم عن بعضها بالتفصيل في مبحث المتكلمين في أبدية الجنة والنار . ونقف في هذا المبحث إلى هنا والله تعالى أعلم.

١- سورة القصص آية (٨٨)

٢- سورة القصص آية (٨٨)

٣- سورة الهود آية (١٠٦)

المبحث الثاني : رأي المتكلمين في أبدية الجنة والنار ومناقشتهم .

ويشتمل على مطلبين:-

المطلب الأول : عرض رأي المتكلمين في أبدية الجنة والنار.

المطلب الثاني : مناقشة رأي المتكلمين في أبدية الجنة والنار.

المطلب الأول : عرض رأي المتكلمين في أبدية الجنة والنار:-

لقد ذهب المعتزلة والأشاعرة إلى القول بأبدية أفعال الله تعالى دون الأزلية ولهذا منعوا التسلسل في الماضي(١) كما سبق أن مر معنا في التسلسل في أفعال الله تعالى.

وتجويزهم التسلسل في المستقبل دون الماضي موضع تساؤل كبير فإذا كانوا لايجوزن في الماضي لأنها تستلزم الأزلية فكيف يجوزونه في المستقبل وهي تستلزم الأبدية والدوام السرمدي الأبدي للأفعال الإلهية التي يسمونها حلول الحوادث بذاته تعالى، والعلة في المنع والجواز واحدة ؟ حيث أنها تستلزم صفات القديم من الأبدية والأزلية بناءاً على مصطلحاتهم ، وهذا الأمر كاف في تناقض قولهم بجواز تجدد أفعاله تعالى في الماضي دون المستقبل، وهذا هو ما احتجت به الفلاسفة عليهم وغيرهم كما سبق أن ذكرنا.

أما الأمر الآخر وهو رأيهم في الأفعال الحادثة الكائنة بعد عدم كالجنة والنار فإنهم قد اتفقوا على ماجاء في القرآن والسنة من عدم أو انقضاء ودوام أبدية الجنة وأهلها إلا من شذ منهم ، أما دوام النار ودوام أهلها بما فيهم أهل التوحيد من العصاةفقد اختلفوا فيهاولكل فرقة رأيها فمنهم من قال بخلود أهل التوحيد في النار، فليس في كتاب الله كما يزعمون إلا مؤمن وكافر، فالمؤمن يستحق الثواب والفوز والجنة بعمله، والكافر يستحق العقاب والعذاب نتيجة فعله ومخالفتة لأمر ربه. (٢)ومن المعتزلة من انفرد منهم أيضاً بفناء الجنة والنار أي القول

١- أنظر: المغني في أبوب التوحيد والعدل للقاضي عبدالجبار جـ ٤ ص ٢٧٧ تحقيق د. مصطفى حلمي، غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص ٣٠٢-٣٠٣، الرسالة ص ٣٣٥-٣٥٥، ٤٠٧ - ٤٦٢.

٢- أنظر: المغني في أبوب التوحيد والعدل للقاضي عبدالجبار جـ ٤ ص ٢٧٧ تحقيق د. مصطفى حلمي.

بعدم الأبدية وعدم دوام أفعال الله تعالى كما ذهب أبو الهذيل العلاف فيما وصلنا عنه من آراء في هذه القضية والعمدة في هذا عمن كتب أو نقل عنه أو ممن سمعه والله تعالى أعلم على مامات عليه وإنما نكتفي بما وصلنا عنه في كتب الفرق.

يقول الشهرستاني : (إن مما انفرد به أبو الهذيل عن سائر المعتزلة قوله : (إن حركات أهل الخلدين تنقطع، وإنهم يصيرون إلى سكون دائم خمودا، وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة ، وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار ...) (١). وقال الإمام الأشعري : وقال أبو الهذيل العلاف بانقطاع حركات أهل الجنة والنار وأنهم يسكنون سكوناً دائما)(٢).

بل إن هذا الرأي وهو القول بفناء الجنة والنار وفناء حركات أهلهما قد سبق إليه غير أبي الهذيل ألا وهو الجهم بن صفوان ثم تبعه أبو الهذيل وغيره وقد أخذ الجهم هذا القول عن شيخه الجعد بن درهم.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : (نعيم الجنة وعذاب النار دائمان مع تجدد الحوادث فيهما، وإنما أنكر ذلك الجهم بن صفوان، فزعم أن الجنة والنار تفنيان، وأبو الهذيل العلاف زعم أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع ويبقون في سكون دائم، وذلك لأنهم لما اعتقدوا أن التسلسل في الحوادث ممتنع في الماضي والمستقبل قالوا هذا القول الذي ضللهم ....)(٣).

ولأجل هذا أيضاً ذهب إلى القول بأن أفعال الله تعالى لها آخر. يقول الإمام

١- الملل والنحل للشهرستاني : جـ١/ ص ٥٤، وأما بقية الكلام عن مذهب أبي الهذيل فانظر في : لسان الميزان للذهبي ٥/٤١٣-٤١٤، ابن خلكان ٣/٣٩٦، تاريخ بغداد. ٣/٣٦٦-٣٧٠، والفرق بين الفرق ٧٣ - ٧٩، المقالات ١/٢١٧، ٢٢٤، ٢٢٥، على مصطفى الغرابي : أبو الهذيل العلاف ١٩٤٩

٢- مقالات الإسلامية : أبو الحسن الأشعري : ج ٢ ، ص ١٦٧، وانظر : اصول الدين للرازي ص ٢٣٨، والفصل لابن حزم ٤/٨٣ وما بعدها ، وشرح المواقف للجرجاني جـ٨، ص ٣٠٤

٣- منهاج السنة النبوية جـ١ ص ١٤٦.

الأشعري : (واختلفوا أيضاً هل لأفعال الله سبحانه آخر أم لا آخر لها ؟ على قولين :

فقال : جهم بن صفوان : لمقدورات الله تعالى ومعلوماته غاية ونهاية ولأفعاله آخر، وأن الجنة والنار تفنيان ويفنى أهلهما حتى يكون الله سبحانه آخراً لاشيء معه كما كان أولاً، لاشيء معه...)(١)وقد استدل الجهم بن صفوان على القول بفناء الجنة والنار بالأدلة من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى ﴿هو الأول والآخر﴾(٢) الآية . وفسرها بأن يكون الله تعالى آخراً لاشيء معه كما كان أولاً لاشيء معه.

واستدل أيضا بقوله تعالى ﴿ خالدين فيها أبدا مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك .. (٣)﴾ .

وفسر الخلود في الآيتين على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد كما يقال خلد الله ملك فلان، فالآية اشتملت على الشريطة والإستثناء بالنسبة للنعيم والعذاب، أما الخلود والتأبيد فلا شرط فيه ولا استثناء (٤).

وقد ذهب ابن حزم بأن بعض الرافضة شاركت جهماً في القول بفناء الجنة والنار لكن كتب الفرق والمقالات لم تكتب عن ذلك شيئاً. وعلى كل حال فإننا سندرس هذه الفكرة ونناقشها على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد تبين لنا أن القائلين بفناء الجنة والنار وحركات أهلها هما الجهم بن صفوان وأبوالهذيل العلاف، أما القائلين بتأبيد أهل النار فيهاعامة بالإضافة إلى الفاسقين من أهل التوحيد فإن هذا ما أجمعت عليه المعتزلة ونحن سنناقش هاتين الشبهتين وغيرهما فيما يأتي .

١- مقالات الإسلامية جـ١ ، ص ٢٤٤

٢- سورة الحديد آية رقم (٣)

٣- سورة هود آية رقم (١٠٨)

٤- أنظر الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل ص ٣٨- ٣٩، مقالات الإسلامية جـ١ ص ٣١٢، الفرق بين الفرق ص ١٢٨، الفصل جـ٤ ص ٨٣، التبصير في الدين ص ٩٦، شرح حديث النزول ص ١٥٩.

المطلب الثاني : مناقشة رأي المتكلمين في أبدية الجنة والنار: -

لقد لاحظنا من خلال أقوال كتاب الفرق والمقالات وغيرهم ممن أثبتوا عنهم القول بفناء الجنة والنار كالجهم بن صفوان وأبو الهذيل العلاف وغيرهم كالرافضة وأتباعهم و عمدتهم في الإستدلال على حدوث الأجسام وحدوث مالم يخلو من الحوادث، ولذلك نفى هؤلاء دوام الحوادث ودوام تسلسلها في الماضي والمستقبل وإذا كان أبو الهذيل العلاف قد وافق الجهم على هذا المبدأ إلا أنه أضاف فناء الحركات لكونها متعاقبة شيئاً بعد شيء.

وهذا الكلام ظاهر فساده وبطلانه، لأنه يؤدي إلى إمتناع حدوث العالم وهو حادث.

ومعلوم أن الحادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثا، فلا بد أن يكون ممكنا والإمكان ليس له وقت محدود، وما من وقت يقدر إلا والإمكان ثابت فيه وليس لإمكان الفعل وجوازه وصحته مبدأ ينتهي إليه، فيجب أنه لم يزل الفعل ممكنا جائزاً صحيحا.

فيلزم أنه لم يزل الرب قادرا عليه، فيلزم جواز حوادث لانهاية لها في الأزل وفي الأبد.

وإذا ثبت التسلسل في الحوادث، فإنه كما سبق أن ذكرنا أن لفظ التسلسل مجمل، لم يرد نفيه ولا إثباته في النقل الصحيح، لكن يستفصل عن مراد قائله، وقد علمنا أن التسلسل منه ماهو واجب، ومنه ماهو ممتنع، ومنه ماهو ممكن وجائز سواء كان في الماضي أو في المستقبل .

أما التسلسل الواجب : فهو مادل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب سبحانه وتعالى في الأبد كما هو في الأزل.

ومن ذلك دوام نعيم أهل الجنة ، وكلما انقضى لهم نعيم أحدث لهم نعيماً آخر لانفاد له.

ولذلك قال تعالى واصفاً نعيم الجنة وثمراتها وطعامها﴿مثل الجنة التي وعد

المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾(١).

ومعلوم أن أفراد وآحاد الطعام والأكل منتهٍ وفان فكيف يقول تعالى أكلها دائم وظلها ؟

فثبت أن المراد بالدوام إنما هو نوع وجنس الأكل والطعام والنعيم والراحة والسكون والظل كما قال تعالى ﴿وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة ﴾ (٢).

وكما قال تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا﴾(٣)

ثم الأمر الآخر وهو أن الإدعاء بفناء الجنة والنار وفناء أهلهما ينقضه الدليل العقلي والنقلي، فمن حيث الدليل النقلي فقد تواترت النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية على دوام وأبدية الجنة والنار وأهلهما وقد ذكرنا أكثرها في المبحث السابق ، فلا يوجد دليل واحد على فناء النار، أو فناء الجنة لاتلميحا ولا تصريحا.

أما من ناحية العقل : فلا خلاف بأن فناء الجنة والنار أو عدم فنائهما يرجع إلى إرادة الله تعالى ومشيئته سبحانه فهو الفعال لما يريد ، فله الأمر أولاً وآخراً.

وقد علمنا أن أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا يذهبون إلى القول بأبدية الجنة والنار وأهلهما، ولهذا اشتد إنكار السلف على هؤلاء المبتدعة الذين يتطاولون على القرآن والسنة ويغترون بأدلتهم وشبهاتهم العقلية التي تبطلها الأدلة القطعية من القرآن والسنة ، وإجماع المسلمين.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمة : (.... ثم مالا يتناهى - أي من الأفعال

١- سورة الرعد آية (٣٥)

٢- سورة الواقعة (٣٢، ٣٣)

٣- سورة النساء آية (٥٧)

والحوادث - في المستقبل موجود باتفاق أهل الملة وعامة الفلاسفة، ولم ينازع في ذلك إلا من شذ كالجهم وأبي الهذيل ونحوهما ممن هو مسبوق بإجماع المسلمين محجوج بالكتاب والسنة مخصوم بالأدلة العقلية، مع مخالفة جماهير العقلاء من الأولين والآخرين) (١).

ولست الآن في صدد ذكر من اعترض أو رد على الجهم بن صفوان وأتباعه، وإلا فهناك الكثير من الردود أهمها رد الإمام أحمد بن حنبل على الجهمية في هذه القضية وغيرها من نفي الصفات ودفع شبهة التشبيه والجسمية .

- أما شبهة المعتزلة والقائلين بخلود أهل الكبائر من أهل التوحيد فهي كما يلي :

لقد تبين لنا فيما سبق إنفراد أبي الهذيل العلاف بالقول بفناء الجنة والنار وفناء حركات أهلها . مع أن المعتزلة يعتقدون أن القادر لنفسه يجب أن لاتتناهى مقدوراته (٢).

وهنا نلاحظ أن جمهور المعتزلة يذهبون إلى القول بخلود أهل الكبائر من أهل التوحيد واستدلوا لذلك أدلة من القرآن الكريم.

وأدلتهم هذه التي استدلوا بها هي عامة لاتخرج من أمرين ، فإما أن هذه الآيات المراد بها خلود أهل الكفر والإلحاد في النار فضم هؤلاء إليها أهل الكبائر من الموحدين والمسلمين.

وإما أن هذه الآيات المراد بها الفاسقين وأهل الكبائر من الموحدين، فخالفوا جمهور المفسرين من أهل السنة والجماعة في تأويل تلك الآيات وفسروها على رأيهم وأطلقوا الخلود على أهلها وقالوا ليس في كتاب الله إلا مؤمن وكافر. ونحن فيما يلي نناقش هذه الأدلة التي أيدوا بها رأيهم:-

يقول القاضي عبدالجبار: (إن الفاسق يخلد في النار ويعذب فيها أبد الآبدين

١- موافقة صحيح المنقول لابن تيمية ج ٢ ص ١٢٣.

٢- المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبدالجبار: جـ٤ ، ص ٢٧٧.

ودهر الداهرين .....) (١). ثم أيد القاضي هذا الحكم بأدلة من القرآن الكريم فقال في قوله تعالى :-

﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما﴾(٢). ووجه الإستدلال عنده هو أنه تعالى بين أن من قتل مؤمنا عمداً جازاه الله جهنم خالداً فيها وعاقبه وغضب عليه ولعنه.... وفي ذلك ما قلناه (٣)، ويقول أيضاً: ويدل على أن قتل المؤمن على وجه التعمد يستحق به الخلود في النار ، ولايمكن حمل الكلام في الاية على الكافر إذا قتل متعمدا .... (٤) إلى آخر ما قال.

وقال أيضاً : في قوله تعالى ﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون﴾(٥).

(إن المجرم اسم يتناول الكافر والفاسق جميعا فيجب أن يكونا مرادين بالآية معنيين بالنار، لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه، فلما لم يبينه دل على أنه أرادهما جميعا، ويقول: الآية تدل على أن الوعيد بالخلود، لأنه لم يخص مجرماً من مجرم، وبين أنهم خالدون في النار، والخلود هو الدوام الذي لا انقطاع له)(٦).

وقال أيضاً عند قوله تعالى : ﴿وإن الفجار لفي جحيم﴾(٧): (الآية تدل على أن الفاجر وإن كان من أهل الصلاة فهو من أهل الوعيد ومن أهل النار، وأنه

١- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٦٦-٦٩٣

٢- سورة النساء آية (٩٣)

٣- شرح الأصول الخمسة ص ٦٥٩

٤- متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار جـ١ ، ص ٢٠١-٢٠٢ ، نشر دار النصر للطباعة سنة ١٣٨٦هـ، وشرح الأصول الخمسة ص ٦٥٩، وانظر ما قاله الزمخشري في خلود أهل الكبائر في تفسيره جـ٤ ص ٤٣٠، ٤٣١، وقد رد عليه الإمام الشوكاني في تفسيره جـ٢ ص ٥٢٧-٥٢٨

٥- سورة الزخرف آية (٧٤)

٦- متشابه القرآن جـ٢ ص ٦٠٩

٧- سورة الانفطار آية (١٤)

إذا لم يتب ومات على ذلك فهو في الجحيم لايغيب عنها، وذلك يدل على الخلود، لأنهم إذا لم يغيبوا عنها ولالحقهم موت وقتها فليس إلا العذاب الدائم)(١).

- أما الرد على هذه الآراء فإنه يقال لهم فيها :

أولاً : الآيات التي استدل بها المعتزلة على خلود أهل الكبائر جميعها محمولة على الكفار، فحملها على الموحدين قول باطل ولا دليل عليه. مع الجرأة في الحكم على أمر راجع إلى الله تعالى بالخلود لأهل الكبائر أبد الآبدين ودهر الداهرين وهذا يتنافى مع رحمة الله تعالى وفضله لأهل المعاصي من الموحدين مع أن من مات من أهل الكبائر من غير توبة أجمع أهل السنة والجماعة أن أمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه بعدله، وإن شاء رحمه وغفر له وأدخله الجنة برحمته والله تعالى يقول ﴿ولله مافي السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾(٢).

يقول الإمام البغوي : (أتفق أهل السنة على أن المؤمن لايخرج عن الايمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل منها شيئاً فمات قبل التوبة لايخلد في النار، كما جاء به الحديث ، بل هو إلى الله ، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته)(٣).

ثم مع هذا فنحن نأتي لكل آية من الآيات التي استدل بها القاضي عبدالجبار المعتزلي وننظر رأي المفسرين من أهل السنة والجماعة هل قالوا بما قال به المعتزلة أم لا ؟، الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا .... ﴾ الآية .

١- متاشبه القرآن جـ٢ ، ص ٦٨٢

٢- سورة آل عمران آية (١٢٩)

٣- شرح السنة البغوي جـ١ ص ١٠٣، وانظر ما ذكر في هذا الأمر في كتاب : عقيدة السلف أصحاب الحديث للشيخ الصابوني ص ٧١-٧٢، تفسير الإمام الطبري جـ٥، ١٢٦، فتح القدير للشوكاني جـ٢ ص ٥٢٧، لوامع الأنوار للسفاريني جـ١ ص ٣٧٩، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٧ لابن أبي العز، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ١١ ص ١٨٤ وغيرها .

هذه الآية فيها الخلود في النار لمن استحل القتل ، ومن استحل ما حرم الله فهو كافر إجماعاً، والكافر مخلد والإمام القرطبي قد أسند قولا عن ابن عباس في معنى قوله تعالى (متعمداً) فقال : أي مستحلا لقتله، فهذا يئول إلى الكفر إجماعا، والكافر مخلد..)(١) وبهذا المعنى قال الطبري (٢).

يقول أبو السعود/ في تفسيره للآية : (ولا دليل في الآية للمعتزلة في قولهم بخلود عصاة المؤمنين في النار لما قيل أنها في حق المستحل...) ﴾(٣).

الآية الثانية والثالثة :

﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون ﴾ ، ﴿ وإنّ الفجار لفي جحيم ﴾(٤).

فيقال لهم فيها : إن المراد بالمجرمين هم الكفار كما قال الطبري : وهكذا في الآية الأخرى فالمراد بالفجار أيضاً هم الذين كفروا بربهم)(٥).

والذي يدل على ذلك قوله تعالى ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾(٦) فكيف تحمل هذه الآيات على أهل الكبائر من الموحدين ؟

ثم مع التسليم بأن هذه الآيات عامة في الخطاب وأنها ليست خاصة للكفار فإنه يقال للمعتزلة وأتباعهم إن هذه الآيات العامة قد خصصتها نصوص العفو والتوبة الدالة على خروج الموحدين من النار كقوله تعالى ﴿وهو الذي يقبل

١- تفسير القرطبي جـ١ ص ١٩٩.

٢- أنظر مختصر الطبري جـ١ ص ١١٩ للصابوني.

٣- تفسير أبي السعود جـ٢ ص ٢١٧.

٤- سورة الزخرف آية (٧٤) سورة الإنفطار آية (١٤)

٥- تفسير الطبري جـ٢٥، ص ٩٨، جـ٣٠ ص ٥٦، وانظر أيضاً رزاد المسير لابن الجوزي جـ٧ ص ٣٢٩، أبو السعود جـ٥ ص ٤٩، وتفسير الفخر الرازي جـ٣ ص ١٧١.

٦- سورة عبس آية (٤٢)

التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾(١).

وهذا كله إن لم يتب صاحب الكبيرة، أما إن تاب ورجع فلا يخلد في النار أبداً بل لايدخلها أبداً كما قال تعالى ﴿والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما* يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا* إلا من تاب ... ﴾(٢) الآية .

ثم مع هذا فإن القائل بخروج أهل الكبائر من النار هو نبينا محمد ﷺ الذي لاينطق عن الهوى وقد تواترت عنه الأخبار بذلك كما بينا ذلك بما لايدع مجالاً للشك فما حكم من أنكر قول الرسول ﷺ وتطاول عليه؟ واغتر بما عنده من شبهات وآراء فاسدة إلا العقاب الشديد جزاء ما اقترف لسانه وقلمه ولم يرجع عن غوايته مع معرفته الهدى والنور.

ثم من الغرابة جداً أن ترى إختلاف فرق المعتزلة بعضهم مع بعض، فكيف يقولون بأبدية أهل النار وخلود أهل الكبائر فيها، ومنهم من يقول بفناء النار وأهلها وفناء الجنة وأهلها؟

ثم أيضاً كيف يحكمون بخلود أهل الكبائر أبد الآبدين ودهر الداهرين بمعنى تجويزهم تسلسل أفعال الله تعالى إلى مالانهاية في المستقبل ثم ينكرون تسلسل أفعال الله تعالى إلى ما لابداية له في الماضي ؟

والشبهة والمحذور والعلة واحدة في المستقبل وفي الماضي ؟

والحقيقة التي يمكن أن نختم بها حديثنا في هذا المبحث هو تذبذب فرق النفاة لإثبات قيام الأفعال الإختيارية وحلولها بذات الله تعالى مع أنهم يثبتونها

١- سورة الشورى آية (٢٥).

٢- سورة الفرقان آية (٦٨-٧٠)

وهم لايشعرون بها وهي ظاهرة في مباحثهم وكلامهم كتجويزهم الأحوال والنسب والإضافات وغيرها...

وقد أثبتنا ولله الحمد في هذا البحث صحة مذهب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة حول أبدية الجنة والنار وأبدية أهلهما بعد خروج الموحدين منها وحكينا إتفاق أهل السنة والجماعة على ذلك على ضوء آيات الكتاب وأحاديث السنة النبوية المطهرة الأمر الذي نستطيع الخروج به وهو صحة اعتقاد أهل السنة والجماعة من إثبات أبدية أفعال الله تعالى وصحة حلول الأفعال الإختيارية به أزلاً وأبداً.

كما يليق ذلك بجلال الله وعظمته على حسب ما ثبت في القرآن والسنة غير متنطعين بأهوائنا ولا ممثلين ولا مشبهين ولامعطلين ولا محرفين.وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد النبي الأمي وعلى آله وأزواجه وذرياته وأهل بيته والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . والله تعالى أعلم.

الخاتمة

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه، أما بعد.

فقد وفقني الله تعالى بمنه وفضله وكرمه على إتمام موضوعات هذه الرسالة، وأود في هذه الخاتمة أن أعرض باختصار أهم النتائج والفوائد التي توصلت إليها وخرجت بها بعد هذه الدراسة. وهي كالتالـي :-

١) بينت الرسالة معنى أهل السنة والجماعة وهم الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبينت أيضا معنى السلف الصالح ومن هم؟ وبينت معنى أهل الحديث والسنة ومن هم ؟ وبينت كذلك تاريخ نشأة مصطلح أهل السنة والجماعة وهل هو قديم أم حديث؟ .

٢) بينت الرسالة أهم دعائم أهل السنة والجماعة في تقرير أمور العقائد والأسماء والصفات والأفعال من الإعتقاد والعلم والفهم والعمل ظاهراً وباطناً بما ورد في القرآن والسنة.

٣) أثبتت الرسالة صحة اعتقاد أهل السنة والجماعة في أن الشهادتين هما أول الواجبات على المكلفين في الايمان بالله تعالى أما النظر والمعرفة فهو أول واجب عند من لا يتحقق الايمان إلا به كمثل من انحرفت فطرته.

٤) أثبتت الرسالة فساد منهج المتكلمين في الايمان بالله تعالى في المسائل والدلائل، واعتمادهم النظر كأول واجب على المكلفين عامة.

٥) أثبتت الرسالة فساد مذهب الدهريين الذين حرفوا ونفوا الصفات الأزلية والأبدية لله تعالى وصرفوها للمادة والطبيعة.

٦) أثبتت الرسالة فساد مذهب المانوية، والثانوية الذين حرفوا ونفوا الصفات الأزلية والأبدية لله تعالى، وصرفوها للنور والظلمة.

٧) أثبتت الرسالة البواكير الأولى لتاريخ ظهور الإنحراف في أفعال الله تعالى، والمبالغة فيها ما بين الإثبات والنفي، حتى تكونت الفرق الكلامية وغيرها.

٨) أثبتت الرسالة خطأ مذهب الفلاسفة المعتقدين بأزلية وأبدية أفعال الله تعالى بناءاً على قدم العالم وقدم الفاعل والمفعولات وتصورهم الله تعالى كالعلة مع معلولها وسلبهم عنه القدرة والإختيار والإرادة والمشيئة وسائر الصفات والأفعال.

٩) أثبتت الرسالة بطلان مذهب الفلاسفة في نفيهم قيام الأفعال الإختيارية بذات الله تعالى بالرغم من تمسكها بالأزلية والأبدية لأفعال الله تعالى عزوجل.

١٠) بينت الرسالة خطأ مذهب المعتزلة في نفيهم قيام الصفات والأفعال بذات الله تعالى، وتناقضهم في إثباتهم حدوث أفعال الله تعالى على معنى جواز إثبات النسب والإضافات والأحوال إلى الله تعالى، وابتداعهم القول بحدوث الإرادة التي لامحل لها في بيانهم سبب تأخير حدوث الفعل في الوجود.

١١) أثبتت الرسالة بطلان مذهب الأشاعرة في نفيهم قيام الأفعال الإختيارية بذات الله تعالى، ومتابعتهم للفلاسفة والمعتزلة في ذلك. مع تناقضهم في إثبات الأفعال المشتقة من الصفات العقلية وتجددها تحت مظلة التعلقات الحادثة والقديمة، واعتبارهم قضية تجدد الأفعال الإختيارية للذات الإلهية أموراً

إعتباريةً مجردةً لايترتب على وجودها مدح ولا على عدمها ذم، واختلافهم في إيمانهم للنصوص المثبتة للأفعال الاختيارية ثم تعرضهم في تأويلها وتحريفها وتعطيلها عن معانيها الأصلية إلى معان أخرى مرجوحة لاتقوم عليها قرائن شرعية ولا لغوية.

١٢) أثبتت الرسالة سبب وقوع الفلاسفة والمتكلمين في تعطيل أفعال الله تعالى والبعد عن منهج أهل السنة والجماعة ،واغترارهم بمصطلحات كلامية فلسفية أساسها قياس الشاهد على الغائب.
كاعتقادهم أن من أثبت الأفعال الاختيارية لله تعالى وأثبت تجددها يلزمه إثبات قيام الحوادث بذات الله تعالى ، ويلزمه إثبات حلول الحوادث بذات الله تعالى، ويلزمه إثبات حوادث لا أول لها -عند المتكلمين- ويلزمه إثبات الجهة والمكان والتحيز والتغير والحركة والسكون والحدوث وغيرها.....

١٣) بينت الرسالة صحة عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات دوام الفاعلية لله تعالى أزلاً وأبداً، وأن الفعل ليس مساوقاً لله تعالى كمساوقة العلة مع معلولها وليس هو حادثاً موجوداً بعد عدم بمعنى أن الفعل كان معدوما وأنه سبحانه كان معطلاً عن الفعل ثم أحدث الفعل.
بل دوام الفاعلية لله يعني أن الفعل جنسه قديم ونوعه حادث. فأفعاله وكلماته ومقدوراته ومعلوماته ومراداته لا نهاية لها في الأزل والأبد واعتقادهم هذا نابع من إيمانهم للأدلة الصحيحية الواردة في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾(١)، وقوله تعالى ﴿قل لو كان البحر

١-سورة لقمان آية (٢٧)

مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾(١) فإذا كانت أفعاله تعالى غير متناهية في جانب المستقبل فكذلك هي غير متناهية في جانب الماضي لأن ما امتنع عدمه في الأبد امتنع عدمه في الأزل، أما دليل تجدد الأفعال لله تعالى فمنها قوله تعالى : ﴿ يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ (٢) وقوله ﷺ : (إن الله لاينام ولاينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل.... الحديث) (٣) وغيرها الواردة في الرسالة.

وأما دليل فاعليةالله تعالى فقوله تعالى ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾(٤).

وأما دليل قدرة الله تعالى واختياره فقوله تعالى : ﴿وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة﴾ (٥).

١٤) أثبتت الرسالة جواز تسلسل أفعال الله تعالى من جانب الماضي والمستقبل عند أهل السنة والجماعة ، وأن الفعل يسبقه إرادة الله تعالى كما قال تعالى (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)(٦)، وإنما الممتنع هو تسلسل العلل والفاعلين والخالقين.

١٥) أثبتت الرسالة فساد من نفى التسلسل في أفعال الله تعالى في الماضي والمستقبل كالجهم بن صفوان وأتباعه، وكذلك فساد من انفرد بنفي تسلسل

١- سورة الكهف آية (١٠٩)

٢- سورة الرحمن آية (٢٩)

٣- صحيح مسلم أظر ص ١٦٨.

٤- سورة هود آية (١٠٧)

٥- سورة القصص آية (٦٨)

٦- سورة يس آية (٨٢)

الأفعال الإلهية في المستقبل دون الماضي كالمعتزلة والأشاعرة وبقية المتكلمين.

١٦) بينت الرسالة زيف شبهات المعترضين لرأي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في تجويزه إثبات الصفات والأفعال الإختيارية ومتابعته لأهل السنة والجماعة في القول بدوام فاعلية الله تعالى طبقاً لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويظهر هذا الوهن في أمور منها:-

أ) إنكارهم دوام أفعال الله تعالى إلى مالانهاية من جهة الماضي .

ب) إنكارهم لأفعال الله تعالى الواردة في القرآن والسنة، وإصرارهم على تأويلها وتعطيلها .

جـ) محاولتهم اليائسة في إثباتهم المجاز في أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته وأنها ليست على الحقيقة.

د) دفاعهم المرير للوثة التشبيه، ومبالغتهم في تنزيه الله تعالى عن الحركة، والتغير والتحيز والجهة والمكان والحدوث والتجدد وغيرها، الذي أدى بهم إلى تجريد الله تعالى عن صفاته وأفعاله.

هـ) تناقضهم في إثبات صفاتٍ وأفعالٍ حادثة كالخالقية والرازقية.

و) جرأتهم اللامحدودة في رد وتلوية أعناق النصوص القرآنية والنبوية مقابل إيمانهم ويقينهم الكامل بالمناهج والطرق العقلية والكلامية.

ز) تهورهم الشديد في اتهامهم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بالبدعة والضلالة مع شهادة أئمة الحديث والفقه والتفسير له بالعلم وسعة الاطلاع والورع والزهد والدفاع عن عقيدة السلف الصالح.

ح) ولاؤهم لأصول الأشعرية والمعتزلة والفلاسفة دون منهج أهل السنة والجماعة المبنية على القرآن والسنة.

١٧) أثبتت الرسالة اتفاق أئمة التفسير والفقه والحديث في إثبات الأفعال الإختيارية ودوامها لله تعالى، واتفاقهم على تفسيق وتبديع نفاة الأفعال

والأسماء والصفات.

١٨) أثبتت الرسالة اتفاق أهل السنة والجماعة في أن العالم المشهود والمفطور ومافيه من سموات وأراضين وغيرها كلها حوادث، وأن الله تعالى ليس داخلاً في هذا العالم ولا حالاً فيه وكذلك صفاته وأفعاله الإختيارية وغيرها.

١٩) أثبتت الرسالة إتفاق أئمة الفلاسفة القدماء، وبعض الفلاسفة الإسلاميين كأبي البركات البغدادي، وابن رشد، وبعض المتكلمين كالرازي وغيره بجواز حلول الحوادث وقيامها وتسلسلها بذات الله تعالى.

٢٠) بينت الرسالة بطلان اتفاق الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة على نفي قيام الأفعال الإختيارية بذات الله تعالى تحت مظلة نفي قيام الحوادث بذات الله تعالى.

٢١) أثبتت الرسالة بطلان اتفاق المعتزلة والأشاعرة على أن الله تعالى كان معطلاً عن الفعل ثم ابتدأ بعد زمن بإحداث الحوادث تحت مصطلح امتناع حوادث لا أول لها.

٢٢) أثبتت الرسالة فساد شبه المعتزلة والأشاعرة في تأويلاتهم الباطلة للأدلة النقلية المثبتة للأفعال الإلهية.

٢٣) أثبتت الرسالة فساد بطلان استدلال الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم بالأدلة النقلية والعقلية في نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى.

٢٤) أثبتت الرسالة خطأ مذهب النافين لأبدية الجنة وأهلها وأبدية النار وأهلها.

٢٥) أثبتت الرسالة بطلان أدلة القائلين بأن الجنة والنار غير مخلوقتين الآن.

٢٦) أثبتت الرسالة تناقض المتكلمين في إثباتهم أبدية الأفعال الإلهية دون أزليتها.

٢٧) أثبتت الرسالة أبدية الجنة والنار وأبدية حركات أهلهما.

٢٨) أثبتت الرسالة عدم أبدية نار الموحدين حيث تفنى نارهم ويدخلون الجنة.

٢٩) أثبتت الرسالة براءة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وتلميذه إبن قيم الجوزية من القول بفناء الجنة والنار، وأهلهما وذلك بما ثبت عنهما في كتبهما.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واتبع سبيله إلى يوم الدين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
((سورة الأنعام))		
﴿او يأتي ربك﴾	١٥٨	١٣٥، ١١٤
﴿فلما جن عليه الليل راي كوكبا﴾	٧٦	٣٨٦
﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾	٧٨	٣٤٦
﴿فمن يريد الله أن يهديه يشرح صدره ﴾	٢٥	٣٥٩
﴿قال النار مثواكم خالدين فيها﴾	١٢٨	٤٧٥
﴿قال هذا ربي﴾	٧٦	٣٨٧
﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾	٣٣	٤٦
﴿قل أي شئ أكبر شهادة﴾	١٩	٣٩
﴿لا أحب الآفلين﴾	٧٦	٣٨٧
﴿لاتدركه الأبصار﴾	١٠٣	،١٢٢،١١٥،١٠٢
﴿ما فرطنا في الكتاب من شئ﴾	٣٨	١٧
﴿هل ينظر إلا أن تأتيهم الملائكة﴾	١٥٨	،١٤٧،١٢٧،٩٧
﴿وكذالك فتنا بعضهم ببعض﴾	٥٣	٤٩٢
﴿وما قدرو الله حق قدره﴾	٩١	١٢٢،١١٦
﴿وهو القاهر فوق عباده﴾	١٠٣	١١٦
((سورة الأعراف))		
﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض﴾	٥٤	٩٨
﴿إن رحمة الله قريب﴾	٥٦	٢٠٠
﴿أولم يتفكر ما بصاحبهم من جنة﴾	١٨٥	٣٧
﴿ثم استوى على العرش﴾	٥٤	١٤٥،١٣٤،١٢٧،١٢١
﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم﴾	١٣٦	١٠٠
﴿فسأكتبها للذين يتقون ﴾	١٥٦	٩٩
﴿ولما جاء موسى لميقتنا﴾	١٤٣	١٠٠
﴿قال عذابي أصيب به من أشاء	١٥٦	٩٩
﴿لاينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة﴾	٤٩	
﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم﴾	١٧٢	٤٩، ٤٩١
﴿والبلد الطيب يخرج نباته﴾	٥٨	١١٤
﴿ولا يدخلون الجنة حتى﴾	٤٠	٤٧٨
﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس﴾	١٧٩	٤٩١
﴿ولله الأسماء الحسنى﴾	١٨٠	،١٩٧
﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾	١٥٠	١٦٢
﴿ويذرك﴾	١٢١	٨٩

فهرس الأحاديث النبوية

((أ))

فهرست الآثـــار

الأثـــر القائل رقم الصفحة

فهرس الأعــلام

(أ)

فهرست الفرق

فهرس المراجع

-القـرآن الكريم

الابانة عن أصول الديانة

أبوالحسن الاشعري (ت ٣٢٤هـ) تحقيق : د.فوقية حسين محمود ط١٣٩٧/١هـ-١٩٧٧م دار الانصار بالقاهرة .

-الابانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة

عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي (ت ٣٨٧هـ) تحقيق : رضا بن نعسان معطي ط ١٤٠٩/١هـ-١٩٨٨م دار الراية بالرياض.

-ابن الجوزي بين التأويل والتفويض

د/أحمد بن عطية الزهراني، جامعة ام القرى، مركز البحث العلمي، رقم ٩٠٨.

-الابداع في مضار الابتداع

على محفوظ ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م ، دار المعرفة - بيروت.

-ابن تيمية

الإمام محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي

-ابن تيمية السلفي

د/ محمد خليل هراس دار الكتب العلمية بيروت ط١٤٠٤/١ هـ - ١٩٨٤م.

-ابن تيمية المفترى عليه

سليم الهلالي ، المكتبة الإسلامية عمان، ط ١٤٠٥/١ الاردن.

-ابن تيمية بطل الاصلاح الديني

محمود مهدي الاستانبولي، المكتب الاسلامي ط ١٤٠٣/٢، بيروت.

-ابن تيمية ضمن سلسلة اعلام العرب

محمد يوسف موسى المركز العربي للثقافة والعلوم - بيروت.

-ابن تيمية ليس سلفيا

منصور محمد محمد عويس. دار النهضة العربية ط ١٣٨٢/١هـ - ١٩٦٢م.

-ابن تيمية وقضية التأويل

محمد السيد الجلنيد - شركة مكتبات عكاظ الرياض جدة، ط ١٤٠٣/٣ هـ - ١٩٨٣م.

-ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي

د/عبدالفتاح أحمد فؤاد ط ٢ /١٩٨٧م دار الدعوة الاسكندرية.

-ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد

د/ أحمد بن ناصر الحمد، جامعة أم القرى ط١٤٠٦/١هـ

-أبوالحسن الأشعري بين المعتزلة والسلف

هادي بن أحمد طالبي، جامعة أم القرى، مكتبة البحث العلمي رقم / ١٤٢.

-اثبات صفة العلو

ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) تحقيق : د. أحمد بن عطية الغامدي ط ١٤٠٩/١هـ مؤسسة علوم القرآن بيروت مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة.

-اجتماع الجيوش الإسلامية

ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ط ١/المكتبة السلفية المدينة المنورة.

-احياء علوم الدين

أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥ هـ) وبذيله كتاب المغني في تخريج مافي الاحياء من الأخبار للحافظ العراقي (ت٨٠٦ هـ) دار المعرفة بيروت ١٤٠٢هـ.

-اخطار الغزو الفكري على العالم الاسلامي

د/ صابر طعيمة عالم الكتب . بيروت . ط ١٤٠٤/١هـ - ١٩٨٤م.

-اخلاق أهل القرآن
الحافظ محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق محمد عمرو بن عبداللطيف اشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث . ط ١٤٠٦/١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
-آداب البحث والمناظرة
محمد الأمين الشنقيطي، شركة المدينة جدة السعودية.
-أراء أهل المدينة الفاضلة
الفارابي أبو نصر ، تقديم وشرح : إبراهيم جزيني – دار القاموس الحديث – بيروت –لبنان
-الاربعين في اصول الدين
الغزالي : أبوحامد محمد بن محمد . تحقيق : محمد مصطفى أبو العلا ، مكتبة الجندي.
-الاربعين في دلائل التوحيد
لأبي إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي ، تحقيق د/علي بن محمد الفقيهي.
-ارسطو عند العرب
د/ عبدالرحمن بدوي –مكتبة النهضة المصرية – ١٩٤٧م القاهرة.
-الاشارات والتنبيهات
ابن سينا الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله (ت ٤٢٨هـ) وشرحها لنصر الدين الطوسي . تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف –القاهرة، ط١٩٧١/٢م
-الاستقامة
أحمد بن تيمية، تحقيق د/محمد رشاد سالم ، ط١٤٠٣/١هـ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
-أركان الإسلام والايمان من الكتاب والسنة
اعداد محمد بن جميل زينو مطابع المشعوري للأوفست.
-الاسئلة والاجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية
عبدالعزيز محمد السلمان – ط ١٣٩٤/٥هـ ١٩٧٤م. مكتبة الرياض الحديثة.
-اساس التقديس في علم الكلام
فخر الدين محمد بن عمر الخطيب (ت ٦٠٦ هـ) – طبع مصطفى البابي الحلبي ١٣٣٥هـ.
-اساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي
د/ على محمد جريشة ، ومحمد شريف الزيبق – دار الاعتصام – القاهرة.
-اسد الغابة في معرفة الصحابة
ابن الأثير علي بن محمد بن محمد بن عبدالواحد الشيباني . المكتبة الاسلامية.
-الاسناد من الدين ومن خصائص أمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
د/ عاصم بن عبدالله القريوتي ط ١٤٠٦/١هـ مكتبة المعلا
-الاصابة في تمييز الصحابة
ابن حجر العسقلاني – ط/ المكتبة التجارية القاهرة ، ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م.
-اصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة الثغر
أبو الحسن الاشعري ، تحقيق د/محمد السيد الجلينيد، دار اللواء ط ١٤١٠/٢هـ الرياض.
-اصول الايمان
محمد بن عبدالوهاب، طبعة رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء ، مراجعة ، وتعليق/ إسماعيل محمد الانصاري، تقديم عبدالله بن عبداللطيف ال الشيخ.
-اصول التخريج ودراسة الاسانيد
د/ محمود الطحان مكتبة المعارف – الرياض ط ١٤١٢/٢ هـ – ١٩٩١م.
-الأصول الثلاثة عند المعتزلة وموقف المسلمين منها.
د/ صالح الشيبي، جامعة أم القرى ، مكتبة البحث العلمي رقم /١٦.
-اصول الدين
عبدالقاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) ط ١٤٠١/١هـ دار الأمانة الجديد بيروت .

-اصول الدين ((معالم أصول الدين))
فخر الدين عمر الخطيب الرازي ، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد - دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
-اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن
محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٢ هـ) طبعة دار الافتاء بالرياض ١٤٠٣هـ.
-اطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل
أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق د/زهير بن ناصر الناصر، ط ١٤١٤/١هـ، دار ابن كثير -بيروت
-اظهار الحق
رحمت الله الهندي (ت ١٣٠٨هـ) تحقيق د.أحمد حجازي السقا دار التراث العربي.
-الاعتصام
الشاطبي : (ت ٧٩٧ هـ) ط/١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م دار المعرفة - بيروت.
-الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد
علاء الدين على بن إبراهيم العطار (ت :٧٢٤هـ) ، تحقيق على حسن على الحلبي، دار الكتب الأثرية ط ١٤٠٨/١هـ الاردن : الزرقاء.
-الاعتقاد على مذهب السلف اهل السنة والجماعة
الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨) دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٤٠٦/٢هـ
-اعتقاد فرق المسلمين والمشركين
محمد بن عمر الرازي، مراجعة د/على سامي النشار، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٦هـ ١٩٣٨م، القاهرة.
-الإعلام
الزركلي (ت ١٢٩٥هـ) ط ١٩٨٤/٦م دار العلم للملايين - بيروت.
-الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية
الحافظ عمر بن على البزارت (٧٤٩) ، تحقيق : زهير الشاويش المكتب الاسلامي ط ١٤٠٠/٣هـ بيروت. - تحقيق د/ صلاح الدين المنجد . ط ١٣٩٦/١-١٩٧٦م - دار الكتب الجديد - بيروت.
-إعلام الموقعين عن رب العالمين
ابن قيم الجوزية تحقيق : عبدالرحمن الوكيل - مكتب ابن تيمية القاهرة.
-إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان
ابن القيم (ت ٧٥١هـ) تحقيق : محمد حامد الفقي دار المعرفة - بيروت . مكتبة الدعوة الاسلامية.
-افلاطون
د / عبدالرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٥٤/٣م.
-افلوطين عند العرب
د/ عبدالرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية ط ٢/ بدون تاريخ القاهرة.
-اقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات
مرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣هـ) تحقيق : شعيب الأرناؤوط، ط ١٤٠٦/١هـ - ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة بيروت.
-الاقتصاد في الاعتقاد
أبوحامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ط ١٤٠٣/١هـ دار الكتب العلمية.
-الاقتصاد في الاعتقاد
أبوحامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) اعداد وتقديم د/ أحمد طلعت الغنام.
-اقتضاء الصراط المستقيم
ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) دار الحديث .
-الاكليل في المتشابه والتأويل
شيخ الإسلام ابن تيمية - دار السلفية ١٣٩٤هـ. ضمن مجموعة الرسائل والمسائل.

-الأُم
محمد بن إدريس الشافعي، الرياض الحديثة . دار المعرفة بيروت ، ط ١٣٩٣/٢هـ-١٩٧٣م.

-الله يتجلى في عصر العلم
نخبة من العلماء الامريكين ، ترجمة : د.الدمرداش سرحان - مؤسسة الحلبي.

-الامام زيد بن علي المفترى عليه
صالح أحمد الخطيب، المكتبة الفيصلية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

-الإنتصار والرد على ابن الراوندى الملحد
أبو الحسين عبدالرحيم بن محمد عثمان الخياط المعتزلي ت - ٢٣١هـ - ط، ١٩٢٥- القاهرة.

-الانصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به
أبو بكر بن الطيب الباقلاني، (٤٠٣هـ) تحقيق : زاهد الكوثري ط ١٣٨٢/٢هـ ١٩٦٣م مؤسسة الخانجي للطباعة، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، ط ١٤٠٧/١هـ ١٩٨٦م عالم الكتب -بيروت.

-اهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى
جمع واعداد محمد عبدالهادي المصري ط ١٤٠٩/٤هـ دار طيبة الرياض.

أهم الفرق الإسلامية السياسية والكلامية
د/ البير نصري نادر ، ط ٢/ ١٩٦٦م ، المكتبة المركزية جامعة أم القرى / ٢٧٠ .

-ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق
محمد بن إبراهيم بن على ابن الوزير ، شركة طبع الكتب العربية - القاهرة .

-الايمان
الحافظ محمد بن إسحاق ابن منده. (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق : د على بن ناصر الفقيهي، ط ١٤٠١/١هـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

-الإيمان بين السلف والمتكلمين
أحمد عطية الغامدي، جامعة أم القرى، مكتبة البحث العلمي، رقم/ ١٠

-الباعث على انكار البدع والحوادث
أبوشامة الشافعي (ت ٦٦٥هـ) ، تحقيق / عادل عبدالمنعم ابوالعباس مكتبة الساعي - الرياض.

-الباقلاني واراؤه الكلامية
د/ محمد رمضان عبدالله ، مطبعة الأمة - بغداد - ١٩٨٦م.

-بدائع الفوائد
ابن القيم (ت ٧٥١هـ) تصحيح محمود غانم غيث ط ١٣٩٢/٢هـ ، مكتبة القاهرة.

-البداية والنهاية
ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) اعتناء عبدالعزيز النجار ، مكتبة الاصمعي الرياض.

-البرهان في معرفة عقائد اهل الأديان
السكسكي (ت ٦٨٣هـ) تحقيق : د / بسام على سلامة العموش ، مكبتة المنار - الاردن ١٤٠٨/١هـ -١٩٨٨م.

-بغية المرتاد
شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية . تحقيق د/موسى بن سليمان الدويش مكتبة العلوم والحكم . ط ١٤٠٨/١هـ - ١٩٨٦م.

-بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية
شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (ت ١٩٨٨م) ، تحقيق : محمد ابن عبدالرحمن بن قاسم.

-بيان فضل علم السلف على علم الخلف
الحافظ ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : محمد بن ناصر العجمي . الدار السلفية - الكويت ط ١٤٠٧/١هـ ١٩٨٦م.

-تأويل مختلف الحديث
ابن تيمية (ت ٢٧٦هـ) تحقيق : عبدالقادر أحمد عطار ، ط ١٤٠٨/١هـ - ١٩٨٨م مؤسسة الكتب الثقافية.

-تاج العروس من جواهر القاموس
محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان، المكتبة المركزية جامعة أم القرى م/٣١٣

تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين
علي الغرابي ، المكتبة المركزية، جامعة أم القرى ٢١٧
-تاريخ الفلسفة اليونانية
يوسف كرم - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ط ١٣٨٩/٥هـ / ١٩٧٠م.
-تاريخ بغداد
الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) دار الكتاب العربي - بيروت .
-التبصير في الدين
أبو المظفر الاسفرايني (ت ٤٧١ هـ) تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط ١٤٠٣/١هـ عالم الكتب، تحقيق وتعليق الشيخ محمد زاهد الكوثري مطبعة الانهار ط ١٩٤٠/١م.
-تبيين كذب المفترى
ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) دار الكتاب العربي - بيروت .
-تجريد التوحيد المفيد
المقريز ي (ت ٨٥٤هـ) ضمن عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ، تقديم عبدالله حجاج، شركة السلام العاليمة.
-التجسيم عند المسلمين (مذهب الكرامية)
د/سهير محمد مختار -ط/١٩٧١م، مكتبة الحرم المكي/ ٢١٥
-التحف في مذاهب السلف
محمد على الشوكاني ، تقديم : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، الرئاسة العامة للإفتاء - الرياض.
-تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف
الحافظ يوسف المزي، تحقيق عبدالصمد شرف الدين، ط ١٤٠٣/٢هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
-التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية
فالح بن مهدي آل مهدي ط ١٤٠٥/٢هـ مكتبة الحرمين - الرياض.
-تذكرة الحفاظ
الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تصحيح عبدالرحمن المعلمي ، دار احياء التراث السلفية.
-الترغيب والترهيب
المنذري (ت ٦٥٦ هـ) تحقيق مصطفى محمد عمارة ، دار الاخاء بيروت.
-تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد
الأمير الصنعاني (١١٨٢ هـ) رئاسة البحوث العلمية - السعودية. تحقيق: إسماعيل الانصاري.
-التعريفات
الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ط ١٤٠٣/١هـ دار الكتب العلمية - بيروت.
-تعليقات على الاشارات والتنبيهات
د/ سليمان دنيا - لابن سينا - ما بعد الطبيعة - طبع شركة عيسى الحلبى.
-التفسير والمفسرون
د / محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة ط ٢ / ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
-تفسير التابعين
د. محمد عبدالرحيم محمد - المكتبة التجارية (مصطفى الباز) مكة المكرمة ط ١ / ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
-تفسير روح البيان
البردسوي إسماعيل حقي ، دار سعادت . مطبعة عثمانية ١٣٣٠هـ.
-تفسير البيضاوي مع حاشيةالشهاب المسماة (عناية القاضي وكفالة الراضي على تفسير البيضاوي.
نشر ، دار صادر - بيروت .
-التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط
ابن حيان محمد بن يوسف بن على الاندلسي الغرناطي - مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض.

-تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، وبهامشه تفسير البغوي.
الخازن علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي - المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
-التفكير الفلسفي في الإسلام
عبدالحليم محمود - مكتبة الانجلو المصرية ط ١٣٨٧/٢هـ - ١٩٦٨م.
-التفسير القيم
ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر - جمعه : محمد اريس الندوي - حققه : محمد حامد الفقي - لجنة التراث العربي - لبنان.
-تفسير النسفي
النسفي : أبو حفص عمر بن محمد النسفي ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
-التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)
محمد بن عمر الرازي - دار الكتب العلمية طهران ط ١٣٢٧/٢هـ - ١٩٠٩م - القاهرة.
-تفسير سورتي النصر والاخلاص
الحافظ ابن رجب الحنبلي تحقيق : محمد بن ناصر العجمي ، ط ١٤٠٧/١هـ - ١٩٨٦م الكويت الدار السلفية.
-تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل
البغوي (ت ٥١٦هـ) ط ١٤٠٣/١هـ ، تحقيق : خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار، ط ١٤٠٧/٢هـ - ١٩٨٧م دار المعرفة - بيروت.
-تفسير القران العظيم
ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.
-التفسير الكبير
الإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ٦٠٦هـ المطبعة العامرية بمصر (ط ١٣٢٤/٢هـ).
-التفسير الكبير
أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق : د . عبدالرحمن عميرة ط ١٤٠٨/١هـ، ١٩٨٨م دار الكتب العلمية - بيروت.
-تقريب التهذيب
أحمد ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق : محمد عوامة ط ١٤٠٦/١هـ دار الرشيد - سوريا.
-تلبيس إبليس
ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.
-التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية
عبدالعزيز بن ناصر الرشيد ط ٢ / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
-تهافت الفلاسفة
أبوحامد الغزالي: تحقيق د/سليمان دنيا، ط٥/١٩٧٢ م ، دار المعارف - القاهرة.
-تهذيب اللغة
الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق : عبدالسلام هارون - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤هـ.
-تهذيب التهذيب
ابن حجر العسقلاني . ط حيدر أباد ١٣٥٢-١٣٢٧.
-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) تحقيق : محمد زهري البخاري طبع دار الإفتاء - الرياض ١٤٠٤هـ
-تهافت التهافت
ابن رشد : ابوالوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ت - ٥٩٥هـ) تحقيق : د.سليمان دنيا طبع دار المعارف ط ١٩٦٩/٢م.

-جامع الاصول في أحاديث الرسول
إبن الاثير الجزري - دار الفكر - بيروت - لبنان .
-الجبر والإختيار في الفكر الإسلامي
د/صالح الشيبي، جامعة أم القرى، مكتبة البحث العلمي رقم/ ٣٤٧.
-الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي
الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٩٧ هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية - بيروت.
-جامع العلوم والحكم
ابن رجب (ت ٧٩٢ هـ) ١٣٩٣هـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
-جامع بيان العلم وفضله
ابن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.
-الجامع لاحكام القران
القرطبي (ت ٦٧١هـ) دار احياء التراث العربي ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
-الجانب الالهي من التفكير الاسلامي
د/ محمد البهي : مكتبة وهبة ط ٦/ ١٩٨٠م.
-الجرح والتعديل
ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) ط / ١٣٧٢هـ دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
-الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح
أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) مطابع المجد التجارية.
-الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى
محمد ربيع هادي المدخلي، جامعة أم القرى، مكتبة البحث العلمي رقم ١٠٦.
-حاشية على الخيالي
عبدالله بن حسن الكانقري، مكتبة الحرم المكي
-حدوث العالم بين الفلاسفة والمتكلمين
فؤاد المقلس : كلية أصول الدين - القاهرة)
-الحيدة (المناظرة الكبرى في محنة خلق القرآن)
عبدالعزيز المكي (ت ٢٤٠هـ) بيروت ط ١٩٨٣/١م.
-حاشية على شرح العقائد العضدية
محمد عبده ، تحقيق د / سليمان دنيا - طبع مصطفى البابي الحلبي ط ١٩٥٨/١م.
-حاشية البيجوري المسماة (بتحقيق المقام على كفاية العوام في علم الكلام)
للقضاعي - مطبعة مصطفى الحلبي البابي - وأولاده ، بمصر.
-حاشية البيجوري على متن السنوسية
إبراهيم البيجوري مطبعة دار الكتب العربية.
-حاشية الاصول الثلاثة
محمد بن عبدالوهاب ، تحقيق : عبدالرحمن بن قاسم الحنبلي النجدي - الادارة العامة - الرياض ١٤١١هـ.
-حادي الارواح إلى بلاد الافراح
ابن القيم (ت ٧٥١هـ) تحقيق : يوسف على بديوي تقديم محي الدين مستو - ط ١٤١١/١هـ مكتبة دار التراث المدينة المنورة.
-حاضر العالم الاسلامي
لوثروب ستودار الامريكي، ترجمة عجاج نويهض ط١٣٩٤/٤هـ دار الفكر - بيروت.

-الحجة في بيان المحجة
ابوقاسم إسماعيل الاصبهاني (ت ٥٣٥هـ) تحقيق د/ محمد بن ربيع المدخلي - ومحمد بن محمود ابورحيم ط ١٤١١/١هـ ٩٩٠م دار الراية - الرياض .
-الحسنة والسيئة
ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تقديم : د . جميل غازي ، دار الكتب العلمية.
-حلية الاولياء
أبونعيم الاصفهاني (ت ٤٣٠هـ) دار الكتب العلمية.
-الحدود والحقائق في شرح الالفاظ المصطلحة بين المتكلمين والامامية
لأبي أشرف صاعد البريدي : تحقيق د/ حسين محفوظ - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٧٠م.
-خلق افعال العباد
محمد إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ ، مؤسسة الرسالة ط ١٤١١/٣هـ - ١٩٩٠م
-الخمسون في اصول الفقه (مخطوط)
الإمام فخر الدين الرازي رقم (٤١٧٦) المكتبة الأزهرية.
-الخطط (المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار)
تقي الدين أحمد بن على المقريزي، ط الاميرية ببولاق القاهرة ١٢٧٠
-دائرة المعارف الإسلامية
فنسك واخوانه، ترجمة محمد ثابت أفندي وزملاؤه، ط٢/ ١٣٥٣هـ، مكتبة الحرم / ٢١٠ دم أ
-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
أحمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٣هـ) تحقيق : محمد جاد الحق دار الكتب الحديثة - مصر ط ١٣٨٥/٢هـ.
-الدر المنثور في التفسير بالمأثور
السيوطي (ت ٩١١هـ) ط ١٤٠٣/٢هـ دار الفكر - بيروت.
-درء تعارض العقل والنقل
أحمد ابن تيمية : (ت ٧٢٨هـ) تحقيق : د/ رشاد محمد سالم ط ١٤٠٢هـ مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.
-دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة
عبدالله الأمين دار الحقيقة - بيروت . ط ١ / ١٩٨٦م.
-دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية
د/ يحيى هويدي دار الثقافة - القاهرة - ١٩٨٥م.
-الدرر السنية في الأجوبة النجدية
عبدالرحمن بن قاسم، ط ١٣٨٥/٢هـ - المكتب الإسلامي - بيروت.
-الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد
الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) مكتبة الصحابة - الكويت.
-دعوة التوحيد
د/ محمد خليل هراس - مكتبة الصحابة.
-دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية
شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق د/ محمد السيد الجليند - مؤسسة علوم القرآن - بيروت ط ١٤٠٦/٣ هـ - ١٩٨٦م دار القبلة الإسلامية جدة.
-دلائل النبوة
البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق : د/عبدالمعطي قلعجي ط ١/ ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م دار الريان للتراث - القاهرة
-الديانات والعقائد في مختلف العصور
أحمد عبدالغفور عطار ط١٤٠١/١هـ مكة المكرمة.

-الدين
د / محمد عبدالله دراز ط/١٤٠٠هـ دار القلم - الكويت.
-الدين الخالص
محمد صديق حسن خان (ت ١٢٠٧هـ) تحقيق : محمد زهري النجار ، مكتبة دار التراث - القاهرة.
-ذم التأويل
ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) تحقيق بدر البدر، الدار السلفية - الكويت ١٤٠٦هـ.
-ذم ماعليه مدعو التصوف
محمد موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي - تحقيق زهير الشاويش - المكتب الاسلامي ط ١٤٠٤/٣-١٩٨٤ بيروت.
-الذيل على طبقات الحنابلة
ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تصحيح محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ.
-رؤية الله تعالى
د / أحمد بن ناصر آل حمد . جامعة ام القرى - مكة المكرمة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
-رجال الفكر والدعوة في الإسلام
تأليف / أبوالحسن على الحسيني الندوي - تعريب سعيد الاعظمي الندوي - الجزء الثاني دار القلم - الكويت.
-رد الإمام الدارمي على بشر المريسي
عثمان بن سعيد الدارمي ط ١٣٥٨/١ - مطبعة أنصار السنة الحمدية.
-الرد الوافر
ابن ناصر الدين الدمشقي ت (٨٤٢هـ) تحقيق زهير الشاويش، المكتب الاسلامي ، بيروت ط١٤٠٠/١هـ - ١٩٨٠م
-الرد على الجهمية
عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠ هـ) ضمن عقائد السلف ، نشر د/ على سامي النشار، و د/ عمار جمعي الطالبي ، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١م.
-الرد على الزنادقة والجهمية
الإمام أحمد بن حنبل - المطبعة السلفية .
-الرد على المنطقين
شيخ الإسلام ابن تيمية ط ١٤٠٢/٤هـ - ١٩٨٢م - الناشر ادارة ترجمان السند / لاهور باكستان.
-رسائل الكندى الفلسفية
الكندي ت - ٢٥٣هـ. تحقيق د/ محمد عبدالهادي أبو ريد: ط ١٩٧٨/٢م. دار الحقيقة - بيروت . ط ١ / ١٩٨٦م.
-رسالة الارادة والامر
ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ضمن مجموعة الرسائل الكبرى دار احياء التراث العربي.
-رسالة التوحيد
محمد عبده - دار احياء العلوم - بيروت - لبنان ط ١٤٠٦/٦هـ ١٩٨٦م.
-الرسالة العرشية
ابن تيمية / أحمد بن عبدالحليم ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل.
-الرسالة العرشية
ابن سينا الحسين بن عبدالله ، مطبعة مجلس دائر المعارف العثمانية حيدر آباد ١٣٥٣هـ.
-رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء
إخوان اصفاء، ط ١٣٧٦هـ، دار بيروت، دار صادر - بيروت مكتبة البحث العلمي جامعة إم القرى (٢٢٣٨٨)
-رسالة في الذب عن ابى الحسن الاشعري
عبدالملك بن عيسى بن درباس ٥٧٦-٦٥٩هـ تحقيق د/على بن محمد الفقهي - ط ١٤٠٤/١هـ ١٩٨٤م.

-رسالة في الرد على الرافضة

محمد بن عبدالوهاب - تحقيق د/ ناصر بن سعد الرشيد - دار طيبة - الرياض .

-رسالة في سر القدر

ابن سينا - مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ١٣٥٣هـ .

-الرسل والرسالات

د / عمر سليمان الاشقر . مكتبة الفلاح - الكويت.

-رفع الاستار لابطال ادلة القائلين بفناء النار

محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) تحقيق / محمد ناصر الدين الألباني ط ١٤٠٥/١هـ المكتب الاسلامي.

-رفع الملام عن الائمة الأعلام

ابن تيمية - تحقيق زهير الشاويش - المكتب الاسلامي - بيروت ط ١٤٠٤/٢هـ ١٩٨٤م.

-الروح

ابن القيم (ت ٧٥١هـ) تحقيق : محمد اسكندر يلدا ط ١/ ١٤٠٢هـ دار الكتب العلمية.

-روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني

الآلوسي محمود بن عبدالله دار الطباعة المنيرية - بيروت - لبنان.

-زاد المسير في علم التفسير

ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ط ١٤٠٧/٤هـ المكتب الاسلامي - بيروت.

-زاد المعاد في هدي خير العباد

ابن القيم (ت ٧٥١هـ) تحقيق : شعيب د/ عبدالقادر الأرناؤوط ط ١٤٠٥/٧هـ - ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة - بيروت.

-السحر بين الحقيقة والخيال

د/ أحمد بن ناصر ط ١٤٠٨هـ مكتبة التراث - بمكة المكرمة.

-سلسلة الاحاديث الصحيحة

محمد ناصر الدين الألباني ط ١٤٠٨/٤هـ ، مكتبة المعارف بالرياض والمكتب الاسلامي بيروت - دمشق.

-سلسلة الاحاديث الضعيفة

محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض والمكتب الاسلامي بيروت - دمشق

-السلفية مرحلة زمنية مباركة لامذهب اسلامي.

محمد سعيد رمضان البو طي - دار الفكر - دمشق ط ١٩٨٨/١م. مكتبة الحرم المكي /٤١٢.

-السنة

الخلال (ت ٣١١هـ) تحقيق : د/عطية الزهراني ط ١٤١٠/١هـ دار ابن القيم - الدمام.

-سنن ابن ماجه

الحافظ محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٥هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة العلمية - بيروت.

-سنن ابى داود

الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني / تعليق ومراجعة : محمد محي الدين عبدالحميد (ت ٢٧٥ هـ) ومعه كتاب : معالم السنة للخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس ، وعادل السيد ط ١/ ١٣٩٣هـ دار الحديث سورية.

-سنن الدارمي

عبد الله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي (ت ٢٥٥هـ) تحقيق : فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي ط١٤٠٧/١هـ ١٩٨٧م دار الريان للتراث - القاهرة.

-السنن الكبرى

البيهقي (ت ٤٥٨هـ) دار الفكر - بيروت.

-سنن النسائي
الحافظ أحمد بن شعيب النسائي(ت ٣٠٣ هـ) ترقيم عبدالفتاح ابوغدة ط ١٤٠٩/٢هـ ١٩٨٨م مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
-سير اعلام النبلاء
الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق : مجموعة من المحققين ، ط ١/ ١٤٠٩هـ مؤسسة الرسالة - بيروت.
-الشامل في اصول الدين
عبدالملك الجويني - امام الحرمين ، تحقيق : د/ على سامي النشار - فيصل بديدعون - سهير محمد مختار
-شذرات الذهب
ابن العماد الذهبي (ت ١٠٨٩هـ) دار المسيرة - بيروت.
-شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة
هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ٤١٨هـ تحقيق : د/احمد سعد حمدان دار طيبة - الرياض.
-شرح الجديد لجوهرة التوحيد
محمد أحمد العدوي، ط١٣٦٦/١هـ، مكتبة الحلبي القاهرة، مكتبة الحرم المكي ٢١٤/ع م ش .
-شرح السنة
الحسين بن مسعود البغوي ت / ٥١٦هـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وزهير الشاويش ، ط١٤٠٣/٢هـ المتكتب الإسلامي - بيروت.
-شرح الاصول الخمسة
القاضي عبدالجبار الهمداني (ت ٤١٥هـ) تحقيق : د/ عبدالكريم عثمان ط ١٤٠٨/٢هـ مكتبة وهبة القاهرة.
-شرح العقائد النسفية
التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) تحقيق : أحمد حجازي السقا ط ١٤٠٧/١هـ - ١٩٨٧م مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة.
-شرح العقيدة الطحاوية
على ابن أبي العز الدمشقي (٧٩٢هـ) تحقيق : شعيب الأرنؤوط - مكتبة المؤيد - الطائف - ودار البيان دمشق ط١٤٠١/١هـ -١٩٨١م.
-شرح العقيدة الاصفهانية
ابن تيمية أحمد بن عبدالحينم، تقديم : حسنين محمد مخلوف . ط ١/ دار الكتب الحديثة.
-شرح العقيدة الطحاوية الميسر
د/محمد بن عبدالرحمن الخميس ، دار الوطن- الرياض.
-شرح العقيدة الواسطية
محمد خليل هراس ط ٨/الجامعة الإسلامية، د/صالح الفوزان ط١٤٠٧/٤هـ مكتبة المعارف - الرياض.
-شرح السلم في المنطق للأخضري
عبدالرحيم فرج الجندي - دار القومية العربية - القاهرة.
-شرح المقاصد العضدية
جلال الدين محمد بن اسيد الدواني : ت - ٩٢٨هـ
-شرح المقاصد
التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) تحقيق : د عبدالرحمن عميرة ، ط ١٤٠٩/١هـ عالم الكتب.
-شرح جوهرة التوحيد
للشيخ إبراهيم اللقاني (ت ١٠٤١هـ) شرح الشيخ إبراهيم البيجوري (ت ١٢٧٧هـ) ط ١٤٠٣/١هـ دار الكتب العلمية - بيروت.
-شرح جوهرة التوحيد
عبدالسلام بن إبراهيم اللقاني - تحقيق / محمد محي الدين عبدالحميد - مطبعة السعادة بمصر الناشر المكتبة التجارية الكبرى.

-شرح حديث النزول
أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، تحقيق محمد بن عبدالرحمن الخميس ط١/١٤١٤هـ، نشر دار العاصمة الرياض.
-شرح كتاب الفقه الاكبر
للإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ) شرح الملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ) ط١/١٤٠٤هـ دار الكتب العلمية-بيروت.
-شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد
لموفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي (ت ٥٤١ - ٦٢١هـ ، محمد صالح العثيمين.
-الشريعة
الآجري (ت ٣٦٠هـ) تحقيق : محمد حامد الفقي ط١/١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية.
-شعب الايمان
البيهقي (ت ٤٥٨ هـ تحقيق محمد السعيد زغلول ، ط ١/١٤١٠هـ دار الكتب العلمية.
-الشفا
القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) تحقيق / علي محمد البجاوي دار الكتاب العربي - بيروت (دار الفكر ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م
-الشفاء (الطبيعيات)
النفس ابن سينا تصدير ومراجعة د/ابراهيم مدكور - تحقيق / الاب د / جورج قنواتي - وسعيد زايد، مكتبة البحث العلمي جامعة أم القرى (٤٠٠٨).
-الشفاء (الالهيات)
ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) تحقيق : د/محمد يوسف موسى وآخرين الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ١٩٦٠م.
-شفاء العليل
ابن القيم (ت ٧٥١ هـ) تحرير الحساني حسن عبدالله دار التراث ، القاهرة.
-الشهادة الزكية في ثناء الائمة على ابن تيمية
تأليف مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ) تحقيق : نجم عبدالرحمن خلف - ط٢/١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
-الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين
محمد عبده ، تحقيق د/ سليمان دنيا - دار احياء الكتب العربية ط ١/١٩٥٨-١٣٧٧هـ .
-الصارم المنكي في الرد على السبكي
للحافظ عبدالله بن عبدالهادي المقدسي (ت ٧٤٤ هـ) تحقيق: إسماعيل بن محمد الانصاري، مكتبةابن تيمية.
-الصحاح
الجوهري (ت ٣٩٣هـ) تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار ط ٢/١٤٠٢هـ .
-صحيح الجامع الصغير وزيادته
محمد ناصر الدين الألباني تحقيق : بدر بن يوسف المعتوق ط ١/١٤٠٥هـ ١٩٨٥م دار الخنفاء للكتاب الاسلامي.
-صحيح مسلم شرح النووي
مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) تحقيق : أ/ فؤاد عبدالباقي ط / ١٤٠٣هـ دار الفكر.
-الصفات
الدار قطني (ت ٣٨٥هـ) تحقيق : د / علي بن محمد ناصر الفقيهي ط ١/١٤٠٣هـ .
-الصفات الالهية بين السلف والخلف
عبدالرحمن الوكيل الشيخ ، نشر مكتبة أنصار المحمدية
-الصفات الالهية في الكتاب والسنة
د/ محمد بن أمان الجامي - ط ٢/١٤١١هـ - ١٩٩١م
-الصفات الخبرية بين الإثبات والتأويل
عثمان عبدالله آدم، جامعة أم القرى، مكتبة البحث العلمي /١٣٤

-صفة الإرادة الإلهية في الفكر الإسلامي
خليل الرحمن عبدالرحمن، جامعة أم القرى، مكتبة البحث العلمي، ٢٦٧.
-صفة الصفوة
ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق : محمود فاخوري، و د/محمد رواس ط ١٤٠٥/٣هـ دار المعرفة – بيروت.
-صفة القدرة الإلهية في الفكر الإسلامي
محمد السيد الشريف، جامعة أم القرى ، مكتبة البحث العلمي / رقم / ٧٠٤.
-الصواعق المرسلة
(على الجهمية والمعطلة) ابن القيم الجوزي . تحقيق : د/ على بن محمد الدخيل الله – دار العاصمة الرياض ط ٢ / ١٤١٢هـ.
-ضعيف الجامع الصغير وزيادته
محمد ناصر الدين الألباني ط١٣٩٩/٢هـ المكتب الاسلامي
-الضوء اللامع
السخاوي (ت ٩٠٢هـ) دار مكتبة الحياة – بيروت.
-ضوابط المعرفة واصول الاستدلال والمناظرة
عبدالرحمن حبنكة الميداني ط ٣ /١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، دار القلم دمشق.
-طبقات الحنابلة
ابن أبي يعلى (ت ٥٢٥هـ) دار المعرفة – بيروت
-طبقات الشافعية
عبدالرحمن الأسنوي (٧٧٢هـ) ط ١٤٠٧/١هـ ، دار الكتب العلمية.
-طبقات الشافعية الكبرى
السبكي (ت ٧٧١هـ) تحقيق محمود الطناحي عبدالفتاح الحلبي ١٣٨٣/١هـ.
-طبقات الصوفية
ابوعبدالرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) نور الدين شريبة القاهرة ١٩٥٣هـ.
-الطبقات الكبرى
ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) دار صادر – بيروت.
-طبقات المفسرين
عبدالرحمن السيوطي الشافعي
-الطبيعة
ارسطوطاليس ، ترجمه إسحاق بن حنين ، تحقيق عبدالرحمن بدوي، ١٣٨٥هـ، الدار القومية – القاهرة، مكتبة البحث العلمي، جامعة أم القرى (٥٠٦٠)
-عبدالله بن كلاب وآراؤه الإعتقادية في ضوء عقيدة السلف
سالم وهبي سانجاقلي، جامعة أم القرى، مكتبة البحث العلمي، رقم ١٥٢١.
-العبودية
أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ط ١٣٩٩/٥ المكتب الاسلامي
-عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي
د/ صالح بن عبدالله العبود، الجامعة الإسلامية، مكتبة الحرم / ٤٧١٩٨
-العقائد الإسلامية
سيد سابق – دار النصر للطباعة ط ١٣٨٧/٢هـ
-عقائد السلف للأئمة
على سامي – وعمار حمص الطالبي ، مكتبة الآثار السلفية – منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٧١م.

-العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية
محمد أحمد بن عبدالهادي الحنبلي - تقديم على صبح المدني مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية المصرية
-في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة
د/ محمود أحمد خفاجي،ط ١٣٩٩/١هـ، مطبعة الأمانة القاهرة جامعة ام القرى - المكتبة المركزية / ٢٦٠
-عقيدة الإمام ابن قتيبة
د/ علي بن نفيع العلياني، ط١٤١٢/١، مكتبة الصديق -الطائف، مكتبة الحرم ٢١٤/ع ع ع
-العقيدة الإسلامية
(٢٠٠ سؤال وجواب) حافظ أحمد حكمي ، دار الاصلاح.
-علم العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة
أحمد علي الملا، ط١٤٠٦/١هـ دار اليمامة-دمشق، مكتبة الحرم المكي، ٢١٤،٠٧/ م أ د
-عقيدة الحافظ
تقي الدين عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي (ت ٦٠٠هـ) تحقيق : عبدالله بن محمد البصيري ، الادارة العامة للطبع والترجمة. الرياض - السعودية - ط ١ /١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
-العقيدة السلفية بين الإمام أحمد ابن حنبل والامام أحمد ابن تيمية
د / سيد عبدالعزيز السيلي ط١٩٩٣/١م نشر دار المنار- القاهرة - المكتبة التجارية - مكة المكرمة.
-عقيدة الفرقة الناجية
محمد بن عبدالوهاب - تقديم عبدالله حجاج مكتبة التراث الاسلامي - القاهرة.
-العقيدة الطحاوية
للامام الطحاوي - تعليق عبدالعزيز بن عبدالله باز - الرياض - السعودية ١٤٠٩هـ
-العقيدة النظامية
مام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني ٤٧٨هـ ، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا ١٣٩٩-١٩٧٩م،
-مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.
-العقيدة الواسطية
أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني ، تعليق / محمد بن عبدالعزيز بن مانع ، الرئاسة العامة للإفتاء الرياض - ١٤١٢هـ.
-عقيدة اهل التوحيد الكبرى
محمد عبدالستار نصار، تحقيق السنوسي - دار الطباعة المحمدية ط ١٩٧٣/١م.
-العقيدة في الله
د/ عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح - الكويت ط ١٩٨٤/٥م
-علم الكلام ومدارسه
فيصل بدرعون، مكتبة الحرية الحديثة ١٩٨٩م. القاهرة.
-العقد الثمين في رسائل ابن عثيمين
محمد الصالح العثيمين، ط١٤١٢/١هـ، دارالثقة - مكة، مكتبة الحرم المكي ٢١٤/ع م س
-غاية المرام في علم الكلام
الآمدي (ت ٦٣١هـ) تحقيق : حسن محمود عبداللطيف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة.
-فاتحة القران (تفسير جزء عم وسورة الفاتحة)
محمد محمود الصواف ، شركة دار العلم - جدة - السعودية.
-فتح المجيد
عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، الرئاسة العامة للإفتاء - الرياض - السعودية ١٤١١هـ.
-فقه الكتاب والسنة ورفع الحرج عن الائمة
ابن تيمية ، دار الباز - مكة المكرمة.

-فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء
جمع وترتيب أحمد بن عبدالرزاق الدويش ط ١٤١١/١هـ شركة العبيكان : الرياض.
-الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني
أحمد عبدالرحمن البنا، ط٢/دار إحياء التراث العربي. القاهرة.
-فتح الباري
ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق : محب الدين الخطيب ، وترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ط ١٤٠٨/٤هـ - المكتبة السلفية - القاهرة.
-فتح القدير
الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ط ١٣٨٣/٢هـ ، مصطفى البابي الحلبي مصر .
-الفتح المبين تعلقات صفات رب العالمين
الشيخ أحمد بن حسن بن عبدالكريم الشهير بالجوهري ت ١١٨٢هـ - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٧٦ علم الكلام - ميكرو فيلم ٣٩٢٨١
-الفتوحات المكية
ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) ط / بولاق ١٨٧٦م.
-الفتاوى الحموية الكبرى
ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) نشر : محب الدين الخطيب ط ١٣٩٨/٣هـ السلفية - القاهرة . وأيضا ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، دار التراث العربي.
فرق وطبقات المعتزلة
ابن المرتضى ، تحقيق د/ علي سامي النشار ، ط / ١٩٧٢م ، نشر دار المطبوعات الجامعية، المكتبة المركزية جامعة أم القرى ، ٢١٩/٥ .
-الفرق بين الفرق
البغدادي (ت ٤٢٩هـ) تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة - بيروت ط ١٤٠٢/٥هـ ١٩٨٢م.
-الفرقان بين اولياء الرحمن واوليا الشيطان
ابن تيمية : دار عدني للطباعة والنشر . مصر.
-فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال
ابن رشد ٥٩٥هـ تحقيق: محمد عمارة - دار المعارف ط ١٩٨٣/٢م.
-الفصل في الملل والاهواء والنحل
ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) تحقيق : د . محمد إبراهيم نصر . د /عبدالرحمن عميرة ط / ١٤٠٥هـ دار الجيل - بيروت.
-فضائح الباطنية
الغزالي , تحقيق د/ عبدالرحمن بدوي , دار القومية - القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٩٤م.
فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة
القاضي عبد الجبار وأبو القاسم البلخي والحاكم الجشمي، تحقيق فؤاد سيد، نشر الدار التونسية - تونس / المكتبة المركزية جامعة أم القرى ، ٥ /٢١٩
-فضل علم السلف على الخلف
ابن رجب البغدادي الحنبلي , تحقيق : محمد عبدالحكيم القاضي - مكتبة التجارية - مكة المكرمة - مصطفى أحمد الباز.
-الفطرة والعقيدة الإسلامية
د/ حافظ الجعبري، جامعة أم القرى، مكتبة البحث العلمي، رقم ١٨٥.

-فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها
د/ أحمد بن سعد بن حمدان ، ط١/١٤١٥، دار طيبة - الرياض.
-فلاسفة الإسلام
د/ فتح الله خليف - دار الجامعات المصرية - الاسكندرية.
-الفلسفة الاغريقية
د/ غلاب محمد ط ١/١٩٣٨م القاهرة.
-فلسفة العصور الوسطى
د / عبدالرحمن بدوي ، دار الكتب بيروت ط ٣/١٩٧٩م.
-الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب
بيصار محمد - دار الكتاب اللبناني.
-فلسفة علم الكلام في الصفات الالهية
د / عبدالعزيز سيف النصر ط ١/١٩٨٣م.
-الفهرست
ابن النديم (٣٨٥هـ) دار المعرفة - بيروت
-الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة
الشوكاني : ت ١٢٥٠هـ تحقيق/ عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليماني دار الكتب العلمية - بيروت.
-في الفلسفة الإسلامية وتطبيقه
د/ إبراهيم مدكور- جامعة أم القرى ، المكتبة المركزية / ٢٧٠
-فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة
الغزالي ، تحقيق د/سليمان دنيا، ط١/١٣٨١هـ، دار حياء الكتب العربية، مكتبة البحث العلمي، جامعة أم القرى (٢٢٢٥)
-في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين
تأليف د / أحمد محمود صبحي / ط ٥/١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. (جزءان) دار النهضة العربية - بيروت .
-قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة
ابن تيمية ت ٧٢٨هـ ، تحقيق : د ربيع المدخلي ط ١/١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م مكتبة لينة.
-القران المبين كيف نزل به الروح الامين
د/ محمد البحيري إبراهيم ، دار الطباعة المحمدية ط ٢/ ١٩٨٤م.
-القضاء والقدر في الإسلام
د/فاروق دسوقي . دار الدعوة القاهرة (فرع الاسكندرية) - ٢٨٩١م.
-قضية قيام الحوادث بذاته تعالى بين النافين والمثبتين
عبدالعزيز بحيري إبراهيم / اشراف قنديل محمد قنديل ١٤١١هـ - ١٩٩١م. جامعة الأزهر - مكتبة كلية أصول الدين.
-قضية الوجود والعدم في علم الكلام
د / محمد عبدالمهيمين , رسالة دكتوراه, بكلية أصول الدين - القاهرة.
-القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى
محمد الصالح العثيمين ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة -١٤٠٨هـ / السعودية.
-القول السديد في الرد على من انكر تقسيم التوحيد
عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد البدر - مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة - السعودية.
-القول السديد في مقاصد التوحيد
عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي مطبعة الإمام - مصر.
-القول المبين في مسالة التكوين
الشيخ إبراهيم الكوراني، مخطوط بدار الكتب الموية تحت رقم ٣٧٣ عقائد تيمر ميكرو فليم ٣٠٤٣٧

-الكامل في التاريخ
ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ط ١٤٠٣/٤هـ دار الكتاب العربي - بيروت.
-كتاب الاربعين في اصول الدين
محمد بن عمر الرازي ط ١٣٥٣/١هـ - مجلس دائر المعارف العثمانية ببلدة حيدر آباد الدكن.
-كتاب الارشاد إلى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد
عبدالملك الجويني، تحقيق د/محمد يوسف موسى، مكتبة الخانجي - مصر ، ط/١٣٦٩هـ
-كتاب الشريعة
محمد بن الحسين الآجري، تحقيق د/عبدالله الدميجي، جامعة أم القرى، مكتبة البحث العلمي، رقم ١١٣٠.
-كتاب الايمان
د/ محمد نعيم ياسين ، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.
-كتاب الايمان
الحافظ أبي بكر عبدالله العبسي (١٩٥ - ٢٣٥)، تحقيق / محمد ناصر الدين الألباني - دار الأرقم - الكويت.
-كتاب البحث العلمي
د/ عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان دار الشروق، جده / ط ٣/ ١٤٠٨-١٩٨٧م.
-الكتاب المفيد في معرفة حق الله على العبيد المسمى مجموعة التوحيد
أحمد بن تيمية، محمد بن عبدالوهاب، ط/١٣٤٢، مطبعة أم القرى، مكة المكرمة- مكتبة الحرم، ٢١٤م ت م
-كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين
عبدالرحمن بن حسن بن عبدالوهاب النجدي، ١٢٨٥هـ ، تحقيق / بشير محمد عون.
-كتاب التوحيد ومعرفة اسماء الله وصفاته
الحافظ محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق د/علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية.
-كتاب الصفدية
أحمد ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، تحقيق، د / محمد رشاد سالم - ١٤٠٦هـ.
-كتاب العلو للعلى الغفار في صحيح الاخبار وسقيمها
محمد بن أحمد الذهبي، تصحيح محمد رشيد رضا، ط/١٣٩٢هـ، مكتبة الحرم، ٢١٤
-كتاب مجموع الرسائل المفيدة
حافظ بن أحمد الحكمي ، وآخرين، ط ١٣٩٣/٣هـ/ شركة مطابع الجزيرة - الرياض، مكتبة الحرم المكي ٢١٤، م ر م.
-كتاب توحيد الخالق
عبدالمجيد الزنداني، دار المجتمع - جدة، السعودية، ط ١٤٠٨/٣هـ ١٩٨٧م.
-كتاب صفات الله عزوجل
صالح على المسند - دار المدني - القاهرة، ط ١٤١٢/٢هـ - ١٩٩١م.
-كتاب هداية الحياري
ابن قيم الجوزي (٧٥١هـ) مكتبة المعارف - الرياض
-كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية
د / عبدالوهاب إبراهيم ابوسليمان، ط١/ ١٤٠٠هـ، دار الشروق - جدة.
-كشاف اصطلاحات العلوم والفنون
الشيخ المولى محمد على بن على التهانوي، (منشورات شركة خياط للكتب والنشر)
-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في وجوه التأويل
محمود بن عمر الزمخشري - مطبعة الاستقامة - ط١٣٧٣/٢هـ ١٩٥٣م. مطبعة مصطفى البابي الحلبي مع كتاب الانصاف بما تضمنه الكشاف من الاعتزال - لأحمد بن محمد بن المنير الإسكندري.
-كشف الاستار
د / علي بن على جابر الحربي اليماني، ط ١٤١٠/١هـ، نشر دار طيبة - مكة المكرمة.

-كشف الشبهات في التوحيد
محمد بن عبدالوهاب(١١١٥-١٢٠٦هـ) ط ١٤٠١/٥هـ، المطبعة السلفية القاهرة.
-الكندى فيلسوف العرب
أحمد فؤاد الأهواني، سلسلة أعلام العرب ط/ ١٩٨٥م، مصر
-الكواشف الجلية عن معاني الواسطية
عبدالعزيز محمد السلمان، معهد إمام الدعوة بالرياض، الطبعة الرابعة.
-لسان العرب
ابن منظور (ت ٧١١هـ) دار صادر - بيروت.
-لسان الميزان
ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) دار الفكر للنشر والتوزيع - بيروت . وكذلك ((طبع حيدر آباد ط١٣٣١/١هـ
-لمع الادلة في عقائد اهل السنة والجماعة
امام الحرمين الجويني، تحقيق : د/ فوقية حسين محمود . الدار المصرية للتـأليف والترجمـة- ط ١٣٨٥/١هـ - ١٩٩٥م.
-لمعة الاعتقاد
ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) ط ١٣٩٥/٤هـ ، المكتب الاسلامي.
-لوامع الانوار الالهية
الشيخ / محمد السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ) ط : المدني - القاهرة.
-لوامع البينات في شرح اسماء الله والصفات
محمد بن عمر الرازي، ت (٦٠٦هـ) تحقيق / طه عبدالرؤوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- محصل افكار المتقدمين والمتاخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين
محمد عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد ، وبذيله تلخيص المحصل للعلامـة نصـر الدين الطوسي - نشر دار الكتاب العربي ط ١/ ١٩٨٤ م . بيروت - لبنان
-مختصر الصواعق المرسلة
لابن القيم (ت ٧٥١هـ) اختصار محمد الموصلي ١٤٠٥/١ هـ دار الكتب العلمية.
-مدارج السالكين
ابن القيم (ت ٧٥١ هـ) ط ١ / ١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية
-المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام
د / محمد عبدالستار نصار الستار - دار الانصار ط ١٣٩٩/١هـ .
-المسايرة في علم الكلام
ابن الهمام الإمام كمال الدين بن محمد ت ٩٦١هـ ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى.
-المستدرك على الصحيحين
الحاكم (ت ٤٠٥هـ وبذيله التلخيص للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) دار الكتاب العربي - بيروت.
-المسند
الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) المكتب الاسلامي ط ١٤٠٥/٥هـ ، بتحقيق أحمد شاكر . دار المعارف - القاهرة ١٩٥٤م.
-مشكاة المصابيح
محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، ط١٤٠٥/٣هـ - بيروت.
-المصطلحات الكلامية في أفعال الله تعالى عرض ونقد
أحمد محمد طاهر عمر، جامعة أم القرى، مكتبة البحث العلمي، رقم ١٥٠٧.
-المطالب العالية من العلم الالهي
محمد عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق د/ أحمد السقا بيروت ط ١/ ١٩٨٧م

-معارج القبول بشرح سلم الوصول، إلى علم الأصول في التوحيد
حافظ بن أحمد الحكمي، الطبعة السلفية، مكتبة الحرم المكي /٢١٤-ح ح م.
-المعجم الوسيط
إبراهيم مصطفى وزملائه، اشراف عبدالسلام هارون، ط/ مجمع اللغة العربية، ١٣٨٠هـ
-معجم البلدان
ياقوت الحموي، دار صادر، ط /١٣٧٤هـ، بيروت.
-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
على أبوبكر الهيثمي، ط١٤٠٦هـ، مكتبة المعارف، بيروت.
-المعجم الفلسفي
د / جميل صليبان - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧١م . (في جزئين)
-المعجم الكبير
الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمد السلفي، ط١٩٨٤/٢م.
-معجم المؤلفين
عمر رضا كحالة : نشر المثنى - ودار احياء التراث العربي - بيروت ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م
-المعرفة عند مفكري المسلمين
د/ محمد غلاب، الدار المعرفة للتأليف والترجمة، دار الجيل - الفجالة - مكتبة البحث العلمي جامعة أم القرى (٢٧٧٢).
-المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي
د. أ . بي دنستلك ، بمشاركة الاستاذ/ محمد فؤاد عبدالباقي - طبع مكتبة بريل لندن ١٩٢٦م.
-المفسرين بين التاويل والاثبات في ايات الصفات
محمد بن عبدالرحمن المغراوي - دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض ط ١/ ١٤٠٥هـ .
-مقالات الإسلامين واختلاف المصلين
أبوالحسن الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط١٣٨٩/٢هـ، مكتبة النهضة -القاهرة
-ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل
الحافظ أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، ط١٤٠٣/١هـ ، دار الغرب الإسلامي - بيروت.
-من افلاطون إلى ابن سينا
د/ جميل صليبا (محاضرات في الفلسفة العربية) جامعة دمشق ط ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.
-الملل والنحل
الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) تحقيق : محمد سيد الكيلاني ط / ١٣٩٦هـ مصطفى البابي الحلبي - مصر.
المنار المنيف في الصحيح والضعيف
ابن قيم الجوزية، تحقيق عبدالفتاح أبوغدة، ط١٤٠٢/٢هـ نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب - سوريا.
-مناهج الادلة في عقائد الملة
ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) تحقيق : محمود قاسم ط ٣/ مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة.
-مناهج البحث عند مفكر الإسلام
د / على سامي دار المعارف ط ١٩٧٨/٤م.
-المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام اهل الرفض والاعتزال ،و(هو مختصر منهاج لابن تيمية)
شمس الدين محمد الذهبي - تحقيق محي الدين الخطيب.
-المنطق الصوري والرياضي
د / عبدالرحمن بدوي . مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٦٨/٣م
-منهاج السنة النبوية
أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق : د/ محمد رشاد سالم ط ١/ ١٤٠٦ هـ جامعة الإمام محمد سعودالاسلامية - الرياض.

-مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين
د/ عمر الأشقر، مكتبة الفلاح ط١/١٤٠١هـ الكويت
-منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد
عثمان بن على حسن ؛ مكتبة الرشد - الرياض - ط ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
-منهج الإمام الشوكاني في العقيدة
د/ عبدالله نومرك، مكتبة دار العلم - الرياض
-منهج إمام الحرمين دراسة العقيدة عرض ونقد
د/ أحمد بن عبداللطيف آل عبداللطيف ، ط١/١٤١٤هـ مطبعة مركز الملك فيصل - الرياض.
منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة
خالد عبداللطيف ط١/١٤١٦هـ نشر مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة.
-منهج ودراسات الايات والاسماء والصفات
محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ١٤٠١هـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
-مناقب الإمام أحمد بن حنبل
عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق د/عبدالله التركي، ط١/١٣٩٩هـ، مكتبة الخانجي - مصر
موسوعة أعلام الفلسفة (العرب والأجانب)
روني إيلي الفا، ط١/١٤١٢هـ، نشر دار الكتب العلمية بيروت.
-موسوعة الفرق والجماعات
د/ عبدالمنعم الخفي، ١٤١٣هـ، دار الرشاد، القاهرة.
-موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول
أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) ، ط ١/ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م دار الكتب العلمية - بيروت.
-المواقف في علم الكلام
عضد الدين الايجي (ت ٧٥٦هـ) عالم الكتب ، وشرحه للشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ط / دار الطباعة العامرة.
موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد
د / الطبلاوي محمود سعد مطبعة الأمانة - مصر - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.
موقف الإمام ابن تيمية من الأشاعرة
د/ عبدالرحمن بن صالح المحمود، ط ١/ ١٤١٥هـ ، نشر مكتبة الرشد - الرياض.
-الموضوعات
عبدالرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان ط ٢/ ١٤٠٧هـ مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
-الموطأ
الإمام مالك بن أنس _ (ت ١٧٩م) تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ط / دار الحديث.
-ميزان الاعتدال
الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق على محمد البجاوي وفتحية على البجاوي - دار الفكر العربي
-المحيط بالتكليف
عبدالجبار بن أحمد ابن الهمداني (ت ٤١٥هـ) جمع الحسين بن متوية
تحقيق : د / عمر عزمي المؤسسة المصرية للتأليف والنشر القاهرة.
-المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم
عوض الله حجازي - الطبعة الرابعة - دار الطباعة المحمدية بالأزهرية بالقاهرة.
-المغني في ابواب التوحيد والعدل
إملاء عبدالجبار بن أحمد الهمداني ، تحقيق د / محمد مصطفى حلمي و د / أبو الوفاء الغنيمي د/ عبدالحليم محمود، سليمان دنيا - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

-معيار العلم في فن المنطق

أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق : محمد مصطفى أبو العلا.

-المباحث المشرقية في علم الالهيات والطبيعيات (جزءان)

الإمام فخر الدين محمد عمر الرازي – مكتبة الأسدي بطهران ١٩٦٦هـ.

-مجموعة الرسائل والمسائل

ابن تيمية ، ط١٤٠٣/١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

-مجموعة الرسائل والمسائل النجدية

محمد بن عبدالوهاب، مكتبة الحرم المكي /٢١٤ م ر

-المجموعة العلمية السعودية

عبدالله بن محمد بن حميد، ط١٣٩١/١هـ، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة – مكتبة الحرم٢١٤، م ج م.

-معاني القرآن واعرابه

إبراهيم ن السري الزجاج، تحقيق د/ عبدالجليل شلبي، ط ١٤٠٨/١هـ، عالم الكتب، بيروت

-معاني القرآن

سعيد بن مسعدة البلخي الأخفش، تحقيق د/الأمير، ط١٤٠٥/١هـ عالم الكتب – بيروت.

-معاني القرآن

يحي بن زياد الفراء، ط٣/ ١٤٠٣هـ، عالم الكتب – بيروت.

-معجم مقاييس اللغة

ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، تحقيق : عبدالسلام هارون ط١٣٦٦/١هـ القاهرة.

-منطق ارسطو

ارسطوطاليس – الفيلسوف اليوناني المعروف ت٣٢٢ ق. م. تحقيق : د/عبدالرحمن بدوي – دار القلم بيروت ط ١٩٨٠/١م .

-موقف أبو البركات البغدادي من الفلسفة المشائية

رسالة دكتوراه، بمكتبة كلية اصول الدين – القاهرة.

-محاضرات في الفلسفة الإسلامية

د / يحيى هويدي – مكتبة النهضة المصرية.

-المعتزلة

عواد بن عبدالله المعتق ، دار العاصمة – الرياض

-المعتزلة بين القديم والحديث

محمد العبده، طارق عبدالحكيم، ط١٤٠٨/١هـ، دار الأرقم برمنجهام، مكتبة الكوثر – الرياض.

-مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة

الحافظ جلال الدين السيوطي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – ١٤٠٩هـ .

-مقدمة في أصول التفسير

ابن تيمية ، تحقيق محمود محمد نصار مكتبة التراث الاسلامي – القاهرة.

-مقدمة عقائد السلف

د / على سامي ، منشاة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٨م

-مجموع فتاوي ورسائل

محمد بن صالح العثيمين ، جمع : فهد بن ناصر السليمان – دار الوطن – الرياض. ط ١٤١٢/١هـ

-المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية

د/ محمد عمارة دار الشروق – مصر

-مختصر العلو للعلي الغفار

الحافظ شمس الدين الذهبي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الاسلامي ط ١٩٨١/١م دمشق

-المنطق الصوري والرياضي

عبدالرحمن بدوي – ط ٥/ ١٩٨١م وكالة المطبوعات – الكويت

-المنطق الارسطى القديم

د/ طلعت غنام - ١٤٠٦هـ ١٩٨٩م.

-مقدمات وابحاث تمهيدية في العقيدة الإسلامية

محمد نمر الخطيب دارالعربية - بيروت - لبنان ط ١٤٠٢/١هـ - ١٩٨٢م.

-المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية

محمد سلطان المعصومي المكي - رئاسة ادارة البحوث العلمية - السعودية.

-المدرسة السلفية

د / محمد عبدالستار أحمد نصار - جامعة الأزهر ، مكتبة كلية اصول الدين ١٣٩٢هـ

-مسائل العقيدة الإسلامية بين التفويض والتاويل

د / عبدالعزيز سيف النصر جامعة الأزهر - مكتبة طلية اصول الدين ٦١٦ - عام ١٣٩٣هـ

-النبوات

شيخ الإسلام ابن تيمية - المطبعة السلفية - القاهرة. ١٣٨٦هـ.

-نتائج أفكار الثقات فيما للصفات من التعلقات

الإمام الحسن بن عبدالمحسن أبوعذبة - مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم ٥١٧

-النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية

ابى علي الحسين بن عبدالله ابن سينا (٤٢٨هـ) ط ١٣٣١هـ مطبعة السعادة ، بمصر، وكذلك تحقيق د/ماجد مخدي - دار الأفاق الجديد - بيروت ط ١٤٠٠/١هـ -١٩٨٥م.

-الانحراف في الاعتقاد وأسبابه ومظاهره وعلاجه في الإسلام

سليمان بن محمد سعيد العوفي، جامعة ام القرى، مركز البحث العلمي رقم /١١٨٩.

-نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام

على سامي النشار دار المعارف . ط ٧/ ١٩٧٧م - القاهرة.

-نقد تعليقات الالباني على شرح الطحاوية

إسماعيل محمد الانصاري مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - السعودية ط ١٤١٠/١ هـ ١٩٩٠م.

-نقض ابى سعيد عثمان الدارمي على بشر المريسي

الدارمي :(ت ٢٨٠هـ) ضمن عقائد (السلف) نشر ، د على سامي النشار وعمار حمص الطالبي منشأة المعارف بالاسكندرية.

-نقض المنطق

أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تصحيح محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية القاهرة.

-نهاية العقول في دراية الأصول

محمد بن عمر الرازي ت (٦٠٦)هـ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٤٨ علم الكلام - ميكرو فلم ٢٩٣٨٣

-النهاية في غريب الحديث والأثر

ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي ، دار الاحياء الكتب العربية - القاهرة.

-نواقض الإيمان القولية والعملية

د/ عبدالعزيز محمد على العبداللطيف، ط ١٤١٤/١هـ، دار الوطن - الرياض مكتبة الحرم ٧٧، ٢١٤/ ع ع ق

-نيل الأوطار

الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد ومصطفى محمد الهراوي - مكتبة الكليات الأزهرية.

-الهدية السنية

الشيخ سليمان بن سحمان النجدي ، تعلق : محمد رشيد رضا - دار الثقافة - مكة المكرمة - الزاهر ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

-هذه هي الصوفية

عبدالرحمن الوكيل - مكتبة أسامة - الرياض ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥.

-الوابل الصيب من الكلم الطيب

ابن القيم (ت ٧٥١هـ) تحقيق : مصطفى بن العدوي ط/ ١٤١٠هت دار الصحابة للتراث.

-الوجود الحق

د. حسن هويدي - المكتب الاسلامي ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

-وفيات الأعيان

ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) تحقيق : احسان عباس ، دار صادر - بيروت.

-ولله الأسماء الحسنى فادعو بها

حسنين محمد مخلوف - دار المعارف ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

فهرس الموضوعات

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين